

مجلة كلية الآداب



المجلد الثالث عشر - الجزء الأول

مايو ١٩٥١

تصدر هذه المجلة مرتين في السنة . في مايو وديسمبر، وتطلب من مكتبة
جامعة فؤاد الأول بالجزيرة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها الدكتور زكي محمد حسن بك عميد كلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول بالجزيرة

طبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥١

فهرس القسم العربى

صفحة	
١	الدكتور فؤاد حسين على ... نشيد الأناشيد للبلدان
...	الأستاذ أحمد الشايب بك ... ملحة الراعى . تحقيق ، وضبط ؛
٢٣	وشرح وتقديم
...	الدكتور محمد يوسف تحقيق بعض الألفاظ الهندية المعربة
٦١	والدخيلة في اللغات الأندلسية
...	الدكتور محمد محمود الصبياد ... سكان مديرية البحيرة في خمسين عاماً
٨٧	(١٨٩٧ — ١٩٤٧)
١٢٣	الدكتور اسماعيل على معتوق مصر والكتاب المقدس
١٣٣	الأستاذ عبد الوهاب حمودة ... حول بحث « أول من وضع النحر »
...	الدكتور محمد مصطفى حلمى ... آثار الهرودوت . المقتول ، تصنيفها ،
١٤٥	وخصائصها التصوفية والفلسفية
١٧٩	الدكتور مصطفى الحشاش ... الأمة : نشأتها ودعائها الاجتماعية
...	الأستاذ شوقي ضيف كتاب رايات المبرزين وغايات المعزين
...	لابن سعيد . نشر وتحقيق الأستاذ
...	غربية غومس
...	أميليو غربية غومس كتاب «رايات المبرزين» تمقيب على نقد

نشيد الأناشيد الذي لسليمان^(١)

بقلم

الركنور فؤاد مسنين على

هذه مجموعة من الأغاني الشعبية الاسرائيلية بعضها في الغزل والبعض الآخر في الزفاف يرى فيها القارئ، مناجاة الأجيال وغرام العاشقين كما يلمس الصلة القوية بين الخيال العربي الجاهلي والنشيد الاسرائيلي . وهذه الصلة في الخيال والتعبير هي التي حدثت بي إلى نقل هذا النشيد من أصله العبري إلى لغتنا العربية كما حرصت على أن التزم الدقة في الترجمة مع التصرف الذي يتفق ولغة النشيد أولا والأسلوب العربي ثانيا .

سيطلع القارئ على هذه الترجمة وسيرى لونا من ألوان الأدب ليس جديدا كله ، وذلك لأن الصور التي يعرضها لنا النشيد نجدتها في كثير من قصائدنا العربية الجاهلية خاصة تلك التي يعبر عنها امرؤ القيس في معلقته مثلا بقوله :
حُثِّتْ وَقَدْ نَضَمْتُ نَوْمَ ثِيَابِهَا لَدَى السَّيْرِ لَا لِبَدَةِ الْمُتَفَضَّلِ

أو

هضرت بفودي رأيتها فتأملت على هضم الكشح ربا المخلخل

أو

وفرع يزين المتن أسود فاحم اثبت كفتنوا النخلة المتعشك

أو قول عمرو بن كلثوم :

وساريتي بلنط أو رخام يرن خشاش حطهما ردينا

وهذا النشيد جمع في عصر متأخر لن يكون أبعد من القرن الثالث ق.م ولعل السبب في ضمه إلى اسفار الكتاب المقدس نسبته إلى سليمان ابن داود ولو أنه ليس مؤلفه الحقيقي بدليل هذه الالفاظ وتلك العبارات الواردة به والتي تحتم علينا الرجوع بتاريخ هذه الأغاني إلى عصر آخر غير عصر سليمان .

أغنية العروس

قلبي بقبيلاتك ، فكامعتك ألد من الحمر .
لعطورك الطيبة الشذا ، وكالزيت الطيب اسمك .
لذلك أحبينك النساء ، اجذبني خلفك ، دعنا نهروا ، خذ يدي يا ملك
إلى حجالك .

سمراء أنا وجيلة يا بنات أورشليم^(١٢) .
كخيام قيدر^(١٣) ، ومخائل سليمان .
نبتة وتفرح بك . حبك أبقي من الحمر . حقاً يحبينك .
لا تمجدجنني لكوني سمراء ، الشمس دبستني .
غضب علي موطني ، وعينوني لاميمة .
أما كرمي فأهملته .

قل لي حبيب روحي أين ترعى ؟
أين تربض في الظهيرة ؟
حتى لا أصير كالنخولة بين قطعان أصدانك .

تبادل الغناء بينهما

إن لم تعرفي يا أجل النساء ، فانهبي واقطف أثر الغنم ، واراع جدالك
عند أكراخ الرعاة .

شبهتك حبيتي بفرس مجفف في مر كبات فرعون .
ما أجل لهزمتيك يتدلى عليهما الحجاب ، وجيدك حوله السخاب !
سنصنع لك قلائد الذهب المطعمة بالجذاذات .

إذا جلس الملك على عرشه فاحت راحة نردى .
حبيبي لى كباقة المراتى نادت بين ندى .
ما أشبه حبيبي بالحناء بكرم عين جدى .

جميلة حبيتي إنك الغانية عينك عينا حمامة .

جميل أنت يا حبيبي وحلو ، سريزنا أخضر .
قوائم بيتنا من الأرز والمطم منها فيخشب السرو .
أنا نرجسة شارون^{١٤} وسوسنة الوديان

سوسنة بين الأشواك حبيتي بين الفتيات .

شجرة تفاح فى الغابة حبيبي بين الشبان ، ما أشهى الجلوس فى جواره
وما أحلا فاكهته فى حنكى !
أدخلنى حانه ، وخفقت علينا راية كانت غراما .
أنعشونى بكعك الزبيب أسعفونى بتفاح إنى مر يضة حباً .
شماله تحت رأسى ويمينه تضحى .
أحلمكن يا بنات أورشليم بأياكل البرية والظباء ، ألا تيقظن الحب
أو تزعجه حتى يشاء .

الغزل في الربيع

حبيبي !! آتبنيا فافراً الجبان ورائياً اللال .

حبيبي شبيه الظبي وغفر الأروية ؟

ها هو واقف خلف حائطنا يتطلع من النوافذ ويلص .

أجاني حبيبي وقال لي : حبيبي قومي ، جميلتي تعالى ، الشتاء ولى
وبالمطر احتبس .

احوارت الأرض وحن القصب .

والآن نسمع هديل الحمام في أرضنا .

أخرجت التينة فجها وأزغبت الكرم تفوح منه الخبطة .

قومي حبيبي ، اذهبي جميلتي تعالى .

حمامتي في الشقبة وستر المعازل ، أرى مراكك فهو جميل ، وأسمعني
صوتك إنه حلو .

خذوا لنا الثعالب والكتعان فهي متلفة للكروم ، وكرومنا قد تورّت
وفاحت الخبطة .

حبيبي الراعى بين السوسن لي ، وأنا له .

ارجع يا حبيبي ، يا شبيه الظبي وغفر الأروية ، على شعب الجبال ،
حتى يصبح اليوم روح .

حلم الوالدة

فى اللل على سررى بحت عن الذى تحبه قمى وما وجدته .
أقوم أطوف فى طرق المدينة ورجباتها أبحث عن الذى تحبه قمى
ولا أجده .

وجدنى الحراس الذين يطوفون المدينة فسألهم .
هل رأيتم حبيب قلى ؟
وما كدت أتركهم حتى لفيت جيب الروح ، فخبثته ولم أتركه
حتى أدخلته بيت أمى إلى غرفة من حملت بى .
أحلفكن يابنات أورشلیم بأيائل البرية والظباء ، ألا تيقظن الحب ،
أو تزجنه حتى يشاء .

زفاف العروس

من هذه الصاعدة من البرية كعمود بخور المر واللبنان ؟ .
هنا عرش سليمان حوله ستون جبارا من جبارة اسرائيل^(١) .
مسليون بالحرايب يمسدون فنون القتال وبجوار كل حربته انقاء
لأهوال الليل .
صنع سليمان لنفسه عرشا من خشب لبنان له أعمدة من الفضة وروافد
من الذهب .
ومقعدا من الارجوان .
أما وسطه فحجة يابنات أورشلیم .
أخرجن بنات صهيون^(٢) وانظرن الملك سليمان بتاجه الذى توجته به أمه
فرحة يوم زفافه .

مدح العروس

ما أحللت حبيتي ! وما أجملك !
عيناك خلف اللثام كعيني حمامة .
شعرك يتأوج تماوج شعر معز تنحدر من جبل جلعاد^(٧) .
أسنانك كقطيع جزائر خارج من الغسل شياحه ممتات وليس بينها
المفرد .
شفتاك خيط آخر وفك حلو أما خدك فقلقة رمانة تحت لفافك :
عنقك مجدل داود^(٨) بنى ليكون حصينا عليّ به ألف مجن كلها أتراس
أبطال :
نديك خشقان ، غزالان يريان السوسن . اذهب إليك الى جبل المر وتل
اللبان متى أصبح اليوم روح وفاء الظل مستأنس
جميلة يا حبيتي ولا يغيب فيك :

سرق قلبى

تعالى معى من لبنان^(٩) يا عروسى تعالى من لبنان أنظري من ظهر : أماناه^(١٠) :
من قبة : سنير^(١١) ، و : حرمون^(١٢) : من جودور الأبيد و جبال النور .
سبيت فزادى جرحتنى بالحنك وبقلادة من قلائد عنقك يا أختى يا عروسى ،
ما أجل حبك يا أختى ان حبك أحلا من الوين وزرائحة عطورك تفوق
العطور يا عروسى .
... عروسى شفتاك تقطران شهدا ، عسلا ولبننا يسيل أسنانك ، ولثيانك
ربا كشدنا لبنان .

عروسی جنة

جنة معلقة أخنى ، نبع مختوم وعین بکر عروسی .
غرسك جنة رمان وثمار شهية ، حنة مع رند ، ورنند مع کر کم عود
وقرفة مع أنفاس الأعواد والبخور .
عين فی جنة ، ونبع ماء قراح ، وروائح لبنان العطرة .
هبي يارب السماء وتعالی یارب الجنوب .
زفی الى جنتي كي فرح بشامها ، لیأت حبيبي الى جنته وليأكل ثمر الشهي .
دخلت يا أختی جنتي قطفت یاعروسی مری وبشای أكلت أربي مع دبسی
شربت خمری مع لبنی امتخوا أیها الاصبحاب واشربوا أیها الاحباء واتملاوا
غراما .

حلم العروس

أنا نائمة وقلبي یقط ، حبيبي یطرق افتح لی یا اختی یا حبيبي حامی
غانقی کما الطل هامی ورش اللیل قصمی .
خلعت غلالتي فكيف أليدها وغسلت قدی فكيف أوسجهمما .
مد حبيبي يده من الكوة تخفتی له قلبي قمت أنا لأفتح لحبيبي ويدای
تفطران مرأ وأصابعی على المغلاق مرأ سائلا .
فتجت لحبيبي فأذ به تحول وعبر وفارقتنی نغمی عندما انصرف بحت عنه
وما وجدته وناديتہ ولم یجبنی .
وجدنی الحرس الطائف بالمدينة ضربوني جرحوني مرقوا إزاری حراس
الأسوار .
أحلفکین یا بنات أورشليم إذا ما وجدتني حبيبي أخبرني أنه أتی مریضة غراما .
ما حبيبک من حبيب أيتها الجميلة بین النساء .
ما حبيبک من حبيب حتی تحلفینا ا

مدح العروس

حببي أصهب وعلم على روبة .
رأسه نضار قصصه جعدة حالكة كالغراب .
عيناه كالخام على مجارى المياه مغسولتان بالبن جالستان في محجرهما .
خداه حيضان بشام وأحفاش أدهان ذكية .
شفاه سوسن وتقطران مرأ سائلا .
يذاه قضيبان مستديران من ذهب مرصعتان بزبرجد ، بطنه قطعة من عاج
مغلف بإقوت أزرق .
ساقاه عمودا رخام أبيض تقومان على قاعدتين من الأبريز ، طلعتاه كلستان ،
خير الفتيان كشجر الأرز .
فه حلاوة وكل ما فيه يشهى ، هذا حببي هذا خليلي يا بنات أورشليم .



أين ذهب حببيك أيتها الجميلة بين النساء ، أين توجه ذلك فتطلبه معك .
حببي نزل إلى جنته إلى محائل البشام ليزعى في الجنان ويجمع السوسن .
أنا لحبي وحبيبي لى ، هو راعى بين السوسن .

جميلة أنت يا صديقتي

حلوة مثل : ترصة ^(١٢) : يا حبيبتى ، جميلة كأورشليم يا خليلتى قاهرة
كجيش عرمم .
حولى عينيك عنى فقد خيلتاني ، شعرك يتأوج تماوج المعز من فوق
جبل جلعاد .
أسنانك مثل قطيع الجزائر الخارج من الغسل ، شياحه متمات
وليس بينها المفرد .

خذلك فلة رمانة تحت لعاك .
 ستون ملكة اسنان والسراري ثمانون : أما العذارى فلا يخصصهن شد .
 وحيدة حمامي وغانية .
 وحيدة لأما ومخلصة لوالدها .
 ولما العذارى رأيها مدحها ومدحها ملكات وسراري هالن لها .

أغنية رقصة العروس بالسيف

من هي المشرقة مثل السحر ، الجميلة كالقمر .
 الطاهرة كالشمس القاهرة كجفاف الجبش . ؟
 نزلت الى حديقة الجوز لأنظر خضر الوادي .
 وهل أقبل الجفن ونور الرمان ؟
 ولم أشعر إلا وانتقلت الى مركبة : عيتدب^(١٤) .
 ارجعي ارجعي يا شولاميث^(١٥) ارجعي ارجعي لتراك
 ماذا تريدون من شولاميث أتريدون رقصة السيف ؟
 ما أجل قدميك في النعل يا بنت النبل .
 دوران وركيك كحلية صبا فنان .
 مريضك كاس مستديرة لا يعوزها شراب ممزوج .
 بطنك عرمة حنطة يحيط بها السوسن .
 ثدياك خشنا ظبية .
 عنقك برج من العاج .
 وعيناك برك : حشبون^(١٦) : عند باب : بثريم^(١٧) .
 أنفك برج لبنان المطل على دمشق .

رأسك كرملى وشعرك أرجواني ملك أسير الخصل .
ما أجلك وما أحلاك يا حبيبة وقت المذات .
قامتك نخلة ونديك كبائس .
قلت تسلق النخلة وأمسك بأعناقها .
نديك عناقيد عنب وريح فك رائحة تفاح .
فك يهود بأحسن الخمر ينساب الى فمي سهلا ويجرى الى شفاة النائمين .

ربيع الحب

أنا الحبيبي وبشتاقي .
لتخرج حبيبي إلى الحقول ولتبت في الكفور .
لتبكرن إلى السكروم وئرى هل أزهر الكرم .
وأقلع الجفن ونور الرمان .
وهناك أقدم لك حبي .
تفاح الحب تفوح رائحته وعند أبوابنا نمر شهي رطب ويابس حفظته
لك يا حبيبي .
ليتك كاخ لي رضيع من ندى أمي .
فألقاك في الخارج وأقبلك ولن يزلقوني بصر عم .
أدخلك بيت أمي حيث حملتني .
أسفك خمرا ممزوجا وعصير رمان .
شماله تحت رأسي ويمينه تضميني .
أحلفكن يابنات أورشليم .
ألا تيقظن ألا تذهبن الحبيب حتى يشاء .

الحب جبار كالموت

من هذه الطالعة من البرية المستندة على حبيبها ؟
تحت شجرة التفاح أيقظتك .
هناك حملت بك أمك وبالألم ولدتك .
ضعني على قلبك كخاتم أو عضاد .
الحب جبار كالموت والغيرة ناسية كعالم الأهوات لهيها نار الله الموقدة .
المياه الغزيرة ليست بمستطيرة اتحاد جذوة الحب والسيول لن تغمرها
ولو قدم الانسان كل ما يملك للحب قبول باحتقار .

العروس قبل الزواج

لنا أخت صغيرة لم ينهد نديها فماذا نصنع بها يوم تطلب يدها ؟
إن كانت حائطاً وضعنا عليه شرفة من الفضة .
وإن كانت باباً وقيناه بالأواح من الأرز .
أنا حامية وندياي برجان :
وفي عينيه واجدة سلاما .

كرمان

كرم لسليان في : بعل همون : أعطاه للنطار حيث يدفع كل واحد
منهم ألف فضة .
كرمي متاعى خذ الألف لك يا سليان ومائتين لحراس ثمره .
أيتها الجليلة في الجنان ، الخيلان ينصتون أسمعيني .
أسرع حبيبي كالظي أو غفر الأيايل على جبال البشام .

الملاحظات

(١) ابن داود تولى الملك حوالى عام ٩٥٠ ق . م . كان محبا للسلام شيد معبد أورشليم ، وقد اشتهر بالحكمة واليه ينسب نشيد الأنشيد والأمثال والجامعة .

(٢) يعتقد ان هذا اللفظ حثي الأصل وأول ما ذكرت هذه المدينة فى القرن الرابع عشر ق . م . وظلت عاصمة لليهود منذ حكم داود (القرنين الحادى عشر والعاشر) وفى عام ٥٨٦ ق . م خربت ثم أعيد بناؤها عام ٥٣٧ ق . م . وخربت ثانية عام ٧٠ م وفى عصر هديران (١١٧ — ١٣٨ م) حرمت على اليهود وأطلق عليها لفظ : ايليا كابيتولينا (Aelia Capitolina) .

ثم جاءت المسيحية فلم تحدث أثراً ما فى حياة المدينة وظلت كذلك حتى جاء الاسلام فرفع مكانتها وهياها لأن تلعب دوراً هاماً فى تاريخ العقائد المأبوية السامية .

(٣) قيدر : قبيلة عربية كانت تقيم فى بادية الشام وقد ورد ذكرها فى العهد القديم والنقوش الاكادية كما ذكرها بلينيوس (Plinius) أيضاً .

(٤) شارون : الجزء الممتد من شاطئ فلسطين فيما بين يافا حتى قيصرية .

(٥) إسرائيل : فى الأصل اسم آخر ليعقوب ومن ثم أطلق على الشعب اليهودى .

(٦) صهيون : تل باورشليم وعليه شيد برج داود ومن ثم عمم هذا اللفظ فأصبح يدل على سائر أورشليم .

(٧) جلعاد : جبال واقعة شرق الأردن .

(٨) داود : أشهر الملوك الذين ملكوا حوالى القرن العاشر ق . م على يهوذا وإسرائيل وهو الذى انتصر على جوليات وفتح أورشليم ومؤسس أسرة ، يقال إن المسيح من بين أفرادها . وقد كان داود شاعراً وموسيقياً .

(٩) لبنان : جبال في شمال فلسطين وهي مشهورة بغابات الأرز .

(١٠) أمّاء : هو نهر — بردي — الحالي الذي يجري في دمشق .

(١١) سنير : أو سنير هي جبال سنير التي ذكرها أبو الفداء والبلاذري وهي واقعة في شمال شرق فلسطين وجزء من لبنان وتعرف الآن باسم جبل الشيخ وقد أطلق عليها قديماً أيضاً اسم حرمون .

(١٢) حرمون : (انظر ١٢) .

(١٣) ترصا : مدينة في مملكة إسرائيل وكانت العاصمة في الفترة الممتدة بين القرنين العاشر والتاسع ق . م

(١٤) عميندب : ملك العمونيين وهم شعب كان يزل شرق الأردن وكانت عاصمته : ربت عمون وهي : عمان الحالية .

(١٥) اسم أنثى .

(١٦) جيبون : عاصمة موآب (شرق الأردن) قديماً .

(١٧) اسم أحد أبواب المدينة .

שיר השירים

CANTICUM CANTICORUM.

1 וַיֵּצֵא הַשָּׁרִים אֲשֶׁר לְשִׁלְמָה:

וַיִּשְׁקֵנִי מִנְּשִׁיקוֹת פִּיהָ כִּי-מִזְבֵּי־וָדָד מִיָּדָי:

וַיִּלְרֶחַח שְׁמִנֶיהָ מִצִּבִּים שֶׁמֶן הַתִּבְקָה שֶׁמֶךְ עַל־כֵּן עֲלָמוֹת אֶהְיֶיהָ:

מִשְׁכְּנִי אֶחְרִיד׃ נְרוּצָה הִבֵּיאֲנִי הַמֶּלֶךְ תְּדַרִּיר׃

נִגְלָה וְנִשְׁמַחָה בְּךָ נִזְכִּירָה וְדִירָה מִיָּן * מִיִּשְׂרָאֵל אֶהְיֶה:

שְׁתוּרָה אֲנִי וְנֹאֵלָה בְּנוֹת יְרוּשָׁלַם

כַּאֲהֵלִי קָדָר . כִּירִיעוֹת שְׁלֵמָה :

6 אֶל־תִּרְאֵנִי שְׂאֵנִי שְׁתַּרְחֲרֵת שְׁשׁוּפְתַי הַשֹּׁמֵם

בְּנֵי אִמִּי נִסְרוּ-בִי שִׁלְמִי גִטְרָה אֶת-הַכְּרָמִים כְּרָמִי שְׁלִי

[לא נִסְרַתִּי:]

יְהִינָה לִי שְׂאֵהֲבָה נִפְשִׁי אִיכָּה תְרַעָה אִיכָּה תִרְקִיץ בְּאֶהֱבִים

שְׁלֵמָה אָהֳרָה בְּעֶסְרָה עַל עֲדָרֵי מִבְרִיחַ: 5

8אם-לא תדעי לך היפה בנשים

צאי-לך בעקבי הצאן ורעי את-גדיתיך. על משכנות הרעים: ־

וּלְמִסְתֵּי בְּרַכְבֵּי פָרָעָה וּפִתִּיךְ נִעִיתִי:

1a נָאֵנוּ לְתֵלֵךְ בַּתּוֹרִים צִוְּאֵכָךְ בְּסִרְיוֹתֵינוּ:

וַיִּתְּנֵהוּ זָהָב גַּעֲזָה-לָךְ עִם נִקְדֹּת הַכֶּסֶף:

12 ער-שהמלך במסבו גרדי נתן ריחו:

31 צִרְזֹר הַפֶּרֶד וְהִזְדִּי לִי בֵּין שְׁנֵי יָלִין:

וְרִיתָ טַמְנִיָּה מְכַל־טו 3^{a-2} m cs dl, פִּיָּה | ^b | נִשְׁקָנִי | 2^a | sic m | Cp 1, 1

נִשְׁפָּרָה ^d & prps יְהוָה ^c & sing יְהוָה ^b & sing לְרִיחַ שְׁמִנִּיךָ ^a & vel יְהוָה ^b & cf 4,10 ^a & שְׁמִיךָ

¹⁰ add; cf mtr || 5 | שלם (שלום) || 6 ¹¹ add, cf mtr || 7 ¹² m cs dl ||
¹³ vel c ששועה בעמיה || 8 ¹⁴ add, cf mtr || 9 sic Occ, Or לס:כהי

נרדו 12 || לסוסתי prps

14 וְיִזְנֶה בְּחֻנֵּי הַפֶּלַע בְּכֶתֶר הַמִּרְלָה
 הָרִאשִׁי אֶת־מִרְאֵי הַשְּׂמִיעִי אֶת־קוֹלָךְ
 כִּי־קוֹלְךָ עָרֵב וּמִרְאִיךָ נֶאֱנָה: ׀
 15 אֶחָד־לָנוּ שְׁעָלִים שְׁעָלִים קִטְנִים
 מִחֲבָלִים כְּרָמִים וּבְרָמִינוּ סִמְרָה:
 16 וְדָדִי לִי נֶאֱנִי לֹא הָרַעָה בְּשׁוֹשְׁנִים:
 17 יוֹעֵד שְׂיָפוּחַ הַיּוֹם וְנָסִי הַעֲלָלִים
 יִכַּבּ וְסֶה־לָּךְ דּוּדִי לִצְבִּי
 אֹז לַעֲבֹר הָאֲלִילִים עַל־גְּרִי בְּתָר: ׀ וְלֹא מִצָּאֲתִיר:
 3 יַעֲלִי־מִשְׁכְּבִי בְּלִילוֹת בְּשָׁמִי אֶת שְׂאֲהֶבָה נִפְשִׁי בְּשָׁמִי
 אֶקְיָמָהּ נָא וְאֶסֹבְכָה בְּעִיר בְּשָׁנִים וּבְרַחֲבוֹת
 אֶבְקֶשֶׁה אֶת שְׂאֲהֶבָה נִפְשִׁי בְּשָׁמִי וְלֹא מִצָּאֲתִיר:
 נִמְצָאוּנִי הַשְּׂמִרִים הַסְּבָבִים בְּעִיר אֶת שְׂאֲהֶבָה נִפְשִׁי רְאִיתָם:
 4 בְּסַעֲטִי שְׁעָבְרָתִי מִתָּהֶם עַד שְׂמִעָתִי אֶת שְׂאֲהֶבָה נִפְשִׁי
 אֶחֱזֹתִיל וְלֹא אֶרְפָּנוּ
 5 עַד־שֶׁהִבִּיאֲתִיר אֶל־בֵּית אִשִּׁי וְאֶל־חֲדָר הַזִּנְתִּי:
 6 הַשְּׂבַעֲתִי אֶתְכֶם בְּנוֹת יְרוּשָׁלַם בְּצִבְאוֹת אֹז בְּאִילוֹת הַשָּׂדֶה
 אִם־תִּעֲרִירִי וְאִם־תִּעֲוֹרְרִי אֶת־הָאֲהֶבָה עַד שְׂמִתְחַקֵּץ: ׀
 6 יִמִּי זֹאתִי עֲלָה מִן־הַסְּדָקָר בְּתִמְרוֹתִי עֲשֹׂן
 מִקְטֹרֶת מִר וּלְבוֹנָה מִלֵּל אֶבְקֶת רֹכֵל:
 7 יִהְיֶה מִסְתֹּז שְׁלֹשְׁלֹמֶה שְׂשִׁים גִּבּוֹרִים סָבִיב לָהּ מִנְּבִרֵי יִשְׂרָאֵל:
 8 בָּקֻלָם אֶתִּיר חֲרֹב מִלְּפָדִי מִלְחָמָה
 אִישׁ חֲרָבוֹ עַל־יָרְכוֹ מִפְּתָח בְּלִילוֹת: ׀
 9 אֶפְרִיזֵן עֶשֶׂה לֹא הַפֶּלַח שְׁלֹמֶה מַעֲצֵי הַלְבָנוֹן:
 10 עֲטֹמְרִיו עֶשֶׂה כֶּסֶף רְפָדָתוֹ זָהָב
 יִמְרָבּוּ אֶרְנָמֶיךָ תֻּכּוּ רִצּוֹף אֶהֱבֶה׃ מִבְּנוֹת יְרוּשָׁלַם:

14 * pl MSS והשמייעני. Var^G euam וְיִזְנֶה. Q mlt
 MSS cf 8,14 ככ דודי ודמה לך לצבי׃ b-b fr ׀ וְנָסִי בִּשְׂמִיעִי 17 * c ׀ וְיִזְנֶה וְיִזְנֶה MSS
 * Var^G אֶל ׀ d prps בְּשָׁמִיעִי ut 8,14 ׀ Cp 3, 1 -- add cf mu et cf 2 ׀ 2 sic
 ׀ אחזתי אח שאהבה נפשי 4 * fr ins מִצָּאֲתִיר 3 ex 5,7, fr ׀ וְאֶל־בְּהֶבָה Occ, Or
 b-b dl, ex 8,2 ׀ v 5 fr dl, ex 2,7 ׀ 6 a-a ׀ 6 מה־זאת 9 * m cs dl ׀ 9 * m cs dl שלמה aut שלמה
 ? cf Vrs), 1 בתיסיות 7 * m cs dl ׀ 7 בתיסיות 10 a-a trsp post אהבה ׀ b-b dl, cf ad 11.

11 צאנה וראיה פקודות ציון במלך שלמה
 בפקודה שעטרה לו אסל' וביום שמתת לבו: 8
 4 יהנך יפה רעיתי יהנך יפה עיניך יונים ספקד לעשתך
 שערך קעדר העזים שגלשו סתר וקעד:
 2 שניך קעדר הקצובות שעלו מן הרחצה:
 שכלם מתאימות ושכלה אין בהם:
 3 נבחרת השני שפתותיך ומדברך נאנה
 קפלת הרפון קלתך מפקד לעשתך:
 4 במגבל דוד צוארך בנני לתלפיותי
 אלף הסגן תלוי עלי כל שליחי הנברים:
 5 שני שניך בשני עפרים תאומי צביה הרעים בשושנים:
 6 עד שיפוח היום ונסו העללים
 אלך לי אליהר המור ואל נבעת הלבונה:
 7 בלך יפה רעיתי ומס אין בה: 8
 8 אחרי מלכנון פלה אחרי מלכנון תבוא
 תשורי וסראש אמה מראש שניך ותרמון
 מסענות אריות מהררי נברים:
 9 ללבבתי אחתי כלה ללבבתי באחר מעליך באחד ענק:
 10 מה יפני ורף אחתי כלה מה טבו ורף מלי
 ורתי שמניך מכל בשרים:
 11 נפת תפנה שפתותיך פלה דבשי וקלב תחת לשונך
 ורתי שללתיך פריח לבנון:
 12 וינועל אחתי כלה נלי נעלי מעין תתום:

4d | וראינה Var^M c 6 צאנה Var^M c 6 | בנות ירושלם 12 * ins e v 10
 כיום 1 m cs dl | בנות ירושלם צאנה וראינה במלך 1 m cs dl: 1 c 6
 | Cp 4, 1 4a m cs dl | 2b m cs dl (e v 3) | וביום שמתת לבו aut ותנתו
 | 2 * sic B-Asch. | 6,5 ut סן הגלעד 6 MSS ca 10 c 4d | שערך Var^G *
3 Var^M	4 *	וסברךך Var^M	שכלה Var^M	הרחצה B-Naphr Var^M			
5 * dl	5 * dl	5 * dl	5 * dl	5 * dl	5 * dl	5 * dl	5 * dl
6 * dl, cf 2, 17	8 * 1 c 6 6 6 6	אחתי 1 *	אחתי 1 *	אחתי 1 *			
9 * add cf mtr	9 * sic Occ, Or	לבבתי 1 *	9 *	9 *	9 *	9 *	
10 * m cs dl	10 * m cs dl	10 * m cs dl	10 * m cs dl	10 * m cs dl			
11 *	11 *	11 *	11 *	11 *	11 *	11 *	11 *
12 *	12 *	12 *	12 *	12 *	12 *	12 *	12 *
13 *	13 *	13 *	13 *	13 *	13 *	13 *	13 *
14 *	14 *	14 *	14 *	14 *	14 *	14 *	14 *
15 *	15 *	15 *	15 *	15 *	15 *	15 *	15 *
16 *	16 *	16 *	16 *	16 *	16 *	16 *	16 *
17 *	17 *	17 *	17 *	17 *	17 *	17 *	17 *
18 *	18 *	18 *	18 *	18 *	18 *	18 *	18 *
19 *	19 *	19 *	19 *	19 *	19 *	19 *	19 *
20 *	20 *	20 *	20 *	20 *	20 *	20 *	20 *
21 *	21 *	21 *	21 *	21 *	21 *	21 *	21 *
22 *	22 *	22 *	22 *	22 *	22 *	22 *	22 *
23 *	23 *	23 *	23 *	23 *	23 *	23 *	23 *
24 *	24 *	24 *	24 *	24 *	24 *	24 *	24 *
25 *	25 *	25 *	25 *	25 *	25 *	25 *	25 *
26 *	26 *	26 *	26 *	26 *	26 *	26 *	26 *
27 *	27 *	27 *	27 *	27 *	27 *	27 *	27 *
28 *	28 *	28 *	28 *	28 *	28 *	28 *	28 *
29 *	29 *	29 *	29 *	29 *	29 *	29 *	29 *
30 *	30 *	30 *	30 *	30 *	30 *	30 *	30 *
31 *	31 *	31 *	31 *	31 *	31 *	31 *	31 *
32 *	32 *	32 *	32 *	32 *	32 *	32 *	32 *
33 *	33 *	33 *	33 *	33 *	33 *	33 *	33 *
34 *	34 *	34 *	34 *	34 *	34 *	34 *	34 *
35 *	35 *	35 *	35 *	35 *	35 *	35 *	35 *
36 *	36 *	36 *	36 *	36 *	36 *	36 *	36 *
37 *	37 *	37 *	37 *	37 *	37 *	37 *	37 *
38 *	38 *	38 *	38 *	38 *	38 *	38 *	38 *
39 *	39 *	39 *	39 *	39 *	39 *	39 *	39 *
40 *	40 *	40 *	40 *	40 *	40 *	40 *	40 *
41 *	41 *	41 *	41 *	41 *	41 *	41 *	41 *
42 *	42 *	42 *	42 *	42 *	42 *	42 *	42 *
43 *	43 *	43 *	43 *	43 *	43 *	43 *	43 *
44 *	44 *	44 *	44 *	44 *	44 *	44 *	44 *
45 *	45 *	45 *	45 *	45 *	45 *	45 *	45 *
46 *	46 *	46 *	46 *	46 *	46 *	46 *	46 *
47 *	47 *	47 *	47 *	47 *	47 *	47 *	47 *
48 *	48 *	48 *	48 *	48 *	48 *	48 *	48 *
49 *	49 *	49 *	49 *	49 *	49 *	49 *	49 *
50 *	50 *	50 *	50 *	50 *	50 *	50 *	50 *
51 *	51 *	51 *	51 *	51 *	51 *	51 *	51 *
52 *	52 *	52 *	52 *	52 *	52 *	52 *	52 *
53 *	53 *	53 *	53 *	53 *	53 *	53 *	53 *
54 *	54 *	54 *	54 *	54 *	54 *	54 *	54 *
55 *	55 *	55 *	55 *	55 *	55 *	55 *	55 *
56 *	56 *	56 *	56 *	56 *	56 *	56 *	56 *
57 *	57 *	57 *	57 *	57 *	57 *	57 *	57 *
58 *	58 *	58 *	58 *	58 *	58 *	58 *	58 *
59 *	59 *	59 *	59 *	59 *	59 *	59 *	59 *
60 *	60 *	60 *	60 *	60 *	60 *	60 *	60 *
61 *	61 *	61 *	61 *	61 *	61 *	61 *	61 *
62 *	62 *	62 *	62 *	62 *	62 *	62 *	62 *
63 *	63 *	63 *	63 *	63 *	63 *	63 *	63 *
64 *	64 *	64 *	64 *	64 *	64 *	64 *	64 *
65 *	65 *	65 *	65 *	65 *	65 *	65 *	65 *
66 *	66 *	66 *	66 *	66 *	66 *	66 *	66 *
67 *	67 *	67 *	67 *	67 *	67 *	67 *	67 *
68 *	68 *	68 *	68 *	68 *	68 *	68 *	68 *
69 *	69 *	69 *	69 *	69 *	69 *	69 *	69 *
70 *	70 *	70 *	70 *	70 *	70 *	70 *	70 *
71 *	71 *	71 *	71 *	71 *	71 *	71 *	71 *
72 *	72 *	72 *	72 *	72 *	72 *	72 *	72 *
73 *	73 *	73 *	73 *	73 *	73 *	73 *	73 *
74 *	74 *	74 *	74 *	74 *	74 *	74 *	74 *
75 *	75 *	75 *	75 *	75 *	75 *	75 *	75 *
76 *	76 *	76 *	76 *	76 *	76 *	76 *	76 *
77 *	77 *	77 *	77 *	77 *	77 *	77 *	77 *
78 *	78 *	78 *	78 *	78 *	78 *	78 *	78 *
79 *	79 *	79 *	79 *	79 *	79 *	79 *	79 *
80 *	80 *	80 *	80 *	80 *	80 *	80 *	80 *
81 *	81 *	81 *	81 *	81 *	81 *	81 *	81 *
82 *	82 *	82 *	82 *	82 *	82 *	82 *	82 *
83 *	83 *	83 *	83 *	83 *	83 *	83 *	83 *
84 *	84 *	84 *	84 *	84 *	84 *	84 *	84 *
85 *	85 *	85 *	85 *	85 *	85 *	85 *	85 *
86 *	86 *	86 *	86 *	86 *	86 *	86 *	86 *
87 *	87 *	87 *	87 *	87 *	87 *	87 *	87 *
88 *	88 *	88 *	88 *	88 *	88 *	88 *	88 *
89 *	89 *	89 *	89 *	89 *	89 *	89 *	89 *
90 *	90 *	90 *	90 *	90 *	90 *	90 *	90 *
91 *	91 *	91 *	91 *	91 *	91 *	91 *	91 *
92 *	92 *	92 *	92 *	92 *	92 *	92 *	92 *
93 *	93 *	93 *	93 *	93 *	93 *	93 *	93 *
94 *	94 *	94 *	94 *	94 *	94 *	94 *	94 *
95 *	95 *	95 *	95 *	95 *	95 *	95 *	95 *
96 *	96 *	96 *	96 *	96 *	96 *	96 *	96 *
97 *	97 *	97 *	97 *	97 *	97 *	97 *	97 *
98 *	98 *	98 *	98 *	98 *	98 *	98 *	98 *
99 *	99 *	99 *	99 *	99 *	99 *	99 *	99 *
100 *	100 *	100 *	100 *	100 *	100 *	100 *	100 *

13 שְׁלֹמֹה פָּדָהּ וּמוֹנִים עִם פָּרִי מִנְּחִים פְּפָרִים עִם־נִרְרִים:
 14 נִרְדָּה וְכַרְכָּם קָנָה וּקְנָזוֹן עִם פְּלִיעֵץ לְבוֹנָה
 זָמַר וְאֶהְלוֹת עִם כָּל־רֹאשֵׁי בִשְׁמִים:
 15 יִסְעֶן נָגִים בְּאֵר מִים חַיִּים וְגִלְיָם מִן־לִבְנוֹךְ:
 16 עֹרֵי צִפּוֹן וּבֹאֵי תִיָּן
 הִפְיִחִי נָנִי יִזְלוּ בְּשִׁטּוֹ
 יָבֵא דוֹדִי לִנְפֹּ וְיֹאכֵל פָּרִי מִנְּחֵי:
 5 יִבְאֵתִי לִנְפֹ אֲחֹתִי כָלָה אֶרִיתִי מִיָּד עִם־בְּשִׁטִּי
 אֶכְלֵתִי יִעָרֵי עִם־דְּבִשִׁי שְׁתִּיתִי יַיִן עִם־חֶלְקִי
 אֶכְלוּ רָעִים שְׁתֵּי וְשִׁכְרוּ דוֹדִים: 6
 2 אֲנִי יִשְׁנָה וְלִבִּי עַר קוֹלֹדוֹתִי דוֹפֵק
 פֹּתַח־לִי אֲחֹתִי רַעִיתִי יוֹנְתִי תִּמְתִּי
 שְׂרָאשִׁי נִמְלֵא־טֵל קְצוֹצוֹתִי רִסִּים לִלָּה:
 3 פִּשְׁטִּמִּי אֲת־כֶּתֶנְתִּי אֵיכָכָה אֶלְבֶּשֶׁנָּה
 רְחֵצִתִּי אֲת־נָגִל אֵיכָכָה אֶטְנַפֵּם:
 4 דוֹדִי שְׁלַח יָדוֹ מִן־הַדּוֹר וּמַעֲי הָמוּ עָלָיו:
 5 סָקַמְתִּי אֲנִי לִפְתָּח לְדוֹרִי וְיָדִי נִסְפַּד־מוֹר
 וְאֶצְבְּעוֹתַי מִזֹּר עֲבָר בְּעַל כְּפֹת הַמִּנְעוּלִי:
 6 פִּתַּחְתִּי אֲנִי לְדוֹדִי וְדוֹדִי חִמַּק עָבָר נִפְשִׁי יֵצֵאת כְּדָבָרִי
 בְּקִשְׁתִּיהוּ וְלֹא מִצְאֵתִיהוּ קִרְאָתוֹ וְלֹא עָנָנִי:
 יִמְצְאֵנִי הַשִּׁמְרִים הַסֹּבְבִים בְּעִיר הַכּוֹנֵי פִּצְעוֹנִי
 גָּשָׂאוֹ אֲת־דִּידִי מַעֲלִי שִׁמְרֵי הַחֲמוֹת:
 8 הַשִּׁבְעֵתִי אֶתְכֶם יִבְנוֹת יְרוּשָׁלַם אֲסִתְּמַצְאוֹ אֲת־דוֹדִי
 מִה־תִּנְיָדוֹ 9 שְׁחֹלֶת אֶהְבֶּה אֲנִי:
 9 מִה־דוֹרֶךְ מִדּוֹר הִיפָּה בְּנָשִׁים

13 ^a prps ^b לַחֲנִיךְ ^c ins ^d כָּל־ ^e add, cf mtr ^f 14 ^a dl ^b b⁻ frt dl ^c ins
 וְכַרְכָּם 15 ^a frt ^b 1 ^c Var^M וּנְזוֹלִים ^d huc trsp frt v 12 ^e Cp 5, 1 ^f prps
 לִנְנִי ^a dl ^b ^c 1 c וְשִׁטָּה ^d 2 ^e Var⁸ יִשְׁנָה ^f pl MSS sine Dag ^c Var^M
 קְצוֹצוֹתִי sine Dag, 1 ^d melius ^e 4 ^f prps ins ^c sic ^b בְּדִלֶת ^a prps ins e v 6 ^f et l versum:
 Hill, 1 c mtr MSS Edd עָלִי prps ins e v 6 ^f כְּדָבָרִי
 דוֹדִי שְׁלַח יָדוֹ מִן הַדּוֹר כְּדָלָה
 וּמַעֲי הָמוּ עָלִי נִפְשִׁי יֵצֵאת כְּדָבָרִי
 5 ^a dl m cs, prps ins ^b בְּכֹפֶת הַמִּנְעוּלִי ^c b⁻ prps dl cf ^d 6 ^e dl, cf v 4 ^f 7 frt
 dl m cs ^a 8 ^b 1 m cs בְּנוֹת ^c 1 m cs לְדוֹדִי.

מה-דודך מרדך שגכה השבעתנו:

10 הדרי צח ואזם רגל מרבה: 0

11 ראשו כתם פז' קוצותיו מלמלים' שחזות בעזרב:

12 עניו כזנים על-אפיקי מים

רעזות בחלב ישכות על-מלאת:

13 לחייו פערותי הבשם מגדלות מרקחים'

שפתותיו שושנים נטפות מור עבר:

14 ידיו גלילי וקב מסלמים בתרשיש

מעיו עשת שן מעלפת ספירים:

15 שוקרו עמודי שש מיסדים על-אדני-פז

מראהו כלבנון קחור פאונים:

16 חפז מקמלים וקלו מקמנים

0 וזה דודי וזה רעי בגות ירושלם:

6 יאנה הלך דודך היפה בנשים

יאנה פנה דודך ונבקשנו עמך:

2 הדוי ירד לגנו לערנותי הבשם

לרעות בנשים' וללקט שושנים:

3 אגני לדודי ודודי לי הרועה בשושנים: 0

4 יפה את רעיתי בתרצה' נאנה כירושלם יאפה כפונקות:

5 הסביי עניך מנגדי שהם הרהיבני

ישערך פערר העזים שגלשו מן-הגלעד:

6 שניך פערר הרחלים שעלו מן-הרחצה

שכלם מתאימות ושכלה אין בהם:

7 כפחלח הרמון רקתך מכער לעמתך:

8 ששים תסה' מלכות ושמנים פילגשים ינעלמות אין מספר:

9 אחת היא ידנתי יתחתי

אחת היא לאפה ברה היא לילדמה

קוצותיו sine Dag. I קוצותיו Var¹⁴ || 10a || c || m || cs || 11 || השבעתנו g ||
neobbr || c || כערונת MSS || c || pl || 12 || לחיו || 13 || דלתי || c || prb || m || cs || dl ||
[חנו || 16 || אדוי || 15 || מרקחים || sic B-Asch, B-Naphi || d ||
	m		b		4		לראות בנפים		5		לערונת MSS		2		6		Cp									
	8		prps		4, 1b. 2. 3b		5b-7		הסבי		5		V2^{BM}		5		e		v		10		cs		dl	
	9		m		cs		ins		9		אחת היא		m		cs		dl		b							

ראוה כנוה ניאשוה מלכות ופילגשים ניהללוה: 5
 10 ימינאמי הנשקפה כמושחר יפה כלכנה
 ברה כחמה אימה כנךלתי:
 11 ואלגנת אנוך נדתי לראות באפי הנחל
 לראות הפרחה הנפון הנצו הרפנים:
 12 לא ידעתי נפשי שמתני מרכבות עמי נדיכי:
 7 וישובי טובי השולפית שובי שובי וגחזה כד
 מהתחזי בשולפית במחלתי הפתנים:
 2 מהיפו פעמיד בנעלים בתניב
 חמוקי ירכיך במו חללים מעשה ירי אמו:
 3 שררה אג הסרה אליחסר הפון
 בסגד שרת חטים סונה בשושנים:
 4 שגי שרד בשגי עפרים תאמי צביה:
 5 צוארד במגל הען
 עיניך ברכות בחשבון עלשער בתרבים
 אפד במגל הלכנון צופה פני דמשק:
 6 ראשך עלך כפרמלי ודלתי ראשך בארמון מלך אסור ברהטים:
 ומהיפית ומה געמת אהבה בתעננים:
 8 ואת קומתך הסתה לתמר ושךך לאשבלות:
 9 פאמתי אעלה בתמר אתנה בסנסני
 ויהיונא שרדך באשבלותי הנפון ורית אפד בתפוחים:
 10 ויחלך כין הפוד יהלך לדודי למישרים דובב שפתי ישנים:
 11 ואני דודי ועלי תשוקתו: 5
 12 ולכה דודי נצא השדה נלינה בפפרים:
 13 ונשכימה לכרמים נראה אמפרחה הנפון

9^b m cs dl? || 10^{a-a} prps dl || ^b prps = plan Mars || 12^{a-a} prps
 (עמינדב 58 ca 20MSS et Hill שטינדיכ || dl, ex 7.2 (pl MSS et Hill מרהב בת עמי
 3 || c prps || במחולח 50MSS ca || 1^b l c ca || שכי sed recte || 1^a prps Cp 7, 1
 ושרד prps 3 || אמן 6 || c מעי Occ, Or sic || 2^a m cs dl || 1? || המחניב
 5 || ins || עפרים Hill MSS || 4 || dl || 1, 6 Est סתרת cf, הסחר prps || שרד 1
 3 || c || אהבה 1 || 7 || dl || 5 || c || 6 || 6 || cf || 6 || ראשך עליו כפרמל
 dl m || c || באשבלות 1, באש Var^m || בהטר 1 || 9 || dl || 8 m cs || בת תענונים
 dl. prps 13 || 13^a || cf || 13^a || בפרטים || 12 prps || לחי prps || 10^{a-a} m cs dl ||

21

¹¹ כָּרַם הָיָה לְשִׁלְמָה בְּכַעַל הַמֶּזֶן נָתַן אֶת־הַכָּרַם לְנִטְרִים
 אִישׁ יָבֵא בְּפָרִיו אֵלֶיךָ כָּסֹף: [בְּרִיד:
¹² בְּרִמְיָ שְׁלִי לְפָנַי הַאֲלֹף לָךְ שְׁלֵמָה וּמֵאֲתָיִם לְנִטְרִים אֶת־
¹³ הַיִּשְׁבֵּת בְּנֵי יִחְזָקִים מְקֻשְׁבִּים לְקוֹלֶךָ הַשְׁמִיעֵנִי:
¹⁴ בְּרַח וּדְחֵי דָמָה־לָךְ לְצַבִּי
 אִזּוּ לְעַקֵּר הָאֱלִים עַל הָרֵי בְשָׁמַיִם:

مُلَحَمَةُ الرَّاعِي

تحقيق، وضبط، وشرح، وتقديم

للمؤلف الأستاذ الأصغر السائب

تقديم

(١)

الأكثرون على أن الراعي هو عُثَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ (بتصغيرها) بن معاوية من نمير بن عامر بن صعصعة ^(١) . وزاد البغدادي وابن حزم بعد معاوية : ابن جَسْدَلُ بْنُ قَيْطَنُ بْنُ رَيْعَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، من نمير ^(٢) .

والراعي : لقب له لكثرة وصفه الإبل والرعاة في شعره ، وقيل : لقب به لبيت قاله ، وكنيته : أبو جَسْدَلُ بْنُ لَه .

وكان قومه — نمير — يتولون بلاد اليمامة ، وكان الراعي من رجال العرب ووجوه قومه ، وولده وأهل بيته في البادية سادة أشراف ، يقال لأبيه في الجاهلية : الرئيس .

وكان الراعي ، مع ذلك ، بَذْرِيًّا هِجَاءً لعشيرته ، قال له جرير :

وَقَرُضُكَ فِي هَوَازِنِ شُرِّ قَرَضٍ مُهَجِّجًا وَتَمْتِدِحُ الْوِطَابَا ^(٣)

وهوازن من قيس عيلان ، الأصل الأكبر للراعي .

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ص ١٧٣ ط معمر ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء

ص ١٥٦ ط معمر ، ومهذب الأغانى ٢٢١ / ٤

(٢) خزائن الأدب ٣٠٧ / ٢ ط المنصور ، وجهرة أنساب العرب ص ٢٦٣ ط دار المعارف

(٣) ابن سلام ص ١٧٣

(٢)

والراعى شاعر خلل من شعراء الإسلام ، مقدم ، ذكره ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميين مع الفرزدق ، وجري ، والأخطل^(١) وقال : كان يقال للراعى فى شعره : كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل ، أى أنه لا يتحدث شعر شاعر ولا يمارضه ، وكان خلل مضر حتى ضغمه الليث يعنى جريراً . وكان يقضى للفرزدق على جريـر ويفضله حتى هجاه جريـر بقصيدته البائية :

أرقى اللوم عاذلَ والعصابا وقولى ، إن أصبتُ ، لقد أصابا
ففضحه وأسكنه ، وصار الراعى من ذلك الحين مغلباً أخزى نفسه وقومه .
والراعى هجما موجع فى عدى بن الرقاع العاملى^(٢) واعتذار من ترك الزيارة حسن^(٣) ، كما أن له معانى سبق إليها فأخذها عنه الطرماح ابن حكيم ، وأخرى مستخسنة^(٤) والواقع أن للراعى ، فى شعره ، شخصية واضحة فى روعة الأسلوب وقوته وفى حسن التصرف فى المعانى ، وتطويع العبارات للموضوعات والأفكار الاسلامية الجديدة . وسنجد ذلك كله ظاهراً فى لاميته التى تقدمها بهذه الفصول .

(٣)

عاش الراعى فى عصر بنى أمية بين قومه فى اليمامة سيداً شريفاً معنياً بشئون بنى نمير ، وبخاصة عند عبد الملك بن مروان إذ كان سفيراً لهم فى بلاطه ، وكان نشاط الخوارج قوياً فى أيام هذا الخليفة الكبير ، كما كان عبد الله بن الزبير لا يزال معتصماً بمكة يبايع له أهل العراق والحجاز ، ذلك غير نشاط الشيعة وتبرم الموالى ، وقد أبلى عبد الملك فى قمع الخارجيين وتثبيت قواعد الدولة أياماً بلاه .

(١) نفس المرجع ص ١١٤ — ١٧٩

(٢) ابن سلام ، ص ١٧٤

(٣) ابن قتيبة ، ص ١٥٦

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٧ — ١٥٨

وإذا كنا قد ذكرنا أمر عبد الله بن الزبير الذي دام سلطانه من سنة ٥٦٤ إلى سنة ٥٧٣ حين قتله الحجاج ، فانا نشير إلى فرقة من الخوارج كان نشاطها في التباينة ، وقد أشار الراعي إلى زعيمها في لاميته هذه ، تلك هي النجدة أتباع نجدة بن عامر الحنفي الذي خرج على نافع بن الأزرق زعيم الأزارقة من الخوارج أيضاً ^(١) .

ويظهر أن الراعي لم يتكسب بشعره كثيراً ، ولم يفد به على الخلفاء وفود معاصريه من الشعراء ، لسيادته ، كان ، في قومه ، وربما كان مثريا كذلك ، وإن رويت عنه قصة تدل على عوزه في إحدى الليالي ^(٢) . وقد مدح بشر بن مروان ، كما مدح عبد الملك وشفع لقومه أمامه ، وقد كانت قبس عيلان زبيرية الهوى ، وكان عبد الملك ثقیل النفس عليه ^(٣) فأتاه فمدحه بهذه اللامية في عام أول فلم يحظ منه بشيء . فوفد إليه من قابل فقال في كلمة أخرى :
أما الفقير الذي كانت حلوبته وفنّ البيال فلم يُترك له سبب ^(٤)
واختل ذوالمال والمثرون قد بقيت على التلايل من أموالهم عُقد ^(٥)
فإن رقت بهم رأساً نعتهم وإن أقوا مثلها في قابل فذوا ^(٦)
فقال له عبد الملك : أنت العام أعقل منك عام أول . . . فتريد ماذا ؟ قال :
ترد عليهم صدقاتهم فتعتهم ، قال : هذا كثير . قال أنت أكثر منه . قال :
قد فعلت ، فسألني حاجة تحضك ، قال : قد قضيت حاجتي ، قال سل حاجة لنفسك . قال : ما كنت لأفسد هذه المكرمة ^(٧) .

(١) تهذيب الكامل ص ١١٧ ج ١

(٢) ابن سلام ص ١٧٧ — ١٧٩

(٣) نفس المصدر ص ١٧٤

(٤) الحلوبة : الناقة التي تحلب وهي وفق البيال أي لبنها يكتفهم فقط . السبد القليل ومائه سبد ولا بد أي لا قليل ولا كثير .

(٥) التلايل : الشدائد والأفلاق ، والعقد : الولايات والالتزامات .

(٦) مثلها : مثل الحالة التي هم عليها الآن من ضيق وبؤس .

(٧) راجع مذهب الأغاني ٢٢٢/٤ وابن سلام ١٧٤

(٤)

ولبست لدينا من شعر الراعى إلا أبيات متفرقة في معاجم اللغة وكتب الشواهد والطبقات ، وإلا هذه اللامية على ما في روايتها من نقص ، وتحريف ، وتصحيف ، تعرض لك أثناء الشرح .

وفي خزانة الأدب للبغدادي ^(١) عن الراعى أنه كان يقول : من لم يرو
لى من أولادى هذه اللامية وقصيدتى التى أولها :

بأنّ الأحبة بالعمد الذى عهدوا

وهي في هذا المعنى أيضا ، أى معنى اللامية ، فقد عفى .

ومعنى هذا أن هناك قصيدتين قصد بهما الراعى إلى عبد الملك بن مروان في عامين متوالين سفيراً لقومه وشقيقاً لهم عنده من جور السعاة الذين يجمعون مال الصديقات ، وشدة إلحاحهم على بنى نمر في أخذ مال الزكاة حتى أجهدوهم وتركوا عيالهم جياعا ، ونوقهم مازيل عجافا . وربما كان لموقف قيس عامة ، وبنى نمر من جوار الخوارج خاصة أثر في ذلك .

وقد تقدم أن اللامية كانت قصيدة العام الأول فلم تنفع شفاعتها وأن الدالية كانت قصيدة العام التالى فنجحت شفاعتها .

ومع ذلك لم نظفر من هذه الدالية إلا بأبيات قليلة — مر بعضها هنا — تدل على قيمتها الفنية : قوة عارضة ، وروعة أسلوب ، وصدق شعور .

وأما اللامية فهى موضوع درسنا هنا : تحقيقا ، وضبطا ، وشرحا . وذلك ما نتقدم به الآن .

(٥)

رجعنا في متن هذه القصيدة إلى مصادر ثلاثة :

الأول جمهرة أشعار العرب ، تأليف أبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى ، المطبوعة بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م .

الثانى ديوان جرير ، الطبعة الأولى بالمطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٣ هـ

(١) ج ٣ ص ٣٠٤

الثالث خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : تأليف عبد القادر البغدادي .
طبعة دار العصور ، الجزء الثاني ص ٣٠٤ — ٣٠٥

ويُعد المصدر الأول هو (الأصل) ، وقد اتخذناه كذلك ونسبنا إليه
سائر المصادر .

أما ديوان جرير فيظهر أن طابعه نقل عن الجهرة هذه اللامية لأنها فيه
توافق ماورد في الجهرة ترتيباً ، وعدداً ، وتسمية ، وقد وردت في جزئه
الثاني صفحة ٢٠٢ بهذا العنوان : وهذه ملحة الراعي .

وأما الخزانة فقد أوردت قطعة من هذه القصيدة بمناسبة الشاهد
الثالث والثمانين بعد المائة .

فلذا طبقنا ماورد في الخزانة على ماورد في الأصل — الجهرة — كانت
أرقام أبيات الخزانة كالآتي :

٤٥ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ٨٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٨٥ ، ٤٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥

ويلاحظ أننا نسمى (مصدراً) ما يحتوي على مادة الدرس كدواوين
الشعراء لدراسة الشعر ، والآثار لدراسة النقوش والكتابات الأثرية ، والطبرى
وابن الأثير لدراسة الروايات التاريخية ، ولكننا نسمى (مرجعاً) تلك الكتب
والمطبوعات التي نستمد منها رأياً ، أو نحقق بها نصاً ، أو نكمل نقصاً مثل
معاجم اللغة ، وكتب الوفيات ، ومصادر التاريخ في درسنا هنا . وهذا في رأينا
اصطلاح ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، كما يقولون ، وعلى ذلك سرنا في تحقيق
هذه اللامية ، وضبطها ، وشرحها .

(٦)

ولعل أقدم كتاب وردت فيه هذه اللامية هو جهرة أشعار العرب لمن
يدعى أبازيد محمد بن أبي الخطاب القرشي الذي لم تعرف بالضبط هويته
ولا تاريخ ميلاده ووفاته تبعاً لذلك ، وقد أوردها بين سبع قصائد جمعها

تحت عنوان (الملححات) من غير أن يضبط هذا العنوان ، مما جعل الناس يسألون ، أهو بفتح الميم الأولى أم بضمها ؟

وهذا أول ما يجب أن نقول فيه قبل كل شيء . .

والملحمة التي تسبق إلى ذهن القارئ* الحديث هي كلمة ملحمة بفتح الميم إذ استعملت منذ ترجم الأستاذ سليمان البستاني إلياذة هوميروس إلى اللغة العربية سنة ١٩٠٤ م وأطلق عليها وعلى أمثالها كلمة ملاحم بفتح الميم جمع ملحمة ، وإلياذة هوميروس شعر قصصى تناول في بضعة عشر ألف بيت بعض أيام من السنة العاشرة لحرب طروادة^(١) وتجمع هذه القصة المنظومة بين أمرين : الطول غير المعروف في القصيد العربي ، ووصف القتال الذي دار بين اليونانيين والطروديين قبل الميلاد بنحو ١٢٠٠ سنة ، ومن هنا سمح لنفسه ، فيما يبدو ، أن يسميها ملحمة بفتح الميم إذ الملحمة هي الوقعة العظيمة ، أو القتال في الفتنة ، ونبي الملحمة أى نبي القتال ، وهي مأخوذة من التبحر القوم واختلاطهم في الحرب كاشتباك لجمة الثوب بالسدى ، ويقال : لهم ملحمة وملاحم^(٢) فسنى القصيدة بموضوعها .

ثم تبعه الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه لنشر الشاهنامة إذ أطلق عليها هذا اللفظ^(٣) ثم سار المعاصرون على ذلك حتى كاد لفظ (ملحمة) يصبح مصطلحاً لغوياً لهذا النوع من القصيد المطول الذي يتناول المعارك الحربية ، فهل يمكن تطبيق ذلك على تلك القصائد السبع التي أوردها صاحب الجهرة آخر كتابه ؟

أما الطول فليس هناك مجال للمقارنة بين إحدى هذه القصائد — مها تكن طويلة في نظرها — وبين الإلياذة والشاهنامة مثلاً ، وعدد أبيات هذه القصائد هو الآتى : الفرزدق ١٠٩ وجريز ٤٩ والأخطل ٤٩ والراعي ٨٥ وذو الرمة ١٢٤ والكميت ٥٥ والطرماح ٤٢^(٤) .

(١) مقدمة الإلياذة لبستاني ص ٣٣ — ٣٤

(٢) راجع اللسان ، والمحيط ، وأساس البلاغة .

(٣) الشاهنامة ص ٢١ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٢ م

(٤) راجع الجهرة ص ٣٣٦ — ٢٨٨

فأين أطولها أو كلها معا من ١٦٠٠٠ بيت أو أربعين ألف بيت ؟

وأما الموضوع فليس في قصائد الجهرة هذه قصيدة واحدة في وصف قتال أو حماسة حربية. وإنما هي نثر ، وهجاء ، ووصف ، ومدح ، ونسب ، وحكمة ، من تلك الأغراض العادية الأصلية والملحقة دون أن نجد فيها مقطوعة واحدة تشبه حتى حماسة المتنبي أيام كان في ظل الحمدانيين .

وإذا كان الأمر كذلك لم يعد هناك وجه لتسمية قصائد الجهرة ملحمة على هذا الأساس ، ويفتح الميم ، وليس من حقنا أبداً أن نأخذ هذا المصطلح الحديث لنضعه ، بهذا الضبط ، على رأس قصائد الجهرة .

ومع ذلك فقد وضع أبو زيد القرشي نفسه هذا العنوان — غير مضبوط بشكل — على هذه القصائد ، وزاد على ذلك فذكره في تقديم قصائد الجهرة كلها لقباً لهذه السبع ، وعلينا نحن أن نلتبس لهذا المصطلح ضبطاً نراه صحيحاً ، ولذلك كان من الواجب أن نعيش مع أبي زيد في جهرته قليلاً لعلنا ننظر منه بالضبط الصحيح — أو الراجح على الأقل — لهذا العنوان .

١ — جمع أبو زيد القرشي في جهرته تسعا وأربعين قصيدة من عيون الشعر العربي ووضع لكل طائفة منها عنواناً تدرج تحته ، هي : المعلقات ، وعددها ثمان . ولعله سبق إلى هذا العنوان ، والمجمهرات ، وعددها ست ، والمنتقيات ، وعددها سبع والمذهبات وعددها سبع ، والمراثي وعددها سبع ، والمشوبات وعددها سبع ، والملحاحات وعددها سبع .

٢ — فإذا نظرنا في هذه العناوانات . لاحظنا أنها ذات معان موضوعية ، أو فنية ، أو زمنية ، فلرأى موضوعها الرثاء ، والمشوبات هي — على تعبير أبي زيد — اللاتي شابهن الكفر والاسلام . والمعلقات هي التي علفت على أستار الكعبة أو علفت في الصدور ، وتسميها العرب السموط فيقول المفضل الضبي ، والمنتقيات معناها المختارات وهذا اسم فني ، وكذلك المذهبات والمجمهرات أي الحكمة النسيج والصياغة من قولهم : ناقة جهمرة أي مداخلة الخلق كأنها جهور الرمل . فكان من الواجب طردا لهذا السياق في التسمية أن يطلق على السبع القصائد الأخيرة اسماً من هذا الطراز فكان هو (الملحاحات) بضم الميم واحداً ملحمة بضمها أيضاً ، ومعناها التامة الحسنة من الحلم

الناسج الثوب ، وفي المثل ألحم ما أسديت أى تم ما أبدته من الاحسان ^(١١) والملحم جنس من الثياب ، فكأن أبا زيد شبه هذه القصائد في إحكام صنعها بهذا الجنس من الثياب ، أو لاحظ ما فيها من تجويد الصنعة وحسن السبك .

٣ — وإذا رجعنا إلى مقدمة الجهرة رأينا أبا زيد القرشى ، بعد إيراد أصحاب قصائده كلها ، يقول : فهذه التسعة والأربعون قصيدة عيون أشعار العرب في الجاهلية والاسلام وأنفس شعر كل رجل منهم ، مما يدل على أن الغالب على مقياسه في الاختيار هو الجانب الفني القائم على جودة مختاراته ثم ينقل عن المفضل الضبي تسمية العرب للعلاقات بالسموط ^(١٢) وبعلى اسم المشويات بأنهن اللاتي شابهن الكفر والاسلام إذ كان أصحابها أو جلهم من المخضمين . وهكذا سار في منهج اختياره وتسميته ، مما يجعلنا نطمئن تماما إلى أن قصيدة الراعى التي أمامنا الآن تدعى عند صاحب الجهرة (ملحمة) بضم الميم الأولى ، إحدى الملحاحات بضمها أيضا . وهى تلك القصائد السبع التي أوردها آخر الجهرة .

(٧)

وفي خزانة الأدب للبغدادى ^(١٣) أن هذه القصيدة عدتها تسعة وثمانون بيتا . ومع ذلك ، لم يورد منها صاحب الجهرة إلا خمسة وثمانين بيتا . ولقد حاولت العثور على الأربعة الأبيات الباقية فلم أجدها فيما بين يدي من كتب الادب ، والشواهد ، والتراجم ، والمعاجم اللغوية . ومن الواضح أن هنالك نقصا آخر القصيدة نهت عليه في الشرح عند الأبيات ٨٣ — ٨٥ وقد ورد في لسان العرب ^(١٤) بيت من بحر هذه اللامية وقافيتها هو :

وكأنا انبطحت على أثبايحها فدر شايه ، قد يمين ، وعولا

فلو صح أنه منها كان من أبيات النوق المفقودة . والقادر من الوعول الذي قد أسن بمنزلة الفارح من الخيل والبازل من الابل .

(١١) لسان العرب والمحيط وأساس البلاغة مادة لحم .

(١٢) راجع مقدمة الجهرة ص ٤٥

(١٣) ج ٢ ص ٣٠٣

(١٤) مادة قدر .

وعلى الرغم من فقد هذه الأبيات الأربعة ، عمدت إلى نشر هذه اللامية وتيسير دراستها حتى لا تبقى حبيسة في المصادر القديمة يتحامل عليها الخطأ في الكلمات ، وضبطها ، مع تحريف كثير ، وحاجة إلى التفسير ، ونبوع الدخول في قاعات الدرس لذلك .

ولعل البحث يسعفنا أو يسعف غيرنا بهذه الأبيات الساقطة من المصادر والمراجع التي لجأنا إليها ، وحينئذ نكون قد ظفروا بهذه الملمحة تامة نعتز بها حتى نظهر بشعر الراعي في ديوان رقبه لنسد به فراغا في شعر الفحول من عصر الأمويين .

(٨)

أما موضوع القصيدة فالحقول إنها في مدح عبد الملك بن مروان ، والشكاية من السعاة الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان ، وقد قدمنا هنا أنها كانت قصيدة العام الاول لسفارة الشاعر لذي الخليفة ، ولكنها كانت سفارة عاشلة أعقبها سفارة بالدالية ناجحة .

ومع أن غرض القصيدة الأول هو هذه الشكاية فإن هدفها كان رفع الصدقات أو تخفيفها عن بني نمير ، وكان المدح من وسائل ذلك وكان الوصف وما إليه من مقوماته الفنية .

فهناك خمسة أبيات في مستهل القصيدة يدث فيها همومه في حوار بينه وبين ابنته خليدة ينتهي باعتزاه السفر لتفريج ما أصابه من هموم .

وبلى ذلك أربعة وعشرون بيتا في وصف النوق : خلقها ، وسيرها ، وحاديها ، وطرقها ، وخمسها ، وقوتها .

ثم يدخل إلى الموضوع فيوثق بيعته ، ويشكو إلى الخليفة السعاة وما نكلوا بالعريف الذي انقطعت به السبيل .

ويذكر بعد ذلك قومه وطاعتهم ، وثقل الصدقات عليهم حتى ساءت حالهم وهزلت إطبهم ، وهموا أن يندوا على الخليفة فزعين من جور السعاة .

حتى إذا قارب النهاية مدح الخليفة وأباه مروان بن الحكم ، وما أبلى حتى ظفر بالخلافة ثم أسلمها إلى عبد الملك .

(٩)

ومع بعض الاضطراب الذى يبدو فى تكوين هذه القصيدة وتأليف عناصرها الموضوعية والمعنوية فأنها من غير شك قصيدة جديدة جيدة .

١ — هى جديدة فى موضوعها ومعانيها الاسلامية المتصلة بنظام الزكاة ، وجبايتها ، وتصرف السعاة ، وقسوتهم على الرعية ، واحتياهم للغش ، وعدوانهم على العريف ، وفى دلالتها على النظام الحكومى الاسلامى القائم ، والأحزاب السياسية المعارضة ، وتردد المناقشين بين الزعماء ، وفى الاشارة إلى هذه الفتنة التى أعقبت تنازل معاوية الثانى عن الخلافة ، وما كان من اضطراب أمر الحكومة الاسلامية ، واحتيال مروان بن الحكم وحزبه حتى خلصت له الخلافة بعد مؤتمر الجابية ، ووقعة مرج راهط سنة ٦٥ هـ ، فهى قصيدة إسلامية خالصة فى أغراضها ، ومعانيها ، وروحها ، وكثير من عباراتها القرآنية والدينية ، حتى لا تجد لها نظيرا فى هذا الباب .

٢ — وهى جيدة ، تدل على قوة المعارضة ، وصدق الشعور ، ودقة الخيال ، والحرية فى الأداء اللغوى ، وحسن التصرف فى التعبير ، وتطويع صاحبها هذه العربية المحافظة لمعان اقتصادية ، واجتماعية ، وخلقية ، فدل بذلك على أنه يملك ناصية الأسلوب ، وبذله لأغراضه ، حتى بدت فيها شخصيته الجرئة الزعيمة البارعة ، ذلك إلى حسن تقسيم ، وحركة ، وجزالة ، وحسن اختيار البحر والقافية مع طول استوعب كل ما أراد ناظمها ، لذلك كان يعتر الراعى بها ، ويعدّها ، مع الدالية ، خير تراث يتركه لبيه من بعده . وهى ، عندنا ، تدل على منهج صاحبها فى النظم واقتداره على الأداء ، وتبيح له — بناء على أنها مثل لديوانه — أن يعد مع رجال الطبقة الأولى الاسلامية .

(١٠)

أما طريقة نثر هذا المتن ، وعرضه ، فقد كانت كما يلي :
١ — اعتمدت ترتيب الجهرة ، واعتبرته أصلا ، ونسبت إليه ما عداه من المصادر .

٢ — أبقيت النص كما أورده متى كان صحيحا ، وأوردت بعده ماورد
خلافه في غيره من المصادر أو المراجع .

٣ — أما إذا كان الأصل خطأ ، فأنى أعدل عنه إلى الصواب وأثبتته
بدله ثم أنبه على ما في الأصل أيضا .

٤ — اعتمدت في الشرح على فهمي الخاص ، وأوردت ما قد وجدته
من إيضاحات في مثل اللسان ، والكامل ، وسمط اللآلى ، وخزانة الأدب ،
ونبهت على كل في موضعه .

٥ — وكذلك الأمر في ضبط الكلمات ، فقد اخترت الاصح ، ونهت
على غيره إذا لزم الأمر .

وأعتقد أن ما عملته لا يبدو أن يكون محاولة أولية في سبيل نشر
هذه اللاهية نشرأ صحيحا كاملا .

قال الراعي :

١ — مَا بَالُ دَوَّكَ بِالْفِرَاشِ مَذِيلًا
أَقْدَى بِعَمِيكَ أُمُّ أُرْدَتْ رَحِيلًا

الدف بالفتح الجنب . ومذل على فراشه فهو مذل لم يستقر عليه من ضعف
وغرض . وفي لسان العرب : المذل المريض الذي لا يتقار وهو ضعيف .
واستشهد بهذا البيت . والقذى ما يكون في العين من تينة ونحوها .

٢ — لَمَّا رَأَتْ أُرْقَى ، وَطُولَ تَلْدُدَى

ذَاتَ الْعِشَاءِ ، وَلَيْلَى التَّوْصُولَا

التلد : التحير ، والتلفت يمينا وشمالا . الموصل — هنا — الليل الطويل
كأنه زيد فيه فوصل بمثله .

وفي سخط اللالي^(١) : (تقلي) بدل (تلددى) .

٣ — قَالَتْ خُلَيْدَةُ : مَا عَرَاكَ ؟ وَلَمْ تَكُنْ

أَبْدَأَ إِذَا عَرَّتَ الشُّنُونُ سَيُولَا

ما عراك : ما أصابك واعتراك . الشنون : الخطوب والأمور . وضبط
خليدة بالتصغير عن اللسان ، وهي ابنة الشاعر ، وفيه رواية الشطر الثاني هكذا
(بعد الرائد عن الشنون سيولا)^(٢) .

٤ — أَخْلَيْدُ ، إِنْ أَبَاكَ ضَافَ وَسَادَهُ

هَمَّامٌ بَاتَا : جَنَّبُهُ وَدَخِيلَا

(١) ص ٨٩٧

(٢) راجع لسان مادة عرا وسط اللآلي ص ٨٩٧

خافه الهم : نزل به والكلام هنا على المجاز في إسناد الضيافة إلى الوساد .
أي بات أحد الهمين جنبه ، وبات الآخر داخل جوفه .
وفي اللسان : باتا جنبته وهي الناحية ^(١١) .

٥ — طَرَقَا ، فَتَلَكَ هَمَاهِي ، أَقْرَبِيهَا
قُلُوصًا كَوَاقِحَ كَالْفَيْسِ وَحَوْلَا

الهامم الهموم . والقُلُوص جمع قُلُوص وهي من الابل الطويلة القوائم
أو التي أول ما يركب من إناثها . والحول جمع حائل وهي الأنثى لا تحمل
وضدها اللاقح . وتشبه الناقة بالقوس ، في تقوس أعلاها عامة ، يعني أنه
يضمف هيمه — يفرجهما — بهذه النوق يركبها لتحقيق آماله ونقى آلامه ،
وذلك من قول طرفة بن العبد : وإني لأمضي الهم عند احتضاره . . . البيت .
وفي الأصل : فتلك هامم . وما هنا عن اللسان ^(١٢) .

٦ — شَمَّ الْخَوَارِكِ ، جُنْحًا أَعْضَادَهَا
صُومًا تَنْاسِبُ شَدَقًا وَجِدِيلًا

شم : مرتفعة ، الخوارك جمع حارك — الكاهل — مقدم أعلى الظهر
مما يلي العنق . جنح : مائلات . الأعضاد جمع عضد ، من المرفق إلى الكتف .
صهب جمع صهباء مؤنث أصهب : الشعر فيه حمرة أو شقرة . تناسب : تشارك
في النسب أو تشاكل وتشابه . وشدقم — ومثله جديل — خل للنعان
ابن المنذر تنسب إليه النوق الكريمة . ومن ذلك الشدقيات والجديلات . يصف
الابل بالطول ، وانقراج المرافق ليكون أسرع لها ، وبالصبية من خير ألوان
الابل ، وبكرم السلالة .

(١١) وراجع السمط ص ٨٩٧ واللسان مادة ضيف .

(١٢) مادة م .

٧ — جَوَابَةٌ ، طُوِيَتْ عَلَى زَفَرَاتِهَا

طَيَّ الْقَنَاظِرَ ، قَدْ نَزَلْنَ نَزُولًا

جوابة : معنادة على الأسفار . طويت : بنيت وضمت . وزفرة : كل شئ .
وسطه والجمع زفرات يريد أن أجزاء جسمها متلاحمة كبناء القناظر وذلك
من قول طرفة : كمنظرة الرومي — البيت . وفي اللسان : الزوافر أخلاص
الجنين ، وبغير مزفور شديد تلاحم المفاصل ، نزل البعير انشقى نايه وطلع
فهو وحى بازل ، وصفت النوق بمثانة الخلق ، وكال النمو ، والقوة على السير .
وفي اللسان ^(١) روى هذا البيت كالاتي :

حُوزِيَةٌ طُوِيَتْ عَلَى زَفَرَاتِهَا طَيَّ الْقَنَاظِرَ قَدْ نَزَلْنَ نَزُولًا

والحوزية المنقطعة النظير أو التي عندها سير مذكور من سيرها مصون
لا يدرك .

٨ — بُنِيَتْ مُرَارِقُهُنَّ فَوْقَ مَرَلَةٍ

لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقَرَادُ مَقِيلًا

المرافق جمع مرافق : موصل الذراع في العضد ، المزة موضع الزلل ،
وبكون أملس متينا يشبه به كواهل الابل امتلاء واملاسا . والقراد دويبة
تعلق بالابل كقمل الانسان . المقييل المقام . يريد أن النوق ليست هزيلة
حتى يجد القراد في غضونها جسمها مستقرأ له ^(٢) .

٩ — كَانَتْ هِجَانُ مُنْذِرٍ وَمُحَرِّقٍ

أَمَاتِينَ ، وَطَرَفُهَا خَيْلًا ^(٣)

الهجان جمع هجان ، وهي من الابل البيض الكريمة . ومن كل شئ خياره
وخالصة ، ومنذر ومحرق من ألقاب أمراء الحيرة قبل الاسلام . أمات جمع
أم لا يعقل .

(١) راجع مادة زفر .

(٢) راجع الحيران للعاجظ ٤٣٧/٥

(٣) ورد هذا البيت في اللسان : ٨٦/١٢ و ٣٠/١٧ و ٣٦٤

والطرق — هنا — الفحل الطارق — أى ذو الطرق — والفحيل المنجب . وصف النوق بالنجابة من ناحيتي الأم والأب ، وقد ورد فى عدة مواضع من لسان العرب كلمة (نجائب) بدل (هجائن) :

١٠ — فِكْبَانٌ رَيْقَمَهَا إِذَا بَاشَرْتَهَا

كَاتَتْ مُعَاوَدَةَ الرَّحِيلِ ذُلُولًا

الريض — هنا — ضد الذلول ، والناقاة أول ما ربيضت وهى صعبة بعد .
باشرتها : اتخذتها للرحيل . معاودة الرحيل : كان لها عادة . يصف النوق بأصالة استعدادها للأسفار وإن لم يتم تذليلها ومراتها . وقد ورد فى اللسان : (استقبلتها) بدل (باشرتها)^(١) .

١١ — قُذِفَ الْغُدْوُ إِذَا غَدَوْتَ لِحَاجَةٍ

ذُلْفَ الرِّوَاحِ إِذَا أُرِدْتَ قُتُولًا

قذف ودلف من صفات الابل ، الأولى للناقاة تتقدم من سرعتها وترعى بنفسها أمام الابل ، والثانية الناقاة تداف بحملها أى تنهض به . الغدو السير غدوة . والرواح السير عشية ، والفقول الرجوع . يصف الابل بالقوة على السير بكرة والنهوض بما تحمل عشية . وهى عائدة من رحلتها فى نفس اليوم .

١٢ — قُودًا تُذَارِعُ غَوْلَ كُلِّ تَنْوُفَةٍ

دَزَعِ الْمَوْشِجِ مُبْرَمًا وَسَحِيلًا

قود : جمع أقود مذكر قوداء ، الناقاة الذلول المنقادة ، الغول بعد المغازاة والمشقة . تذارع الغلاة وتذرعها إذا أسرعت فيها كأنها تقبسها . والتنوفة البرية لا ماء فيها ولا أنيس والجمع تنائف . الموشج الذى يجمع بين خيوط الثوب وهو ينسجه فهو يحرك يديه بسرعة حركة مدارلة بينهما يمنة ويسرة ،

المبرم الثوب المتقول الغزل طاقين ، والسحيل ثوب لا يرم غزله : يشبه حركة باعى الناقة وذراعها وهي تقطع المغازة بحركة يدي للنساج في الشكل والسرعة .

١٣ - في مهممة فَلَقَتْ به هَامَاتُهَا

فَلَقَتْ الثُّوسِ إِذَا أَرَدْنَ نُضُولَا

المهمة المغازة البعيدة . الهامات الروس . وقلقها اضطرابها وتحركها . والنضول رواية اللسان ^(١) فإذا صححت هذه الرواية أولا وكان مصدر ناضل كان المعنى قائماً على تشبيه حركة روس الابل إلى أعلى وأسفل وهي منساعة في السير بحركة روس الثوس حين يتناضل بها حاملوها .

وفي الأصل (فضولا) بالصاد ومعناه الانفصال والخروج ووشك خروج حديدة الثأس من نصابها فهي تقلق حين تحرك . ولعل الرواية الأولى هي الأولى . ومن الجائز — على رواية اللسان — أن يكون النضول راجعاً إلى الابل المتبارية في السير . وعلى كل فالعبر بالفعل (أراد) مستنداً إلى الثوس وأرد على نحو قوله تعالى :

(فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض فأثامه) .

١٤ - وَإِذَا تَرَقَّصَتِ الْمَغَازَةُ غَادَرَتْ

رَبْدَا يُبْمَلُّ خَلْفَهَا تَبْغِيلاً

معنى ترقصت ارتفعت ، وانخفضت وإنما يرفعها ويخفضها السراب . والربد السريع الخفيف يريد به الحادى . والتبغيل سير البغل وهو شديد ، وهومن مشى الابل ، مشى فيه سعة ^(٢) يعنى إذا بدا السراب في المغازة نشطت الابل في السير وتركت حاديا خلفها يمد ليلحق بها . ولعل نشاط الابل راجع إلى ظنها السراب ماء فهي تسرع لترده .

وفي الأصل :

وَإِذَا تَعَارَضَتِ الْمَقَاوِزُ عَارَضَتْ رَبْدَا تَبْغِلُ خَلْفَهَا تَبْغِيلاً

(١) في مادة : رود

(٢) راجع اللسان في مادتي : رمس وبطل ورغبة ألامل للمعنى ٢٤/٧

١٥ - زَجَلَ الخِداءُ كأنَّ في حِزْزِهِ

فَصَبًّا وَمُتَمِّعَةً الْحَزِينِ عَجُولًا

الخِداءُ : سوق الابل ؛ وزجرها من خلفها ، والغناء لها . وزجل مرتفع الصوت مجلب والحيزوم الصدر ، والقصب ما يزمر به ، والمقنع ارتفاع رأسه ، والعجول الفاقدة ولدها ، يصف الحادى بارتفاع صوته ، وقوة شجوه ^(١) .

١٦ - وَإِذَا تَرَحَّلَتِ الضُّحَى قَدَفَتْ بِهِ

فَتَأَوَّنَ غَايَتَهُ ، فَظَلَّ ذَمِيلًا

ترحلت الضحى : حلت فيه على الرحيل . قدفت به سبقت الابل بسرعة ، تأوَّن غايته : تجاوزت الابل الحد المألوف من السرعة . الذميل السير اللين المريع . يعنى أن هذه الابل إذا حلت على الرحيل ضحوة النهار أسرع فيها ، وبلغت في سرعتها غاية المألوف عند غيرها ، ولكن هذه الغاية بالنسبة لها تعد سيراً ليناً سهلاً .

١٧ - يَنْبَعْنَ مَائِرَةَ الْيَدَيْنِ شِمْلَةً

أَلْقَتْ بِمَنْخَرِقِ الرِّيحِ سَلِيلًا

السَّليل ولد الناقة حين يولد ، ومنخرق الرياح مهبها . مائرة اليدين : سريعة السير ، شملة : خفيفة ، سريعة ، مشمرة ، فالابل تتبع في سيرها ناقة نشيطة سريعة ألقت بجنينها في عرض المفازة بسبب أدائها في السير واندفاعها فيه .

١٨ - كَبَّاهُ بِذَى رَمَقٍ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ

قَدْ مَاتَ أَوْ حَبَّ الْحَيَاةَ قَلِيلًا

الرمق بقية الحياة ، وذو الرمق — هنا — السقط ، حب بمعنى أجب والثانى أكثر استعمالاً .

(١) راجع لسان مادة حدا ودغبة الآمن ٢٤ / ٧

يعنى أن هذا السقط كان ابن ستة أشهر ، وربما عاش قليلا عقب سقوطه ثم مات .

١٩ — لَا يَتَخَنَّنَ إِذَا عَلَوْنَ مَفَاذَهُ

إِلَّا بَيَاضَ الْفَرَقْدَيْنِ دَلِيلًا

الفرقدان ، كما فى اللسان ، نجران فى السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدى ، وقيل هما كوكبان قريبان من القطب ، وقيل هما كوكبان فى بنات نعش الصغرى ، فلا بل تهتدى بهذين النجمين فى السرى لاعتيادها ذلك .

٢٠ — حَتَّى وَرَدَنَ لَيْتَمَّ يَخْسِ بِأَنْصِ

جُدًّا تَعَاوَرَهُ الرِّيحُ وَيَيْلَا

الخمس من أظهاء الإبل ، ترى ثلاثا ، وترد المساء فى اليوم الرابع ، وتصدر عنه الخامس ، وتتمه تمامه ، واللام فيه تسمى لام التاريخ أى بعد تمام^(١) بأنص بعيد شاق صفة للخمس : الجد البئر ، تعاوره الرياح : اختلفت عليه وتداولته لمرّة تهب جنوبا ، ومرّة تهب شمالا ، ومرّة قبولا ومرّة دبوراً . وييل : وخيم ، اضطرت إليه فى هذه المغازة الفاحشة .

وفى الأصل (تقارضه السقاة) مكان (تعاوره الرياح) .

وقد اعتمدنا رواية اللسان التى أوردها فى غير موضع^(٢) .

٢١ — سُدُمًا إِذَا التَّمَسَّ الدَّلَاءُ نَطَافَهُ

صَادَقْنَ مُشْرِقَةَ الْمِثَالِ زَحُولًا

سدم : مندوفن أى البئر . النطاف جمع نطافة ، الماء القليل . مشرقة المتان : عالية المظهر : زحول بعيدة : يقول : إذا التمت الدلاء — جمع دلو — ماء هذا الجد ، صادفت عقبة بعيدة عالية الظهر ، يزيد بناء البئر .

(١) راجع المان مادة لوم .

(٢) مادة : نوم وييس ونيم . والسمط ص ٧٠٨

٢٢ — جَمُّوا قُوَى مِمَّا نَضَمُ رِحَالَهُمْ

شَتَّى النِّجَارِ تَرَى يَهْبِثَ وَصُولًا

التقوى جمع قوة وهي — هنا — الطاقة من طاقات الحبل . شتى النجار مختلفة الأصول كالصوف ، والجلد ، والليف . وعبارة السمت^(١) . جمعوا قطع جبال مما في رحالهم مختلفة الألوان موصولات ، فيها عقال ، وعصام قرية ، وبطان رحل لبعده الماء .

والمراد أن السفر لما رأوا أن البرّ بعيدة الغور جمعوا هذه القوى ووصلوا بينها ، وعلقوا بها الدلو لتدرك قاع البرّ ونطافه .

٢٣ — فَسَقَوْا صَوَادِيَّ يَسْمَعُونَ عَشِيَّةً

لِلْمَاءِ فِي أَجْوَافِهِنَّ صَلِيلًا

الصوادي — هنا — الإبل العطاش . وعبارة القالي^(٢) : أى تصلُّ أجوافها من العطش ، كما يصل الخرف إذا أصابه الماء .

٢٤ — حَتَّى إِذَا بَرَدَ السَّجَالُ لَهَايَهَا

وَجَعَلَنَ خَلْفَ غُرُوضِهِنَّ تَمِيلًا

برد بمعنى أبرد ، والسجال جمع سجل ، الدلو المملوءة ، والتملة البقية من الماء تبقى في جوف البعير . والغروض جمع غرض وهو حزام الرحل . وفي اللسان^(٣) لهاثا بدل (لهاها) يقال به لهاث شديد وهو شدة العطش وفي غيره : لهاث العطش . والتيل بقية العلف في بطن البهائم .

٢٥ — وَأَفْضَنَ ، بَمَدِّ كُظُومِهِنَّ بِحِجْرَةٍ

مِنْ ذِي الْأَبَارِقِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلًا

(١) ص ٧٥٨

(٢) الآمال ج ٢ ص ١٣٤ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر وارجع إلى الحيوان لملاحظ ج ٤ ص ١١٧ — ٤١٨ ط الحاي .

(٣) مادة لهث .

كظم البعير جرتة اذرددها وكف عن الاجترار . وأفضن بعد كظومها
 بجرة ، أى دفعت الإبل بجرتها بعد كظومها ، والجرة ماتخرجه من كروشها
 فنجتر . ذو الأبارق موضع ، وحقيل جزء أو جبل منه ، فهما في حيز واحد
 كما تقول خرج من بغداد فتزود من المخرم ، والمخرم من بغداد كأنه يقول :
 من ذى الأبارق إذرعينه ^(١١) .

وفي اللسان — مادة حقل — (بجرة) بالخاء المفتوحة بدل (بجرة)
 بالجيم المكسورة .

وفي معجم البلدان لياقوت — مادة حقل — برى . نعلب أن حقيلا
 وذا الأبارق موضع واحد . وفي مادة — أبرق — أبارق حقييل :
 ألم تربع على الطلل الحميل بذى الأبارق من حقييل .
 وفيه : حقييل وإد في ديار بني عكل .

٢٦ — جَلَسُوا عَلَى أَكْوَارِهَا فَتَرَدَّتْ

صَخَبَ الصَّدَى جَرَعَ الرَعَانِ رَجِيلاً

جلسوا : جواب إذا في البيت ٢٤ ، والأكوار ، جمع كور . ترادفت
 الإبل : تنابت . صخب الصدى ، وصف الطريق بأنه شديد الصوت ،
 وهو — هنا — رجع صوت السفر . جرع الرعان : وعر الجبال ، فالرعان جمع
 رعن ، الجبل الطويل أو أنف يتقدم الجبل ، والجرع الحزن الصعب . رجيل :
 وصف للطريق بأنه غليظ وعرف في الجبل . فالإبل تنابت على هذا الطريق .
 وفي لسان العرب .

قعدوا على أكوارها فتَرَدَّتْ صخب الصدى جذع الرعان رجلاً ^(١٢)
 وفي الأصل رجلاً بالخاء المهملة .

٢٧ — مَكَسَ الْحَصَى بَأْتِ تَوَجَّسُ قُوَّةُ

لَغَطَ الْقَطَا بِالْجَلْهَيْنِ نَزُولاً

(١١) راجع لسان مراد : فيض ، حقل ، كظم .

(١٢) مادة رجل .

توجس : نسمع الصوت الخفى ، وتوجست الشيء . والصوت إذا سمعته وأنت خائف . واللفظ الصوت منهم أو الجبة ، والقطا طائر من نوع الحمام كدري وجوى . الجلبتان من الوادى جانباه ، ومكان يجمع ضربة . بأت الابل فى هذا الطريق الأملس الحصى تسمع صوت القطا حذرا .

٢٨ — حُدْبَ السَّراةِ ، وَلَحَقَتْ أَعْجَازَها

رَوْحٌ ، يَكُونُ وَقُوعُها تَحْلِيلًا

يصف الابل بتقوس الأعالى فالأحذب المقوس ، والسراة من كل شيء أعلاه . والروح ما بين الفخذين ، والروحاء الواسعة الخطو لذلك . وقوع الابل أى زوكها أو وقع مناسمها على الأرض قليل هين يسير ، وذلك هو التحليل من قول كعب بن زهير : وقعهن الأرض تحليل ، يصف الابل باحديداب الظهور ، والسرعة والخفة والقوة .

٢٩ — وَجَرَى عَلَى حُدْبِ الصَّوَى فَطَرْدَنَهْ

طَرْدَ الوَسِيقَةِ بالسَّباوَةِ طُولا

الصوى جمع صوة . حجر يكون علامة فى الطريق ، وفاعل جرى السير وربما كان الأصل جرت أى الابل ، على طريق أحذب المعالم ، فطردته أى قطعته بسرعة كما يطرد القطيع من الابل ، يطرده الشلال (الوسيقة) . والسباوة موضع بالبادية جهة العواصم .

٣٠ — أَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسالَةً

تَشْكُو إِلَيْكَ مَضَلَّةً وَعَوِيلًا

أمير المؤمنين — هنا — عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بنى أمية . مضلة : يقال فتنة مضلة بالفتح تضل الناس ولعل هذا هو المراد . وأرض مضلة بفتح الضاء وكسر ها يضلل فيها ولا يتهدى فيها للطريق . والعويل الصياح والبكاء العالى . ويظهر أن الشاعر يريد ضلال السعاة وجورهم وعويل المظلومين والعريف كما يرد فى الآيات الآتية . وفى اليك التفات .

٣١ — طَالَ التَّغْلُبُ وَالزَّيْمَانُ وَزَابَهُ

كَذَلَّ ، وَيَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ كَسُولًا

يصف الشاعر نفسه بتغير أحواله ، وكبر سنه ، وما أدهشه من كسل شعر به ، والكسول وصف للجارية المترفة التي لا تكاد تروح مجلسها فهو يكره لنفسه ذلك .

٣٢ — ضَافَ الْمُهْمُومُ وَسَادَهُ وَتَجَنَّبَتْ

رَبَّانٍ يُصْبِحُ فِي الْمَنَامِ ثَقِيلًا

الربان : المترف المنعم ، يشكو نزول الأحزان به دون المترفين الذين لا تزعجهم الأحداث ، ولا تزعجهم من مهاد النوم .

٣٣ — فَطَوَى الْبِلَادَ عَلَى قَضَاءِ صَرِيْمَةٍ

بِالْجِدِّ ، وَاتَّخَذَ الزَّمَاعَ خَلِيلًا

طوى البلاد : اجتازها ، الصريمة العزيمة وإحكام الأمر وإبرامه . الزماع الجد في الأمر ، قطع البلاد بعزيمة صادقة ، وجد دائم ليلبغ رسالته .

٣٤ — وَعَلَا الْمَشِيبُ لِذَاتِهِ ، وَخَلَتْ لَهُ

حَقَبُ تَقَضُّنٍ صَرِيرَةٍ الْمُفْتُولَا

لذاته : أترابه الذين ولدوا معه ، المفرد لدة ، خلت مضت . الحقب جمع حقبة ، مدة من الزمان قد تكون أربعين أو ثمانين سنة . المرير العزم والشدة ونقض الحبل فكه . كناية عن إضعاف السنين قواه .

٣٥ — فَكَأَنَّ أَعْظَمَهُ مُحَاجِّنُ نَبِيَّةٍ

عُوجٌ ، قَدَمَنْ ، فَقَدْ أَرَدَنْ نُحُولًا

المحاجن جمع محجن : العصا المعوجة ، النبعة شجرة تتخذ منها السهام والقسي .

عوج : معوجة . الذبول الرقة والذهاب من مرض أو سفر . يصف
عظامه بالنقوس والهنزال . واستعمال النعل (أراد) جار على نحو ما سبق
في البيت ١٣

٣٦ — كَحْدِيدَةٍ الْهِنْدِيِّ أُمِّى جَفْنُهُ

خَلَقًا ، وَلَمْ يَكُ فِي الْعِظَامِ نَكُولًا

حديدية السيف فصله ، والهندي السيف إذا عمل ببلاد الهند وأحكم
عمله . وجفنه غمره . نكول : ضعيف غير صارم . يذكر ما أصابه الآن
من ضعف بعد ما كان ماضى العزيمة في شبابه .

٣٧ — تَعْلُو حَدِيدَتُهُ ، وَتُنْكِرُ لَوْنُهُ

عَيْنٌ رَأَتْهُ فِي الشَّبَابِ صَقِيلًا

تعلو حديدته تنبو عنها ، والأصل ، كما في اللسان ، تعلو عن حديدته ،
وهذا يلائم الجملة الثانية الدالة على أن العين التي رأته شابا تنكره الآن هوما .
وهذا البيت استمرار لسايقه في التصوير . ولعل في صدر البيت تحريفا .

٣٨ — إِنِّي حَلَفْتُ عَلَى بَيْنِ بَرَّةٍ

لَا أَكُتِبُ الْيَوْمَ الْخَلِيفَةَ قِيلًا

بَيْنِ بَرَّةٍ : صادقة لاحث فيها . القيل القول مصدر قال أيضاً . وهنا
بدأ الشاعر غرضه الأصيل .

٣٩ — مَا إِنْ أَتَيْتُ أَبَا خُبَيْبٍ وَافِدًا

يَوْمًا أُرِيدُ لَبِيعَتِي تَبْدِيلًا

أبو خبيب عبد الله بن الزبير كنى بابنه خبيب ، وقد خرج على الأمويين
بعد معاوية واعتصم بمكة وباع لنفسه ، وتم له الأمر بالحجاز والعراق نحو
تسع سنين (٦٤ — ٧٣ هـ) وقد قتل أيام عبد الملك . والشاعر يقسم أنه لم ينقض
بيعة عبد الملك ، أو يستبدل بها بيعته لابن الزبير .

وفي الأصل : ما زرت آل أبي خبيب طائعا . وقد اعتمدنا رواية
المسان (١١) .

٤٠ — وَأَنَا أَتَيْتُ نَجْدَةَ بْنَ عُومِرٍ
أُبَيْغِي الْهُدَى فَيَزِيدَنِي تَضْلِيلًا

هنا نجدة بن عامر الحنفي زعيم فرقة النجدية من الخوارج ، خرج بالجماعة
موطن الشاعر وقومه بني نمير . وقد قتل سنة ٧٢ هـ . فالشاعر يتبرأ من قصده
خشية أن يضلّه .

٤١ — مِنْ رِثْمَةِ الرَّحْمَنِ ، لَا مِنْ حِمْلَتِي
أَنْتَى أَعْمَدُ لَهُ عَلَى فُضُولَا

هنا يتحرج الشاعر فلا يدعى لنفسه قدرة على جلب الخير لنفسه ، وإنما
يرد ما به من نعم إلى كرم الله وتفضله عليه . وكأنه يستند بذلك موقفه
من الخليفة ، وبغضه الذين يخرجون عليه .

٤٢ — وَشِدْنْتُ سُكْلَ مُنَافِقٍ مُتَقَلِّبٍ
تَرَكَ الزَّلَازِلُ قَلْبَهُ مَدْخُولَا

شنت : أبغضت . الزلازل : البلايا . مدخول : فاسد غير صافي الود
والعقيدة ، وكان اضطراب الأحوال ، وتعدد الخارجين ، مفسدة لقلوب بعض
الناس في ذلك العهد .

٤٣ — وَابْحَى الْأَمَانَةَ لَا تَزَالُ قُلُوصُهُ
بَيْنَ الْخَوَارِجِ مُهْرَةً وَذَمِيلَا

وهي الأمانة : ضميتها . والقلوص الناقة الطويلة الفوائم . الخوارج حزب
سياسي معروف اشتد نشاطه في وجه الأمويين . ويمكن أن يراد بهذا اللفظ
كل نثر على الدولة . النهزة اسم لما هو معرض لك كالغنيمة . ويقال فلان
(١١) مادة خبيب .

نهزة المختلس أى هو صيد اسكل أحد . والذميل السير اللين . وهذا تصوير
لذلك المنافق الذى يتردد بين الخوارج ويتبع فى يدي كل فريق منهم .

٤٤ — مِنْ كَلِمَتِهِمْ أَمْسَى بِهِمْ بِبَيْعَةٍ
مَسَحَ الْأَكْفَ تَعَاوَدَ الْمُنْدِيلَا

المنديل ما يتمسح به . هذا المنافق يحاول بيعته كل خارج ، وحاله معهم
حال الأكف يعاود المنديل لتمسح به غير مكثفة بمرة واحدة ، فهو نهزة
لكل نازر .

٤٥ — أَخْلَيْفَتَهُ الرَّحْمَنُ ، إِنَّا مَعْمَرٌ
جُنَفَاهُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلَا

المعمر : الجماعة وأهل الرجل . حنفاء : مسلمون صدفاء . البكرة أول
النهار . وضده الأصيل . توكيد لأخذهم بالدين وشعائره .

٤٦ — عَرَبٌ ، نَرَى لِلَّهِ فِي أُمُورِنَا
حَقَّ الزَّكَاةِ مُنْزَلَا تَنْزِيلَا

لعله يريد بكلمة (عرب) البرء من الموالى ، أو الأعراب الذين يتكرون
الزكاة . منزل : صادر عن الله تعالى . وهذا تهديد لم يققصه من جور السعاة
الذين يجبون الزكاة .

٤٧ — إِنَّ السَّعَاةَ عَصَوْكَ حِينَ بَعَثْتَهُمْ
وَأَتَوَا دَوَائِحِي ، كَوَّ عَلَيْتَ ، وَغُولَا

السعاة : ولادة الصدقة (أى الزكاة) وعملها يأخذونها من الأغنياء
لردها إلى الفقراء . الغول الهلكة والموت .

٤٨ — كَتَبَ الذُّهْمُ ، مِنْ الْعَدَاءِ لِمُسْرِفٍ
عَادَ يُرِيدُ خَنَانَةً وَغُولَا

الدهيم : مثل يضرب في الشر والمداهية ، يقال أشأم من الدهيم . العداء :
الشغل يعدوك ويصرفك عن الشيء . والغلول الغش والخيانة . والمصرف
من يتجاوز القصد والاعتدال .

ولعل المراد بالدهيم من كتب صك الخراج مزوراً لهذا المصرف الخائن ،
وقد شغلت الدهيم شواغل عن كتابة الأموال صحيحة . ورواية البيت
هكذا عن اللسان وفيه أصل المثل ^(١) .

وفي الأصل :

كتبوا الدهيم من العدا بمشرف عاد يريد خيانة وغلولا

٤٩ — دُخِرَ الْخَلِيفَةُ ، لَوْ أَحْطَتْ بِخَبْرِهِ

كَتَرَكْتَ مِنْهُ طَائِفًا مُنْصُولًا

في هامش الأصل : أراد يا ذخّر الخليفة كأنه نداء وليس بلامز فيجوز
الرفع على الابتداء . الطابق العضو من أعضاء الانسان كاليد والرجل ونحوها
ولعله يريد ذلك المصرف الخائن .

٥٠ — أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَعُوا حَبْرُومَهُ

بِالْأَصْحِيَّةِ قَائِمًا مَقْـُـلُولًا

العريف القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم ، ويعترف
الأمير منه أحوالهم ^(١) وهو هنا عريف قوم الشاعر ورسولهم إلى الأمير .
الحبزوم الصدر . والأصحية سباط منسوبة إلى ذئب أصبح من ملوك الزين
لأنه يخزنها . مغلول : مقيد بالغل ، طرق من حديد أو جلد يجعل في اليدين
أو العنق .

فعل السعاة ذلك بالعريف ليحملوه على توقيع صك الصدقات كما كتبوه .

(١) مادة دهم .

(٢) اللسان ج ١١ ص ١٤٣

٥١ — حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ

لُحْمًا ، وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا

الفؤاد القلب . معقول : عقل مصدر على صيغة اسم المفعول ، مثل :
وعلم بيان المرء عند المجرب أى عند التجربة ، وهكذا ألح السعاة على هذا
العريف بالتنكيل ، فلم يتركوا له لُحْمًا يغطى عظمه ، ولا عَقْلًا يدرك به ،
وهذا مبالغة .

٥٢ — جَاءُوا بِصُكُّمِمْ وَأَحْدَبَ أَسَارَتَ

مِنْهُ السَّيَاطُ يَرَاغِبَةً إِنْجِيلًا

الصك الكتاب ، والذي يكتب للعهد ، والأحدب — هنا — العريف
الذى أجبروه على توقيع الصك كما زوروه ، وهو من دخل صدره وارتفع
ظهره . أسارت : أبقت ومنه السؤر . البراعة القصبة سمي بها الضعيف ،
والإنجيل الجبان .

٥٣ — نَسَى الْأَمَانَةَ مِنْ خَافَةِ لُتُحْ

لُتُحْسٍ تَرَكْنَ لِيُضِيعَهُ مَجْدُ وَلَا

لُتُحْ : سيات جمع لافح ، شمس : شداد جمع شمس ، البضيع اللحم .
مجدول : مصروع على الجدالة وهى الأرض ، فالعريف نسي الأمانة
ووقع للسعاة على صكهم المزور خوف سياطهم القاسية التى مزقت لحمه
وطرحته على الأرض .

٥٤ — أَخَذُوا سَمُولَتَهُ وَأَصْبَحَ قَاعِدًا

لَا يَسْتَطِيعُ عَنِ الدَّيَّارِ حَوِيلًا

السمولة ما يحمل عليه من الدواب . حويل : تحول وانتقال .

وفي اللسان :

أُخِثَتْ حَمُولَتُهُ فُصِّحَ ثَاوِيَا لَا يَسْتَطِيعُ عَنِ الدَّيَّارِ حَوِيلَا^(١)

٥٥ — يَدْعُو أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ

خَرَقَ تَجَرُّهُ بِهِ الرِّيحُ ذُبُولَا

الخرق الأرض الواسعة تتخرق (تتردد) فيها الرياح ، وذبل الريح
ما انسحب منها على الأرض أو ما تركه في الرمال على هيئة الرسن (الحبل)
كان ذلك أثر ذبل جرفته على الأرض من خلقها . أو ما جرفته على وجه الأرض
من الزراب والقنم^(٢) فالعريف يستغيث بأمر المؤمنين ويدهما فلاة واسعة .

٥٦ — كَيْدَاهِدِ كَسَرَ الرُّمَاهُ جَنَاحَهُ

يَدْعُو بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ هَدِيلَا

الهداهد الهدهد ، والجمع هداهد بالفتح ، قارعة الطريق أعلاه . والهديل
صوت الهدهد^(٣) شبه العريف في بلواه وصياحه يهدد هذه صفته .

٥٧ — وَقَعَ الرَّيْبُ وَقَدْ تَقَارَبَ خَطْوُهُ

وَرَأَى بِعَقْوَتِهِ أَزَلَ نُسُولَا

وقع الربيع بالأرض أي نزل المطر بساحته ، تقارب خطوه : قرب وقصر .
وصف للعريف . وعقوته ساحته . والأزل الذئب الأرسح ، قليل اللحم
الفخذين ضمورا . والنسول من النسلان وهو ضرب من العدو (سريع)^(٤)
وهو تصوير لمقدار فزع العريف ومجيزه .

٥٨ — مُتَوَصَّحَ الْأَقْرَابِ فِيهِ شُبُهَاتُ

نُشَيْشِ الْيَدَيْنِ تَخَالُهُ مَشْكُؤَلَا

(١) مادة حول .

(٢) راجع اللسان مادة ذبل .

(٣) راجع الحيوان للجاحظ ٣ / ٢٤٣ واللسان ، مادني هذل وهدد .

(٤) راجع اللسان مادة نهش والحيوان ٢ / ٣٤٠ و ٥ / ٦٥

وصف للذئب بأنه متوضح الأقراب أى أبيض — لبس بالشديد البياض —
الأقرب الخواصر جمع قرب بضم فسكون . والشبهة الغبرة فى بياض والذئب
الأشمل من ذلك ، نهش اليدين : خفيف اليدين فى المار قليل اللحم عليهما .
مشكول : لا يستقيم فى عدوه كأنه قد شكل بشكل .

وفى اللسان — مادة نهش — فيه شكلة بالكاف بدل الهاء . وهى سمة
من لون آخر . وفيه (مادة شول ووضح) شنيح اليدين بدل نهش ، الشنيح
المتقبض .

وفى الحيوان : شبهة بدل شهلة ، والشبهة بياض يصدعه سواد فى خلاله ^(١)
وهى صورة بشعة لهذا الذئب الطارئ المتربص .

٥٩ — كَدَخَانٍ مُرْتَجِلٍ بِأَعْلَى تَلْعَةٍ
غَرْنَانَ ضَرَمَ غَرْفًا مَبْلُولًا

استمرار فى وصف لون الذئب . والمرتعيل الذى يقع برجل — كثير —
من جراد فيشوى منها أو يطبخ . وقيل المرتجل الذى اقتدح النار بزيادة
جعلها بين رجله وقتل الزند بيده حتى يورى . وقيل المرتجل الذى نصب
مرجلا يطبخ فيه طعاما . والتلعة من الأضداد : ما ارتفع من الأرض
وما انخفض . غرنان : جائع فعله غرث . ضرَم : أوقد . العرفج شجر صملى
يشبه لون الذئب بلون دخان ذلك المرتجل .

وعبارة الملاحظ فى الحيوان : المرتجل الذى أصاب رجلا من جراد فهو يشويه
وجعله غرنان لكون الغرث لا يختار الخطب اليابس على رطبه فهو يشويه
بما حضره ، وأداز هذا الكلام ليكون لون الدخان بلون الذئب الأطحل
متفتقن ^(٢) والطحلة لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون التراب ، يقال
ذئب أطحل وشاة طحلاء .

(١) راجع لقسان فى مواد : نهش ، ووضح ، وشهل ، وشنج ، والحيوان ٥ / ٦٦

(٢) راجع الحيوان ج ٥ / ٦٦ واللسان مادة : تلغ ورجل

٦٠ — أَخْلِيَّةَ الرَّحْمَنِ ، إِنَّ عَشِيرَتِي

أُمِّي مَوَامُّهُمْ عَرِينَ ، فَلَوْلَا

عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون ، وقيل هم القبيلة ؛ وهذا أولى هنا .
السوام المشاشية والابل الراعية . عرين : صارت عارية من الحمول والرحال
فقرا وسوء حال . فلول : منهزمة . متفرقة ، جمع فل : القوم المنهزمون . يذكر
ما أصاب سوام قومه من تفرق ، وسوء حال ، وربما كان الأصح : «عزين»
بالزاي ، أى متفرقة .

٦١ — قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَتْرَكُوا

مَا عَوْتَهُمْ ، وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا

المساعدون الزكاة . أو الطاعة والزكاة ، أو أسقاط البيت كاللؤلؤ والفأس
والقدر والقصة . والتهليل التوحيد ، قول : لا إله إلا الله ، ورفع الصوت
بالشهادة .

وفي اللسان ، أيضاً ^(١) .

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَا عَوْتَهُمْ ، وَيَضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا

أى لما يرجعوا عما هم عليه من الاسلام من قولهم هلال عن قرنه ،
وكلس أى حمل عليه .
وفيه ^(٢) أيضاً :

قَوْمٌ عَلَى التَّنْزِيلِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَا عَوْتَهُمْ وَيَبْذُلُوا التَّنْزِيلَا

٦٢ — قَطَّعُوا الْيَمَامَةَ يُطْرَدُونَ كَأَتْنَمِ

قَوْمٌ أَصَابُوا ، ظَالِمِينَ ، وَتَيْلَا

اليمامة إقليم من العروض شرق الجزيرة العربية حيث خرج النجدية ،
وهى موطن الشاعر وعشيرته ، ويظهر أن بني نمير قبيلة الراعى كانوا

(١) مادة هال .

(٢) مادة ممن .

من طريدى الخوارج ، وربما أصابهم جذب فى تلك السنة فشردهم
عن انبثامه .

٦٣ - يَحْدُونُ حَدًّا مَائِلًا أَشْرَافًا

فى كلِّ مَثَرَةٍ يَدْعُو رَعِيلاً

الحذب جمع حدباء الناقة التى بدت حراقفها — رهوس أوراقها —
وذلك من الهزال ، وأشرفها أعاليها . الرعيل القطعة من الإبل ، ترك
فى الطريق لهلاكها . وفى الأصل واللسان ^(١) : فى كل مقربة يدعى رعيلا .
والمقربة المنزل وأصلها من القرب وهو السير ، وجمعها مقارب .

٦٤ - حَتَّى إِذَا احْتَبَسَتْ تَبْقَى طَرَفُهَا

وَتَنَى الرَّعَاءُ شَكِيرَهَا الْمُنْجُولَا

الطرق القوة وأصله الشحم فكنى به عنها لأنها أكثر ما تكون عنه .
والشكير قضبان غضة تنبت من ساق الشجرة أو ورق صغار تحت ورقها
الكبار ، والمنجول المقطوع بالمنجل أو المرمى المطروح . وعلى ذلك يكون
المعنى أن هذه النوق لما حُبست عن السير استعادت قوتها ، وجمع لها الرعاة
ما اعتادت أن تطعمه من شكير الأشجار .

٦٥ - شَهْرَى رَبِيعٍ مَا تَذُوقُ لَبِوْهُمْ

إِلَّا حَوْضًا وَخَمَةً وَذَبِيلًا

اللبون من الإبل ذات اللبن . الحوض جمع حمض ما ملح وأمر من النبات
والواحدة حمضة : وخمة : ذات وخم ووباء : ذبيل يابس جاف (للنبات) .
وفى اللسان ورد البيت هكذا :

شهرى ربيع لا تذوق لبوهم إلا حوضا وخمة ودويلا

(١) مادة قرب .

والدويل التبت العاى اليابس أواندى أنت عليه سنتان فهولاخير فيه ^(١) :

٦٦ — وَأَنَا نَحْمُ بَحْجَى فَشَدَّ عَلَيْهِمُ
عَقْدًا بَرَاهِ الْمُلُوكِ ثَقِيلًا

لعل يحى هذا جاب آخر من قبل الخليفة ، شد عليهم عقداً : ألزمهم فرائض
من المال ثقيلة الأداء ، أو فيها شطط وغلو ، يشكو جور هذا الجاني .

٦٧ — كَتُبًا تَرَكْنِي غَنِيَهُمْ ذَا عَيْلَةٍ
بَعْدَ الْفَتَى ، وَقَتِيرُهُمْ مَهْزُولًا

العميلة الثقر ، مهزول : ضعيف نحيل . والكتب هى الصكوك التى تسجل
فيها فروض الزكاة .

٦٨ — قَرَكْتُ قَوَائِمِي يَقْسُمُونَ أُمُورَهُمْ
أَلَيْكَ أَمْ يَتَرَبَّصُونَ قَلِيلًا

يقسمون أمورهم : لا يدركون كيف يصنعون فيها ، أو يدبرونها ليروا
كيف يفعلون فيها . يتربصون ينتظرون . يقول إنه ترك قومه فى حيرة من أمرهم
إزاء جور السعاة ، أتوجهون إليك تواءم يتمهلون .

٦٩ — أَنْتَ الْخَلِيفَةُ : عَدْلُهُ وَتَوَالُهُ
وَإِذَا أَرَدْتُ لِيظَالِمَ تَنكِيلًا

يريد أنت الخليفة الكامل عدلا وكرما ، وفى خزانة الأدب ^(٢) حله .
وفعاله التنكيل : أن تعاقب الرجل فى جرم عقوبة تنكيل غيره — تمنعه —
عن ارتكاب غيره . أى كان تنكيلك رادعا .

(١) راجع لسان مادة دول .

(٢) ١٣١/٣ ط السلفية .

٧٠ — فَأَرْفَعْ مَطْلَمَ عَيْلَتِ أَنْبَاءِنَا
حَنًّا ، وَأَنْقِذْ شُلُونَا الْمَأْكُولَا

التعبيل سوء الغذاء ، والشلو العضو جمع أشلاء ، وكل مسلوخ أكل منه .
وبقي شيء ، يدعو الخليفة أن يتدارك حال قومه .

٧١ — فَتَرَى عَطِيَّةَ ذَلِكَ إِنْ أُعْطِيَتْهُ
مِنْ رَبَّنَا فَضْلًا وَمِنْكَ جَزِيلًا

عطية ذلك : إعطاء ذلك . والاشارة إلى العطاء الذى أشار إلى وسيلته .
فى البيت السابق . فضل علينا من الله . والجزيل — هنا — العطاء الواسع .
يقول له : إن كرمك فضل من الله ، وخير منك عميم .

٧٢ — إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَمْدُدُوا
لَمْ يَفْعَلُوا مِمَّا أَمَرْتَ فَتَبَيَّنْ

الفتيل السحاة فى شق النواة من قوله تعالى : « ولا يظالمون شيئاً » .
مثل الشيء التافه الخفيف القليل ، أى لم يفعلوا مما أمرتهم به من عدل قدرها .
وإنما يريد السعاة .

٧٣ — أَخَذُوا الْكِرَامَ مِنَ الْعِشَارِ ظُلَامَةً
مِنَّا ، وَيُكْتَبُ لِلْأَمِيرِ أَفِيلًا

العشار جمع عشراء : النوق مضى لملها عشرة أشهر . الأفيل ابن المخاض
فما فوقه والفصيل . الجع إقال وأفائل . وهو هنا منصوب بالفعل يكتب أى
ويكتب الساعى للأمير أفيلًا بعد احتجاز الكرام لنفسه وصحبه . وعلى البناء
للمفعول — وهو المشهور — يكون التقدير ويكتب أخذنا من فلان
أفيلًا للأمير .

وفى خزانة الأدب : « أخذوا المخاض من الفصيل غلبة : ظلم » .
والمخاض النوق الحوامل . والفصيل ابنها ، والغلبة الغلبة . غلبة وظلم .

مصدران حالان من فاعل (أخذ) ويجوز نصب الثاني بالأول على أنه مصدر معنوي^(١).

٧٤ — فَلْتُنْ سَلِمْتُ لَأَدْعُونَ بَطْعَةَ

تَدْعُ الْفَرَاثِصَ بِالشَّرِيفِ فَلَيْلًا

الفرائص جمع فريصة ، اللحمة بين الجنب (أو الثدي) وبين الكتف ترعد عند الفزع. والشريف ماء لبنى نعيم ، وجبل تزعم العرب أنه أطول جبل في الأرض. ومن معاني الغليل الليف والشعر المجتمع ، والسيف المقلول فليحترق. وروى ابن سلام^(٢) أن عبد الملك لما سمع هذا البيت قال له : وأين من الله والسلطان لا أم لك ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، من عامل إلى عامل ، ومصدق إلى مصدق .

٧٥ — وَإِذَا قُرَيْشٌ أُرْقِدَتْ نِيرَانُهَا

وَبَلَّتْ ضِعَاثُهَا وَيَتَّهَا وَدُحُولًا

قريش قبيلة الخليفة ، وداخلها كان التنافس بين أمية وهاشم ، وبين الأمويين والزبيريين ، وبين السفليين والمرائيين ونحو ذلك . أوقدت نيرانها : تحاربت من قوله تعالى : « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » . بلت ضعاث : اختبرتها وجربتها (باشرت آثارها) والدخول جمع ذخل : النار . يقول : إذا قامت الفتنة في قریش فتمحاربت واستجابت لأحقادها وناراتها . ويصح أوقدت نيرانها بالبناء المعلوم .

٧٦ — فَأَبُولُكَ أَحْزَمُهُمْ ، وَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ

وَأَشَدُّهُمْ عِنْدَ الْعَزَائِمِ جُـ

الجول الحزم ، والعزم ، والصخرة التي في الماء يكون عليها الطير (البناء) فان زالت تلك الصخرة تهوّر البئر . مدح لعبد الملك وأبيه . والواقع أن مروان

(١) راجع الخزانة ج ٣ ص ١٣٤ ط السلفية .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٧٥ ط القاهرة :

سالك في سبيل الخلافة مسلکا حازما حتى ظفر بها، وأن عبد الملك عرف بالخزم والصرامة، وكان من عمد الدولة الأموية وساستها المعدودين كعافية وهشام. وما هنا رواية اللسان^(١)

وفي الأصل :

فأبوك سيدها وأنت أشدها ومن الزلازل في البلابل حولاً
وهو اضطراب وتحريف كما ترى .

٧٧ — وَأَبُوكَ ضَارِبَ فِي الْمَدِينَةِ وَحَدَهُ

ضَرْبًا تَرَى مِنْهُ الْجُوعَ تُشْلُو

أبوه هو مروان بن الحكم . شلول جمع شل بمعنى الطرد ، أي مطرودين مهزومين . وفي الخزائن ورد الشطر الثاني هكذا : قومام جعلوا الجميع شكولاً^(٢) ولعله يناسب ما بعده . والشكول جمع شكل ، الشبه والمثل . يريد أنهم جعلوا الناس متخالفين بعد أن كانوا متحدين .

٧٨ — قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ إِمَامًا مُحْرَمًا

وَدَعَا قَلَمًا أَرَّ مِثْلَهُ نَحْدُولًا

يعني عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين . إمام : خليفة . محرم : له ذمة وعهد أو صائم ، أو أنهم قتلوه في آخر ذي الحجة . قال ابن بري : ليس محرمًا في بيت الراعي من الاحرام ولا من الدخول في الشهر الحرام ، وإنما هو مثل البيت الذي قبله . وإنما يريد أن عثمان في حرمة الاسلام وذمته لم يحل من نفسه شيئاً يوقع به ، وهذا يفسر الشطر الثاني ، فلما استغاث خذل ، وكان خذلانه شنيعاً وفي اللسان^(٣) :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا . . إلى آخر البيت .

(١) مادة جويل .

(٢) ج ٣ ، ص ١٣١ ط السنية .

(٣) مادة حرم .

٧٩ — فَتَصَدَّعَتْ مِنْ يَوْمِ ذَلِكَ عَصَاهُ

شَقَقًا ، وَأَصْبَحَ سَيْئُهُمْ مَسْلُولًا

تصدعت عصاه : تفرق أمرهم . شقق جمع شقة : نصف الشيء ، مغلول : منلوم ، كناية عن الضعف ، وهذا كان شأن المسلمين منذ مقتل عثمان .
وفي الخزانة ^(١١) (بعد) بدل (يوم) و(مسلولاً) بدل (مغلولاً) أى أصبحوا متحاربين .

٨٠ — حَتَّى إِذَا نَزَلَتْ عَمَاءُ فِتْنَةٍ

عَمَاءُ كَانَ كِتَابُهَا مَغْلُولًا

عماء : غوابة ولجاج ، عمياء ذات ضلال وجهل لا يهتدى فيها إلى صواب أى حتى إذا نالت الفتنة المظلمة التي كانت قدراً مقدراً ، ولعله يشير إلى تلك الفتنة التي أعقبت ترك معاوية الثاني أمر الخلافة ، وفي الخزانة : حتى إذا قوت بحاجة فتنة ^(١٢) أى بعد أن سكنت الأمور وزال غبار الفتنة .

٨١ — وَرَزَتْ أُمِّيَّةُ أَمْرَهَا فَدَعَتْ لَهُ

مَنْ لَمْ يَكُنْ غَرَّاً وَلَا يَجْهُولًا

وزنت : أحسكت وقومت . وأمرها سياستها . الغمر الجاهل غير المجرب .
يشير إلى ما كان من نشاط الامويين حتى ظفر مروان بن الحكم بالخلافة .

٨٢ — مَرَّوَانُ أَحْزَمُهَا إِذَا نَزَلَتْ بِهِ

حُدُبُ الْأُمُورِ وَخَيْرُهَا مَأْمُولًا

حذب الأمور شواقيها ، والواقع أن فترة تنازل معاوية الثاني عن الخلافة كانت حرجية ، وفي الأصل :

مروان أحزمهم إذا حلت به حذب الأمور وخيرها مشلولاً ^(١٣)

^(١١) ١٣٢ / ٣

^(١٢) ج ٣ ص ١٣٢

^(١٣) مادة حذب

٨٣ — أَيْلَمَ رَفَعَ فِي الْمَدِينَةِ ذَيْلَهُ

وَلَقَدْ بَرَى زَرْعًا يَبَا وَنَحِيلًا

كتابة عن النشاط في النهوض بأمور الخلافة ، والانصراف إلى جد الأمور عن هزلها .

٨٤ — وَدِيَارُ قَوْمٍ خَرَّبَتْهَا فِتْنَةٌ

وَمُشِيدًا فِيهَا احْتَامُ ظَلِيلًا

ليست المناسبة واضحة بين شطري هذا البيت ، وهي ضعيفة بينه وبين سابقه ، كذلك بين شطري البيت السابق ، وأرجح أن هناك بيتا أو شطورا ضائعة بين هذين البيتين ، وكلمة (ظليلا) صفة لمحذوف تقديره (بيتا) مثلا .

٨٥ — أَيْلَمَ قَوْمِي وَالْجَمَاعَةُ كَالَّذِي

لَزِمَ الرَّحَالَةَ أَنْ تَمِيلَ بِمَيْلَا^(١)

قال الأعمى : « وصف ما كان من استواء الزمان واستقامة الامور قبل قتل عثمان وشمول الفتنة ، وأراد التزام قومه الجماعة وتركهم الخروج على السلطان . والمعنى : أزمان قومي والتزامهم الجماعة وتمسكهم بها كالذي تمسك بالرحالة ومنعها من أن تميل وتسقط . والرحالة (بالكرم) الرحل وهي أيضاً السرج ضربها مثلا » .

ويتخذ النحاة هذا البيت شاهداً على حذف (كان) على تقدير : أزمان — أو أيام — كان قومي والجماعة ، فالجماعة مفعول معه على تقدير إضمار الفعل .

(١) راجع في هذا البيت خزنة الأدب ٣ / ١٠٣ الشاهد ١٨٣ السلفية .
أوج ٢ ص ٣٠٣ ط المصور .

المصادر

- ١ — جبهة أشتار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي . الطبعة الرحمانية حنة ١٩٢٦ م ص ٣٥٣
- ٢ — ديوان جرير . الطبعة العلمية سنة ١٣١٣ هـ ص ٢٠٢
- ٣ — خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البندادي . الطبعة السلفية القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ج ٣ ص ١٣٠ — ١٣٥

المراجع

- ١ — لسان العرب لأبن منظور .
- ٢ — القاموس المحيط للفيروز ابادي .
- ٣ — الخيزران لأجحاظ .
- ٤ — الكامل للمبرد .
- ٥ — أمالي القاضي ، والسمط للمعيني .
- ٦ — أساس البلاغة للزمخشري .
- ٧ — الأغانى لأبن الفرج الاصفهاني .
- ٨ — معجم البلدان لياقوت الحموي .
- ٩ — وفيات الأعيان لأبن خلكان .
- ١٠ — طبقات الشعراء لأبن سلام .
- ١١ — الشعر والشعراء لأبن قتيبة .
- ١٢ — إلباذة هويمبروس : تقديم وترجمة سامان البستاني .
- ١٣ — جبهة أنساب العرب لأبن حزم الأندلسي .
- ١٤ — تاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبري .
- ١٥ — الشاهنامه : نشر وتقديم الدكتور عبد الوهاب عزام .
- ١٦ — الفرق بين الفرق .
- ١٧ — معجم ما استعجم لبيكري .
- ١٨ — مجمع الامثال للميداني .
- ١٩ — بعض دواوين الشعراء .

تحقيق بعض الألفاظ الهندية المعربة

والدخيلة في اللغات الأوربية

للككتور محمد يوسف

نويت أن أردف مقال عن العلاقات العلمية بين الهند والعرب (في عدد مايو سنة ١٩٥٠ من مجلتنا هذه) بآخر عن العلاقات التجارية بين البلدين ، وبما أننى اعتقد أن العلاقات من النوع الأخير راسخة في القدم تتمثل الآن في الأسماء الهندية المعربة أكثر مما نعثر عليه من إشارات أو روايات في بطون المجاميع الأدبية والتاريخية ، أو المؤلفات الجغرافية ، بما أننى اعتقد ذلك بدأت استحضر وأستعرض في ذهنى عدداً من المفردات المتعلقة بالتجارة وما إليها ثم أتوسمها لعلها قد بقى فيها بعد طول اغترابها ما يمكننا من ردها إلى أصلها الهندى العتيق ، وإذا بى قد تجمع لدى ما يصلح أن يكون موضوعاً لمقال مستقل ، فما أنا ذا أقدم فيما يلى بعض النتائج التى وصلت إليها بشأن أصل طائفة من الألفاظ المعربة ، والتى ربما اعتبر بعضها عربية محضة ، وأرجو أن يكون هذا باكورة ما أنا بصدد من البحث عن العلاقات التجارية بين الهند والعرب .

وبهمنى أن أنوه في هذا المقام بظاهرة ربما يكفل إبرازها القضاء سلفاً على أى استغراب يلحق القارئ فيما بعد ، وهى أن العرب الأول الذين نراهم في خبر التاريخ يغامرون بحياتهم في ليج البحر الهندى إنما دأبوا على أن يجلبوا من الهند وما وراء الهند لا البضائع فحسب بل أسمائها المحلية أيضاً كما سمعوها من أفواه الذين اختلطوا بهم وعاملوهم ، وسيبدو ذلك طبيعياً إذا نحن قدرنا أن معظم تلك البضائع هى التى لم يعرفها العرب في أوطانهم وغير أوطانهم من قبل ، بل إنما عرفوها لأول مرة في الهند ثم عرفها العالم

الغربي عن طريق العرب فيما بعد . وعلى هذا فالتأكد من كون الهند الموطن الأول لبضاعة من البضائع إذا اقترن بثبوت استيراد العرب لتلك البضاعة منها (الهند) نهض دليلاً قوياً ، بل قاطعاً ، في كثير من الأحوال ، على أن الأسم هندی الأصل كالْبضاعة ذاتها . فمن الأمثلة المتفق عليها من هذا القبيل الموز أصلها بالسكربتية (Mocha) والكافور = سنس (Karpura) والقرنفل = (Kanakphal) والصندل = سنس (Chandan) والساج = المرهتية ^(١) (Sag) سنس (Shaka) والمسك = سنس (Mushika) والليمون = "limu" و "nimbu" والأنج أو العنبه = "amba" والتارجيل = "Narikila" وأسماء عدد من العقاقير كالأطريفل والهليلج وجميع أصناف التوابل تقريباً كاللفل = "Pippadi" : وسنرى أننا لو سرنا على هذه القاعدة لكن في وسعنا أن نلقى بعض الضوء على أصول عدد من الكلمات التي لا يزال يكتنفها شيء من الغموض .

وهنا لا أرى بأساً بأن أستطرد قليلاً فأقول ان مادأب عليه العرب من تسمية الأشياء الطريقة الجديدة بالنسبة إليهم بالأسماء التي عرفت بها في موطنها هو الطريق العملي الواقعي المطرد في الشرق والغرب على السواء ، وهو طريق سليم لا غبار عليه من أية ناحية ، لم يجد — بل لم يفكر في الحيدة — عنه إلا بعض الخلاصة منا وأرى أنه لم يكن منهم ذلك إلا بدافع من التعقيدات الذهنية الناشئة من نوع معين من الأوضاع السياسية في عصرنا هذا ، وإلا فما دمنا لم نسمع عن أية محاولة سبقت لترجمة « سنبوسق (سنبوسك) » ما الذي يدعونا الى أن نبحت عن كلمة عربية تقوم مقام « سندوتش » فنضيق بجهودنا ونعرض للتفكير والتندر ؟ وأعتقد أن المخترعات العصرية كالراديو والتلفزيون والتليفون مثلها كمثل المنتجات الآتية الذكر سواء بسواء .

(١) المرهتية Mehranti ، يجب هنا التنبيه على أن العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنسكريتية مباشرة ، ولا ماعتوا بأشكالها الصحيحة في الكتابة ، بل إنما أخذوها من أفواه التجار وسكان المناطق الساحلية التي كانوا يترددون عليها ، ولا يخفى أن تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة .

وعلى كل حال فالعرب لم يتورعوا فيما مضى من الأخذ بالالفاظ الأعجمية
للمصنوعات والمنسوجات والالوان ومختلف المهن، وسيوضح ذلك مما سنورده
في الصفحات التالية .

ولا يخفى أن لبحثنا هذا جانباً آخر على درجة كبيرة من الأهمية ،
وهو أن معظم تلك الكلمات التي يقال عنها إنها عربية دخيلة في اللغات الأوروبية،
ولاسيما الإسبانية والفرنسية والانجليزية ، هي في الأصل معربة عن الهندية
واللغات المحلية لمنطق أخرى شرق الهند، وذلك لأن تلك الكلمات إنما شقت
طريقها الى أوروبا عن طريق التجارة على أيدي العرب ولكن العرب لم يكونوا
منتجين في أي من حقلَي الزراعة والصناعة لا شيء إلا لان الطبيعة حرمتهم
من الثروة النباتية والمعدنية: إذن فكان الاقدار حتمت عليهم أن يقوموا بدور
الوسيط في جلب البضائع الهندية والصينية وتوصيلها الى أوروبا الى أن قدر الله
لاوروبا الاتصال مباشرة بالشرق الأقصى في أواخر القرن الخامس عشر
الميلادي ، وهو لعمرى دور لعبه العرب لا بجزء وكفاءة فحسب بل بأمانة
تركت أطيب الاثر وأعظمه في نفوس السكان غير المسلمين لمختلف مناطق
الهند الساحلية . فهذه الظروف تقرر علينا ، كلما وجدنا في اللغات الأوروبية
كلمة تتعلق بالملاحه ^(٢) أو التجارة على أيدي العرب في المحيط الهندي ،
أن نواصل البحث عن أصلها الهندي بعد أن نهتدى الى شكلها العربي
في العربية ولعل في مقارنة الطرفين الأوربي والهندي ما يكشف لنا بعض
ماغض على المتأخرين من العرب أنفسهم في بعض الاحيان .

(١) (ALMANAC) لم يشك أحد في أن هذه الكلمة انتقلت إلى أوروبا
عن العرب لكن حار الباحثون في الاهتمام إلى أصلها فقالوا أنه « الناخ »
(محيط المحيط ن و خ) أو أن العرب الاندلسيين استعاروا كلمة

^(٢) لقد صرح السعدي ، فيما يتعلق بالملاحه ، أن العرب حرصوا على الأخذ
باللغات المحلية في مختلف المناطق التي تردوا عليها ، أنظر إلى قوله : « إنما ندر بلغة
أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم » المروج ١ / ٣٣٢ (أيضاً
ص ٣٤٣ ، إنما نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم) .

(DardixashtyD) من المصريين وبدأوا ينطقونها « الشاخ » . . .
 (Hobson-Jobson x — ALMANACK) والحقيقة إن أصلها « رانج »
 عند ابن ماجد (٣) وهو تحريف البحارين لكلمة « الراهناج » التي جاء عنها
 في التاج ٥١/٢ : « فارسية استعملها العرب وأصلها راء نامه ومعناه (كتاب
 الطريق) . . . (وهو الكتاب الذي يسلك به الراهنة) . . . (في سفر البحر
 ويبتدون به في معرفة المراسى وغيرها) كالشعب ونحو ذلك »

واللبس مثل الذي نشاهد في أول هذه الكلمة كثير شائع فيما يتعلق
 بالكلمات الأعجمية التي في أولها حروف تقارب الالف واللام . فلكلمة
 « انجر » (Anchor) مثلا أصلها بالفارسية « لنكر » (القاموس — نجر)
 أضاف العرب عليها الالف واللام [اللنكر] ثم التبس عليهم الامر فظنوا
 أن اللام ليست من الحروف الأصلية [اللنكر] وقالوا « انجر » ، وكذلك
 الرصاص من « ارزيز » . (انظر ادى شير) والماس من « Ind-mash » : بنامه
 كلمة غير عربية والالف واللام من بنية الكلمة ، كذا في شفاء الغليل واللسان
 (مأس) عن ابن الأثير .

(ب) الآتك : لقد أصاب أدى شير القول بأنها قورية من «Raga»
 بالسنسكريتية إنما أضيف إلى ذلك أن رابنة البحر الهندي والجغرافيين
 من العرب كثيرا ما تكلموا عن « بلاد الرانج » متاخمة لبلاد الذهب (٤)
 وقد اضطرب رسم كلمة الرانج على ايدي النساخ حتى أن المستشرقين قرأوها
 « الزابج » (Zabji) وذهبوا إلى أنها تقوم مقام « الجاوة » عند العرب القدماء
 ولكن أبا الفداء (باريس ١٨٤٠ ص ٣٧٢) قد صرح بما لا يدع مجالا

x Hobson-Jobson: A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and
 of Kindred Terms By Col. Henry Yule and Arthur Coke Burnell. London. 1836.

٨٨ — G. Ferrand: Instructions Nautiques, Tome I. (٣) م ٦٠ « رمانج »

« رمانجات » — ٧٦ « رمانجا » .

(٤) أنظر أبازيد السجاف (سلسلة التواريخ ، باريس ١٨١١) ص ٨٩ ، وابن خرداذبة

ص ٦٥ والمسعودي ٣٤٣/١ والبيروني : كتاب الهند ص ١٠٣

للسك في أن وضع الكلمة الصحيح هو الراجح لا غير، وتدل القرائن كلها على أنها ليست علمًا، بل المراد بها معدن من المعادن كذهب والفضة، وبما أن الرصاص الأبيض معروف إلى الآن في الهند باسم "Kang" يتأكد لدينا أن الآثك والراجح هما شيء واحد بل الأولى إن هي إلا تطور يسير للكلمة الثانية، وهناك دليل آخر يؤيد ما ذهبنا إليه هو أن « رانج » جزء من كلمة « الاسرنج » التي أصلها "Shringara" بالسंस्कृते لا « سرخ + آثك » كما أودره أدنى شير.

كانت بلاد الراجح وبلاد الذهب واقعة حول مصب أروادى (Irrawady) بمجنوب بورما وإيها عن بطليموس بـ "Argyra" و "Khryse" (الترجمة العربية لكتاب بطليموس : «الفضية» و«الكراطية») على الترتيب، ولكن أعم مركز لتعدين الآثك أو الرصاص الأبيض، الذي اشتهر في العالمين العربى والغربى والذي لا يزال مذكوراً في العربية واللغات الأوربية، كان في كله. وقد اتجه كثير من العلماء المستشرقين إلى البحث عن كله على الساحل الغربى لشبه جزيرة ملايو إلا إنه يرجح عندي أن كله كان يطلق على ما حوالى مصب نهر كنك بالبنغالة. على كل حال فيفضل وجود هذا المعدن القيم النادر نشأت في كله «قلعة» أو مدينة محصنة (لعل العرب إنما ترجعوا إلى «القلعة» الكلمة السنسكريتية "Kṛnta" ولعل "Kalahkota" هي أصل الاسم الجغرافى "Calcutta") التي يقول عنها مسعر بن مهلهل (القرن الرابع الهجرى) بعد زيارة شخصية لها :

« إنها (كله) أول بلاد الهند ممالي الصين وانها منتهى مسير المراكب ولا يتبأ لها أن تجاوزها وإلا غرقت، وبها قلعة يضرب بها السيوف القلعية وهي الهندية العتيقة لا تكون في سائر الدنيا إلا في هذه القلعة... ولبس في جميع الدنيا معدن الرصاص القلعى إلا في هذه القلعة » القزوينى ٦٩ وياقوت «القلعة» و«الصين» .

فالنسبة في « السيوف القلعية » و « الرصاص القلعي » (الفرنسية : Alkalap) إلى هذه القلعة الواقعة بكنه^(٥) وقد شهد الادريسي أيضا بأنها المعدن الوحيد للرصاص الأبيض بالنسبة الى العالم أجمع في زمانه فإنه يقول : « وبهذه الجزيرة (كله) معدن الرصاص القلعي وهو بها كثير صافي الجوهر والتجار يفشونه بعد خروجه عنها ومنها يتجر (يجهز) به الى جميع الأرض » ، دار الكتب المصرية جغرافيا رقم ١٥٠ ص ١٣٠

ثم يظهر أن مثل هذا المعدن نجم في الاندلس أيضا فيما بعد فبدأ التجار يتحولون عن الهند إليها ، حتى إذا مضى زمن خلط الناس بين المعدنين كما في قول ياقوت :

« القلعة فيما زعم مسعر بن المهلهل بلد في أول بلاد الهند من جهة الصين واليه ينسب الرصاص القلعي والسيوف القلعية ، وإقليم القلعة من كورة قلعة بالاندلس ، وإنا أظن الرصاص القلعي منسوباً إليها أو الى قلعة بالاندلس فإنه من هناك يجلب » ، المشترك والمعتق ٣٥٧

ان شهادة مسعر بن المهلهل والادريسي ليست موضع الشك ، وكل ما أؤدنا ياقوت هو أن الرصاص الأبيض كان في أيامه يجلب من الاندلس بعد أن كان يجلب من القلعة بكنه من ذي قبل . ولعل في الأخذ باسم « القصدير » الذي يرادف الآنك إلا أنه معرب عن اليونانية — أيمنها دلالة على التحول المشار اليه من الشرق إلى الغرب .

ويلاحظ أن أهم ما اشتهرت به سيوف الهند جودة الصقل وهو عمل لايتأتى إلا بالأذنك الذي استأثرت القلعة بانتاجه ، أما الحديد اللازم لصناعتها فقد أورد الادريسي بشأنه ما يلي :

« إن بلاد سفالة (سفالة الزنج أي شرق إفريقيا) يوجد في جبالها معادن الحديد الجيد الكثيرة وأهل الرانج وغيرهم من ماكنى الجزائر المطيفة لهم ينخلون

(٥) أنظر العرب الجعاليق ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ، ص ٢٧٦ و

M. Devic : Dictionnaire etymologique des mots francaise d'origine Orientale. Paris. 1876— "ALKALAP"

السهم ويخرجونه من عندهم الى سائر بلاد السند وجزائره فيبيعونه بالثمن الجيد ، لأن بلاد السند أكثر تصرفهم وتجاراتهم بالحديد ، ومع ذلك وإن كان الحديد موجودا في بلاد الهند ومعادنه بها ففي بلاد سفالة هو أكثر وأطيب وأرطب ، لكن الهنديون (كذا) يحسنون صناعته وتركيب أخلاط الادوية التي يسبكون بها الحديد اللين فيعود هنديا منسوبيا إلى الهند ، وبها ديار الضرب للسيوف وصناعاتهم يميذونها فضلا على غيرهم من الأمم ، وكذلك الحديد السبق (كذا وفي نسخة أخرى : السندى) والسرفديبي والبيثاني كلها تفاضل بحسب هواء المكان وجودة الصنعة وإحكام السبك والضرب وحسن الصقل والجلاء ولا يوجد شيء من الحديد أمضى من الحديد الهندي ، وهذا شيء مشهور لا يقدر أحد على إنكار فضيلته » . ص ١٠٨ — ١٠٩

هذا وقد كانت اليلمان (البيثان) مركزاً آخر هاماً لصناعة السيوف تنسب إليها السيوف اليلمانية وكانت تقع على ملتقى حدود السند والهند كما يتضح مما ورد بشأنها في فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٠ و ٤٤٢ أما القول بأنه « يشبه أن يكون (البيثان) من أرض اليمن » [أنظر البلدان لياقوت و القاموس « بلم »] فلا يقوم على سند .

فهذه هي قصة السيوف التي لم تزل تحمل نسبتها إلى الهند كشعار لجودة الصنعة وحسن الصقل ، ولنتقل الآن إلى الحديث عن الرماح التي طورت نسبتها إلى الهند على مر الزمان ، إلا أنه يمكننا إذا أمعنا النظر أن نستشفها من وراء كلمات لا تزال تحمل سمات الغرابة والغربة مع أنها كثيراً ما عدت عربية لا شيء إلا لعدم الاهتمام إلى أصلها .

(ج) يتكون الرمح من جزئين : الأول هو النصل أو السنان ، والثاني هو القناة . وغنى عن البيان أن صناعة السنان متجانسة مع صناعة السيوف بل هما صناعة واحدة ، وعلى هذا يصبح من الطبيعي أن يلقب الظن بأن العرب ربما استعملوا الأنسة المصنوعة في الهند إلا أنه لا يعد منا من الدليل الايجابي ما يرتفع بهذا الظن إلى درجة اليقين ، فأننا نراهم يستعينون ببعض

الكلمات الهندية للتعبيرات الدقيقة المتعلقة بهذه الصناعة . أنظر إلى كلمة « الخرص » تبدو كأنها دخيلة على مادة « خ ر ص » العربية . فالخرص تعني الجزء الأعلى الذي فيه الحد من السنان وهي بهذا المعنى توازي كلمة (Kirch) بمليلام (Malayalam) — إحدى اللغات الدكنية — والأردوية أيضاً . وربما أطلقت الكلمة على القضيبي والرمح نفسه كما قال حميد بن ثور : « عض الثقبان الخرص الخطيا » (اللسان ٢٨٧/٨) ولا يخفى أن هذه النسبة إلى الخط هي أقوى ما يؤيد الأصل الهندي للرمح المنسوبة إليها لأن الخط لم تكن إلا مرفأ للسفن الواردة من الهند كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد (البند التالي) ثم من ناحية أخرى يستح لي أن هذه الكلمة من الكلمات التي انتقلت من الهند إلى أوروبا عن طريق التجار العرب فإنها تعني أيضاً الحلقة والدرع وكلمة (Cuirass) بالإنجليزية لها نفس هذا المعنى^(٦) كما أنها توافي بالضبط كلمة (Kavacha) بالسانسكريتية .

(د) أما الجزء الثاني وهو بلا شك أهم الجزئين فقد كان العرب شديدي الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى أن الشعر العربي يزخر بأوصافها ونعوتها إلا أن كثرة استعمال العرب للأسماء المختلفة للقناة وما يتبعها وجريها على ألسنتهم مجرى الكلمات العربية في الاشتقاق وما إلى ذلك جعلنا أصل تلك الأسماء نسباً منسياً . هذا مع أنه قد ثبت بصورة قاطعة لا يتطرق إليها أي شك أن منبت القنا الذي كان العرب يعتمدون عليه لشد حاجتهم — وما أكثر تلك الحاجة — لم يكن غير الهند كما سنبين ذلك آنفاً بعد أن نسوق بعض القدمات ونعرض لبعض الملابس التي لا بد منها نظراً إلى غموض الموضوع .

أولاً — القنا = قصب السكر . لا يخفى أن إطلاق القنا على هذا المعنى إنما هو على سبيل التبعية والمجاز ، وإن كان ذلك مطابقاً للمألوف في اللغة

(٦) ورد في Oxford Dictionary بشأن أصل هذه الكلمة :

Cuirass, from Fr. Cuirasse, from Latin Coriacea = leathern (Corium = leather)

لكن نظروها من العربية من حيث المعنى واللفظ مأً واضح كل الوضوح .

السسكرتية وبعض اللغات الهندية الأخرى . وعلى كل حال فالارجح عند العالم ، هو أن موطن قصب السكر الأصلي لا يتجاوز ما بين بنغالة والهند الصينية (Hobson-Jobson-CANDY) والدليل على ذلك أن جميع منتجات قصب السكر اشتهرت في العالم بأسمائها الهندية وها كما فيما يلي : —

١ — CANDY = العربية والفارسية « قند » = سنس "Khandā"
و مليالم : "Kandi" — (انظر "CANDY" - Hobson-Jobson) .

٢ — العربية : « قانيد » = الفارسية : « يانيد » = سنس
"Phanita" — فارن "Med. Lat. "Penidium"

٣ — SUGAR = العربية : « سكر » = الفارسية : « شكر » =
البراكريتية : "Sakkara" / سنس "Sarkara"

ومن الطريف في هذا الصدد أن الهنود ، وإن كانوا أول من قام بانتاج السكر ، سرعان ما بدأوا يستوردونه من الصين ومن مصر وذلك لأن الصينيين والعرب ، الذين نقلوا زراعة قصب السكر من الهند إلى الصين وإلى مصر (تم إلى صقلية والأندلس) ، لم يلبثوا أن سبقوا الهنود في ابتكار وسائل جديدة للتكرير ففاق الصينيون في صنع السكر ناصع البياض بشكل قطع صغيرة كما أن المصريين اقتصروا بصنعه بشكل قطع كبيرة ، ولم تزل الهند تستورد ذبلك الصنفين من السكر من الصين ومن مصر إلى مطلع القرن الماضي حتى أنهما يعرفان إلى الآن في أسواق الهند باسم « صيني » و « مصري » على الترتيب (٧) .

Hobson-Johnson — "SUGAR" (٧)

ومما يسهل بيراعة المومنين في هذا الغمار القليلة التالية منقولة عن ماركوبولو .

: (Remusio II, 44)

"And before this city" (a place near Fu-chau) "came under the great Can these people knew not how to make fine sugar; they only used to luit and skim the juice, which when cold, left a black paste. But after they came under the Great Can some men of Babylonia" (i. e., of Cairo) "who happened to be at the Court proceeded to this city and taught the people to refine the sugar with the ashes of certain trees" — 1298 A. D.

ثانياً — القنا بمعنى الریح . يلاحظ في هذا الصدد أن هناك شيئاً يشبه السكر كثيراً ما يكون داخل القنا (BAMBOO SUGAR) يسمى عند العرب والفرس « الطباشير » وكان استعماله كدواء شائعاً جداً في العصور الوسطى ومن المتفق عليه أن كلمة الطباشير إنما هي منقولة عن سنس : "Trakksbira" أى أنها هندية الأصل (Hobson-jobson—"Tabasheer").

ثم أن الخيزران يصفه العرب أنفسهم بأنه شجر هندي وهو عروق القنا (أنظر الصحاح والتاج — خزر) أفلا يكون القنا إذ شجراً هندياً ؟ والخيزران الهندي ^(٨) هو الذي يتمثل به في شدة اللون ومنه قولهم : الخيزري والحوزري والخيزلي ، مشية فيها تفكك .

وربما اقترن اسم القنا بالقسط ما عدا الخيزران عند الرابطة والجغرافيين العرب كما سنرى آنفاً ومن المسلم به أن القسط أو الكسط هندي بحث [سنس "Kustha"] وإنما نسبوه في بعض الأحيان إلى ظفار البين لأنه كان يجلب إليه من الهند (القاموس « ظفر ») .

ولنبحث الآن عن المواضع التي كان العرب يترددون عليها لطلب القنا منها نجد أنها لا تتجاوز ساحل الهند والساحل الغربي والجنوبي لمنطقة الدكن بالهند (X) : فهذا قول ابن خردادبه ٦٢ : « ومن الهند يجيء القسط والقنا والخيزران » ويقول أيضاً : « ومن مهران إلى أوتكن وهي أول أرض الهند مسيرة أربعة أيام ، وفي هذه الأرض ينبت القنا في جبالها والزرع في أوديتها وأهلها عتاة مرده لصوص » — وهذه هي شهادة مسعر بن مهلهل يقول : « وخرجت إلى سواحل البحر الهندي متيسراً فسرت إلى بلد يعرف بمدورقين منابت

(٨) لقد عرف العرب أن بلاد الروم كانت تمتاز بمنابت الخيزران كما يقول الثابت الملبدي : « بلاد بلاد الخيزران » (أنظر اللسان — خزر) إلا أنه من المتيقن أنهم كانوا يجلبونه من الهند ويتمثلون بالهندي منه في شدة اللون . كذا في محيط المحيط — خزر . وقد أورد القزويني في الآثار ص ٣٨ عن كاه : « بها منابت الخيزران منها يحمل إلى سائر البلاد » .

(X) وقد كان أهل Magan أى عمان يتوردون الأخشاب من نفس هذه المنطقة وذلك أربعة آلاف سنة قبل المسيح — انظر Wilson : The Persian Gulf p. 27.

غياض القنا وشجر الصندل ومنه يحمل الطباشير وذلك أن القنا إذا جف وهبت عليه الريح احتك بعضه ببعض واشتدت فيه الحرارة للحركة فأقعدحت منه نار فربما احترقت منه مسافة خمسين فرسخا أو أكثر من ذلك فالطباشير الذي يحمل إلى سائر الدنيا من ذلك القنا . فأما الطباشير الجيد الذي يساوى مثقاله مائة مثقال أو أكثر فهو شيء يخرج من جوف القنا إذا هزت وهو عزيز جداً . . . » ثم يقول عن مدينة كوكم أيضا : « والخيزران والقنا بها كثير جداً » (أنظر ياقوت « الصين ») . كذلك يقول الأديبي : « ومدينة نانة (بالقرب من بومباي) جليظة . . . وبجبالها وأرضها ينبت القنا والطباشير يصخذ فيها من أصول القنا ومنها يحمل إلى سائر البلاد من المشاريق والمغرب » — ص ٢٩٧ .

وبعد أن فقدنا منابث القنا وجب علينا أن نفتني آثار نواخذة العرب لنرى أين تفرغ سفنهم حولتها وهاك ما يقوله ابن سيده (المخصص ٦/٣٤) عن « الرماح الخطية » أشهر الرماح عند العرب : (الخط مرفأ السفن بالبحرين ينسب إليها الرماح . وليست الخط بمنبت لها ولكنها مرفأ السفن التي تحمل القنا من الهند كما قالوا مسك دارين وليس هناك مسك ولكنها مرفأ السفن التي تحمل للمسك من الهند » .

نرى كيف أن القنا المجلوبة من منابثها بالهند والتي ركب عليها خرص أو ستان مصنوع في مصانع السيوف حول معادن الرصاص الثقلي بالهند ، كيف أن هذه القناة هي التي تصبح « رمحا خطيا » بمجرد دخولها حدود جزيرة العرب ؟

والحديث عن « الخطي » يذكرنا على الفور بـ « السميري » و « الرديني » . لو رجع أحد إلى اللغويين وأصحاب المعاجم لوجدهم يقولون أن السميري نسبة إلى سمير والردني إلى ردينة وهما زوجان كانا يقومان ببيع الرماح بالخط ولكن للفتيح للشعر العربي والمتأمل في أقوال اللغويين وأصحاب المعاجم أنفسهم لا يلبث أن يتبين أن السميري يفاير الرديني تماما من حيث الصفات المنسوبة إلى كل منهما فالسميري يمتاز بصفتين هما (١) الاعتدال و (٢) الصلابة

أما الرديني فيتميز بضد الصلابة وهو اللدونة لأنه هو الذي يمتد دون السمهرى. وعلى هذا فيانه من تحديد الاختصاص بحيث يمارس الزوج والزوجة بيع رماح من نوعين مختلفين — ولعل الفروض إنهما كانا يتخذان تحليهما جنباً إلى جنب في سوق الخط — بدون أن يطغى الواحد منهما على الآخر ! وإلها من مراعاة للمناسبات والصلاحيات بحيث يكون بيع الرماح الصلبة من حصّة الزوج وبيع الرماح اللدنة من نصيب الزوجة ! ! وما يزيد أفوالهم ارتباطاً كما يزيدنا ارتباطاً أن أحداً منهم على الأقل وهو الزبير بن بكار ذهب إلى أن سمهر كانت قرية بالحبشة (أنظر التاج حيث جاء أن الصاغاني أنكر هذا القول) كما أن بعضهم قال أن سمهر اسم امرأة كانت تقوم الرماح ! ! !

أن المهم في هذا كله هو أن الزوجين ، على حد تعبير اللغويين ، كانا يبيعان الرماح بالخط والخط ، كما رأينا آنفاً ، لم تكن إلا مرفقاً للسفن الواردة من الهند ، إنذاً فمن المؤكد أن السمهريات والردينيات كانت رماحاً هندية ، هذا بعض النظر عن من قام بأعمال بيعها أو توزيعها في الخط . أفستغرب بعد هذا أن يكون التجار العرب قد أخذوا إسمي الصنفين من الرماح — الصلب واللدن — من أفواه التجار المنود ؟ إن مثل هذا القياس يوافق مقتضى طبيعة المعاملات التجارية كما أنه يصادف حرص العرب عامة على تسمية الأشياء والبضائع التجارية بأسمائها المحلية . والحقيقة أن الكلمتين (Sama) و (Kharā) [المجموع : (Samakharā)] تعنيان في السنسكريتية « المعتدل » و « الصلب » على الترتيب ^(٩) . وعلى هذا يكون سمهر اسماً هندياً جلبه العرب مع مساه (أى الرماح الممتازة بالاعتدال والصلابة) إلى الخط وطبعاً خفي أمره على الناس لكونه غير عربى فلذلك لم يفقهوا غير أنه انتشر بين العرب عن طريق ذلك المرفق بالبحرين .

لم اكن لأجترى. على عرض هذا التفسير للكلمة «سمهر» إلا أننى عثرت أثناء بحثى هذا على مثال آخر لهذه الأسطورة بالذات وذلك فيما يتعلق بكلمة

(٩) SAMA. even, level. . . . straight.— M. Williams: Sanskrit-English Dictionary. Oxford P. 1066.

KHARA. hard, harsh, rough, . . . dense—. Ibid P. 74.

السندرة ومن حسن حفظنا أن أحدا من هؤلاء اللغويين أنفسهم وهو القتيبي قد تولى إمامة اللثام عما نسجه خيال أقرانه انخصب حول أصل تلك الكلمة هي الأخيرة . واليك فيما يلي ما جاء عنها في اللسان .

السندر الجريء المتشبع والسندرة ضرب من الكيل . . . والسندر مكيال معروف . . . قال ابن الاعرابي وغيره هو مكيال كبير ضخم . . . وقيل السندرة امرأة كانت تبيع القمح وتوفي الكيل . . : قال القتيبي ويحتمل أن يكون مكيالا اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي ومنه قيل سهم سندرى — ويقال قوس سندرية منسوب الى السندرة أعنى الشجرة التي عمل منها هذا القوس وكذلك السهام المتخذة منها يقال لها سندرية وستان سندرى اذا كان أزرق حديداً .

إن ما ذكره القتيبي ، مستنداً بذوقه السليم ، بأنه محتمل هو لعمرى صحيح إلى حد بعيد لأن كلمة "Chandra" [لا "Sundara" كما أورده أدي شير] بالسنسكرتية تعنى (١) شجرة معينة و (٢) الرجل البارز الشهم و (٣) اللامع البراق — فارتسان سندرى — (انظر M. Williams, p. 315) إلا أن للكلمة معنى رابعا وهو الخيمة أو المظلة من ثوب وهي بهذا المعنى توازى كلمة "Chādar" بالفارسية والأردوية وتطلق على الربطة أو الملاة الكبيرة ويرجع عندي أن هذا المعنى هو الذى له صلة بـ (الكيل الضخم) إنما يقدر ذلك من اعتاد منظراً عاما في أسواق الجبوب — و (القمح) على الأخص — بالهند وهو جماعة من الشياطين ومعهم ربط أو ملاء يسطونها للكيل الضخم ثم يضمون أطرافها ويحملونها على ظهورهم . وذلك معنى قول علي رضي الله عنه :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيَّرَهُ

كَلَيْتَ غَابَاتُ غَلِيظَ الْقَصَرِ

أَكِيلُكُمْ بِالسَّيْفِ كِيلَ السَّنْدَرَةِ

أى أقتلكم قتلا واسعا كبيرا ذريعا . انظر نهج البلاغة ٤/ ٣٦٢ .

على كل حال فقد رأينا أن الفتية أدرك أن في الكلام عن (امرأة كانت تبس القمح) مجازمة لجأ إليها الذين وقفوا حيارى أمام كلمة هندية ألفوا استعمالها وعرفوا مدلولها لكن لم يدروا ما أصلها .

لكن انتفاء شخصية سمير من الوجود نهائياً يستلزم أيضاً عدم بقاء رديئة كأمثلة تخبير في خطابها من يخلف في بيع الرماح الصلبة إلا أن تلك مسألة لا تستدعي كبير عناء بعد أن حططنا الأغلال التي كانت تقيد فكرنا . كفاًنا أن ننظر إلى كلمة "Rattan" بالإنجليزية هي اسم لنوع معين من الخيزران غاية في اللينة والجودة وتمتاز قناته أكثر من أي شيء آخر بالمرونة واللدونة (أنظر "Rattan" — Hobson-Jobson) وبما لا يشك فيه أن هذه الكلمة بالإنجليزية منقولة عن "ROTAN" ، بلغة ملايو والهند الشرقية . أقبل يستبعد أن تكون (رديئة) الحلقة الوسطى بين "ROTAN" من جهة و "RATTAN" من جهة أخرى ليس إلا ؟

لقد آن لنا الآن أن ندون بعض الملاحظات عن أصل كلمة « القنا » .
إننا رأينا أن العرب ، مع كثرة وصفهم للرماح ، لم يذكروا أي مثبث للقنا في ديارهم ، بل بالعكس أجمعت الأدلة كلها على أنهم كانوا يعتمدون على مثبث القنا بالهند ، ولا يقوتنا في هذا المقام أن نذكر ما أورده الجاحظ (البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ١٦/٣) من أن الشعوب طعنوا في العرب بقولهم : « إنما كانت رماحكم من مرّان وأستحكم من قرون البقر ... » . لعل مغزى هذا المظن لا يعدو أن العرب لم يجدوا في ديارهم ما يمكنهم من صنع الرماح بجزئها القناة والسنان — وأخيراً يجب علينا أن لا نفعل اعتبار الأحوال الطبيعية اللازمة لنمو القنا وهي تنحصر في سفوح جبال تهطل عليها السماء مدراراً ثلاثة أو أربعة أشهر متتالية في السنة . أفيوجد مثل هذه الأحوال في جزيرة العرب أو شرقها وغربها إلا في السند والذين أي الساحل الغربي والجنوبي للهند ؟ بلى وفي الحبشة أيضاً ومن هنا يخيل إلى أن قول الزبير بن بكار السالف الذكر (بأن سمير كانت قرية بالحبشة) يخفى وراءه حقيقة ثابتة وهي أن العرب في وقت من الأوقات اتخذوا من الحبشة بديلاً من الهند ، مرجعهم الأول المفضل — وإذا فسرهم الحبشية

لا تكون إلا قناة صلبة مستوردة من الحبشة ، كما أن سمهر الخطي لا يمثل
إلا قناة صلبة مجلوبة من الهند ! ولا ننسى كيف أن ياقوت خلط بين « القناة »
بشكله وبين معدن القصدير بالأندلس لأسباب متشابهة .

ولعل القارئ الأريب يتبين في قول ياقوت الآتي تزايد اجتماع ما قدما
آنفا . يقول ياقوت : « سمهر قرأت بخط إلى الفضل بن العباس بن علي الصولي
المعروف بابن برد الخيار . . قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني الزبير بن بكار
قال الرماح السمهرية نسبت إلى قرية يقال لها سمهر بالحبشة . . . قلت أنا
وحدثني بعض من يوثق به أن هذه القرية في جزر من النيل (الآثار للزويني
ص ٣٠ « جوف النيل ») يأتي من أرض الهند على رأس الماء كثير من القناة
فيجمعه أهل هذه القرية ويستوقدون زواله ويبيعون جيده وهو معروف
بأرض الحبشة مشهور — وقول من قال أن سمهر اسم امرأة كانت تقوم
بعمل الرماح فإنه كلف من القول وتخمين . »

ولأذكر بعد ما تقدم أن القناة هو (Kanda) باللغة السنسكريتية ، ولكن
يجب أن أسجل مرة أخرى ما قد نهت عليه من قبل من أن العرب لم يأخذوا
الكلمات الهندية كما هي باللغة السنسكريتية بل أخذوها كما كان الأهليون
في مختلف المناطق الساحلية ينطقونها ولا يخفى أن تلك المناطق كانت ولا تزال
تسودها لهجات مختلفة بل لغات مستقلة وكلمة (Kanda) بالذات لها في تلك
اللهجات واللغات أشكال هي أقرب بكثير إلى « القناة » إلا أنني لا أتمكن
من استخراجها في الوقت الحاضر لعدم وجود المراجع الضرورية . على كل
حال فمن الطريف أننا نجد كلمة (Kanda) كما هي كجزء من كلمة « بخنداء »
التي ربما استعملها العرب في الغزل . يقول صاحب اللسان (ومحيط
المحيط) : —

« البخنداء والخبنداء من النساء التامة القصب الرياء — وساق بخنداء
غليظة منمطة . قال الراجز (العجاج) :

قامت تزيك خشية أن تصرما ساقا بخنداء وكما أدرما

وكذلك البخندى والمجندى . . . قال العجاج : إلى خبندى قصب
مكور . هذه الكلمة (بخنداء) أراها مركبة من كلمتين : « با » = الرجل
و « خند » أى (Kanda) .

(٥) الوشيح — إذا كان « الخطى » هندياً فهل من الغريب أن يكون
« الوشيح » — الذى لا يثبت الخطى الا هو — هندياً أيضاً ؟ إن أصل
هذه الكلمة هو (Vansha) والجيم فى الآخر علامة العجمة لا غير : وقد عهدنا
العرب دائماً يظهر وزن ملكة قوية - للاحظة الطبيعة بالدقة والاتقان وإن كلمة
الوشيح وما اشتق العرب منها إلا دليل على التأثر بالطبيعة واستخلاص المعانى
العامية من مظاهرها فإن كل من اتفق له أن يتمتع بنظرة إلى منبت القنا ليقدر
تمام التقدير أن أهم ما يروى المرة من أشجاره هو التفاف شيفاتها وتعانق
أغصانها ومنه قولهم الوشيح بمعنى القرابة ، والوشيح بمعنى الاشتباك .
وإذا كان أحد فى شك من هذا فليشتر إلى كلمة « البيش »^(١) لا ريب فى أنها
هندية بمعنى أصلها (Visha/Bisa) استخلص العرب من شجيرة معنى الخضر
والنضارة فقالوا لا يبش الله وجهه . ولا حظوا أيضاً أن شجرة البيش
شديدة الثبات والتأصل فقالوا « أباش الشجرة » .

(و) أما فيما يتعلق بالقى ، فقد كفانا الجاحظ مؤنة البحث عن أصلها
بقوله : وكل قوس بندق قائم بجنى بقناتها من بروض ومدح بيزمت
وصنعها عصفور القواس . وقال الرقاشى :

أُنعت قوساً نبت ذى انتقاء جاء بها جالب بروضاء
بعد اعتيام منه وانتصاء كافية الطول على انتهاء
مجلوة الأكعب فى استواء سالمة من ابن السياء
البيان والتبيين ٣/ ٩٣ — ٩٤

(١) « البيش » وهو نبت لا يوجد إلا بالهند . كذا فى الآثار للزوينى ص ٨٥

وانظر أيضاً إلى قول آخر للرقاشي في صفة القنّاء التي تبرى منها القسي :

من شقق خضر برّوصيات صفر اللحاء وخلقيات
جدلان حتى إضن كالحيات رشائقا غير مؤنّبات
أنّهنّ تمطّرات عمرو بن عصفور^(١١) على استنبات

(المصدر نفسه ٧١/٣)

لا يخفى أن بروص (كما وردت الكلمة مضبوطة في القطعة الثانية والتي جعلها الشاعر «بروصاء» — «بروصاء» تحريف من الكاتب ليس إلا — في القطعة الأولى لضرورة الشعر) كانت ميناء هاماً على ساحل كجرات فوق بمباي حاول العرب عدة مرات، قبل فتحهم للسند وأبان حكمهم لها، الاستيلاء عليها (راجع فتوح البلدان للبلاذري) وهي لا تزال مدينة معروفة باسمها القديم «Bharoch».

والآن لدع أوس بن حجر يحدثنا عن قنّاء القسي وأخواتها ويتقدم لنا صورة رائعة لمنابتها . يقول أوس وهو المختص بهذا الموضوع :

وصفوا من نبع كأنّ نذيرها إذا لم تحفّضه عن الوحش أفكل
تعلّمها في غيلها وهي حظوة بوادٍ به نبع طوال وحليل
وبانّ وظيان ورنف وشوْحط ألف أثيث ناعم متعبل
فقطعها حولين ماء لحائها ثُمّال على ظهر العرش وتزل

(١١) لو كان سمر متفقاً لرمّاح أو يباعاً لها . لكان من الواجب أن نظفر من شاعر من الشعراء القدماء بإشارة صريحة إلى ذلك متن ما نجد أماناً بخصوص عمرو بن عصفور . ولكننا بخلاف ذلك نزام ، حسباً أعرف ، دائماً يذكرون « السهرية » و« الردينية » و« رماح ردينة » (الشيخ ، الديوان ٩٨) من غير أن يزدوا شيئاً ثم يجمي القريون فيفرون هذه النسب كما بدا لجلهم بدون أي سند على نحو ما فعلنا الكلام عنه .

فَمَكَ بِالْبَيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهَا كَغَيْرِ قِيءٍ يَبِضُ كَنَّهُ الْقَبِضُ مِنْ عَلٍ
وَأَزْعَجِهِ أَنْ قِيلَ شَتَانِ مَا تَرَى إِلَيْكَ وَعُودٌ مِنْ مِرَاءٍ مَعْطَلٌ
ثَلَاثَةٌ أَبْرَادٌ جِيَادٌ وَجُرْجَةٌ وَأَدَكُنُّ مِنْ أَرِي الدُّبُورِ مَعْطَلٌ
(الديوان — Wien, 1892 — ق ٢٩/١٤ — ٢٠)

لقد استدل البعض من قول أوس هذا على أن النبع الذي ورد ذكره
في الأول ، والسراء الذي جاء ذكره في الآخر في معرض الكلام عن قوس
واحد بالذات ، هما شيء واحد (اللسان ٢٠١/٩) . على كل حال فالسراء شجر
هندي وأصل الكلمة ("Shara" = Saccharum Srara) ولم يأخذ العرب
اسم الشجرة فحسب بل عربوا أيضا ما له صلة بها : فالسروة أصلها "Sharu"
(= السهم القصير) والشرنج بمعنى العود يشق منه قوسان (أنظر قول الشماخ :
« شرايح النبع : براها القواس ») هي إلى الآن "Chari" . ومنه يقال لخطى
نيزي البرد شريجان (أنظر كلمة « نير » في البند زى) .

أما سائر الأشجار التي ورد ذكرها في الأبيات المتقدمة فمن الواضح
أن منبتها هي والسراء كأن في واد واحد . يؤيد ذلك قول المبرد : « النبع
والشوحط والشربان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماءها لاختلاف منابتها
وتكرم على ذلك فما كان منها في قلة الجبل فهو النبع وما كان في سفحه فهو
الشربان وما كان في الحضيض فهو الشوحط » (اللسان — « النبع ») وعلى هذا
فتكون هذه الأشجار وأسمائها هندية أيضا إلا أنني أعترض عن عدم قيامي
بالبحث عن أصلها لعدم الاتفاق بوضوح أسماء النبات والفروق الدقيقة
بين مسياتها .

(ز) وصفوة القول أن قضب الهند على العموم هي التي كانت يضرب
بها المثل كما يقول الشاعر :

« قضب الهند والغنا أخذانك والمقادير في الورى أعوانك »

(النويرة ٢/٤٤ وجاء في كتابات الجرجاني ٦٣ أن الشاعر هندي)
إنما بقى الكلام عن « البان » هي أيضا هندية أصلها "Vana" وليس الأمر

مفتصراً على البان بل كلمة «الخوط» [سنس : "Kata"] هندية أيضاً تستعمل مع البان كما تستعمل الشريح مع النبع وأمثاله .

(ح) وتبعاً لصناعة السيوف أيضاً اختص أهل الهند بانتاج السكاكين من أنواع مختلفة فالسلطة لعلها مأخوذة من السنسكريتية "Shita" كما أن الشلقاء أصلها "Shalaka" نوع من السكين كان يستعمله الجراحون للبضع وقد جاء في اللسان أن الكلمة ليست بعربية محضة .

(ط) البهار = شئ يوزن به . الكلمة غير عربية كما أجمع عليه الجميع ما عدا الأزهرى وليست قبضية كما ذهب اليه أبو عبيدة بل هي هندية أصلها (Bhara) [قارن الفارسية «بار»] وهي انما تعنى الحمل ويختلف مقداره باختلاف البضاعة وما تحمل هي عليه والبلد أيضاً (انظر Hobson-Jobson) "Bhara" وهذا هو منشأ البلبله وتضارب الأقوال بشأن تحديده (انظر العرب للجوالقي) .

(ي) البهار = أزهار البر . كثيراً ما تكلم ربانة المحيط الهندي عن «أنواع الطيب والبهار»^(١٢) في بلاد المهراج وقد فأت هذا المعنى على عدد من أصحاب المعاجم إلا أن الفيومي أوردته في المصباح المنير والكلمة بهذا المعنى منقولة من "Van-hara" ("Van" أى البر) .

(١٢) البهار — الصنم . الكلمة بهذا المعنى منقولة عن "Vihara" وهو معبد البوذيين الذى تكلمنا عنه في معرض البحث عن حقيقة معبد بلخ وأصل البرامكة في مقالنا السابق (العلاقات العلمية بين الهند والعرب) واستعمل العرب لهذه الكلمة بهذا المعنى يعتبر تأييداً هاماً للرأى الذى بسطناه هناك .

ومما يذكر أن عبادة البوذيين لتمثال بوذا (Buddha) سبب رواج كلمتين أخريين في اللغتين العربية والفارسية هما «البد» و «السمنية» فإن «البد» هو (Buddha) أو تمثاله ونجد هذه الكلمة نفسها بشكل «بت»

(١٢) دمشق : نخبة الدهر : ١٥٤

بالتفارية أما السمنية فقد كانت معروفة لدى العرب كاسم لجماعة البوذيين^(١٣) وهي بالتفارية « شمن » أى عابد الأصنام . أنظر إلى قول رودكي :

« ابن جهان جون بت است وما شمنيم »

وقول الفردوسى : « يرستش كمن جون بتارا شمن » .

وذهب صاحب القاموس وتبعه الخفاجى فى شفاء الغليل إلى أن « صنم » معربة عن « شمن » إلا أن ذلك خطأ كما جاء بهامش ابن القاط بديل أن شمن يعنى العابد لا الصنم .

(. بى) الألو = العود الذى يتجر به . قال أبو منصور : أراها هندية (اللسان) أصلها بالسفكرية "Elavālu" — الفارسية : "alwā" وقد كان هذا العود يستعمل كدواء أيضا فإن عصارته هي الصبر .

ومما يجدر بالذكر أن من عود البخور ما يسمى بالسفكرية "Aguru" (الأردوية "Agār") ولما انتقلت هذه الكلمة إلى الإنجليزية عن طريق البرتغاليين (Portg.— Aguila, Fr.— bois d'aigle) صارت Eagle-wood للتقارب فى المخرج ثم بدأ الناس يبحثون عن وجه نسبة هذا العود إلى العقاب فقالوا أن قشرة العود تشبه ريش العقاب ! ولكن هذا محض اختلاق (Hobson) (Jobson—"EAGLE-WOOD") إنما يذكرنا بما فعله العرب بشأن « السميري » و « السندرة » .

(جى) لم يستورد العرب من الهند أنواع الطيب فقط بل « جونه » العطارين أيضا أصلها "Goni" وهي بالإنجليزية "Gunny" (أنظر Hobson Jobson) ولا أملك فى هذا المقام إلا أن أردد قول الأعشى يصف نساء تصدين للرجال حاليات :

إذا هن نازلن أقرائهن وكان المصاع بما فى الجبوت
(اللسان — ج و ن) .

(دى) ليس « القرنفل » هنديا فحسب بل أن القلادة من القرنفل

(١٣) انظر مستلabin القديم ص ٣٤٥

أي السحاب^(١٤) هندية أيضاً أصلها بالسंسكرتية "Shekhara" كما أن القلادة من الأزهار والجواهر هي المنية [Mani, Malva] وقد وردت كلمة «المنية» هي الأخيرة في معرض الكلام عن القلائد في كتاب عجائب الهند لبرك بن شهریار (Leide, 881-886) ص ١١٣، فترجمها المترجم الفاضل "L'objet de leurs delseirs" إلا إنني أرجح أن تكون الكلمة هندية استعملت على أصلها .

(هـ) إن من المعادن التي امتازت الهند بانتاجها وتصديرها الكلس أصلها "Kansa" وهي بالإنجليزية "Ganza" (أنظر Hobson Jobson) .

وهل من الغرب ، نظراً إلى وجود المعادن وحقيق الهنود في الصناعة ، أن تكون الهند منبع التجارة العرب لاستيراد الأدوات مثل الكأس أصلها "Kansa" والطنيس [السيطل والسطل لغتان فيه^(١٥)] أنظر اللسان — سطل وطسل [هي إلى الآن "Tasla" بالأردنية والفرن هي "Lagan" . وقد أورد ادی شیران «فتیان» أيضاً مأخوذة من كلمة هندية (أنظر تحت «البنكام») كما أن «باسة» أصلها «باسن» بالهندية (كذا في لف القاط) .
(و) ونمما يشهد بسبق أهل الهند في الصنعة وما إليه أن كلمة «سن» (سفس : "Shan" — قارن بالإنجليزية Hone) هندية الأصل وهي جزء من كلمة «سبادج» (Shan-pada) التي تفي عن عجمتها بنقمتها . كذلك نرى أن كلمة «سفين» أي آلة الفلق أيضاً ينتمي أصلها إلى الهند فاتها "Chevni" بالأردنية الحالية وهي تنحدر من مادة Cho أي القطع بالسंسكرتية :

ومن المعروف أن «سندان» أعجمية هي بالفارسية «سندان» وبالسंسكرتية "San-dhana" .

(زى) النير بالكمز القصب والخيط إذا اجتمعت . والاسم النيره وهي الخيوطه والقصبه إذا اجتمعتا فإذا تفرقنا سميت الخيوط خيوطه

(١٤) أنظر إلى صاحب التاج يقول : «سمي به لصوت خرزه عند الحركة من السحب وهو اختلاط الأصوات قاله شيخنا» — هذه المحاولات للتليل (كما نرى بشأن «الشال» أيضاً) إنما تنبع عن الشعور ببراهة الكلمة لا غير .
(١٥) مثال آخر للقب : «الطنيس» من «الشاطة» أنظر محيط المحيط .

والقصبة قصبة (كذا بالتاج) أصلها بالسنسكريتية "Nadi" ^(١٦) ويتبع هذا المعنى معنى آخر وهو (علم الثوب) الذى كرمه عمر خرم الصحابة من سبب — وما أهونه من سبب — من أسباب الثرىة والذى كثيرا ما ساعد المتحابين فى طمس آثارها كما يقول امرؤ القيس :

فقت بها أمى تجر ورائنا على أثرنا نير نمرط مرحل
كذا (نير) بدل (ذيل) فى رواية .

والمعنى الثالث للكلمة (نير) أعنى (الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقروطين للجرانة) أيضا مأخوذ من الهند .

ولا يخفى أن الأقبال كان شديدا جدا على المنسوجات الملونة التى اشتهرت الهند بصناعتها كالشيت أصلها "Chitra" ^(١٧) والشال ^(١٨) .

(حى) الخط أصلها "Namata" الفارسية (ند) وربما استعملوا هذا النوع من الصوف الغليظ لتغطية الممرات ومن هنا نشأ معنى الطريقة والمذهب .
(طى) يقول الجوالقي : (فى حديث عمر إن معاوية كتب اليه يستأذنه فى غز والبحر ، فكتب اليه : انى لا أحل المسلمين على أعواد نجرها التجار وجلفطها الجلفاط — أصل هذه الكلمة غير عربى) .

وجاء فى اللسان : (جلفط) التهذيب الجلفاط الذى يسد دروز السفينة الجديدة بالخيوط والخرق يقال جلفطه الجلفاط اذا سواه وقيره .
قال ابن دريد هو الذى يجلفط السفن فيدخل بين مساهير الألواح وخروزها مشاقة الكتان ويمسحه بالزفت والقار وفعله الجلفطة .

يتضح من هذا أن الكلمة لها علاقة (١) بسد الدروز بمشاقة الكتان .

^(١٦) قارن ما جاء عن هذه الكلمة بالمعج السنسكريتى :

"NADI (—C' IRA), a small reed or tube round which the woof is wound. (it is then used as a shuttle). —(Williams p. 476)

^(١٧) أصلها "Shavala" وانظر إلى قول صاحب التاج : « والشال هذا الرداء الذى يحمل بكشمير ولاهور ويجلب به إلى البلاد ويقال انه من وبر الجمل مى به لأنه =

وما إليها و (٢) بالسمك بالزفت والقار، وعلى هذا نجد أن كلمة "Khal" الهندوية تعنى بالضبط مشاقة الكتان وما إليها كما أن كلمة "Pusta" بالسندكرتية تعنى السمك والتطلية وقد تطورت هذه الكلمة الأخيرة في اللهجات والأردوية الحالية إلى "put" أى اختفى منها حرف "s" ولعل في استعمال العرب (الجلقات) (بالطاء المعجمة انظر المخصص ١٠ / ٢٥) اشعاراً بوجوده في بعض الأحيان.

ومما لفت نظري أن كلمة "Khila" أيضاً تعنى الدرز وكل ما يسد الدرز ويمكن أن تكون هي الجزء الأول من جلقط بدل "Khal". على كل حال فالجزء الثاني أعني (فط) هو الذي انتقل إلى الإنجليزية بشكل "Putty".

ويجدر بالذكر أيضاً أن قايمة السفينة أيضاً بمعنى « خرز ألواحها بالليف وجعل في خلها القار » (اللسان) وإليه ينسب العلياء كلمة (Calfater) الفريسية (M. Devic P. 78) و« قلف » إن لم يكن مجرد تخفيف لـ « جلقط » فيمكن أن يكون (Khal-lip) وذلك لأن (lip) يرادف (put) تعبئاً وربما استعملت الكلمتان معاً.

وأخيراً ننقل فيما يلي عن الأدرسي ما يؤكد لدينا أن جلقطة السفن كانت من اختصاص الهند لأسباب طبيعية . يقول الأدرسي :

« وكل ما يجرى في بحر الهند والصين من المراكب السفرة صغاراً كانت أو كباراً فإنها منشأة (?) من الخشب المحكم نجره وقد حملت أطرافه بعضها على بعض وهندم وخرز بالليف وجلقط [بالدقيق] وشحم الذيل (في الأصل « الباب » والتصحيح عن المسعودي ١ / ٣٢٩) والذيل دابة

= يرفع على الاكتاف إن كانت عربية « لا شك أنه يحفظ بقوله « إن كانت عربية » لأن نسبة المثال إلى كشمير كانت ولا تزال شائعة معروفة إلا أن تعليقه لهذا الاسم بكونه مرفوعاً على الاكتاف يبين لنا طريقة القويين في البحث عن الأصول الغامضة لبعض الكلمات .

كبيرة تكون في بحر الهند والصين منها ما يكون طوله نحواً من مائة ذراع في عرض عشرين ذراعاً بنبت على سنام ظهرها حجارة صدفية وربما تعرضت المراكب فكسرتها وحكى [أيضاً] الرابانيون أنهم يرشقونها بالسهم فتنجي عن طرائقهم وذكر أنهم يتصيدون ما صغر منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحمها وتعود شحماً مذاًباً ، وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن في عدن وغيرها . . . وهو عمدتهم في سد خروق المراكب » دار الكتب المصرية جغرافيا رقم ١٥٠ ص ١٥٤ ، والزيادة ما بين المعقنين عن نسخة أخرى رقم ٢٦٣

واليك قول لبيد العاصري شاهداً على اشتهار الهند بالبراعة في هذه الصناعة يقول لبيد في تشبيه الناقة .

كسفينة الهندي طابَقَ دَرَعُها بِسَقَائِفِ مشبوحةٍ ودِهَانِ

انظر الديوان (الخالدي ، فينا ١٨٨٠) ص ٦٥

(ك) الداڨى — نوع من الخمر كان العرب يستوردونه من الهند (أنظر ابن خرداذبه ص ٧١) يقول عنه سليمان التاجر : « شراب النارجيل وهو شراب أبيض ، فإذا شرب ساعة يؤخذ من النارجيل فهو حلو مثل العسل ، فإذا ترك ساعة صار شراباً ، وإن بقي أياماً صار خلا » ، سلسلة التوازيح (ص ١٨) . أصل كلمة الداڨى هو (TARI) بالهندية وهى بالإنجليزية (Teddy) .

(ا) الشَم — أى الشرارة أصله (Jhala/Jhilli) قارن (Chilam) بالأردية كما أن الجبل أى الخشبة التى يحرك بها البحر هو بالأصل (Shala) قارن (Jhal) بالأردية بمعنى التحريك .

(ب) السَبة أى الدهر . هذه الكلمة هى فى الواقع دليل على معرفة العرب بالتقويم الهندي فأن (Samvat) إنما تعنى « السنة » ولا شك أن العلاقات التجارية ، قبل الاطلاع على علم الحساب عند الهنود ، هى التى أدت العرب إلى تلك المعرفة كما كانوا يقولون « فلان يسّر بأرض الهند

أى شتا هنالك » (المسعودى : مروج الذهب ١/ ٣٢٧) من « اليسارة
التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها المطرفانه يدوم عليهم فى الصيف ثلثة أشهر
تباعاً » (أبو زيد السيرافى فى سلسلة التواريخ ص ١٢٦) .

وأخيراً لا أجد ما أختتم به هذا المقال أحسن من أبيات لأبى الضلع
[كذا فى المعجم للمرزبانى ٥١٣ وفى الفهرست ١٧٤] « أبو الصلح » [السندى
أحد الشعراء من الموالى ، فى مدح الهند ، كنت قد قرأتها منذ سنوات عديدة
ولكن لم أذوقها وأتبن حقيقتها إلا بعد ما قمت بهذا البحث . وهى :

لقد أنكر أصحابي ، وما ذلك بالأمثل
إذا ما مدح الهندُ وسهمُ الهندِ فى المقتل
لعمري إنها أرضٌ إذا القَطَرُ بها ينزلُ
يصير الدرُّ والياقوتَ والدرُّ لمن يعطل
فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
وأصناف من الطيب ليستعمل من يتغل
وأَنواع الأفاويه وجوز الطيب والسُّنبل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وأن التوتيا فيها كمثل الجبل الأطول
ومنها ألبير والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكرك والبنفاء والطاءوس والجوزل
ومنها شجر الرانج والساسم والغفل
سيوفٌ مالهـا مثلٌ قد استغنت عن الصيقل
وأرماعٌ إذا ما هُزَّتْ اهتَزَّ بها المجفل
فهل ينكر هذا الفضل إلا الرجل الأخطل ؟

[الآثار للزوينى ص ٨٥ وانظر الحيوان ٧/ ٥٠] .

سكان مديرية البحيرة في خمسين عاما

(١٨٩٧ - ١٩٤٧)

القسم الأول

بقلم

الدكتور محمد محمود الصبيح

مديرية البحيرة

تحتل مديرية البحيرة الجزء الغربى من دلتا النيل وتبلغ مساحتها ٦٩,١٤٢,٠٦٩ فداناً يزرع منها ٨٣٠,٦٦٥ فداناً وبما تبقى وقدره ٤٧٦,٢٣٩ فداناً فن أراضي البور أو أراضي البحيرات . ولعل البحيرة هى المديرية الوحيدة فى الوجه البحرى التى لم تتغير حدودها كثيراً على مر العصور اللهم إلا حدها الشرقى الذى كان يتسع فى فترات محدودة فيشمل أراضي فى شرق فرع رشيد ثم لا يلبث أن يتركها لتنضم الى قسم آخر . ولكن كثيراً ما تغيرت الأقسام الفرعية للمديرية بإنشاء بعض المراكز الجديدة أو بفصل بعض النواحي من مركز وضمها إلى آخر ، أو بإلغاء بعض النواحي الغاء تاماً ، أو بفصل بعض النواحي لتنشأ منها نواحي مستقلة . وهذا صعوبة من الصعوبات التى تعترض الدراسة الديموجرافية المقارنة .

وتنقسم المديرية ادارياً الى عشرة مراكز ريفية هى : أبو حمص وأبو المطاير وإيتاى البارود والدلتجات ودمهور ورشيد وشبراخيت وكفر الدوار وكوم حمادة والمحمودية . ثم بندر دمنهور . وتعتبر مدينة دمنهور العاصمة الحالية للمديرية (٨٤,٩٨٣ نفساً) من أحسن العواصم

الأقليمية نوسطاً لأقليمياً حتى أننا لو اتخذناها من كزياً لدائرة نرسمها فان محيطها يمر بأطراف المديرية جميعاً . وهذا يفسر لماذا عاشت دمنهور منذ زمن بعيد عاصمة تبجيرة .

والبجيرة مديرية لها شخصيتها الجغرافية المستقلة فهي فضلاً عما تمتاز به من حدود ادازية تقوم على أسس جغرافية سليمة : لها من مظاهر السطح والتربة والمناخ : ومن تطور العمران الزراعى ووسائله وأساليبه ما يميزها بدرجات متفاوتة عن غيرها من مديريات الوجه البحرى الأخرى . كما أنها مديرية متنوعة في كثير من مظاهرها الجغرافية ومقومات الحياة البشرية فيها . وهى فى هذا تختلف عن مديرية كالنوفية مثلاً يظهر الانسجام العام بين جميع جهاتها .

ولقد تناولنا فى جزء الدراسة بعض النواحي الديموجرافية لتلك المديرية آخذين بأصيق معانى كلمة ديموجرافية (Demography) ، فاقصرنا على دراسة السكان من حيث نموهم وكثافتهم وتوزيعهم دون التعرض للنواحي الجنسية أو الاجتماعية أو غيرها من النواحي التى يمكن أن تدخل ضمن الدراسة الديموجرافية . أى أنها دراسة لسكان مديرية البجيرة من ناحية الكم لا من ناحية الكيف .

وسوف يلاحظ فى بعض نواحي الدراسة المقارنة أنها تنتهى عند تعداد سنة ١٩٣٧ ، وسبب ذلك أن مصلحة الاحصاء والتعداد لم تفرغ حتى الآن من إعداد كثير من الكشوف النهائية لتعداد سنة ١٩٤٧ ولكن هذا لم يؤثر فى دراستنا لحسن الحظ الا بقدر ضئيل .

هذا ويسرني أن أقدم بخالص الشكر إلى صديق الأستاذ الدكتور عباس عمار مدير عام مصلحة التلاح بوزارة الشؤون الاجتماعية على توجيهاته القيمة وآرائه السديدة التى اذنت منها كثيراً فى كتابة هذا البحث . كما أشكر الذين عاونوني فى جمع الأرقام والبيانات من الأصدقاء والطلاب .

مصادر البحث

تعتمد ابداسة الديموجرافية في مصر على مجموعتين من المصادر هما :

١ — تعدادات السكان التي تجريها مصلحة الاحصاء والتعداد مرة كل عشر سنوات .

٢ — الاحصائيات الصحية المختلفة .

ولابد لنا قبل أن نبدأ دراستنا أن نقناول هذه المصادر بالنقد والتحليل حتى نستطيع أن نفرق بين الأرقام التي هي نتيجة إحصاء دقيق وبين تلك التي تقوم على التخمين والتقدير .

المعارات

عملت بعض محاولات لتقدير سكان مصر الحديثة أثناء الحملة الفرنسية وفي عهد محمد علي كان أولها محاولة « جومار » أحد علماء البعثة التي رافقت نابليون إلى مصر ^(١) ، غير أن هذه التقديرات كانت قائمة على أساس كشوف الممولين كما حدث في سنة ١٨٢١ ، أو على أساس تعداد المساكن كما حدث في سنة ١٨٤٦ ^(٢) ؛ ولم يكن هناك تعداد بالمعنى العلمى الصحيح لهذه الكلمة .

هذه التقديرات والتعدادات ليس من السهل الحصول على تفصيلاتها الخاصة بالمديريات المختلفة ، وليس لدينا أرقام مفصلة عن مديرية البحيرة قبل سنة ١٨٨٢ ، ففي تلك السنة عد السكان لأول مرة في يوم واحد معلوم ثم أجرى التعداد التالى في سنة ١٨٩٧ ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح التعداد يعمل بدقة ونظام مرة في كل عشر سنوات (١٩٠٧ — ١٧ — ٢٧ — ٣٧ — ٤٧) ؛ ولكننا مع الأسف مضطرون إلى الاعتماد على التعدادات السنة الأخيرة

(١) محمد عوض محمد (١٩٣٦) راجع في هذا الكتاب شرح الطريقة التي اتبناها جومار في تقديره لسكان مصر . ص ٢٧ — ٢٧٧

(٢) الاحصاء السنوى العام لسنة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ ص ١١

دون الأول الذى يجب إعتباره من التقديرات القديمة لا من التعدادات الحديثة المنظمة حيث لا يمكن الأخذ بأرقامه كحقيقة ثابتة ^(١) ، لأسباب كثيرة منها : أنه لم يعمل على أساس علمى منظم كالتعدادات الأخرى التى تلتها ، ثم إنه أجرى فى وقت انتشرت فيه الفوضى واختل النظام ، فقد أجرى فى ٣ مايو سنة ١٨٨٢ ، والثورة العرابية فى عنفوانها ، وإلى هذا يشير المستر « س . لويس » مدير تعداد سنة ١٩٠٧ بقوله : « وربما لا يكون فى الثلاثين سنة الغارة سنة واحدة كانت أحوالها أقل ملائمة لاقامة تعداد مثل تلك السنة . . . ولا مشاحة فى أنه لو جاء تعداد سنة ١٨٨٢ على ما كان فى عهده من الانقلاب والاضطراب لتعدداً يصح الاستناد عليه لكان للأمر عجب عجيب ^(٢) » .

كذلك لم يطمئن الأهالى الى التعداد خوفاً من أن يكون وسيلة للتعذيب . ولذلك وجدت الحكومة كثيراً من الصعوبات واضطرت الى إتخاذ وسائل متعددة من الترغيب والترهيب فى سبيل إجرائه ^(٣) . وليس هذا فقط هو الذى يخول بيننا وبين الاعتماد على أرقام سنة ١٨٨٢ فى هذه الدراسة بل هناك أمر آخر وهو أن كثيراً من جداول ذلك التعداد لم تطبع . فقد جمعت المعلومات ونظمت فى جداول وذكر فى مقدمة الجزء الأول منه أنها ستظهر فى الجزء الثالث ، ولكن الجزء الثالث لم ينشر ، ويذكر الدكتور كليلا ند أنه « بالسؤال عنه فى مصلحة الإحصاء قيل أنه لم يطبع . . . ولما سألت : هل من الممكن الحصول على المعلومات الخاصة به ؟ قيل إنها ليست فى المصلحة ولكن من المحتمل (!) أن تكون مدفونة فى القلعة ^(٤) » .

(١) السيد صبرى (١٩٣٥) ص ٢

(٢) ته ١٥ سكان القطر المصرى سنة ١٩٠٧ ص ٢٣

(٣) أ. ينشى ، ف (١٨٨٤) راجع ص ٨٧ وما بعدها .

(٤) كليلا ند (١٩٣٦) ص ٩

من كل هذا يتضح أن أرقام تعداد سنة ١٨٨٢ لا يمكن الارتكان عليها في الدراسة المقارنة ولا بد من الاكتفاء بالتعدادات الستة الأخرى فهل سادت هذه التعدادات من عيوب ؟ أواقع لا . . . فالطريقة التي اتبعت في عملها ، والأسلوب الذى سير عليه في تنفيذها ، والوقت الذى أختير لها ، كل أولئك لم يخل من نقص يؤدي دون شك إلى نوع من عدم الدقة في النتائج التي يحصل عليها .

أما عن الطريقة التي عملت وما زالت تعمل التعدادات بها في مصر فهي طريقة De Facto (La Population de Fait) أى طريقة الحالة الراهنة ، وهى ما تثبت حالة السكان يوم التعداد حين وحال عدم ، أى أن هذه الطريقة لا تعرف منها عن محال الإقامة إلا المحال التي وجد بها السكان ليلة التعداد . وهى بهذا تختلف عن طريقة De Jure (La population de Droit) أى طريقة الحالة الثابتة التي توزع السكان بحسب محلات إقامتهم العادية وبذلك يمكن معرفة حالة الهجرة الحقيقية بمقارنة محال الميلاد بمحال الإقامة العادية .

والطريقة الأولى غير مرضية في تحليل نواحى كثيرة مما يشمل التعداد^(١) . خصوصاً في منطقة كديرية البحيرة تتطور الآن في كل نواحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتشهد حركة عمرانية عظيمة قوامها إصلاح الأراضي البور فيها ، ولهذا كان من الضروري معرفة اتجاهات موجات الهجرة الآتية اليها ، وهذا لا يمكن الوقوف عليه بدقة إلا إذا عمل التعداد بطريقة (De Jure) غير أن البعض يرى صعوبة ذلك نظراً لوجوب القيام بعملية إرجاع السكان إلى محال إقامتهم العادية وهى عملية كبيرة من جهة ويتخللها كثير من الصعوبات من جهة أخرى ، فتعريف محل الإقامة العادى ليس من السهل بحيث يتصور الانسان لأول وهلة ، ثم أن هناك حالات يكون للشخص فيها محلان للإقامة العادية

(١) نيوزهولم (١٩٢٣) ص ٢٩ — ٣٠

كأن يقيم صيفاً في جهة وشتاء في جهة أخرى^(١). ولكن هذه الصعوبات ليست من القوة بحيث لا يمكن التغلب عليها في جهات القطر المصري جميعا .

أما الأسلوب الذي سير عليه في تنفيذ التعداد فأعم عيوبه انعدام سلسلة الاتصال بين التعدادات المختلفة ، الأمر الذي يجعل من الصعب بل وأحيانا من المستحيل القيام بدراسة مقارنة ذات قيمة لبعض المظاهر الاجتماعية الرئسية ، فمثلا مساحة الأحياء المنسكة أو المؤجرة وطريقة استغلال الأراضي لم تظهر إلا في تعداد سنة ١٩١٧ وحده . ولذا فلا يمكن إطلافا دراسة تطور الملكية بناء على هذه التعدادات ، كذلك لم يظهر عدد الغرف المسكونة إلا في تعدادي ١٩١٧ ، ١٩٣٧ مما يجعل من المحال دراسة نظام السكنى وازدهام السكان في منازلهم^(٢) . ولم تظهر الجداول التفصيلية للعربان إلا في تعداد سنة ١٨٩٧ ، ثم اختفت في التعدادات التالية ، وعلى هذا الأساس لا يمكن القيام بدراسة مقارنة إلا في النواحي التي ظهرت في التعدادات جميعا وهي : العدد والنوع ، والعمارة والتبعية ، والديانة والحالة العائلية والحرق والصنائع .

يضاف الى هذا أنه قبل تعداد سنة ١٩١٧ كانت كشوف التعداد عبارة عن كشوف فردية^(٣) . ومعنى هذا إهمال كل التفاصيل الخاصة بالعائلة وتكوينها^(٤) ، ثم أن كشوف التعداد تقسمها لم تفل من تمحوض في الاصطلاحات المستعملة فيها مما يؤدي إلى الالتباس في كثير من الأحيان خصوصا وأن الجزء الأكبر من السكان من غير المتعلمين ويجب ألا تغفل حاجتهم الى أسئلة مباشرة سهلة ، كما يجب أن نذكر من ناحية أخرى أن عملية التعداد في مصر تقوم بها عدد

(١) صبرى (١٩٣٥) ص ٥٣

(٢) كيلاند (١٩٣٦) ص ١١ — ١٢ وعمار ، (١٩٤٢) ص ٤

(٣) تعداد سكان القطر المصري لسنة ١٩١٧ ج ٢ ص ١٣

(٤) كان ف . أمثني بك قد فصّل باستمهال كشف الدائمة سنة ١٨٨٢ ؛ والسكن

لم يهتم بهذه الصيغة استسهالا للطريقة الفردية . راجع أمثني (١٨٨٤) ص ٨٨

من أشباه الأميين الذين يقعون بسهولة في أخطاء شنيعة إذا لم تكن الكشوف المطبوعة واضحة .

أما فيما يختص باختيار الوقت المناسب للتعداد « فمن الضروري أن يقع يوم التعداد في الوقت الذي يكون فيه السكان على حالتهم الطبيعية ، فلا يقع خلال مدة تكون المهاجرة من البلاد أو إليها أقل أو أكثر من المتوسط بسبب الظروف العادية زراعية كانت أو تجارية أو دينية أو خاصة بالسائحون » . وفي كثير من الحالات اتبعت هذه القاعدة . ولكن في الحالات الأخرى كان الوقت المختار أقل الأوقات صلاحية لمثل هذه العملية ، فتعداد ١٨٨٢ مثلا عمل في وقت كانت فيه البلاد مضطربة اضطرابا شاملا ولذا فلا يمكن اعتبار نتائجه صادقة ويؤكد يونانيه بك Bonnet Bey المدير المسئول عن هذا التعداد أن الأهل لم يظهروا عداء نحو هذه العملية بل بالعكس رحبوا بها ولكن من الصعب أن نقبل هذه العبارة وقد كان الوقت غير ملائم لإطالات هذه العملية . في السنة السابقة للتعداد قامت الثورة العراقية وفي يناير سنة ١٨٨٢ قدمت بريطانيا وفرنسا مذكرتيها المشهورة إلى الخديو ، ولم يأت شهر يولي من تلك السنة حتى ضربت الاسكندرية ثم كانت موقعة النيل الكبير في شهر سبتمبر .

كذلك تعداد سنة ١٩١٧ أجرى في أيام الحرب الكبرى الأولى . وقد عارض كثير من في عمل ذلك التعداد ^(٢) إذ أن عدداً غير قليل من السكان كان يعمل لحساب السلطة العسكرية في خارج البلاد . ومهما يكن من البواعث القوية التي دفعت إلى إجراء ذلك التعداد في حينه ^(٣) فإن نتائجه قابلة للشك .

ويمكن أن نضيف إلى الملاحظات السابقة تذييل الذي يجري فيه التعداد من واحد إلى آخر فاختلاف التاريخ الهجري عن الميلادي وضرورة تحويل عمل التعداد في شهر رمضان أو في أيام الأعياد يجعل من العسير إجراء التعداد

(١) راجع تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ ص ١٢ ، صدى (١٩٣٥) ص ٥١

(٢) تعداد سنة ١٩١٧ ج ١ ص ١٠

(٣) راجع كرنج في مجلة مصر الناصرة ج ٨ ص ٢٢٩ — ٢٣٤

في يوم معين ، فمثلا كان يجب أن يجري تعداد سنة ١٩٢٧ في يوم ٧ مارس . ولكن كما جاء في المذكرة التفسيرية لذلك التعداد : « نظراً لوقوع غرة رمضان المبارك في اليوم الخامس من ذلك الشهر — مارس — وتعذر إجراء عملية التعداد أثناء شهر الصوم كان من المحتم ترتيب مواعيد عمليات التعداد بحيث تنهى جميع الاجراءات اللازمة حتى وصول كشوف التعداد المصلحة قبل اليوم المذكور ^(١) » .

وهناك ناحية تقص ليس التعداد نفسه مسؤولاً عنهما : احدهما عامة في القطر المصري والأخرى خاصة بمديرية البحيرة . أما الناحية العامة فهي أن أنتشار الجهل في مصر يجعل الناس ينظرون الى عملية التعداد بشيء كثير من الحذر والشك فتضطرب أرقام العداد نتيجة لموقفهم هذا ، ويعترف تعداد سنة ١٩١٧ بهذه الحقيقة فيشير الى أنه : « لا يزال القلاح المصري والطبقة العاملة من سكان المدن ينظرون الى عمليات التعداد بعين الشك والريبة . وقد وقع هذا أيضاً في أغلب البلاد الأخرى إلا أنه أقل ممّا في مصر » . لأنهم لا ينظرون الى فائدة التعداد إلا من جهة واحدة فقط ، ألا وهي منفعتهم للحكومة في أغراضها المالية والحربية والإدارية . وهم يغفلون الارتباط بين المصلحتين العامة والخاصة ويجهلون ضرورة تزويد الحكومة بالبيانات الصحيحة ^(٢) » .

أما الناحية الخاصة بمديرية البحيرة فهي أن المديرية وأن تكن حدودها الإدارية لم تتغير في العصر الحديث إلا أن حدود مراكزها دخل عليها التعديل الكثير حتى أن المراكز يختلف عددها بالزيادة أو بالنقص في كل تعداد عنه في الآخر .

ويكفي القاء نظرة على الجدول العاشر من الجزء الأول من تعداد سنة ١٩٣٧ ^(٣) حتى نرى ذلك التطور العظيم الذي طرأ على التقسيم الإداري

(١) تعداد سنة ١٩٢٧ ج ١ المقدمة .

(٢) تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ ص ١٢

(٣) تعداد سنة ١٩٣٧ ص ٤٧

للمديرية وهذا يجعل الدراسة الديموجرافية التفصيلية المقارنة مستحيلة اللهم إلا في مختص بدراسة الكثافة والنمو بصفة عامة إذ وضعت مصلحة الإحصاء جداول للمقارنة كالجداول السابع^(١) من تعداد سنة ١٩٣٧ انخاص بالمساحة الخالية لكل مركز وتزاحه بالسكان وعدد المساكن المأهولة في الستة تعدادات الأخيرة (١٨٨٢ — ١٩٣٧) حسب حدود هذه المساحة . وكالجداول التاسع^(٢) انخاص بجملة عدد السكان في كل مركز في الستة تعدادات حسب حدوده الخالية ، مع بيان الزيادة أو النقص ونسبتها ولولا هذا الجدول لأصبح من الصعب علينا أن ندرس تطور نمو السكان وتطور كثافتهم في مراكز المديرية المختلفة .

هذه هي أهم نواحي النقد التي يمكن أن توجه الى التعدادات ، المصدر الاول للدراسة الديموجرافية . ولقد تقدمت التعدادات في مصر فعلا منذ سنة ١٨٨٢ فاستخدمت الآلات الحديثة منذ سنة ١٩١٧ مما أدى الى تقليل الأخطاء كثيراً . كذلك ازدادت العناية باختيار القائمين بعملية التعداد وبمراجعة أعمالهم ولكن هذا التقدم في حد ذاته قد يكون مصدراً لعدم الدقة في الدراسة المقارنة . واختبار درجة صحة التعداد أمر صعب لعدم وجود مستوى ثابت نستطيع أن نقارن بينه وبين نتائج التعداد . وقد لا نثق بالتعداد أحياناً لتناقص نتائجها المختلفة أو للتباين الواسع بين أرقامه وأرقام التعدادات السابقة له أو للاحتمال به ولكن عندما تفكر في تقدير درجة صحة التعداد يصبح من المستحيل وضع تقدير ثابت يمكن من ضبط النتائج التي نحصل عليها في المراحل المختلفة .

الاهم ملاحظات المهمة

والمصدر الآخر للدراسة الديموجرافية لمديرية البحيرة هو احصائيات المواليد والوفيات والزواج الواردة في :

١ — النشرات السنوية عن المواليد والوفيات والأمراض المعدية

التي تصدرها مصلحة الإحصاء والتعداد منذ سنة ١٩١٤

(١) المصدر السابق ص ٢٣ — ٢٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٦ — ٣٧

٢ — الاحصائيات الصحية التي تصدرها وزارة الصحة سنوياً .

٣ — التقديرات السنوية لوزارة الصحة .

هذه الاحصائيات تتساوى مع التعدادات في عدم الدقة وذلك لأنها تعتمد على التسجيل المستمر، ومن ثم فتمتعدها صحتها في المكان الأول على تمام ذلك التسجيل واستمراره . ولأسباب واضحة نجد أن نشرات الزواج أكثر صحة من نشرات المواليد والوفيات، إذ أن الزواج في مصر لا يعتبر شريعياً ولا قانونياً إلا بالتسجيل .

أما تسجيل المواليد فعلي العكس، بعيد جداً عن أن يؤخذ به ولا يستطيع من سجلاته الحصول على نسبة صحيحة لعدد المواليد^(١) فزعم التقدم العظيم الذي أدخل على تسجيل المواليد فما زال أمر التسجيل موكولاً في المناطق التي تخلو من مكاتب الصحة إلى «الدايات» وحلاق الصحة والمبارف وكل هؤلاء ليس لديهم الخبرة الكافية ولا الدقة اللازمة لمثل هذه الأمور^(٢) . يضاف إلى هذا إهمال الأهالي من جهة واتخاذهم عدم تسجيل مواليدهم وسيلة للهرب من الخدمة العسكرية أو التخلص من دفع بلاغاً من جهة أخرى . ثم هناك عامل آخر يجب أن ندخله في حسابنا وهو وجود العرب بكثرة في مديرية البحيرة وهم أكثر الناس عداوة لتسجيل المواليد^(٣) .

حقاً أن التسجيل الاجباري للمواليد والوفيات بدأ في سنة ١٩١٢ ولكن العوامل التي ذكرناها وخاصة العامل الأول جعلت احصائيات المواليد غير دقيقة حتى لقد قرر أحد كبار الموظفين في سنة ١٩٣٣ أن نحو ١٠ ٪ على الأقل من المواليد لا يقيمون في السجلات^(٤) . وبظن هذا واضحاً من مقارنة المواليد في المراكز الحضرية حيث توجد مكاتب الصحة ورجالها

(١) راجع فقد تسجيل المواليد في : كمال . ص ٣ — هـ

(٢) كيلاند (١٩٣٦) ص ٢١

(٣) استقال مشيخ عرب المنادى في مديرية الشرقية احتجاجاً على جعل التسجيل

إجبارياً . راجع عمار (١٩٤٢) ص ٦

(٤) كيلاند (١٩٣٦) ص ٢٣

المسؤولين بالمواليد في المناطق الريفية المحيطة بها حيث يترك الأمر للديات والصيارف . فبدلاً من أن نجد معدل المواليد في الريف للتجانس السكان أكثر منه في المدن أو على الأقل لا يقل عنه في المدن نجد أن العكس هو الواقع فعلاً فإحصائية المواليد في مديرية البحيرة سنة ١٩٣٠ تبين أن معدل المواليد في الجهات التي بها مكاتب صحة ٤٦,٢ في الألف في حين أن معدلهم في المناطق الريفية المجاورة هو ٣٥,٥ في الألف ،

ولكن لنفرض أن الحالة الراهنة للتسجيل تعطى أساساً يعتمد عليه إلى حد ما في الدراسة الديموغرافية فهل إحصائيات المطبوعة التي في متناول أيديتنا تعطى بشكلها الحالي صورة واضحة لقوة الإنتاج الجنسي عند سكان مديرية البحيرة ؟ الجواب على ذلك لا (١) إذ أن هذه السجلات تعفل عمر الأمهات عند الوضع وهو أمر ضروري لمعرفة درجة خصوبة المجتمع وقوته الحيوية ، ولا أرى في الواقع سبباً وجيهاً لهذا الإغفال ما دام السن يسجل في التعدادات وفي إحصائيات الزواج والطلاق . يجب أن نلاحظ أيضاً أن إحصائيات الوفيات المسجلة في المديرية (٢) أما فيما يخص التسجيل الوفيات فالمعتقد أنه أكثر دقة من تسجيل المواليد . ولذا نرى بعض المسؤولين أن أكثر من ١٠٪ من الوفيات مسجلة الآن (٣) . إذ أصبح الدفن — بمقتضى دكرته رقم ٢٣ الصادر في ١١ أغسطس سنة ١٩١٢ — غير جائز إلا بتصريح رسمي يحصل عليه قبل عملية الدفن نفسها . ولا يستثنى من هذا إلا وفيات الأطفال في الجهات النائية غير أنه مع هذا لا تزال عملية الدفن سرّاً موجودة في الريف (٤) . وبخاصة في العزب الصغيرة النائية وما أكثرها في مديرية البحيرة .

وتظهر عدم الدقة أيضاً في تسجيل الوفيات بمقارنة معدل الوفيات في منطقة ريفية بمعدلها في مركز حضري . مثل هذه المقارنة تظهر أن نسبة

(١) راجع في هذا بالتفصيل : عمار (١٩٢٢) ص ٦ ، ص ١٧

(٢) كيلاند (١٩٣٦) ص ٢٥

(٣) صبرى (١٩٣٥) ص ٤

الوفيات في المنطقة الأولى أقل منها في الأخرى مع أن الوفيات في القرى المصرية دون شك أكثر منها في المدن نظراً للأحوال الصحية السيئة التي عليها الزيف المصرى ولجلب الفلاح بالقواعد الصحية . ولذا فمن الغريب أن يكون معدل الوفيات في مديرية البحيرة في سنة ١٩٣٠ في المناطق الريفية ١٦٩ في الألف بينما يصل في المراكز الحضرية إلى ٢٦٣ في الألف . ولا يمكن تعليل هذه الظاهرة إلا بأن تسجيل الوفيات في المراكز الحضرية أكثر دقة لوجود مكاتب الصحة التي تعنى بأمور التسجيل .

ويظهر النقص في تسجيل الوفيات من مقارنة زيادة السكان في تعدادين متتاليين بالزيادة الطبيعية (أى بالفرق بين المواليد والوفيات) في نفس الفترة ، إذ يظهر لنا أن رقم زيادة السكان بين التعدادين أقل من الزيادة الطبيعية في حين يجب أن يكون العكس . فمثلاً زاد سكان مديرية البحيرة في تعداد سنة ١٩٣٧ عن سكانها في تعداد سنة ١٩٢٧ بنحو ٩٠ في الألف بينما كانت الزيادة الطبيعية في نفس المدة ١٣٧ في الألف ، ولما كان من الملاحظ أن المديرية تكسب دائماً من حركة تبادل السكان^(١) فإن الفرق بين رقمي التعداد والزيادة الطبيعية يبعث على الشك في دقة الاحصائيات^(٢) . ويميل رجال الاحصاء الى الاعتقاد في أن هذا الفرق يرجع الى عدم الدقة في التبليغ عن الوفيات^(٣) .

من هذا العرض لمصادر مادتنا يظهر لنا أن من الصعب الخروج بنتائج نهائية صحيحة إذ أن الكثير من نواحي الدراسة الديموجرافية لا يمكن تحليله عن طريق هذه المصادر ، ولهذا سنكتفي بدراسة النواحي التي يمكن أن نوفيها حقها عن طريق المعلومات التي بين أيدينا .

(١) راجع الجدول الثامن الخامس بحركة تبادل السكان في مديرية البحيرة ص ١١٤
(٢) في الفترة بين ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ كان الفرق بين رقمي التعدادين ٨١,٦٣١ نفساً بينما كان الفرق بين عدد المواليد والوفيات أى الزيادة الطبيعية في نفس الفترة ١٣٥,٤٩٤ نفساً أى زيادة ٥٠,٨٦٣ نفساً أو نحو ٦٠ ٪ .
(٣) صبرى (١٩٣٥) ص ٤

(٢)

نمو السكان في مديرية البحيرة

تطور عدد السكان في مديرية البحيرة

إن أقدم تقدير يمكن الحصول عليه لسكان البحيرة هو تقدير سنة ١٨٤٦ الذي أجري على أساس تعداد المساكن وتظهر أرقامه أن عدد سكان المديرية كان ١٩١,٦٦٥ نفسا^(١) وفي النتيجة الأولية لتعداد سنة ١٩٤٧ بلغت جملة سكان البحيرة ١,٢٤٥,٦٤٣ نفسا^(٢)، ومعنى هذا أنه في مدى قرن واحد زاد عدد السكان بمقدار ١,٠٥٣,٩٧٨ نفسا أي نحو ٥٥٠٪ (٥٠٪ في السنة) وبين الجدول الأول الذي وضع على أساسه الرسم البياني رقم ١ جملة عدد السكان في كل تقدير أو تعداد في هذه المدة (١٨٤٦ — ١٩٤٧) مع بيان الزيادة ونسبتها ، تلك الزيادة التي يجب أن نبحث عن أسبابها في الهجرة من ناحية وفي الزيادة الطبيعية من ناحية أخرى .

أما الهجرة فهجرتان : خارجية وداخلية ونعني بالأولى مواليد خارج القطر الذين عدوا بداخله ، وبالأخرى المولودين بالقطر وعدوا في حدوده . ومن الواضح أن الهجرة الخارجية ليست العامل الاساسي في نمو سكان مديرية البحيرة ، إذ أن عدد الاجانب في المديرية قليل جداً بالنسبة لجموع سكانها ، وزيادة هؤلاء الاجانب محدودة للغاية ، ويوضح هذه الحقيقة الجدول الثاني الذي بين عدد الاجانب ونسبتهم الى جملة السكان في المديرية .

ومما تجدر ملاحظته في هذا الجدول اضطراب الزيادة في عدد هذه العناصر في نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين . إذا كانت الظروف السائدة حينذاك تساعد على زيادة النشاط الاوربي واستخدام رءوس الاموال

(١) أمتى ، ف (١٨٨٤) ج ١ ص ٧

(٢) الاحماء السنوي لجيب سنة ١٩٤٧ جدول ٣ ص ٥

الجدول الأول

جملة عدد السكان في مديرية البحيرة في التعدادات المختلفة بين (١٨٤٦—١٩٤٧)^(١)
مع بيان زيادتهم ونسبة الزيادة

ملاحظات	الزيادة		عدد السكان	تاريخ التعداد
	النسبة	الرقم الحقيقي		
	٪ بنوياً			
أرقام مشكوك فيها	—	—	١٩١,٦٦٥	١٦ ديسمبر ١٨٤٦
(تقدير وليس بتعداد)	٠,٦ تقريباً	٢٩,٨٩١	٢١١,٥٥٦	١١ مارس ١٨٧٢
أرقام مشكوك فيها	٧,٨ »	١٧٣,١٥٦	٣٩٤,٧١٢	٣ مايو ١٨٨٢
	٤,٠	٢٣٤,١٧٢	٦٢٨,٨٨٤	١ يونيو ١٨٩٧
	٢,٢	١٣٦ ٢٠٣	٧٦٥,٠٨٧	٢٩ أبريل ١٩٠٧
	١,٧	١٣٧,١٥٩	٨١٢,٢٤٦	٧ مارس ١٩١٧
	٠,٩	٨٤,٧١٩	٩٧٦,٩٦٥	١٩ فبراير ١٩٢٧
	٠,٩	٨٤,٦٣١	١,٠٦١,٥٩٦	٢٧ مارس ١٩٣٧
	١,٧	١٨٤,٠٤٧	١,٢٤٥,٦٤٣	٢٧ مارس ١٩٤٧

الأجنبية والسكن بعد سنة ١٩٠٧ أخذ عدد الأجانب في التناقص لعاملين هما :
ضعف النشاط الاقتصادي أولاً ، ثم تفضيل عدد كبير من العثمانيين التجنس
بالجنسية المصرية ثانياً ، ولذا فقد انخفض عدد العثمانيين من ٣,٤٠٩ نفساً
في سنة ١٩٠٧ الى ٢٨٦ نفساً في سنة ١٩١٧ . ولم تكن هذه الظاهرة ، ظاهرة
تقص عدد الاجانب خاصة بمديرية البحيرة بل كانت ظاهرة عامة في مصر
كلها . ولكنها كانت أكثر ظهوراً في البحيرة عنها في المديرية الاخرى .

(١) عدد سكان ١٨٤٦ و ١٨٧٢ نقل عن أمثى ج ١ ص ٧—٨ ولكن مبدل
الزيادة لسنة ١٨٧٢ و ١٨٨٢ فن حساب الباحث . . . أما بقية الأرقام فن كتاب
تعداد سكان القطر المصري لسنة ١٩٣٧ ج ٢ ص ٣٦ ما عدا أرقام سنة ١٩٤٧ فن
الاحصاء السنوي للجب سنة ١٩٤٧ ص ٥

الجدول الثاني

عدد الأجانب في مديرية البحيرة في التعدادات المختلفة

بين (١٨٨٢ — ١٩٣٧) ^(١)

تاريخ التعداد	عدد الأجانب	٪ من مجموع السكان	الزيادة أو النقص		ملاحظات
			الرقم الحقيقي	٪ من مجموع عدد	
١٨٨٢	١,٧٠٤	٠,٤٣			تعداد ٨٢ س (ي — ك)
١٨٩٧	٢,٢٥٥	٠,٥٠			٩٧ ج ١ س ٥٥
١٩٠٧	١٣,٨٧٢	١,٨٠			عدد الثمانين ٣٤٠٩
١٩١٧	٢,٠٩١	٠,٢٣	١١,٧٨٠ —	٨٤,٩ —	٢٨٦ د د
١٩٢٧	٢,٧٧٠	٠,٢٨	٦٧٩ +	٣٢,٥ +	
١٩٣٧	١,٥٣٩	٠,١٤	١٣٣١ —	٤٤,٤ —	

وهذا يرجع الى صعوبة استيطان الأجانب فيها نظراً لموقعها المتطرف مما يجعل الامن في نواحيها أقل استقباباً منه في المديرية الأخرى.

أما فيما يختص بالهجرة الداخلية فلا يمكن ان تقطع برأى في مدى تأثيرها على نمو السكان في المديرية حيث لا توجد احصائيات عنها قبل سنة ١٩٠٧ وليس من شك في أن مجال أصلخ الأراضي البور في الجزء الأكبر من المديرية كجهات أبو المطامير وكفر الدوار ورشيد اجتذاب كثيراً من العائلات من جهات القطر الأخرى المزدهرة بسكانها، كما يدل ذلك الجدول الثالث وان كان يظهر أن العدد الأكبر من المهاجرين إنما جاء من المراكز الأكثر

(١) عدد الأجانب لسنة ١٩١٧ من كتاب تعداد القطر المصري لسنة ١٩١٧ ج ٢ س ٤٩٩ ، وعدد سنة ١٩٢٧ من كتاب التعداد لسنة ١٩٢٧ ج ١ س ٢٨ ، وعدد في سنة ١٩٣٧ من كتاب التعداد لسنة ١٩٣٧ ج ٢ س ٢٢١
أما عدد الأجانب في سنة ١٩٠٧ فن حساب الباحث (تعداد سنة ١٩٠٧ جدول ١٧ س ١٦٣) وكذلك بقية الأرقام.

الجدول الثالث

حركة تبادل السكان في مديرية البحيرة (١٩١٧ - ١٩٣٧) ^(١)

سنة التعداد	المتنقلون إلى المديرية Immigrants	المتنقلون من المديرية Emigrants	صافي الربح أو الخسارة
١٩١٧	٧٠,٠٧٧	٤٠,٣٣٥	+ ٢٩,٧٤٢
١٩٢٧	٦١,٥٧٠	٣٨,٩٧٠	+ ٢٢,٦٠٠
١٩٢٧	٦٣,٠٥٢	٥٠,٥٧١	+ ١٢,٤٨١

إزدحاما بالسكان في المديرية نفسها ^(٢). وبما يؤسف له أن التعدادات بعد سنة ١٩٠٧ لا تظهر حركة تبادل السكان بين المراكز بعضها وبعض بل تكتمل بذكر حركات تبادلهم بين المديرية المختلفة.

من الواضح إذن أن السبب في ذلك النمو السريع لسكان مديرية البحيرة الذي وصل إلى ٥٥٠٪ في قرن واحد لا بد أن نبحث عنه إما في الخصوبة الشديدة لسكان المديرية. وإما في أخطاء فنية في طريقة التعداد نفسها، وإما في الأمرين معاً.

أما عن الأمر الأول فالأدلة كافية على أن التقدم الاقتصادي لمصر الحديثة وما تبعه من تقدم اجتماعي. ثم الجهود العظيمة التي بذلت لتحسين الأحوال الصحية في البلاد قد رفعت نسبة المواليد وخفضت نسبة الوفيات ولكن الإحصائيات التي في متناول أيدينا لا يمكن أن توضح إلى أي حد أثر ذلك في نمو سكان مديرية البحيرة. فهي على حدائث عهدنا بها لم تحل من عدم الدقة

(١) الأرقام مأخوذة من تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ جدول ١٨ وتعداد ١٩٢٧ ج ١ جدول ١٠ وتعداد سنة ١٩٢٧ ج ٢ جدول ١٣
وبلاحظ أن كتاب التعداد لسنة ١٩٣٧ يذكر أن عدد المتنقلين إلى المديرية في سنة ١٩٢٧ هو ٥٩,٣٧٨ نفساً بدلاً من العدد ٦١,٥٧٠ الذي جاء في إحصاء سنة ١٩٢٧

(٢) تعداد سنة ١٩٠٧ الجدول السابع من ص ٢٤ - ١١٠

الذى قد يؤدى إلى نتائج خاطئة . وإذن فلا بد لنا من أن نتناول التعدادات أولاً وأن نناقش أرقامها لعل فى هذه المناقشة ما يفسر لنا تلك النسبة العالية لنمو السكان .

أقدم الأرقام التى لدينا هى أرقام سنة ١٨٤٦ ولكنها أرقام مشكوك فيها ويشابهها فى ذلك أرقام سنة ١٨٧٢ فكلاهما لم يكن نتيجة احصاء حقيقى ، وليس هناك جداول تفصيلية لهذه التقديرات وليس لدينا معلومات عن الطريقة التى عمل بها التعداد ، ولذا فنحن مضطرون إلى أن تقتصر على الأرقام التى وردت فى التعدادات المختلفة ابتداء من سنة ١٨٨٢ .

تظهر أرقام الجدول الأول أن أعظم معدل لزيادة السكان كان فى الخمس عشرة سنة التى تلت احصاء سنة ١٨٨٢ إذ بلغت الزيادة السنوية ٤ ٪ . ثم أخذ معدل الزيادة بعد ذلك فى التناقص التدريجى وبظهر النقص بصفة خاصة فى الفترة بين ١٩١٧ و ١٩٢٧ ، إذ انخفض المعدل من ١٧ ٪ سنوياً إلى ٩ ٪ سنوياً أى بمقدار النصف تقريباً ، ثم ثبت معدل الزيادة فى الفترة بين ١٩٢٧ و ١٩٣٧ على حاله . وعاد فارتفع إلى الضعف فى الفترة بين ١٩٣٧ — ١٩٤٧ . وهنا يجب أن نتساءل عن الأسباب التى أدت إلى هذا التناقص المضطرد فى معدل الزيادة السنوية بعد سنة ١٨٩٧ باستثناء تعداد سنة ١٩٤٧ الذى يرجع الزيادة فيه إلى مبالغة الجمهور فى إعطاء البيانات ظناً منه أن التعداد إنما أجري لأغراض التمرين . وقد سأل مثل هذا السؤال المستر « س . لويس » المدير العام لاحصاء سنة ١٩٠٧ ، حينما تكلم على حركة السكان فى القطر المصرى . ويجب على هذا السؤال بقوله : « ان مصر قد توفرت أسباب ثرائها وعمرانها توافراً متجاوزاً فى غضون العشر سنين السالفة ولكنها فى الخمس عشرة سنة التى تقدمتها كان تدرجها فى سلم الاستصلاح أسرع وأجمل ، ولا مشاحة فى ان الزيادة المتجاوزة التى وقعت فى السنين الأولى كانت ناشئة عن الأحوال غير الاعتيادية التى كانت البلاد يومئذ عليها عقيب الاحتلال ، فكان لابد من تباطؤ فى الازدياد » ^(١) .

(١) تعداد سنة ١٩٠٧ (الطبعة العربية) ص ٢٣

ولقد يكون هذا مساعداً على تفسير انخفاض معدل زيادة السكان في مديرية البحيرة بعد سنة ١٩٠٧، ولكنه لا يفيد فيما قبل ذلك التاريخ فالانخفاض الملموس في نسبة الاراضى البور في المديرية وازدياد عدد الأجانب المستمر حتى سنة ١٩٠٧ يظهر أنه حتى ذلك التاريخ كان التقدم الاقتصادي لمديرية البحيرة يزداد باستمرار وإذن فمن الأفضل أن نكون حذرين في تطبيق رأى « مستر لويس » على مديرية البحيرة وإن كنا نتفق معه في قوله : « ولا يبعد أن يكون التزايد المفرطاً بين سنتي ١٨٨٢—١٨٩٧ في الظاهر لا في الحقيقة »^(١). فالظروف التي أجري فيها تعداد سنة ١٨٨٢ والتي ناقشناها من قبل نجعل نتائجها مختلفة باتفاق الجميع . ولم تحدث هناك ظروف طيبة غير عادية في السنوات السابقة لتعداد سنة ١٨٩٧ ، بل بالعكس انتشرت الكوليرا في مصر في سنتي ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ . ولا يمكن أن نفعل أثر مثل هذا الوباء على نسبة الوفيات^(٢) خصوصاً في وقت لم تكن فيه وسائل العلاج أو طرق الوقاية متوفرة . ولما كانت الهيئات المشرفة على التعداد تعتبر أن معدل الزيادة البالغ ٢,٩٪ سنوياً لكل سكان القطر المصري ، في المدة بين ١٨٨٢ — ١٨٩٧ أكثر من قوة الانتاج الجنسى للشعب المصري فمن الحق لنا أن نشك في صحة معدل عال مثل ٤٪ في السنة بمديرية البحيرة في نفس المدة .

ثم هناك أمر آخر يجب أن ندخله في حسابنا وهو عدد « العرب » في المديرية فهذه العناصر التي تكثر في شمال غرب المديرية كانت شديدة النفور من تعداد سنة ١٨٨٢ بما أدى إلى عد العرب منفصلين حتى في المناطق التي يعيشون فيها مع الفلاحين . وليس من شك في أن موقف العرب قد تغير كثيراً منذ التعداد الأول ، خصوصاً وقد تحول عدد كبير منهم الى فلاحين . وقد أثر هذا العامل المحلي دون شك في نتائج تعداد سنة ١٨٩٧ في مديرية البحيرة حتى ليتمكن أن نرجع الى حد ما بمعدل الزيادة المرتفع في هذا التعداد

(١) المصدر السابق ص ٢٣

(٢) راجع في ذلك مبرى ص ٢ — ٣ وعمار ص ١٢

الى ذلك العامل . ويؤيد هذه الحقيقة مقارنة متوسط معدل الزيادة في هذه المدة . في مختلف مراكز المديرية كما يوضحه الجدول الرابع . في أبو المطامير حيث تزداد نسبة العرب وحيث استقر عدد كبير من البدو أخيراً نجد أعلى نسبة مئوية لمعدل زيادة السكان في مراكز المديرية (١٧,٥ ٪ سنوياً) بل أعلى نسبة مئوية لمعدل زيادة السكان في أى مركز من مراكز القطر المصرى جميعاً . ويشبهه في ذلك مركز كفر الدوار (١٠,٦ ٪ سنوياً) وهو مركز على حدود الصحراء ثم مركز أبو حصص (٧,٧ ٪ سنوياً) . وكلما ابتعدنا عن غرب المديرية وجنوبها ، أى ابتعدنا عن المناطق الصحراوية حيث تعيش العناصر العربية كلما أخذت هذه النسبة في القلة : فمثلاً مركز دمنهور الذى يتوسط المديرية تقريباً تبلغ النسبة المئوية لمعدل زيادته ٥,١ ٪ سنوياً . فإذا ما توجهنا شرقاً أو شمالاً تقل النسبة فتصبح في مركز المحمودية ٢ ٪ سنوياً وفي شبراخيت ١,٢ ٪ ثم في رشيد في أقصى الشمال الشرقى ٠,٩ ٪ سنوياً . وإذا كان لا بد لنا من معرفة الرقم الحقيقى لتعداد سكان مديرية البحيرة في سنة ١٨٨٢ فلنأخذ تعداد سنة ١٩٠٧ ، ولنفحص أرقامه لتبين منها النهاية العظمى لمعدل الزيادة في الفترة ١٨٩٧ — ١٩٠٧ ثم نطبقها تطبيقاً عكسياً من ١٨٩٧ الى ١٨٨٢

الجدول الرابع

النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان (في السنة) في مراكز مديرية البحيرة
في المدة بين ١٨٨٢ ، ١٨٩٧ ^(١)

المدة	أبو المطامير	أبناى البارود	الشيخان	دمنهور	كفر الدوار	مركز	مركز	مركز	مديرية البحيرة
١٨٨٢ — ١٨٩٧	٧,٧	١٧,٥	٣,٥	٢,٤	١,٥	١,٥	١,٥	١,٥	٤,٥

(١) تعداد سكان القطر العربى لسنة ١٩٣٧ ج ٢ جدول ٩ ص ٣٦ — ٣٧

من الجدول الأول يظهر أن المعدل السنوي للنمو كان ٢,٢ ٪ في الفترة من ١٨٩٧ إلى ١٩٠٧، و ١,٧ ٪ في الفترة بين ١٩٠٧، ١٩١٧ و ٩ ر ٠ ٪. بين ١٩١٧، ١٩٢٧، و ٩ ر ٠ ٪. بين ١٩٢٧، ١٩٣٧، وبذلك يكون متوسط نقص نسبة النمو لكل عشر سنوات هو ٤٣ ر ٠ ٪^(١). وعلى هذا يكون معدل الزيادة السنوي لمدة قبل ١٨٩٧ أكبر من معدل الزيادة في المدة بين ١٨٩٧، ١٩٠٧، بنحو ٤٣ ر ٠ ٪. أي أن النسبة المئوية للزيادة السنوية في الفترة السابقة لتعداد سنة ١٨٩٧ هي ٢٦٣ ر ٢ ٪ (٤٣ + ٢٢٢ ر ٠). فإذا ما رجعنا إلى الوراء من سنة ١٨٩٧ إلى سنة ١٨٨٢ أي مدة خمس عشرة سنة، فهذا المعدل ينحصر على عدد السكان لسنة ١٨٨٢ على وجه التقريب. وهو ٦٧٥ ر ٤٥٠ نفساً وهذا العدد يزيد على الرقم المذكور في التعداد المطبوع (٧١٢ ر ٣٩٤) بمقدار ٢٦٣ ر ٥٦ نفساً أو نحو ١٢ ٪ من جماعته.

وربما يطرق إلى الذهن بعد هذا التفسير أننا نغني وجوب أعمال الزيادة الطبيعية للسكان بين ١٨٨٢، ١٨٩٧، ولكن هذا غير صحيح فكل ما أردنا تأكيد هو استحالة أرجاع تلك النسبة العالية لزيادة النمو (٤ ر ٠ ٪ سنوياً) إلى الزيادة السنوية لعدد المواليد عن عدد الوفيات دون غيرها من العوامل. ولعل من سوء الحظ أن تسجيل المواليد والوفيات لم يكن معروفاً في تلك الفترة غير أن دراسة الأخصائيات الصحية في السنين التالية تجعل زيادة طبيعية مقدراها ٤٠ في الألف سنوياً أمراً غير معقول. وإذن فمن الأسلم ألا نعتبر تعداد سنة ١٨٨٢ صالحاً لمقارنته بتعدادات السنوات الأخرى وأن نبدأ بتعداد سنة ١٨٩٧ في دراستنا الديموغرافية المتتالية.

$$١,٤٣ = \frac{(١,٧ - ١,٢) + (١,٢ - ٢,٢)}{٣} \quad (١)$$

الجدول الخامس

النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان (سنوياً) في مديرية البحيرة

وفي القطر المصري في المدة من ١٨٨٢ إلى ١٩٤٧ ^(١)

المدة	١٨٨٢	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧	الزيادة (%)
إلى	إلى	إلى	إلى	إلى	إلى	إلى	
١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧	١٩٤٧	١٨٨٢—١٩٤٧	
مديرية البحيرة . .	٤٠	٢٢	١٧	٠٩	٠٩	١٧	٩٨٠
القطر المصري . .	٢٩	١٦	١٤	١١	١٢	٢٠	٩٦٤

مجموع السكان في المديريتين (دراسة مقارنة) :

لدراسة تغاير السكان في مديرية البحيرة ومقارنته بتغاير عدد السكان في مصر وضع الجدول الخامس . وبدراسة أرقامه نجد أن المظهر العام له هو الزيادة العظيمة في تلك الفترة الوجيزة . ويرى الفرق واضحاً في الفترة بين ١٨٨٢ ، ١٨٩٧ ولكن دلالة مثل هذا الفرق مشكوك فيها . أما زيادة السكان في مدى الخمسين سنة بين ١٨٩٧ ، ١٩٤٧ فهي أكبر نسبياً في مديرية البحيرة عنها في مجموع القطر . هذه الحقيقة يمكن تحليلها بسهولة إذا رجعنا إلى ما ذكرناه عن استقرار البدو الكثيرون في المديرية وحينما نعرف أنها كانت وما زالت إحدى مديريات القطر القليلة التي يوجد فيها مساحات واسعة من الأراضي التي تحت الإصلاح .

وبلاحظ أنه منذ سنة ١٩٠٧ أخذ معدل زيادة السكان في المديرية يقترب من معدل زيادتهم في القطر بصفة عامة واستمر في التناقص حتي أصبح منذ سنة ١٩١٧ دون معدل زيادة القطر وإن يكن الفرق بينهما بسيطاً . هذا التغير يمكن أن يتخذ دليلاً على أن التقدم الاقتصادي للمديرية بصفة عامة أخذ يتأخر عن معدل تقدم القطر إذ كانت الأراضي التي تحت الإصلاح

(١) تعداد سنة ١٩٣٧ ج ٢ الجدول التاسع .

في المديريات الأخرى أوفر ربحاً ، وأكثر اجتذاباً للسكان . ثم أن اتساع المساحة التي أصبحت تروى رياً دائماً في الوجهة القبلى أثرت دون شك في هجرة أهل الصعيد إلى مديريات الوجه البحري ، ومنها مديرية البحيرة .

وبين الجدول السادس النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان سنوياً في مديريات الوجه البحري ، ويظهر منه أن الزيادة مضطردة في كل المديريات إلا أن نسبتها كانت تقل بالتدرج حتى تعداد سنة ١٩٣٧ ، ثم إزدادت مرة أخرى في تعداد سنة ١٩٤٧ ، وقد سبق لنا تحليل هذه الظاهرة . وتعتبر مديرية البحيرة أكثر مديريات الوجه البحري نمواً في السكان في الخمسين سنة الأخيرة إذ تبلغ نسبة الزيادة فيها ٩٨ ٪ كما يتضح من الجدول بينما تبلغ نسبة الزيادة في نفس المدة في المديرية التي تليها مباشرة وهي الدقهلية ٩٢ ٪.

الجدول السادس

النسبة المئوية لمعدل زيادة السكان (سنوياً) في مديريات الوجه البحري

(١٩٤٧ — ١٨٩٧) (١)

المدة المديرية	١٨٩٧ إلى ١٩٠٧	١٩٠٧ إلى ١٩١٧	١٩١٧ إلى ١٩٢٧	١٩٢٧ إلى ١٩٣٧	١٩٣٧ إلى ١٩٤٧	الزيادة (٪) ١٨٩٧ — ١٩٤٧
البحيرة . .	٢٠٢	١٧	٠٩	٠٩	١٧	٩٨
الدقهلية . .	١٠٨	١٣	١٠	١٣	١٤	٩٢
الشرقية . .	١٠٨	١٢	٠٦	١٠	١٧	٨١
الغربية . .	١٥	١٢	٠٨	١٠	١١	٨٠
القليوبية . .	١٧	١٤	٠٦	٠٩	١٠	٨٠
المنوفية . .	١٣	١١	٠٢	١٥	٠٨	٣٦

(١) نسب هذا الجدول من حساب الباحث اعتماداً على أرقام التعدادات المختلفة .

وإذا نظرنا إلى تفاصيل الجدول نجد أن البحيرة ظل ترتيبها الأولى بين مديريات الوجه البحرى جميعاً حتى سنة ١٩١٧ ، ثم تترك محلها للمديرية الدقهلية في الفترة بين ١٩١٧ ، ١٩٢٧ حتى إذا كانت السنوات العشر التالية نجد أن نسبة الزيادة السنوية في البحيرة تثبت على حالها بينما تزداد نسبة النمو في الدقهلية والشرقية والغربية وتصبح البحيرة في المرتبة الرابعة فيما يختص بنمو سكانها في تلك الفترة . ثم تعود المديرية إلى أولويتها في التعداد الأخير وإن يكن يشار إليها في ذلك مديرية الشرقية . وهنا نتساءل عن الأسباب التي جعلت مديرية البحيرة أكثر مديريات الوجه البحرى نمواً في نصف القرن الأخير .

تثبت الاحصائيات التي في متناول أيدينا وجود علاقة وثيقة بين نسبة نمو السكان في مديريات الوجه البحرى . وبين ما تشتمل عليه تلك المديريات من الاراضى البور التي تحت الإصلاح ^(١) . فكلما زادت مساحة هذه الاراضى كلما كانت المديرية أكثر اجتذاباً لسكان المناطق الأقل بوراً والمتكاثفة تبعاً لذلك بسكانها الذين استنفدوا كل ما حبتها به الطبيعة من خيرات حتى لم تعد في مواردها الطبيعية زيادة لمستزيد . . . هذه المناطق البور المبسورة الاستصلاح تجتذب إليها السكان حيث يتيسر العمل للجميع . ويؤدي هذا بطبيعة الحال الى نمو عدد السكان وزيادة الزمام المزروع بها . ويساعد على الهجرة الى هذه المناطق تدخل الحكومة منظمة لوسائل الرى والصرف ، وقيام الشركات العقارية وكبلد الملاك باصلاح الاراضى . ولما كانت مديرية البحيرة أكثر مديريات الوجه البحرى اشتغالاً على الاراضى البور القابلة للإصلاح اذ تبلغ نسبة البور الى جملة مساحة زمام المديرية ٤١,٧٪ ^(٢) فقد اجتذبت أكبر عدد من المهاجرين وكانت بذلك أكثر مديريات مصر السفلى نمواً في السكان .

(١) راجع صبرى (١٩٣٥) من ص ١٨ — ١٩

(٢) راجع الجدول الثالث عشر .

الزيادة الطبيعية والهجرة

سبق أن أشرنا إلى أن احصائيات المواليد والوفيات التي في متناول أيدينا رغم ما بها من عيوب لا ترجع إلى أكثر من سنة ١٩١٢ كذلك لم تثبت احصائيات الهجرة قبل سنة ١٩٠٧، ولذا فنحن مضطرون إلى قصر الدراسة على الفترة بين ١٩١٧ ، ١٩٣٧ ولم تمتد بها إلى سنة ١٩٤٧ لتعذر الحصول على النتائج التفصيلية للتعداد الأخير إذ لم تفرغ مصلحة الإحصاء والتعداد من أعدادها بعد .

أما عن الزيادة الطبيعية ومعدل المواليد والوفيات فقد وضع لها الجدولان السابع والسابع ١ وأن كانت أرقامهما في الواقع « كما برهنت الابحاث الديموجرافية الأخيرة » بخدوثة القيمة في قياس مدى خصوبة السكان . « وأهم ما نلاحظه على أرقام الجدولين ارتفاع نسبة المواليد ونسبة الوفيات من جهة ، وارتباط هاتين النسبتين أحدهما بالآخرى من جهة ثانية، وأن يكن مدى هذا الارتباط غير تام الوضوح . »

ويتبين من أرقام الجدولين ومن الرسم البياني رقم ٢ الخاص بالمعدل السنوي لنسبة المواليد والوفيات ومعدل الزيادة لكل ألف من السكان في مديرية البحيرة ، أن معدل المواليد بصفة عامة أكثر ثباتاً من معدل الوفيات في المديرية إذ يتراوح بين ٣٢ ، ٣٨ في الألف وأن كان يلاحظ أن المعدل الشائع هو حوالي ٣٦ ، ٣٧ في حين أن معدل الوفيات قد يرتفع إلى ٣٢ في الألف وقد ينخفض إلى ١٩ في الألف وتوجد أكبر نسبة للمواليد بصفة عامة في دمنهور والسبب في ذلك راجع دون شك إلى أن تسجيل المواليد في عاصمة المديرية أكثر دقة منه في الجهات الريفية المحيطة بها .

الجدول السابع (١)

نسبة المواليد والوفيات في مديرية البحيرة لكل ألف نفس من السكان

في المدة بين ١٩١٧ — ١٩٤٥^(١)

السنة	المواليد	متوسط معدل المواليد لكل ١٠٠٠ سنوات	الوفيات	متوسط معدل الوفيات لكل ١٠٠٠ سنوات	زيادة المواليد عن الوفيات في كل ١٠٠٠ سنوات	متوسط
١٩١٧	٣٦٠		٢٤٨		١١٢	
١٩١٨	٣٦٩		٣٢٣		٤٦	
١٩١٩	٣٤٣	٣٦٩	٣٦٤	٢٧	٧٩	٩١
١٩٢٠	٣٦٨		٣٦٥		١٠٣	
١٩٢١	٣٦٦		٢٥٠		١١٦	
١٩٢٢	٣٧٥		٢٣١		١٤٤	
١٩٢٣	٣٦٥		٢٢٧		١٣٨	
١٩٢٤	٣٧٤	٣٧٢	٢١٦	٢٢٣	١٥٨	١٤٩
١٩٢٥	٣٧٠		٢٢٠		١٥٠	
١٩٢٦	٣٧٨		٢٢١		١٥٧	
١٩٢٧	٣٦٠		٢٠١		١٥٩	
١٩٢٨	٣٦٧		١٩١		١٧٦	
١٩٢٩	٣٧٨	٣٦٩	٢٠٠	٢٠٠	١٧٥	١٦٩
١٩٣٠	٣٧٣		١٩٢		١٨١	
١٩٣١	٣٦٦		٢١٣		١٥٣	
١٩٣٢	٣٤٢		٢٣٥		١٠٧	
١٩٣٣	٣٤٨		٢٤٦		١٠٢	
١٩٣٤	٣٣٤	٣٤١	٢٣٦	٢٥٦	٩٨	١٠٥
١٩٣٥	٣٢٣		٢٢٦		٩٧	
١٩٣٦	٣٥٦		٢٣٦		١٢٠	
١٩٣٧	٣٦٥		٢٣٦		١٢٩	
١٩٣٨	٣٨٩		٢٢٦		١٦٣	
١٩٣٩	٣٧٩	٣٧٦	٢٢٥	٢٣٦	١٥٤	١٤٦
١٩٤٠	٣٦٩		٢٣٦		١٣٣	
١٩٤١	٣٧٩		٢٥٥		١٢٤	
١٩٤٢	٣٥٦		٢٥٠		١٠٦	
١٩٤٣	٣٥٩		٢٢٧		١٣٢	
١٩٤٤	٣٧٨		٢٢٥		١٥٣	

(١) وضع هذا الجدول على أساس النشرات السنوية للمواليد والوفيات في المدة من ١٩١٧ إلى ١٩٤٦ أما الفرق السنوي ومتوسطات ذلك الفرق فمن حساب الباحث.

الجدول السابع (س)

معدل المواليد والوفيات في مراكز مديرية البحيرة (لكل ألف من السكان)

في سنوات ١٩٢٠ ، ١٩٣٠ ، ١٩٤٠ ^(١)

المراكز	١٩٢٠			١٩٣٠			١٩٤٠		
	المواليد	النسبة ‰	زيادة المواليد	المواليد	النسبة ‰	زيادة المواليد	المواليد	النسبة ‰	زيادة المواليد
أبو حمس . . .	٣٦٢	١٧ر١	١٨ر٤	٣١٥	١٣ر٩	١٧ر٦	٣٠٨	٢٠ر٩	٠٩ر١
أبو الطامير . . .	—	—	—	—	—	—	٢٨٩	١٥ر٥	١٣ر١
إيتاي البارود . . .	٣٩٩	٢٥ر٥	١٤ر٤	٤٣٢	٢٥ر٢	١٧ر٩	٣٩٧	٢٥ر٤	٢٤ر٥
الدلتجات . . .	٣٢٢	٢٤ر٥	١٤ر٧	٣٤٧	١٩ر٤	١٦ر٣	٣٣٦	٢٤ر٥	٠٩ر١
بندر دمنهور . . .	٤٨٧	٤١ر١	٠٧ر٦	٤٩٢	٢٧ر١	٢٢ر١	٤١٩	٣٠ر٣	٢١ر٦
مركز دمنهور . . .	٣٨١	٢٥ر٥	١٣ر١	٣٢٥	١٤ر٨	١٦ر٧	٣٠٩	٢٣ر٦	١٢ر٣
رشيد . . .	٤٣٦	٣٠ر٦	١٣ر٠	٣٣٣	١٤ر٥	١٨ر٨	١٢٩	٢٥ر٨	١٧ر١
شبراخيت . . .	٢٨٨	٣٠ر٦	٨ر٢	٣٩٣	٢٢ر١	١٧ر٢	٣٧٣	٢٣ر٩	١٣ر٤
كفر الدوار . . .	٣١٣	٢٣ر٢	٨ر١	٣٩٥	١٦ر٦	٢٢ر٩	٣٨٣	٢١ر٣	١٧ر٥
كوم حمادة . . .	٣٧٧	٢٧ر٢	١٠ر٥	٣٨٧	٢٠ر١	١٨ر٦	٣٥٠	٢٣ر٢	١١ر٨
الحمدية . . .	—	—	—	٤٤٢	٢٧ر٤	١٧ر١	٣٩٣	٢٧ر٧	١١ر٦
البحيرة . . .	٣٦٨	٢٧ر٥	١٠ر٣	٣٧٣	١٩ر٢	١٨ر١	٣٧٩	٢٣ر٦	١٢ر٣

أما الوفيات فقد ارتفعت نسبتها جدا في سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩ نظراً لانتشار الحمى الاسبانية في الوجه البحري في هاتين السنتين كذلك عادت تارتفع في سنتي ١٩٤١ ، ١٩٤٢ لانتشار حمى الملاريا . ويلاحظ وجود ارتفاع نسبي في معدل الوفيات منذ سنة ١٩٣٠ رغم تقدم الأحوال الصحية في السنين الأخيرة ، ولعل سبب ذلك زيادة الدقة في تسجيل الوفيات . ويؤيد

(١) هذا الجدول موضوع على أساس الأرقام الواردة في النشرات السنوية للمواليد والوفيات في مراكز المديرية المختلفة .

هذه الحقيقة الدراسة المحلية لمعدل الوفيات . فيندر دمنهور تزيد فيه نسبة الوفيات عنها في أى مركز آخر في المديرية مع أن الأحوال الصحية فيه أرقى دون شك منها في أى جهة أخرى . ولكن وجود تفنّيش الصحة يؤدي الى ضبط تسجيل الوفيات .

أما عن الهجرة فندل الأرقام الواردة في جداول تعداد سنة ١٩٣٧ للقرات المختلفة^(١) على أن مديرية البحيرة هي أولى مديريات مصر جميعاً ربحاً من حركة الانتقال المتبادلة بين مختلف جهات القطر . ولا يفوقها في ذلك إلا المحافظات نظراً لما لها من ظروف خاصة تجتذب السكان إليها . وبين الجداول الثامن حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة ومديريات الوجه البحرى الأخرى في الفترة بين ١٩٠٧ ، ١٩٣٧ . ومنه يظهر أن مديرية البحيرة تكسب دائماً من تلك الحركة وأن أكثر المهاجرين إليها من مديرتى المنوفية والغربية . ولا شك أن ربح المديرية كان يزداد لولا موقعها قريباً من الاسكندرية الأمر الذى يؤدي الى فقدانها عدداً كبيراً من سكانها الذين يجذبهم هذه المدينة إليها كما يوضح ذلك الجدول التاسع .

هذه الهجرة ترجع الى زيادة الأراضى المستصلحة ولذا كانت المراكز المتطرفة في الشمال والغرب أكثر نمواً من المراكز الأخرى . فاذا رجعنا الى تعداد سنة ١٩٣٧ نجد أن المراكز التي زادت نسبة نمو سكانها عن متوسط نسبة نمو القطر في ذلك التعداد (١٢ ٪) هي المراكز المتطرفة حيث الأراضى الميسورة الاصلاح وتشمل مراكز أبو حمص (١٤ ٪) وأبو المطامير (١٥ ٪) ورشيد (٢١ ٪) والمحمودية (٢٣ ٪) . هذه الظاهرة لا تؤيدها أرقام تعداد سنة ١٩٣٧ فحسب بل تؤيدها أرقام كل التعدادات الأخرى السابقة له . كما تؤيدها النتائج الأولية لتعداد سنة ١٩٤٧ باستثناء مركز أبو حمص الذى أُنخفض متوسط نسبة النمو فيه (٧ ٪) عن متوسط نسبة نمو المملكة المصرية (٢٠ ٪) .

(١) الجزء الثانى الجدول الثالث عشر .

الجدول الثامن

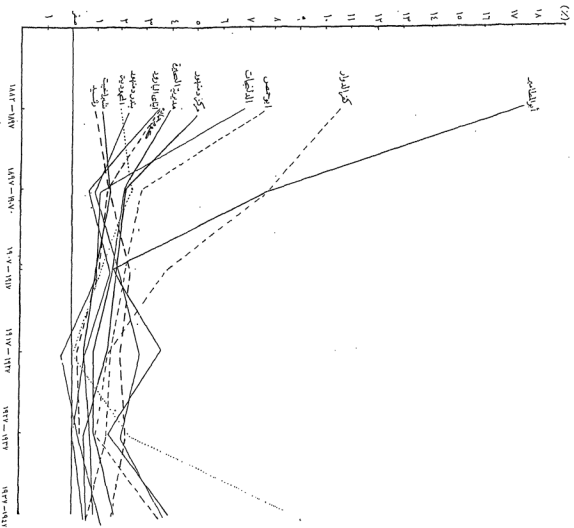
حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة ومديريات الوجه البحري الأخرى (١١) (١٩٠٧ — ١٩٣٧) (١٢)

المنطقة	١٩٠٧ — ١٩١٧						١٩١٧ — ١٩٢٧						١٩٢٧ — ١٩٣٧						في الثلاثين سنة ١٩٠٧ — ١٩٣٧					
	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكتب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكتب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكتب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكتب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكتب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكتب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكتب	المهاجرون إلى البحيرة	من البحيرة	مكتب
الغربية	٢٠٩٢	٩٢٨	١١٠٥	٢٠٤٩	٧٨١	١٢٦٨	٥٩٢٥	٧٧٦	٥١٥٩	١٠٠١٧	٢٤٨٥	٧٨٠٨	١٠٠١٧	٢٤٨٥	٧٨٠٨	١٠٠١٧	٢٤٨٥	٧٨٠٨	١٠٠١٧	٢٤٨٥	٧٨٠٨	١٠٠١٧	٢٤٨٥	٧٨٠٨
الشرقية	١٣١٣	١١٢٠	١٩٣	١٤٧١	٧٨٧	٢٨٤	١٧٧٦	٩٠١	٨٧٥	٤٥٩٠	٣٦٤٨٧	٣٣٥٨	١١١١٦	١١١١٦	٣٣٥٨	٣٦٤٨٧	٣٣٥٨	٣٣٥٨	٣٦٤٨٧	٣٣٥٨	٣٣٥٨	٣٦٤٨٧	٣٣٥٨	٣٣٥٨
الشرقية	٢٠٤٦٩	٩٦٠١	١٩٦٨	١٧١٧١	٥٧٧٠	١١٤٠١	٢٤٤٧٤	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦	١١١١٦
الغربية	١٠١٣	٦٦٣	٣٥١	٧٩١	٦٣٩	١٥٢	٨٠٨	٨٠٨	١٠	٢٦٣٣	٢١٠٩	١٠	٢٦٣٣	٢١٠٩	١٠	٢٦٣٣	٢١٠٩	١٠	٢٦٣٣	٢١٠٩	١٠	٢٦٣٣	٢١٠٩	١٠
الغربية	١٠١٦٦	٢٨٢٢	٧٢٤٤	١٣٤٦٠	١٨٩١	١١٥٦٩	٢٤٤٦٠	١٨٩١	١١٥٦٩	٢٤٤٦٠	١٨٩١	١١٥٦٩	٢٤٤٦٠	١٨٩١	١١٥٦٩	٢٤٤٦٠	١٨٩١	١١٥٦٩	٢٤٤٦٠	١٨٩١	١١٥٦٩	٢٤٤٦٠	١٨٩١	١١٥٦٩
الغربية	٣٥٠٩٤	١٥١٣٣	١٩٩٦١	٢٤٤٤٢	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠
الغربية	٣٥٠٩٤	١٥١٣٣	١٩٩٦١	٢٤٤٤٢	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠	٣٤١٣٧	٩٨٦٨	٣٥٠٧٠

(١) انقصر على مديريات الوجه البحري لأن المديرية من مديريات الوجه القبلي معدومة.

(٢) هذا الجدول من وضع الباحث اعتماداً على ما ورد في تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ ص ٥٧٤ — ٥٧٥ وتعداد سنة ١٩٢٧ ج ١ ص ٤٤ وتعداد سنة ١٩٣٧ ج ١ ص ٦٢ — ٦٣

(٣) الممثل السنوي لزيادة السكان أو نقصهم لكل محافظة (١/١)
في الفترة بين ١٨٨٢ - ١٩٣٧



الجدول التاسع

حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة والاسكندرية

(١٩١٧ — ١٩٣٧) (١)

سنة التعداد	المتنقلون من البحيرة إلى الاسكندرية	المتنقلون من الاسكندرية إلى البحيرة	خسارة المديرية
١٩١٧	١٤,٥٦٩	١٠,١٧٨	٤,٣٩١
١٩٢٧	١٦,٧٠١	٧,٢٦٤	٩,٤٣٧
١٩٣٧	٢٠,٢٩٩	٥,٤٤٥	١٤,٨٥٤
الجملة في عشرين سنة	٥١,٥٦٩	٢٢,٨٨٧	٢٨,٦٨٢

نمو السكان في مراكز مديرية البحيرة

يبين الجدول العاشر جملة عدد سكان كل مركز في مديرية البحيرة في السبعة أعدادات الأخيرة (١٨٨٢ — ١٩٤٧) حسب حدوده الحالية مع بيان الزيادة أو النقص ونسبتهما. وعلى أساسه وضع الرسم البياني رقم ٣ الخاص بالمعدل السنوي لزيادة السكان أو نقصهم (٪) في المدة بين ١٨٨٢ و ١٩٤٧ ومن الجدول والرسم البياني تبين مايلي :

١ — أن الزيادة الكلية بين كل تعدادين تنوزع على جميع مراكز المديرية. ويمكن أن نلاحظ بسهولة أن كل مركز يشترك في هذه الزيادة العامة وأن كان مقدار الزيادة يختلف اختلافاً بيناً من مركز لآخر كما يوضح ذلك الجدول الحادي عشر.

(١) هذه الأرقام من حساب الباحث اعتماداً على ماورد في تعداد سنة ١٩١٧ ج ٢ الجدول ١٨ ص ٥٧٤ — ٥٧٥ ، وتعداد سنة ١٩٢٧ ج ١ الجدول ١٠ ص ٥٤٤ وتعداد سنة ١٩٣٧ ج ١ الجدول ١٢ ص ٦٢ و ٦٣

الجدول

جولة عدد سكان كل مركز في مديرية البحيرة

حسب حدوده الحالية مع بيان

مركز	١٨٨٢		١٨٩٧		١٩٠٧	
	عدد السكان	الزيادة	أو النقص (—)	الرقم الحقيقي	أو النقص (—)	الزيادة
عدد السكان	الزيادة	أو النقص (—)	الرقم الحقيقي	أو النقص (—)	الزيادة	أو النقص (—)
عدد السكان	الزيادة	أو النقص (—)	الرقم الحقيقي	أو النقص (—)	الزيادة	أو النقص (—)
عدد السكان	الزيادة	أو النقص (—)	الرقم الحقيقي	أو النقص (—)	الزيادة	أو النقص (—)
أبو حمس . .	٢٥,٢٧٥	٥٤,٤٥١	٢٩,٠٧٦	٧,٧	٦٩,٨٢٢	١٥,٢٧١
أبو المظفر .	٥,٨٠٤	٩٠,٩٨٧	١٥,١٨٣	١٧,٥	٢٧,٥٢٩	١٦,٥٥٢
إيتاي البارود	٦٢,٩٥٠	٩٦,٠٨١	٢٣,١٣١	٣,٥	١٠٢,٨٤٤	٦,٧٦٣
الدلتايات .	٣٠,٧٠٩	٦١,٩٧٨	٣١,٢٦٩	٦,٨	٦٩,٢٠٦	٧,٢٢٨
بندز دمنهور	٢٢,٧٠٢	٣٠,٩٨١	٨,٢٧٩	٢,٤	٣٤,١٤٢	٣,١٦١
مسركو دمنهور	٣٥,٠٥٦	٦١,٦٣٦	٢٦,٥٨٠	٥,١	٧٤,٩١٨	١٣,٢٨٢
رشيد . . .	٣٢,٦٦١	٢٦,٩١٨	٤,٢٥٧	٠,٩	٤٢,٣٢٩	٥,٤٢١
شبراخيت . .	٥٩,٦٨٦	٧,٠٦٥	١٠,٨٧٩	١,٢	٨٠,٩٨٦	١٠,٤٢١
كفر الدوار	١٦,٦١٤	٤٣,٠٥٠	٢٦,٤٣٦	١٠,٦	٧٦,٥٢٩	٢٣,٤٧٩
كوم حماد .	٨٢,٨٣٤	١٢٥,٨٤٧	٤٣,٠١٣	٣,٥	١٤٤,٠٢٤	١٨,١٧٧
المحمودية .	٢٠,٢٢١	٢٦,٣٩٠	٦,٠٦٩	٢,٠	٣٢,٧٢٨	٦,٣٤٨
مديرية البحيرة	٢٩٤,٧١٢	٦٢٨,٨٨٤	٢٢٤,١٧٢	٤,٠	٧٦٥,٠٨٧	١٣٦,٢٠٣

(١) راجع تعداد سنة ١٩٢٢ ج ٢ جدول ٩ من ص ٢٦ — ٢٧

العاشر

في السبعة تعدادات الأخيرة^(١) (١٨٨٢ — ١٩٤٧)

الزيادة أو النقص ونسبتهما

١٩٤٧				١٩٣٧				١٩٢٧				١٩١٧			
الزيادة أو النقص (—)		عدد السكان	الزيادة أو النقص (ب) الرقم الحقيقي	عدد السكان	الزيادة أو النقص (ب) الرقم الحقيقي	عدد السكان	الزيادة أو النقص (—) الرقم الحقيقي	عدد السكان	الزيادة أو النقص (—) الرقم الحقيقي	عدد السكان	الزيادة أو النقص (—) الرقم الحقيقي	عدد السكان	الزيادة أو النقص (—) الرقم الحقيقي	عدد السكان	الزيادة أو النقص (—) الرقم الحقيقي
٠/٠	سنوات														
٠,٧	٧,٥٨٦	١١٨,٠٥١	١,٤	١٣,٨٣٥	١١٠,٤٦٥	١,٥	١٢,٢٣٥	٦٩,٦٣٠	٢,١	١٤,٤٧٣	٦٠,٥٠٨	١,٧	١١,٠٢٤	١١٠,٤٦٥	١,٥
٣,٨	٢٦,٢٦١	٩٥,١٥١	١,٥	٩,٢٠٢	٦٨,٨٩٠	٣,٥	١٥,٥٩١	٥٩,٦٨٨	١,٧	٦,٠٥٨	١١,٠٢٤	١,٧	١١,٠٢٤	١١٠,٤٦٥	١,٥
٠,٥	٦,١٩٧	١٣٠,٦٧٩	—	٤,٤٤٨	١٢٤,٤٨٢	٠,٥	٥,٩٤٨	١٢٤,٣٤	١,٥	١١,٠٢٤	١١٠,٤٦٥	١,٥	١١,٠٢٤	١١٠,٤٦٥	١,٥
١,١	٨,٠٥٦	٨٣,٢٤٧	٠,٢	٦,١١٢	٧٥,١٩١	٠,٤	٢,٨١٢	٧٣,٥٧٩	١,٠	٧,١٨٥	٦٠,٥٠٨	١,٠	٧,١٨٥	٦٠,٥٠٨	١,٠
٣,٧	٢٣,٠٣١	٨٤,٩٨٣	٢,٠	١٠,٢٥٣	٦١,٩٦٢	٢,٧	١١,٠٤٨	٥١,٧٠٩	١,٩	٦,٠٥٨	١١,٠٢٤	١,٩	٦,٠٥٨	١١,٠٢٤	١,٩
٠,٦	٦,٣٥١	١١٢,١٤٦	٠,٥	٥,٣٠٥	١٠٥,٧٩٥	١,٤	١٢,٢٣٣	١٠٠,٤٩٢	١,٨	١٣,٣٥١	١١٠,٤٦٥	١,٨	١٣,٣٥١	١١٠,٤٦٥	١,٨
١,٦	١١,٧٩٧	٨٦,٢٩٨	٢,١	١٢,٨٧٣	٧٤,٥٠١	١,٩	٩,٦٣٦	٦١,٦٢٨	٢,٣	٩,٦٥٣	٦٠,٥٠٨	٢,٣	٩,٦٥٣	٦٠,٥٠٨	٢,٣
٠,٩	٩,١٢٧	١٠٧,٨٠٥	٠,٧	٦,٧٩٣	٩٨,٦٦٧	٠,٤	١,٤٧٧	٩١,٨٧٥	٠,٩	٧,٤١٢	٦٠,٥٠٨	٠,٩	٧,٤١٢	٦٠,٥٠٨	٠,٩
٣,٤	٤٤,٤١٥	١٧٥,٦٦٨	١,٠	١١,٤٢٣	١٣١,٢٥٣	١,٤	١٤,٩٠١	١١٩,٨٢٠	٢,٧	٢٨,٣٩٠	١١٠,٤٦٥	٢,٧	٢٨,٣٩٠	١١٠,٤٦٥	٢,٧
٢,١	٣٠,٤٧٠	١٦٩,٢١٠	٠,٢	٤,٥٠٧	١٦٥,٧٤٠	٠,٢	٢,٤٦٧	١٦١,٢٣٣	١,٠	١٤,٧٤٢	١١٠,٤٦٥	١,٠	١٤,٧٤٢	١١٠,٤٦٥	١,٠
٨,٥	٣٨,٠٥٨	٨٢,٧٠٥	٢,٣	٨,٢٧٠	٤٤,٦٤٧	—	٩٥	٣٦,٢٧٧	١,١	٣,٦٣٤	١١٠,٤٦٥	١,١	٣,٦٣٤	١١٠,٤٦٥	١,١
١,٧	١٨٤,٠٤٧	١,٢٤٥,٦٤٣	٠,٩	٨٤,٦٣١	١,٠٦١,٥٩٦	٠,٩	٨٤,٧١٩	٩٧٦,٩٦٥	١,٧	١٢٧,١٥٩	١١٠,٤٦٥	١,٧	١٢٧,١٥٩	١١٠,٤٦٥	١,٧

الجدول الحادى عشر

نمو السكان في مختلف مراكز مديرية البحيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧)

المركز	عدد السكان		مقدار الزيادة	النسبة المئوية للزيادة
	١٨٩٧	١٩٤٧		
أبو حمس . .	٥٤٤٥١	١١٨٠٥١	٦٣٣٦	١١٦٠٠٨
أبو المطامير .	٢٠٩٨٧	٩٥١٥١	٧٤١٦٤	٣٥٣٣٨
إيتاى البارود	٩٦٠٨١	١٣٠٦٧٩	٣٤٥٩٨	٣٦٠٠
الدلتجات . .	٦١٩٧٨	٨٣٤٧	٢١٤٩٢	٣٤٦٠
بندر دمنهور	٣٠٩٨١	٨٤٩٨٣	٥٤٠٠٣	١٧٤٣١
مركز دمنهور	٦١٦٣٦	١١٢١٤٦	٥٠٥١	٨١٩٦
رشيد . . .	٣٦٩١٨	٨٦٢٩٨	٤٩٣٨	١٣٤٧٦
شبراخيت . .	٧٠٥٦٥	١٠٧٨٠٥	٣٧٢٤	٥٢٨٠
كفر الدوار	٤٣٠٥٠	١٧٥٦٦٨	١٣٢٦١٨	٣٣٨١٠
كوم حماده .	١٢٥٨٤٧	١٦٩٢١٠	٤٣٣٦٣	٣٤٤٨
المحمودية . .	٢٦٣٩٠	٨٢٧٠٥	٥٦٣١٥	٢١٣٩٤
البحيرة . .	٦٢٨٨٨٤	١٢٤٥٦٤٣	٦١٦٧٥٩	٩٨١٥

٢٠ — اتجاه نمو السكان في كل المراكز بصفة عامة يشابه اتجاه نمو السكان في المديرية جملة . ولا يشذ عن هذا الاتجاه العام إلا مركزا المحمودية والدلتجات إذ يظهر تعداد سنة ١٩٢٧ أن هناك نقصاً في مركز المحمودية مقداره ٩٥ نفساً ونقصاً في مركز الدلتجات مقدار ٢٨١٢ نفساً (—٠,٤٪ سنوياً)^(١) . ويمكن أن نعمل النقص في مركز المحمودية لضآلته أما نقص مركز الدلتجات الذى أصبح تعادله في سنة ١٩٢٧ (٧٣,٥٧٩ نسمة)

^(١) حاولنا تحليل هذا النقص بافتراض أن هذين المركزين كانا أكثر تأثراً من المراكز الأخرى بالجلى الأسبانية التى انتشرت سنة ١٩١٨ ولكن لم نجد احصائيات الوفيات خاصة بمركز المحمودية إذ لم ينشأ هذا المركز إلا في سنة ١٩٢٩ . كما أن احصائيات الوفيات في مركز الدلتجات في تلك السنة لم تحقق ما ذهبنا إليه من افتراض .

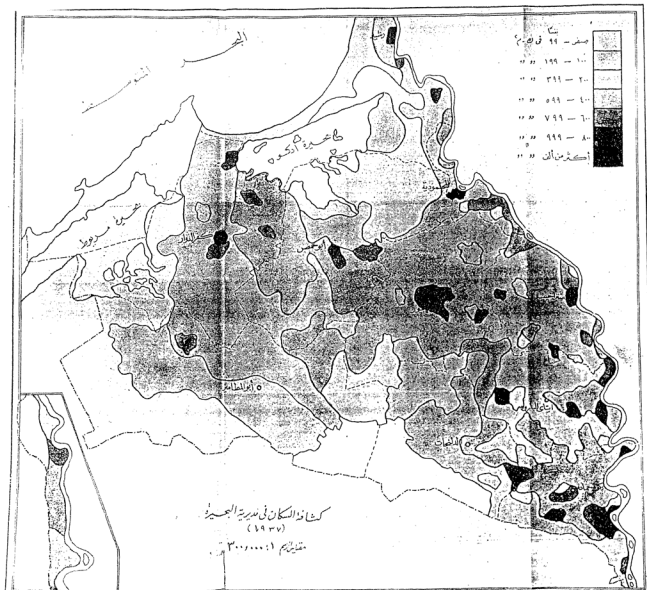
بعد أن كان ٧٦,٣٩١ نسمة في سنة ١٩١٧ فإنه لا يمكن تعليقه في الواقع ولكن ينبغي أن نلاحظ أن هذا النقص لم يمس طبقة الزراع بل بالعكس زاد عددهم من ٢٠,٧٠٣ نسمة في سنة ١٩١٧ الى ٢٥,٥٥٤ نسمة في سنة ١٩٢٧ أى زيادة سنوية مقدارها ٢,٥ ٪. ومعنى هذا أن النقص كان في عدد المشتغلين بالهن الأخرى . ولقد أخذ المركزان في الازدياد مرة أخرى في الفترة التالية (١٩٢٧ — ١٩٣٧) : المحمودية بزيادة سنوية مقدارها ٢,٣ ٪. والدلتجات بزيادة سنوية مقدارها ٢,٠ ٪. واستمر الازدياد في الفترة الأخيرة في المركزين حتى أصبح مركز المحمودية أكثر المراكز في نسبة الزيادة السنوية : ولم يعد مركز الدلتجات أقل مراكز المديرية نمواً كما كان في الفترة السابقة .

٣ — أكثر المراكز نمواً هي المراكز المتطرفة في المديرية . ولكن ترتيبها من ناحية النمو يختلف من تعداد الى آخر فبينما نجد الأولية لمركزى أبو المطامير وكفر الدوار في تعداد سنة ١٩٠٧ نجدها لمركزى رشيد والمحمودية في تعداد سنة ١٩٣٧ . ويرجع هذا لأسباب محلية تتعلق بتوفر ماء الرى وتحسين نظام الصرف . ففي بداية القرن الحالى توفرت مياه الرى في الجهات النائية في غرب المديرية واتسع نطاق الاراضى المستصلحة . وفي السنوات الأخيرة زادت العناية بشئون الصرف وتخفيف الأراضى الغدقة في شمال المديرية فيما جاور بحيرة إدكو .

٤ — إن نسب الزيادة في هذه المراكز المتطرفة في تعداد سنة ١٩٠٧ كانت أعلى منها في التعدادات التالية جميعاً ، ولا يستثنى من ذلك إلا مركز المحمودية في تعداد سنة ١٩٤٩ . ولعل أهم أسباب هذه الظاهرة هو أن هذا التعداد عمل بعد قيام الشركات العقارية الخاصة باصلاح الأراضى كالشركة الصناعية الزراعية في أبو المطامير ، والشركة الفرنسية في الكوم الأخضر ، وشركة البحيرة المساهمة ، ثم اتجه كثير من أصحاب رؤوس الاموال كالمغازى باشا والوكيل باشا وهم أصلاً من التجار الى استثمار الكثير من أموالهم في الزراعة واستصلاح الاراضى :

هذه الاراضى المستصلحة والوسل المختلفة التى اتبعتها الشركات وكبار الملاك ساعدت على هجرة كثير من التلاحين من المراكز الجنوبية فى المديرية ومن مراكز مديرية الغربية المزدحمة بسكانها كمراكز كفر الزيات وطنطا والسطة وزفتى وغيرها . ثم من مراكز مديرية المنوفية . وقد أدت هذه الهجرة دون شك الى زيادة السكان زيادة كبيرة فى تلك الفترة . ثم هبط معدل الزيادة بعد ذلك إذ أخذت حركة اصلاح الأراضى تسير ببطء وخاب أمل الكثيرين ممن انتقلوا الى هذه الجهات فرجعوا الى قراهم الأصلية ، كما بدأت المناطق الأخرى فى شمال الدلتا تستهوى المهاجرين . ولا يمكن تعليل هبوط معدل الزيادة بأحد هذه الأسباب دون الباقي بل أنها كلها مجتمعة مسؤولة عن هذا الهبوط .

٥ — كانت أكثر الجهات نمواً فى الفترة بين ١٩٣٧ ، ١٩٤٧ هى مراكز المحمودية (٨٥ ٪) وأبو المطامير (٣٨ ٪) وكفر الدوار (٣٤ ٪) . ثم بندر دمنهور (٣٧ ٪) وقد خص هذه المراكز مجتمعة أكثر من ٧٠ ٪ من جملة زيادة السكان فى مديرية البحيرة فى العشر سنوات الأخيرة . وترجع الزيادة فى بندر دمنهور الى ظروف الحرب العالمية الثانية واجتذاب المدينة لعدد غير قليل من الأيدى العاملة . كذلك ترجع الزيادة فى مركز كفر الدوار الى التوسع فى صناعات النسيج التى يشتغل فيها آلاف من العمال . أما الزيادة فى مركزى أبو المطامير والمحمودية فترتبه على التوسع فى اصلاح الأراضى البور واستغلالها ولكننا نشك كثيراً فى صحة الأرقام الخاصة بمركز المحمودية الذى وصلت الزيادة السنوية فيه إلى ٨,٥ ٪ مع أنها لم ترق فى أى تعداد سابق إلى ٢,٥ ٪ سنوياً . ولا بد من وجود عامل خارجى ترك أثره فى رقم التعداد كأن يكون فى المركز فى يوم التعداد مشروع انشائى يشتغل فيه آلاف من العمال حسبوا ضمن سكان المركز مع أن اقامتهم فيه إقامة مؤقتة . وهذا عيب من عيوب التعدادات على أساس « الحالة الراهنه » كما سبقت الإشارة .



وبمقارنة عدد سكان كل مركز في تعداد سنة ١٨٩٧ بسكانه في تعداد سنة ١٩٤٧ أى في مدة خمسين سنة يمكن أن نقسم مراكز مديرية البحيرة إلى المجموعات الآتية :

١ — مراكز تصل الزيادة فيها الى اكثر من ٢٠٠ ٪ وتشمل الجهات الغربية والشالية (أبو المطاير وكفر الدوار والمحمودية) وأول هذه المراكز أبو المطاير إذ بلغت نسبة الزيادة فيه ٣٥٣ ٪.

٢ — مراكز تتراوح فيها الزيادة بين ١٠٠ ٪ / ٢٠٠ ٪ من مجموع سكان سنة ١٨٩٧ وتشمل مركزى رشيد وأبو حمص ثم بندر دمنهور ويلاحظ أن نمو هذا البندر لا تظهر فيه أى زيادة سريعة غير عادية فى السكان فى الفترة بين أى تعدادين (يستثنى من ذلك الفترة الأخيرة ١٩٣٧ — ١٩٤٧) إذ أن أهمية هذه المدينة كمركز تجارى أو صناعى محدودة ثم ان الاسكندرية القريبة منها أكثر اجتذابا للمهاجرين .

٣ — مراكز تتراوح فيها الزيادة بين ٥٠ ٪ / ١٠٠ ٪ وتشمل مركزى دمنهور وشبراخيت .

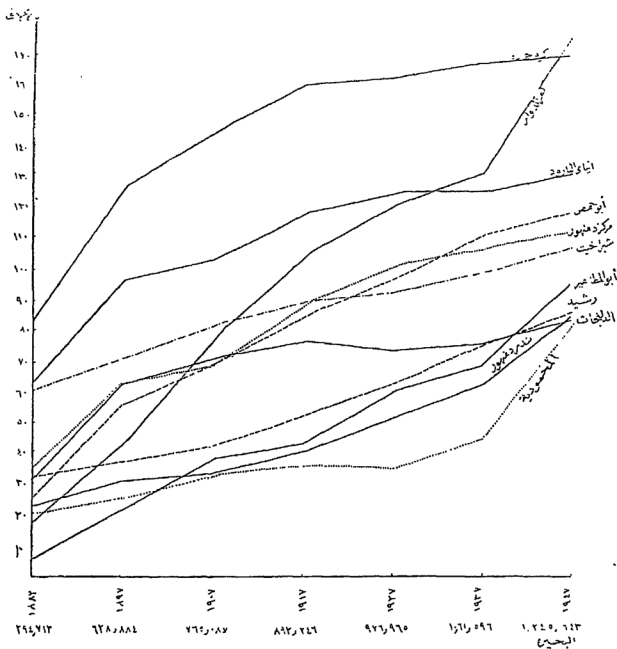
٤ — مراكز تقل نسبة الزيادة فيها عن ٥٠ ٪ من عدد السكان فى سنة ١٨٩٧ وتشمل مراكز ايتاى البارود والدلتجات وكوم حمادة ويلاحظ أن هذه المراكز ومراكز المجموعة السابقة تقع كلها فى شرق وجنوب شرق المديرية حيث يصبح مجال زيادة الاراضى الزراعية محدوداً .

[للبحث بقية]

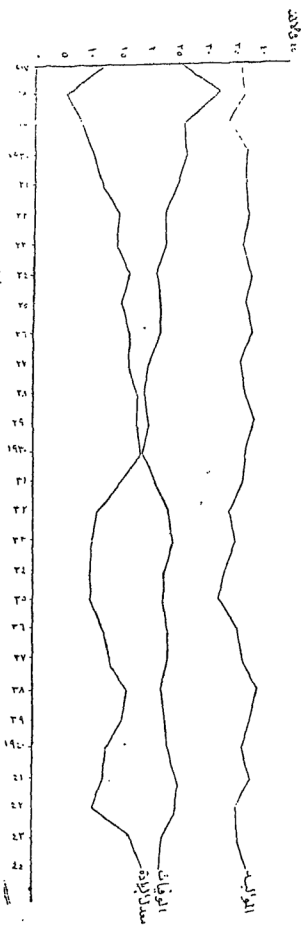
(١) جملة عدد السكان بكل مركز في كل تعداد

من السبعة تعدادات الأخيرة

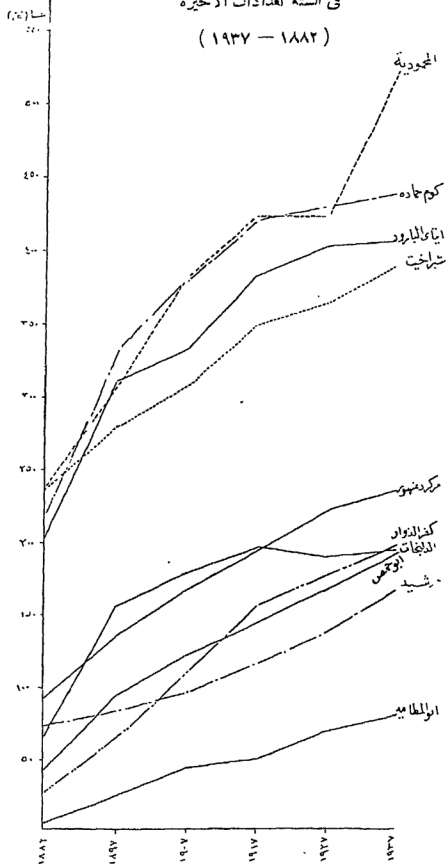
١٩٢٧ - ١٩٢١



(٢) نسبة المواليد والوفيات ومعدل الزيادة لكل ألف من السكان
في مديرية البحيرة
(١٩١٧ — ١٩٤٤)

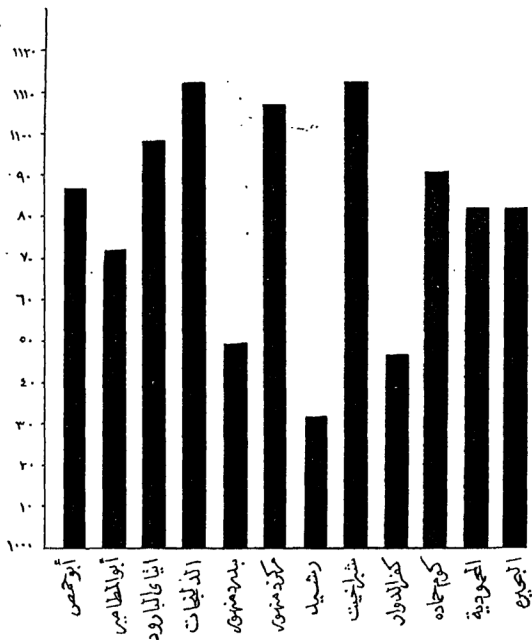


(1937-1942)

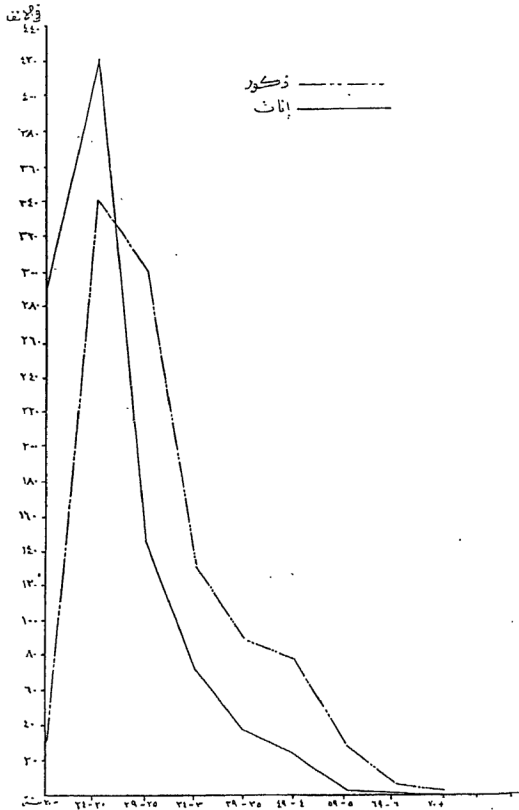


(٦) نسبة الإناث لكل ألف من الذكور
في مراكز المديرية المختلفة
(١٩٤٧)

النسبة في الألف



(٧) الحالة المدنية حسب فئات السن المختلفة
في مديرية البحيرة (١٩٣٥)



مصر والكتاب المقدس

للكنوز اسماعيل على معنوي

لا شك عند الباحثين اليوم في أن الكتاب المقدس بهديه ، أعنى القديم والحديث ، استغرق جميعه أكثر من ألف عام ، أو ما يقرب من خمسة عشر قرنا ، كانت مليئة بالأحداث السياسية والتاريخية والعقائد الدينية المتنوعة المختلفة . ولا شك أيضا في أن الكتاب المقدس من أهم السجلات التي دونت فيها آثار تلك الفترة التاريخية من عمر الشرق الأدنى . ففي العهد القديم مثلا ، وأعنى هنا التوراة وسائر الأسفار التي يتكون منها كتاب اليهود المقدس ، نجد حديثا عن الخلق ، وآخر عن الحوادث التاريخية والعلاقات السياسية الخارجية بين مختلف شعوب الشرق الأدنى . ففيه شيء عن مصر ، وشيء عن بابل وآشور ، وشيء عن شعوب الهلال الخصيب ، وشيء عن بعض القبائل العربية ، كما أنه لم يهمل أثر الشعوب الأخرى غير السامية كالإرانيين مثلا .

والعهد القديم في حديثه عن هذه المواضع ، كان ولا شك حريصا على عرضها لا من وجهة نظر الوحي الإسرائيلي القديم فحسب ، بل من وجهة النظر السياسية العامة للشعب الاسرائيلي أيضا .

وغير التاريخ في العهد القديم نجد أيضا أسفار الحكمة والأدب سواء كان في الشعر أو في النثر . ويلاحظ أن هذه الأسفار خاصة الأمثال ، تتصل كما ظهر أخيرا اتصالا وثيقا بهذا الضرب من الأدب الذي عرفته مصر القديمة ، والذي جاءنا على مثال نصائح وعظات من أمحتب إلى ابنه .

لذلك كان لا بد وأن تعتبر مصر من الدول ذات الشأن التي عني الكتاب المقدس بها ، كما عنت هي بلفت نظر الوحي الاسرائيلي إليها .

هذه الصلات العديدة المتبادلة بين مصر وبين وطن الكتاب المقدس ، هي التي حدثت في إلى إجمالها في هذا البحث ، راجيا أن أبين للقارئ* إلى أي حد أثرت مصر في هذا الكتاب .

ونحن قبل أن نتحدث عن مصر والكتاب المقدس يحب علينا قبل كل شيء أن نرجع إلى الوراثة وتبين صلة مصر بوطن الكتاب المقدس . فالنوراثة والانجيل كما نعلم ظهرا في أرض فلسطين . وفلسطين كانت قبل أن يترجح العبريون ومن إليهم إليها آهلة بهذا الشعب السامي الذي عرف في التاريخ تحت اسم الكنعانيين . وعلاقة مصر هؤلاء السكان الأقدمين بفلسطين ، كانت قوية متصلة . ونستطع أن ننظر إليها بين عصور ثلاثة ، أو بتعبير آخر بين علاقة مصر السياسية بهذه البلاد .

فالعصر الأول الذي عرفت فيه مصر الكنعانيين يمتد من فجر التاريخ حتى نهاية الدولة الوسطى في مصر ، أعني ما بين (٢١٠٠ — ١٦٨٠ ق م) ، ويوصف هذا العصر عادة بأنه عصر صفاء ومودة وسلام بين مصر وهذا الشعب السامي الكنعاني ، كما تدل النصوص التي وصلتنا على أنه كان عصر تبادل ثقافي عظيم .

أما العصر الثاني ، فهو العصر الذي اصطلح على تسميته بعصر الهكسوس وهو يمتد فيما بين (١٦٨٠ — ١٥٨٠ ق م) ، فالهكسوس وهم شعب سامي تمكنوا من غزو مصر واستيطانها ما يقرب من قرن من الزمان ، ولم يحلوا عنها إلا بعد أن تركوا أثرا قويا في حياة مصر سواء كان من الناحية العسكرية أو النواحي الأخرى .

وأما العصر الثالث فهو كما يسمى بحق العصر الذهبي للدولة الحديثة وهو يمتد من (١٥٨٠ — ٧١٢ ق م) . وقد تمكن فيه المصريون من غزو شعوب الشرق الأدنى خاصة سوريا وفلسطين . وكانت نتيجة هذا الغزو ، أن تزاوجت الثقافات بين الشعبين ، وزاد الاتصال أيام الأسرة الثامنة عشرة حيث نجد تحوتمس الثالث (حوالي ١٥٠٠ ق م) .

فقد استطاع هذا الفرعون أن يخضع سوريا أكثر من مرة . وكذلك في أيام الأسرة التاسعة عشرة حيث نجد زيتوس الأول (حوالي ١٣٠٠ ق . م) ورسيس الثاني (حوالي ١٢٥٠ ق . م) .

وظلت سلطة مصر قائمة على هذه الجهات حتى أيام مفتاح (حوالي ١٢٢٠ ق . م) حيث دالت وانحسرت عن هذه البلاد .

فاذا تركنا هذا التاريخ جانبا واستنطقنا الآثار التي وصلتنا لوجدنا النصب المعروف باسم نصب اسرائيل المكتوب في المصرية القديمة ، يتحدث عن وجود الاسرائيليين في أرض كنعان . وهذا يؤيد ولا شك أن أرض كنعان التي خضعت لمصر - زهاء ثلاثة قرون (من ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق . م) ، والتي ظلت فيها الثقافة المصرية قائمة حتى بعد هذا ، ورثها الشعب الاسرائيلي ، كما ورث معها هذا التراث الثقافي المصري القديم .

ومن أهم الآثار التي تؤيد هذا الرأي ، تلك التي ترجع إلى عهد الدولتين القديمة والوسطى ، وكذلك خطابات تل العمارنة (عصر أمينوفيس الثالث والرابع حوالي ١٤٠٠ ق . م) . فهذه الآثار علمتنا أن الثقافة الكنعانية خليط من السامية والمصرية القديمة .

فالكنعانيون يكتبون بالبابلية إلى المصريين ، ومعرفتهم لهذه الكتابة وهذه اللغة قديمة جداً ، وإنها قد ترجع إلى الألف الرابع ق . م ، كما أن هذه الثقافة لم تكن بابلية خالصة ، بل كانت مزيجاً من البابلية والمصرية القديمة . ومن هنا نرى أهمية أثر مصر في الكتاب المقدس .

تحدثنا عن العلاقة بين مصر وأرض كنعان لنهتد للبحث عن مصر وإسرائيل . فالمصادر التي بأيدينا تحدثنا أن هذه العلاقات بدأت منذ عهد سليمان وخصمه الأدومي المسعى حداد (Haddad) فقد تزوج الاثنان أميرتين لفرعون مصرى لم يذكر اسمه وربما يكون من فراعة الأسرة الحادية والعشرين (ما بين ١٠٩٠ - ٩٤٥ ق . م) وتبين هذه العلاقة من النص الآتي :

מלכים א' 14:1 ויהי חמור שלמה את פרעה מלך מצרים
 וינקח את בת פרעה (1000) وإصحاح 9 إلى 16: פרעה מלך מצרים
 עלה נילבד את גזר נישרפה באש ואת דפנעני הישב בעיר
 דרג ויהנה שלמים לבתו אשת שלמה:

(الملوك الأول إصحاح 3 آية 1 ، إصحاح 9 آية 16 وما بعدها) .

كما نجد (سوسق الأول I Susak) (من 940 — 924 ق . م)
 وهو مؤسس الأسرة الثانية والعشرين يحى (يروبع Jerobeam) كأنه
 أرسل حلة إلى كنعان جاء خيرا في النص الآتي :

(وبكش שלמה להמית את ירבעם ויקם ירבעם ויברח מצרים
 אל שישק מלך מצרים ויהי במצרים עד מות שלמה: (1)
 (الملوك الأول إصحاح 11 آية 40 .

وكذلك

ויהי בשנה החמישית למלך רחבעם עלה שישק מלך מצרים
 על ירושלים: (2)

راجع إصحاح 14 آية 20

وفي الكرك نجد ذكرى المدن التي فتحها هذا الفرعون ومنها حقل أبرام .
 ثم نجد بعد ذلك حربا بين أسوركون الأول (Osorkons I) من 924 —
 890 ق . م وبين آسا Asa .

: ויבא אסא לפגיו ויערכו מלחמה בגיא צפתה למרשה: (3)

أخبار الأيام الثاني إصحاح 14 آية 9

(1) راجع نفس المصدر ص 12/1 وما بعدها .

(2) راجع نفس المصدر ص 14/26

(3) راجع كذلك نفس المصدر ص 16/8

ثم نسمع بعد ذلك في الملوك الثاني عن رسالة الملك الآشوري إلى سوا
حوالي عام ٧٢٥ ق. م وقد كان سوا هذا قائد فرعون مصر وربما كان
هو شاباكاه مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين (٧١٢ — ٧٠٠) :

(וַיִּמְצָא מֶלֶךְ־אַשּׁוּר בְּהַחֲשֵׁי קִשְׁרָא אֲשֶׁר נִשְׁלַח מִלְּאֻכִּים אֶל־סוּא
מֶלֶךְ־בָּבְלֹנִים....)

(إصحاح ١٧ آية ٤) .

وفي عام ٧٠١ ق. م رى أن سنحريب هزم جيشا مصرية عند التيكه
(Eltheke) تحت رئاسة ترهاقا الأثيوبي

:וַיִּשְׁמַע אֶל־הַרְקִסָּה מֶלֶךְ־בּוּשׁ לֹא־מַר הָיָה יָצָא לְהִלָּחֵם אִתּוֹ...
(الملوك الثاني إصحاح ١٩ آية ٩) .

وقد نجح إزركادنا فتوج بعد ملكا وملك من ٦٨٨ — ٦٦٣ ق. م
وفي عصره غزا أسر هدون (Asarhaddon) عام ٦٧٠ مصر كما فتح
أشور بانيبال مدينة طيبة عام ٦٦٣ (نحميا ص ٣) .

ثم جاءت الأسرة السادسة والعشرون وعلى رأسها حكام أشداء أمثال
فرעה بذا فرعون نيكو من (٦٠٩ — ٥٩٣ ق. م) الذي ساعد الدولة
الآشورية منذ سقوط نبوى عام ٦١٢ ق. م فقتل عام ٦٠٨ يوشع عند مجدو
(magiddo) وسجن إزركادنا (هو آحاز) وتوج إزركادنا (يوافيم) ملكا .

فيميزو عله فرעה نبو مלך מצרים על מלך آشور על דבר
פרת וילך המלך האשורי לקראתו וימיתוהו במגדו: ^(١)

(الملوك الثاني إصحاح ٢٣ آية ٢٩ وما بعدها) .

إلا أن نبوخذ نصر هزم هذا الحاكم المصري عند كركيش .

(١) راجع أيضا الملوك الثاني ص ٢٢ من الآية ٣٠ — الآية ٢٤

وَلَأَدَارِسِيمَ عוֹד מֶלֶךְ מִצְרַיִם לְעֵצָתָא מֵאַרְצָא בְּיָלֻקָּה מֶלֶךְ בְּבֶלְ
 מִנְחֵל מִצְרַיִם עַד-נְהַר פָּרָת בֵּל אֲשֶׁר הָיְתָה לְמֶלֶךְ מִצְרַיִם^(١) .
 (الملوك الثاني إصحاح ٢٤ آية ٧) .

وفي أيام هوفرا Hophra . (من ٥٨٨ — ٥٦٩ ق . م .) نزع كثيرون
 من اليهود بسبب تخريب أورشليم عام ٥٨٦ ق . م إلى مصر حيث كان في مصر
 جالية يهودية يرجع تاريخها إلى القرن السابع ق . م . ومن هؤلاء اليهود الجالية
 التي كانت تقيم في جزيرة الفيلة^(٢) .

وما كاد يمر التاريخ للمصري ويجلس على عرش مصر البطالمة حتى وفد
 كثيرون من اليهود إلى مصر واستوطنوا الإسكندرية وغيرها من المدن
 خاصة المدينة الممماة (ليوتوبوليس Leotopolis) (اليوم تل اليهودية)
 حيث أسس فيها عام ١٦٨ ق . م أحد كبار رجال الدين اليهودي الذين
 طردوا من أورشليم معيداً يهودياً .

ز . فمن هذا يتبين لنا أن العلاقات منذ سليمان مع مصر لم تنقطع ، ولو أن الجالية
 اليهودية في مصر لم تبلغ مكانة محترمة إلا في العصر الهليني في عصر البطالمة
 المتبدين بطليموس الثاني إلى الخامس ، أعني من ٢٨١ — ١٩٨ ق . م .

لذلك لا غرابة في أن نجد الأثر المصري يتغلغل ويقوة في الحياة اليهودية
 سواء في فلسطين أو في خارجها وسواء في العصور القديمة أو في العصور المتأخرة .

وإذا ما عرضنا للعهد القديم وجدنا فيه الكثير من الاشارات التي تشير
 إلى كثير من العلاقات والذكريات الجغرافية والتاريخية بين مصر واسرائيل .
 فمثلاً في سفر يشوع ص ١٥/٩ وكذلك ص ١٨/١٥ نقرأ اسم عين مفتاح
 (עֵינַי מִפְּתָח) وهذا الاسم يحمل ولا شك اسم الفرعون المصري .
 مفتاح . كذلك الخبر الوارد في سفر العدد .

(١) راجع أيضاً أرميا ص ٤٦/٢

(٢) راجع أرميا ص ٤٣/٧ ، اشعيا ص ١٩

(והחברו נבדע נגדוה לזני זעו זצרים:)⁽¹⁾

إصحاح ١٣ آية ٢٢

فهذا الخبر نتبين منه أن حيرون بنيت قبل تنيس ، وهو ولا شك يرجع إلى عهد الهكسوس أي حوالي عام ١٦٨٧ ق. م :

وتشير المراجع المصرية إلى أن آخر حصون الهكسوس كان حصن شروخن الواقع في جنوب فلسطين ، سفر يشوع ص ١٩/٦ :

והיית לבואות יתרוניו :

وكثيرون من العلماء يرون في قصتي يوسف وموسى صدى للهكسوس وزمنهم بالرغم من أن يوسف كان وزيراً فقط . ومدينة رمسيس في قصة موسى ترجع ولا شك إلى عصر رمسيس الثاني حوالي ١٢٥٠ ق. م. سفر الخروج .

:..... ויבן יערי מסגרות לפרעה את פתח ואת דעמס:⁽²⁾

إصحاح ١ آية ١١

لذلك اتجهت الآراء أخيراً إلى كثير من الحقائق التاريخية التي نستطيع أن نجعلها في أن كثيراً من الساميين كانوا يعبرون الحدود إلى مصر، كما راجت سوق يبيع العبيد من الساميين في مصر ومن هؤلاء العبيد من ارتقى في وظائف الحكومة حتي صار وزيراً مثل يانخامو (Janchamu) الذي جاء ذكره في رسائل تل العمارنة ، والذي كان يهون أرض كنعان بالغلال . كما يتبين من هذه النصوص التاريخية القديمة أيضاً وجود أسماء مصرية في عائلة موسى فمثلاً لفظ موسى قد يكون معناه وُلد أو ابن الماء وكذلك اسم بنخاس (Pinchas) أي (أسود) وغير ذلك كثير . فهذان الاسمان وغيرهما قد أخذوا ولا شك عن المصريين .

أما حديث العهد القديم عن جماعة مصر الوارد ذكرها في تكوين ص ٤١

(1) זעו ; n. pr. loc. Tanis : in Egypt. (W. gesenius P. 858).

(2) רעמס = Ramses, city in Egypt built by Rameses II. (W. gesenius P. 947)

وكذلك حديثه عن امرأة فوطيفار (Potiphar) سفر التكوين ص ٣٩ ، وقصة خروج موسى سفر الخروج ص ١ ، والسحرة سفر الخروج ص ٧ - ٨ ، فكلها قصص تلمس فيها الأثر المصرى ، خاصة هذه الأسماء المصرية القديمة الواردة فيها ، والتي بمقتضاها نستطيع إرجاع هذه القصص إلى أوائل الألف الأول ق. م . فمثلا لفظ بوتيفيرا (Potiphra) معناه فى المصرية القديمة ذلك الذى يعطيه الاله رع . واسم أنثا (Asnath) أعنى التابعة للالهة نيث (Neith) وكذلك الاسم سفنات بناخ (Safnath Paneach) معناه (الله يتكلم) وهو (الغلام يحنى) أو (يعيش) .
وهكذا نجد العهد القديم غنيا بالأسماء المصرية والتعبيرات المصرية والعقائد المصرية .

كما نجد أيضا طريقة اختيار الملك شاءول ، كما يصورها لنا سفر صمويل الأول ص ١٠/١٧ وما بعدها ، وقتل الأطفال فى بيت لحم انجيل متى ص ٢ ، وولادة المرأة فى السبأ الواردة فى الكتب المنسوبة الى الكتاب المقدس مأخوذة جميعها عن أسطورة ايزيس^(١)

والى جانب أدب القصص المصرى وأثره فى الأسرائيليين ذكرنا فيما مضى شعر الحكمة المصرى والدور الذى قام به فى الشرق الأدنى . والآن نضيف الى هذا أن تلك الأمثال المنسوبة لسليمان خاصة تلك الواردة فى ص ٢٢/١٧ الى ص ٢٣/١١ فهى مترجمة ترجمة تكاد تكون حرفية عن تعاليم أمينوموبه (Aminomope) . وبغير هذه الأمثال نجد الكثير المنتشر بين طيات الكتاب المقدس .

كذلك سفر أيوب على جانب أسلوبه الفلسفى الدينى الذى استعمله خاصة هذا الأسلوب الحوارى فأننا نجد فيه عنصرا مصريا آخر وهو هذه الصور المستعارة من الحياة المصرية والطبيعية المصرية . ففى سفر أيوب

(١) راجع صمويل الأول ص ١٠ من الآية ١٧ - ٢٤ ، وكذلك انجيل متى الاصباح الثانى ، وكذلك Apok. 12.

نجد وصفا للحيوان المعروف باسم بهيموث (Behemoth) والتساح وفرس البحر وليفيثان (Leviathan) (أيوب ص ٤٠) .

وإذا ما تركنا العهد القديم ولجأنا الى كتاب آخر من الكتب التي لا تقل قداسة عن العهد القديم أعني سفر يسوع بن سيراخ ٣٨/٢٤ وما بعدها فأننا نجد أنه يتحدث عن كثير من الحكم والأمثال التي سبقه إليها المصريون بالرغم من تفاوت العهد بين حياة اليسوع بن سيراخ وبين العصر الذهبي للأدب المصري القديم . وإذا ما فرغنا من العهد القديم وعرجنا على العهد الجديد وجدنا شيئا يشبه هذا . أعني وجدنا الأثر المصري في العهد الجديد لا يقل روعة وقوة عنه في العهد القديم .

ففي العهد الجديد نقرأ مثلاً في إنجيل لوقا ١٦/١٩ وما بعدها قصة الرجل الغني والفقير ، كما نقرأ في لوقا أيضاً ١٦/١ وما بعدها قصة صاحب البيت الظالم . والقصتان ترجعان الى كتب الأمثال المصرية .

وحتى القصص الخرافية التي نجدها في كورنثوس الأول ص ١٢/١٤ وما بعدها والتي سبق أن عرض لها اشعيا ص ١٠/١٥ وما بعدها . حتى هذه القصص نجد أصولها في مصر القديمة .

وإذا تركنا الأثر الأدبي والثقافي والفلسفي في الكتاب المقدس وانتقلنا الى العادات والتقاليد ، وجدنا كثيراً من عادات مصر وتقاليد أهلها تنتقل إلى الاسرائيليين وتكون ركناً هاماً من أركان العقائد الاسرائيلية مثل الختان وتشديد المعابد وما إليها .

من هذا العرض نرى أن دراستنا للعهد القديم أو الكتاب المقدس عامة يجب قبل كل شيء أن تدرس على ضوء ثقافات بلاد الشرق القديم خاصة مصر .

حول بحث "أول من وضع النحو"

للمؤستاذ عبر الوهاب محمود

نشرت المجلة في الجزء الثاني من المجلد العاشر بحثنا طريفا للأستاذ الجليل ابراهيم بك مصطفى في موضوع « أول من وضع النحو » . وهو بحث ألقاه في مؤتمر المستشرقين ، جاء الأستاذ فيه برأى طريف خالف فيه السابقين واللاحقين من مسلمين ومستشرقين .

بعد أن عرض الأستاذ لروايات المؤرخين ، بدله أن ينتهج منهجا جديداً وصل منه الى أن هذه القواعد النحوية التي كتب لها هذا العمر الطويل — على حد تعبيره — أول من نهج سبيلها هو عبد الله بن أبي اسحق المتوفى سنة ١١٧ هـ ، لا كما يقول الرأي السائد بأن واضعها أبو الأسود الدؤلي .
سند الأستاذ في هذا الرأي هو :

(أولاً) أن عبد الله بن أبي اسحق أقدم من نسب إليه سيويه آراء نحوية ، فقد ذكره في كتابه ست مرات .

(ثانياً) أن الأستاذ لم يجد في كتاب سيويه ولا فيما بعده من الكتب رأياً نحويًا نسب الى أبي الأسود ولا الى طبقتين من بعده .

(ثالثاً) أن ما قام به أبو الأسود من نقط المصاحف على طريقته هو عمل يرجع الى ضبط المصحف لا الى النحو .

(رابعاً) أن الأمر قد اختلط على الرواة في نسبتهم النحو الى أبي الأسود ، وسبب هذا الاختلاط أنهم كانوا يريدون بالنحو ضبط الكلام على سبيل العرب وستمها في القول . وهذا هو ما جاء في اللسان والمخاض لابن جني يصدد

تعريف النحو . ثم لما تقدم الرواة في البحث جعلوا لهذا النحو سببا فقالوا:
في الكلمة ترفع لأنها فاعل ، وسموا ذلك علل النحو . ثم تقدموا بعد ذلك
خطوات في التعليل .

(خامسا) كثره الناس أن ينسب شيء إلى زياد ، وحيث أن ينسب كل
شيء إلى علي وشيعته ، جعلهم يروجون نسبة وضع النحو إلى علي بن أبي طالب
تخفيف الحقيقة حتى أن أن يجعلها البحث في كتب النحو ذاتها لا في أخبار
الطبقات .

هذه هي خلاصة واقعة لنحو الأستاذ وأسائده .
وإني أخالف الأستاذ في النهج الذي اتبعه وفي الاستنباط الذي
استنبطه وذلك :

(أولاً) إن عدم سبق كتيب النحو لكتاب سيبويه في النقل عن العلماء
الذين تقدموا عبد الله بن أبي إسحق ، لو من دليل على أن أولئك الأئمة
لم يكن لهم سبق في التفكير في النحو ، ولم يقوموا بأية محاولات تضع
أن تعتبر نواة ، كما اعتبرت محاولات عبد الله بن أبي إسحق نواة ، إذ ليس
من السهل طرح جميع الروايات ، التي رويت في وضع أبي الأسود للنحو
أو للعربية ، كما هو نص غالب الروايات . فإن لتضعيف الروايات ورفضها
قوانين وقواعد وضعها علماء الرواية .

ـ (ثانياً) اتنا إذا رجعنا إلى ما ذكره سيبويه في كتابه رواية
عن ابن أبي إسحق ، ونجدناه لا يخرج عن المحاولات والتجاذبات قد قام بها
من سبقوا ابن أبي إسحق ، كيعقوب بن يعقوب وعبد الرحمن بن هرم ، بن نصر
ابن عاصم ، غير أن ميدان هؤلاء هو كتب القراءات لا كتيب النحو ،
فقد كانوا جميعاً في أول أمرهم من القراء حتى ابن أبي إسحق .

ـ روى سيبويه عن ابن أبي إسحق أنه قرأ قولاً تعالى : (يا ليتنا نرد
ولا نكنذب) . فأبى أن يكون من المؤمنين (بنصب) . ولا نكنذب .

وتكون — وهذه هي إحدى المرات الست التي اعتمد عليها الأسيان
في نهجه الجديد .

وروت كتب القراءات عن يحيى بن يعمر وهو شيخ ابن أبي اسحق
أنه قرأ قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) برفع « كلمة » على الفاعلية
وروي عن ابن هرمز أنه قرأ قوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء) ينصب الكاف من ويسفك .

وقرأ ابن هرمز أيضا قوله تعالى (بل ملة إبراهيم حنيفا) برفع ملة .
وهو خير مبتدأ مجزوف أي بل لهبى ملة .

وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي اسحق قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب
تماما على الذي أحسن) برفع النون في (أحسن) .

ليس هذا فقط بل وردت عن أبي الأسود الدؤلي نفسه مناقشة نحوية
في بيت من الشعر تشبه تماما إحدى المرات الست التي رويت عن ابن أبي
اسحق في كتاب بنيويه وكانت سرياً في نهج الأسيان الجديد
جاء في سبط اللائى وأمالى المرتضى والأغانى والكامل للمبرد وإنباه
الرواة للقفطى أن أبا الأسود قال يرد على أخصاره بنى قشير وكانوا عمانية ،
وهو من المشهورين بالتشيع في على .

يقول الأذولون بنو قشير طوال الدهر لاتنسى علياً
فقلت لهم وكيف يكون تركي من الإعمال ما يقضى علياً
أحب محبداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا
بنو عم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم إلياً
فإن يك حرمهم رشداً أضيئ وليس بمخطئ إن كان غيماً

روى ابن الأنبارى بسنده عن أبي عبيدة العنزي قال : كتب معاوية
إلى زياد كتاباً وقال للرسول إنك ستري إلى جانبه رجلاً ، فقل له إن أمير

المؤمنين يقول لك قد شككت في قولك (فإني لك) . فقال له ، فأجاب
أبي الأسود لأعلم لك بالعربية ، قال تعالى : (وإنا أو إياكم لعلى هدى
أو في ضلال مبين) فسكت معاوية لم يبلغه احتجاج أبي الأسود ، وهو يريد
أن يقول أفترى الله شكاً ؟

على أنني لا أمتنع أن يكون لابن أبي اسحق تفوق في القياس ، وشخصية
في التعليل ، ولكن ذلك لا يكفي في أن نسلب المتقدمين جهدهم ومحاولتهم
في اتجاهات هذا العلم — علم النحو .

(ثالثاً) إذا علمنا أن ابن أبي اسحق أخذ عن ميمون الأقرن وعن يحيى
ابن يعمر وعنسة التليل ونصر بن عاصم ، وكل هؤلاء أخذوا عن شيخهم
أبي الأسود الدؤلي ، فهل غريب في العقل والعادة أن يكون التلميذ مثلاً
لاتجاهات أساتذته ، ومشخصاً لآراء شيوخه وصورة لمقلياتهم واتجاهاتهم .

(رابعاً) كيف يسوغ في العقل أن رجلاً مثل أبي الأسود ، وقد وصفه
المجاذب في البيان والتبيين والبرقي في اللآلئ بأنه كان خطيباً عالمياً ، وكان قد جمع
شدة في العقل ، وصواباً في الرأي ، وجودة في اللسان ، وقول الشعر والظرف .
كيف يسوغ أن رجلاً كهذا ، وحوله المجتمع يعجب باللحن تارة في القرآن
الكريم ، وتارة في غير القرآن الكريم ، ثم هو لا يفكر في موانع لهذا اللحن
وضوابط لهذه العربية ، فكما سلم الاستاذ لأبي الأسود بما اخترعه من النقط
ضابطاً للمصحف ، كان ينبغي أن لا يمنع عليه التفكير في ضوابط أولية
ساذجة ليهتدى بها الأعاجم في كلامهم وتكون لهم حواجز من اللحن
وقد فشا ، حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين لحن رجل بمحضرته
« أرشدوا أخاكم فقد ضل » وقال أبو بكر ، لأن أقرأ فأسقط أحب إلى
من أن أقرأ فألحن . وكتب كاتب أبي موسى الأشعري الي عمر قلجن
فكتب إليه عمر : أن اضرب كتابك سوطاً واحداً ، وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا من قرئش ونشأت في بني سعد فأني لي اللحن »
وغير ذلك من أخبار اللحن وهي كثيرة .

(خامساً) إن ذهاب الأثر في بطون التاريخ لا يسقط من قيمة الرواية خلو فرضنا أنه ليس هناك من أثر كتابي لأبي الأسود وتلامذته قبل ابن أبي اسحق ، لا يدل هذا على أن الرواية ساقطة وغير صحيحة ، وإلا فأين القرآن الكريم الذي كان يأمر صلوات الله عليه بكتاب وحيه بكتابته على الرقاق واللخاف والعسب ؟ بل أين القرآن الكريم الذي نسخ منه في العرصة الأخيرة مانسوخ كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة ، بل أين المصحف التي جمعها أبو بكر ؟ فإذا قلنا ان هذه ممثلة في المصحف الامام الذي أمر بكتابته عثمان بن عفان ، فنقول قياساً على هذا إن الآراء الساذجة الأولية التي رسمها أبو الأسود وتلامذته في العربية قد نجد لها ممثلة فيمن جاء بعدهم . ولا مانع عندي من ذلك . ولا سيما إذا رجعنا إلى ما ذكره صاحب الفهرست واعتبرناه وقد كان كثير البحث والتفتيش عن الأمور القديمة ، كثير الرغبة في الكتب وجمعها وذكر أخبارها وأخبار مصنفها ومعرفة خطوط المتقدمين ، كما ذكر ذلك النقطي في كتابه « إنباء الرواة على أنباء النجاة » .

يقول صاحب الفهرست :

كان بمدينة الخديثة رجل يقال له محمد بن الحسين جماعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثيرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة ، فأخرج لي قطراً كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل ، جلود وصكاك فيها تعليقات عن لغة العرب . ورأيت ما يدل على أن النجوى من أبي الأسود ، ماهذه حكايته وهي أربع أوراق وأحسبها من ورق الصين ترجمتها « هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود — رحمة الله عليه — بخط يحيى بن يعمر » ونحت هذا الخط بخط عتيق « هذا خط علان النجوى » ونحته « هذا خط النضر بن شميل » .

قال ابن النديم . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا التمطر وما كان فيه ، فما سمعنا له خبراً ، ولا رأيت منه غير المصحف . هذا على كثرة بحثي عنه .

وذكر ياقوت في معجمه في ترجمة ابراهيم بن عقيل النحوي المدمشق
أبي اسحق القرشي المعروف بابن المكبري :

«قال ابن عساكر: وكان أبو اسحاق يذكر أن عنده تعليقة أبي الأسود
الدؤلي ، التي ألقاها اليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان كثيراً
ما يعد بها أصحابه ولا سيما أصحاب الحديث ولا يني الى ان كتبها عنه بعض
تلاميذه الذين يقرءون عليه . وهذه التعليقة هي في أمالي أبي القاسم الزجاجي
نحواً من عشرة أسطر » .

بعد كل هذا ، لنا مأخذ على البحث :

المأخذ الأول : قول الأستاذ أن المرحوم صادق الرافعي قال في كتابه
« تاريخ الأدب » ان معرفة واضع النحو في العربية يكاد يكون معضلة .
وكنت أود أن يكون الأستاذ دقيقاً في نقله .

أولاً : إن اسم كتاب الرافعي « تاريخ آداب العرب » لا تاريخ الأدب .
ثانياً : إن الرافعي لم يذكر ان معرفة واضع النحو معضلة وإنما هو
يقول في ص ٣٣٥ من الجزء الأول :

« أما تاريخ وضع النحو فلا سبيل إلى تحقيقه البتة » وذلك لأن الرافعي
كان بصدد تحديد تاريخ الوضع ، لا الوضع حيث يقول في الصفحة نفسها :
« في وضع النحو أقوال كثيرة ، والنبقات تجمعون على أن أبا الأسود أخذه
عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولكن العلماء جميعاً أغفلوا ذكر التاريخ
الذي كان فيه ذلك الوضع . فلا سبيل الى تحقيقه البتة » .

أما واضع النحو فقد ذكر الاديب الكبير الرافعي ، في مواطن متعددة
من كتابه أنه يوافق على أن واضعه هو أبو الاسود الدؤلي ، (راجع
ص ٢٤١ ، ٢٨٧ ، ٣٣٥) .

وإنما الذي ذكر ذلك هو الأستاذ الجليل أحمد بك أمين في ضحى
الاسلام فربما اجتلط الامر على ابراهيم بك مصطفي . فقد ذكر

الأستاذ أحمد أمين في صفحة ٢٨٥ من الضحى الجزء الثانى « وتاريخ النجوى
في منشئه غامض كل الغموض » .

الماخذ الثانى : ذكر الاستاذ فى البحث :

أن الذى قام بضبط المصحف الضبط الاول بجمع الناس على حرف
واحد هو أبو بكر الصديق .

وهذا رأى يكاد يخالف فيه الأستاذ جميع الباحثين المحققين ، وليس له
سند فيه من رواية صحيحة أو غير صحيحة . وهو يخالف لطبيعة الأشياء
التي هى البواغى التي حملت أبا بكر بعد إشارة عمر على جمع القرآن فى المصحف
فإن الروايات الصحيحة جميعها فى البخارى وغير البخارى تبص على أن عمر
ابن الخطاب « دخل على أبى بكر فقال إن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم باليمامة يتهافون تهافت الفرائس فى النار ، وإنى أخشى
أن لا يشهدوا موطننا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا ، وهم حملة القرآن فيضيع
القرآن ويقتلوا ، فلو جمعته وكتبته » .

فأبو بكر رضى الله عنه لم يجمع القرآن لحديث خلل فى قراءته ،
وإنما جمعه خوفا من ذهاب حملته بقتلهم فى الغزوات . وكان جمعه له
بالأحرف السبعة والناس ظلوا يقرءون بها إلى زمن عثمان .

وقد ذهب إلى هذا رأى « ميور » فى كتابه « حياة محمد » ص ٢٠
من المقدمة . وكذا نيكلسون فى كتابه « التاريخ الأدبى للعرب » ص ١٤٢ ،
وهو الرأى الذى ذهب إليه دائرة المعارف البريطانية فى مادة « قرآن » :

هذا وإذا أخذنا برأى الأستاذ من أن صحف أبى بكر جمعت الناس
على حرف واحد ، فلم إذن قزىغ عثمان بن عفان ؟ وكون لجنة رئيسها
زيد بن ثابت لكتابة المصحف الامام الذى أجمع عليه الصحابة . ثم كيف يمكن
تفسير وجود مصاحف لبعض الصحابة كصحف ابن مسعود ، ومصحف
أبى بن كعب ، ومصحف عائشة ، وهى لم تكن على الحرف الواحد الذى يزعم
الأستاذ أن أبا بكر جمع الناس عليه :

المأخذ الثالث : قول الأستاذ « ان الخليفة الثالث عثمان نشر هذا المصحف في الأمصار ليقرأ منه القارئون » .

والروايات الصحيحة تقول أن الباعث لعثمان على الجمع يختلف عن الباعث لأبي بكر على الجمع .

فإن عثمان رضي الله عنه لم يجمع القرآن إلا بعد أن رأى اختلاف الناس في القراءة حتى أن بعضهم كان يقول قراءتي خير من قراءتك ، بل ذهب بعضهم إلى تكفير بعض ، كما يزوي البخاري ، غشى حذيفة بن ايمان أن يختلف المسلمون في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، ف أشار على عثمان بالجمع .

قال أبو بكر الباقلاني في الانتصار ، لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قصد جمعه على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف واحد لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أنبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه .

فصاحف عثمان مشتملة من الأحرف السبعة على ما يحتمله رسمها . وهي تدفع للقراءات التي يقرأ بها القراء اليوم . أما ما لا يتفق مع رسم المصاحف العثمانية فلا تجوز القراءة به ، وفي هذا ضبط للقراءات وتحديد لألفها وحصر ليدانها .

ثم للإستاذ أخطاء منهجية ينبغي أن نذكرها :

١ — لا ترى صلة بين موضوع البحث وهو « أول من وضع النحو » وفكرة جمع القرآن زمن أبي بكر وزمن عثمان ، فإن هذه الفكرة أقحمت على موضوع البحث إقحاماً ، فهي ليست من النحو في شيء .

٢ — كان منهج البحث يقتضى الأستاذ أن يبين لنا ما مراده بالحرف الواحد الذي جمع أبو بكر الناس عليه كما يزعم ، حتى تعرف صلة ذلك الحرف الواحد بالقراءات التي يقرأ بها اليوم في الأمصار .

٣ — عدم تحريره في العبارة فقد قال :

« يلاحظ أول ما يلاحظ أننا لم نجد في كتاب سيبويه ولا فيما بعده من الكتب رأياً نحوياً نسب إلى أبي الأسود ولا إلى طبقتين من بعده » مفهوم هذه العبارة أنه لم نجد ذلك إلى الطبقة الثالثة .
ثم يذكر بعد ذلك :

« أن الزيدى جعل النحاة طبقات ، الطبقة الأولى طبقة أبي الأسود والثانية طبقة نصر بن عاصم ، والثالثة طبقة عبد الله بن أبي اسحق ، ولم نجد لأحد من علماء الطبقتين الأولى والثانية شيئاً من الآراء النحوية » .
مفهوم العبارة أنه لم نجد رأياً نسب إلى طبقة واحدة بعد طبقة أبي الأسود لا إلى طبقتين من بعده ، كما هو مفهوم العبارة الأولى .

بعد كل هذا نكاد نجزم أن الأستاذ إبراهيم بك مصطفى حين بحثه هذا كان — كما يقول النقاد القدماء — ينظر إلى بحث الأستاذ أحمد أمين بك في ضحى الإسلام ، وكان متأزراً به ، من غير أن يشير إلى ذلك ولو إشارة عابرة . وهو في ذلك يشبه موقفه حين ألف كتاب « إحياء النحو » فقد كان ناظراً حينذاك إلى كتاب « ابن مضاء القرطبي » وقد كان مخطوطاً ، أما الآن وقد أصبح مطبوعاً تسهل مراجعته ومقابلته .

أما دليل دعوانا فسنقتصر فيه على ذكر أمثلة ثلاثة تكفي في الإقناع مع ملاحظة أن أسلوب الأستاذ أحمد أمين هو أسلوب العالم المتئد المتزوى المتحفظ الذي لا يقطع بالرأى ولا يت بالاستنباط ، شأن الباحث في أمور للرأى مجال واسع للاخذ والرد فيها .

١ — يقول الأستاذ أحمد أمين
ص ٢٨٥ : ذكروا أن واخضع النحو
أبو الأسود الدؤلي بل منهم من نسبته
إلى علي بن أبي طالب .

وكل هذا حديث خرافة .
فطبيعة زمن علي وأبي الأسود تأتي
هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية .

١ — يقول الأستاذ إبراهيم
مصطفى : هذه جملة ما يمكن أن تشير
إليه هذه النقول ، ولكننا لا نستطيع
أن نستسيغ أن هذا الزمن المبكر
قد تمكن فيه العرب من الاشتغال
بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه
الذي نراه في كتب العرب .
وقد أنكر ذلك المستشرقون
وعدوه حديث خرافة .

٢ — يقول الأستاذ إبراهيم
مصطفى : فعمل أبي الأسود هو
تقط المصنخ ، كما أشارت إليه
الروايات وكانوا يستقون ذلك ضبط
الكلمات بالنحو أو بالعربية . فإذا
اختلفوا في كلمة قالوا النحو كذا
أو العربية كذا . ويتجلى لنا سبب
اختلاط الأمر على الرواة وتقديمهم
بنسبة النحو إلى أبي الأسود أنهم
كانوا يريدون بالنحو ضبط الكلام
على سبيل العرب وسمتها في القول .
قال ابن جني في أول الخصائص
يعرف النحو :
« النحو انتحاء سمت العرب
في القول » .

٢ — يقول الأستاذ أحمد أمين
ص ٢٨٦ : يظهر لي أن نسبة النحو
إلى أبي الأسود لها أساس صحيح
وذلك أن الرواة يكادون يتفقون
على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا
النمط وهو أنه ابتكر شكل المصنخ
بالنقط ووضع الخطة في ذلك وأمر
الكتّاب أن يسيروا على هذا النمط .
وواضح أن هذه خطوة أولية
في سبيل النحو تنمشي مع قانون
الذشوء ويمكن أن تأتي من أبي الأسود
وواضح كذلك أن هذا يلتفت النظر
إلى النحو . فعمل أبي الأسود يسلم
إلى التفكير في الاعراب ووضع
القواعد له . أضف إلى هذا أن النحو
لم يكن في العصور الأولى مفهوما

منه هذا المعنى الدقيق الذي نعرفه
اليوم :

بل إن ابن جني نفسه وهو من
المتأخرين، يعرف النجوباً أنه « انتحاء
سمت كلام العرب في تصرفه من
إعراب وغيره » .

والكنهم لما تقدموا في البحث
جعلوا لهذا النحو سبباً وعللاً وسموا
ذلك علل النحو .

٣ — يقول الأستاذ أحمد أمين
ص ٢٨٩ : وبدأ البصريون يستعملون
القياس ويوسعون به مسائل النحو
وكان من أسبق الناس في ذلك ابن
أبي اسحق الحضرمي ، فهم يقولون
أنه كان أعلم أهل البصرة وأقلهم ،
ففرع النحو وقاسه .

فابن سلام يقول « وكان أول
من بعج النحو ومد القياس والعلل
عبد الله بن أبي اسحق » .

ولكن ابن أبي اسحق تروى
عنه مسائل قليلة ويتردد اسمه نادراً
ويظهر أنه بدا التفكير النحوي ولم
يستنبط كثيراً من قواعده .

ففي نزهة الالباء أن يونس بن
حبيب سئل عن عبد الله بن أبي
اسحق ومنزله في النحو فقال لو كان
في الناس من لا يعلم إلا علمه
اليوم لهزى به .

ومع هذا فلا نظن أنه كان يعلم
كثيراً من النحو الذي عرف في عهد
سيبويه . فقد روى عن يونس أنه
سئل عن علم ابن أبي اسحق من علم
الناس اليوم (أيام يونس) فقال
يونس « لو كان في الناس اليوم من
لا يعلم إلا علمه لضحك منه » ذكر
بذلك ابن سلام في طبقاته .

ونحن نرى أن نقل الأستاذ أحمد أمين لعبارة يونس بن حبيب
أصدق وأدق . فإن هذه الرواية هي في طبقات ابن سلام وأخبار النحويين
البصريين للسيرافي . وليس لها وجود ولا ذكر في كتاب نزهة الالباء
كما نقل ذلك الأستاذ إبراهيم مصطفى .

هذا إلى أن صحة العبارة هي كما ذكرها الأستاذ أحمد أمين (لضحك منه)
لا كما ذكرها الأستاذ إبراهيم مصطفى (لهزى به) .

وبعد فقد وددت مخلصاً لو أن الأستاذ استصحب الدقة في بحثه والتزوى
في استنباطاته ولا سيما في بحث يلقي بين يدي المستشرقين في مؤتمر
من مؤتمراتهم وهم أشد الناس عناية في تقوّلهم وتحريراً لبحوثهم واتساعاً
في استقصاءاتهم

آثار السهروردي المقتول

تصنيفاتها وخصائصها التصوفية والفلسفية

للككتور محمد مصطفى علمي

(١)

تمهيد : السهروردي بين المتقدمين والمتأخرين

خلف حكيم الاشراق يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي المقتول كثيراً من الآثار المنثورة والمنظومة في كثير من الموضوعات التصوفية والفلسفية ، وكتب بعض هذه الآثار بالعربية ، وبعضها الآخر بالفارسية ، وطائفة ثالثة منها بالعربية ثم ترجمها إلى الفارسية ، وكلها يؤلف تراثاً ذوقياً وعقلياً له قيمته الكبرى وخطره العظيم في تاريخ الحياة الروحية الإسلامية . وقد ذكر أكثر الذين ترجموا لشيخ الاشراق طائفة من هذه الآثار فأثبتوا أسماءها ، واختاروا مقتطفات منها ، وأشار أقلمهم إلى محتويات بعضها ، أو العلوم التي وضعت فيها : طابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت والشهرزوري ، كل أولئك وكثير غيرهم من المؤرخين والمترجمين قد حدثونا عن آثار حكيمنا أحاديث تختلف إجمالاً وتفصيلاً ، وتتفاوت ضبطاً واضطراباً .

على أن الشهرزوري يمتاز من بين هؤلاء المؤرخين والمترجمين بأنه هو الذي انفرد بذكر ثبت يعد أعم وأتم وأشمل لآثار السهروردي وذلك بالقياس إلى ما أورده غيره في هذا الصدد : فقد بلغت عدة الآثار التي أثبتتها الشهرزوري في ترجمته للسهروردي ثلاثة وأربعين كتاباً ورسالة ، فضلاً عما ذكره من مقتطفات منثورة ومنظومة تصور أسلوب شيخ الاشراق في النثر والنظم ،

وما اصططنه في هذا الأسلوب من رموز وإشارات ومصطلحات فلسفية وتصوفية ، تعبر عن بعض منازعه في الحكتين البحيثة والذوقية ، وعما صبح به مذهبه من صبغة إشراقية ، على حين يقف غير الشهرزورى عند ذكر أسماء لطائفة محدودة من الكتب والرسائل ، ويقنع بانبات مقالات أو أبيات معدودة من بين الآثار الخصبية الحافلة العديدة التى خلفها حكيم الاشراق .

على أن من المصنفات التى يعدها الشهرزورى كتباً ورسائل لم تصل إليها أيدينا بعد ، وكتباً ورسائل أخرى نشر أقلها وما يزال أكثرها مخطوطاً حتى الآن ، وتوجد منه نسخ خطية تختلف كثرة وقلة فى مكتبات الشرق والغرب . يضاف إلى هذا أن صحة نسبة بعض ما يذكره الشهرزورى إلى السهروردى ما تزال فى حاجة إلى دراسة تحقيق وموازنة تكشف عن وجه الحق فيها . ونهما يكن من شىء ، فإن ثبت الشهرزورى لآثار السهروردى يمكن أن يعد ثباتاً كلياً إذا قيس إلى فيوت غير الذى أخض خصائصها أنها جزئية ذكرت شيئاً وأغفلت أشياء ، وما أغفلته كان أكثر بكثير مما ذكرته . فثبت الشهرزورى من هذه الناحية له أهميته وقيمتة فى أنه يستوعب آثار حكيمنا كلها ، ويكشف إلى جانب هذا عن بعض الخصائص التصوفية والفلسفية التى يمتاز بها بعض هذه الآثار ، وذلك من خلال القصاص القصير والطوال والعبازات المقتضبة والمسهب التى يوردها فى آخر ترجمته للسهروردى ،

على أن هذا النقص الذى نلاحظه على التصنيفات الجزئية التى أوردها المترجمون المتقدمون لآثار السهروردى ، والذى يشق بينها إلى خد بعيد ، وبشترك معها فيه تصنيف الشهرزورى الكلى إلى حد ما ، قد وجد فى فريق من الباحثين المتأخرين من حاول إكائه : فخاجى خليفة فى كتابه (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) ، وبروكلمان فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) ، وهنرى كوربان فى مقدمة طبعته التى نشر فيها آثار السهروردى تحت عنوان (الأعمال الميثاقية والتصوفية) ، وريت فى مقاله المنشور

بمجملة (الاسلام)^(١) ، قد حاول كل منهم على طريقته ، وفي حدود المواد التي جمعت لديه ، أن يقدم تصنيفاً ما لكتب حكيم الاشراق ورسائله ، ولما وضع على بعضها من شروح وتعليقات . وليس من شك في أن الجهد الذي بذله هؤلاء الباحثون المتقبن عن الأسفار خليق بالاحجاب والتقدير . ولكن واحداً من تصنيفاتهم لا يستكفي بنفسه ، ولا يكفي وحده لأن يعطينا ثبثاً كاملاً شاملاً لآثار المهروردي جميعاً ، وإنما هي تصنيفات يتفاوت حفظ كل منها من النقص والتمام ، ويلم أحدها بآثار المهروردي على وجه يختلف سعة وضيقاً عن الوجه الذي يتناوله عليه غيره ، ولا نكاد نستثني منها غير تصنيف ريتز ، فإنه من هذه الناحية أتمها وأوفاه بالعناية ، وأدلهما على آثار حكيمنا وشروحها ، وأبينها للغات التي كتبت فيها هذه الشروح وتلك الآثار ، وأكثرها تعريفاً بالنسخ الخطية لكل أثر وكل شرح من ناحية ، وبأية مكتبة من مكتبات استامبول توجد كل نسخة من ناحية أخرى .

ولكي يتبين لنا هذا كله ، فلا بد من أن نقف وقفات قصصاً أو طوالاً عند مختلف التصنيفات التي أوردها المترجمون المتقدمون والباحثون المتأخرون لآثار حكيمنا ، ومن أن نوازن بين تلك التصنيفات ، بحيث ننتهي آخر الأمر إلى تصنيف كافي شامل يجمع جل المصنفات المهروردية إن لم يكن كلها ، ويبين العلوم التي عرَضتها ، والموضوعات التي تناولتها ، والخصائص التي امتاز بها كل منها ، ويشير إلى ما نشر منها وما لا يزال مخطوطاً : ففي رأينا أن مذهب المهروردي الاشراقي ، وإن كان قد أتيج له بعض الذين درسوه من بعض

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، طبعة فلوجن : مواضع متفرقة من مواده التي يدخل تحتها اسم كل مصنف بحسب ترتيبه الابداعي .

C. Brockelmann, *geschichte der Arabischen Literatur*
 z. Corbin : *Opera Metaphysica et Mystica*. Vol I, intr. fr : p XVI XXIV. Les motifs zoroastriens dans la philosophie de Suhrawardi, teheran 1949, p. 17-18.
 H. Ritter : *Philologika* p. 270-286.

النواحي كالبارون كارا دى فو^(١) ، والدكتور محمد إقبال^(٢) ، والأستاذ لويس ماسينيون^(٣) والأستاذ هنرى كوربان^(٤) ، إلا أنه ما يزال فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والتحقيق على وجه أتم وأشمل لجميع نواحيه ، بحيث تبين العناصر المختلفة التى يتألف منها ، وتظهر الخصائص الفلسفية والتصوفية التى يتسم بها ، وتبرز المنازاع الاشراقية التى يزرع إلهها ، وبحيث يبدو المذهب الاشراقى لحكيم الاشراق فى صورته التى تجعل منه كلا مؤلف العناصر متسق الأجزاء يرتبط بعضها ببعض ويتأدى من بعضه إلى بعض . وليس من شك فى أن نتيجة كهذه فى دراسة كذلك لا سبيل إلهها إلا إذا أحصيت آثار السهروردى واستقصيت ، وضبطت وحقت ، ثم ألفت بينها تأليفا يجمع المتفرق منها ، ويكشف عن المحمل فى طائفة منها بالمفصل فى طائفة أخرى ، ويفسر الملفز الغامض من بعضها بالواضح البين فى بعضها الآخر .

(٢)

تصنيفات جزئية

أشرنا فيما سبق إلى أن هناك تصنيفات جزئية لمصنفات السهروردى ، وتصنيفات أخرى لعلها أن تكون كلية وأشمل لمصنفات حكيمنا من تلك .

(١) Carra de Vaux : La philosophie illuminative de Subrawardi Mequl-Journal Asiatique (9^{serie}, t. XIX 1902).

(٢) Shaikh Muhammed Iqbal : The development of metaphysics in Persia, London 1908, p. 121-150.

(٣) L. Massignon : Recueil de textes inédits, p 113 وموضح مترجم من كتابه عن الملاح

(٤) H. Corbin : Opera Metaphysica et mystica. p. I—LXXXI.

فما التصنيفات الجزئية فهي التي أوردتها كل من ابن أبي أصيبعة^(١) ، وابن خلكان^(٢) ، وياقوت^(٣) ، والتي نبيها فيما يلي :

١ — فقد ذكر ابن أبي أصيبعة في آخر ترجمته للسهروردي أن لهذا الأخير من الكتب : كتاب التلويحات اللوحية والعرشية ، وكتاب الألواح العبادية ألفه لعماد الدين أبي بكر بن قره أرسلان بن داود بن أرتق صاحب خرت برت (هكذا) ، وكتاب الملح ، وكتاب المقاومات وهو لواحق على كتاب التلويحات ، وكتاب هياكل النور ، وكتاب المعارج ، وكتاب المطارحات ، وكتاب حكمة الاشراق .

٢ — وقال ابن خلكان إن للسهروردي تصانيف منها : كتاب التنقيحات في أصول الفقه ، وكتاب التلويحات ، وكتاب الهياكل ، وكتاب حكمة الاشراق ، وله الرسالة المعروفة بالغربة الغريبة (هكذا والأرجح أنها الغريبة) على مثال رسالة الطير لأبي علي بن سينا ، ورسالة جني بن يقظان لابن سينا أيضاً ، وفيها بلاغة تامة أشار فيها إلى حديث النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء .

٣ — وأما ياقوت فإنه يذكر من تصانيف السهروردي : التلويحات في الحكمة ، والتنقيحات في أصول الفقه ، وحكمة الاشراق ، والغربة الغريبة (هكذا) في الحكمة ، وهياكل النور في الحكمة أيضاً ، والألواح العبادية ، والمعارج ، والملح ، والمطارحات ، والمقامات . وبعد أن عدد ياقوت هذه المصنفات عقب بقوله : « وغير ذلك » ، مما يدل على أن ما ذكره لم يكن كل مصنفات حكيم الاشراق ، وإنما هو بعضها ، وأما البعض الآخر فقلعه

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، طبعة المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٩ هـ سنة ١٨٨٢ م ج ٢ ، ص ١٧٠ — ١٧١

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبعة مطبعة السعادة سنة ١٩٤٩ م ، ج ٥ ، ص ٣١٣

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ، طبعة مطبعة دار المأمون ، ج ١٩ ، ص ٣١٦

أغفله إما التراباً للإيجاز ، أو اكتفاءً بالقدر الذي أورده ، أو لأنه لم يعرف من تلك المصنفات أكثر مما ذكر .

وبالتأمل في هذه التصنيفات الثلاثة يلاحظ عليها يادى* ذي يده أنها تشترك جميعاً في صفة الجزئية ، إذ يشير كل منها إلى ما ورد فيه إن هو إلا من مصنفات السهروردي وليس كلها ، ويلاحظ بعد ذلك أن تصنيف ياقوت هو أوطأها لأنه زاد على ما ذكره ابن أبي أصيبعة كتابين هما (رسالة الغريبة العربية) و (كتاب التنقيحات في أصول الفقه) ، علي حين أغفل ابن خليكان عما ذكره كل من ابن أبي أصيبعة وياقوت كلاهما من (الألواح العبادية) و (اللمحة) و (المعارج) و (المطارحات) ، ويلاحظ أخيراً أن ابن أبي أصيبعة ذكر للسهروردي كتاباً باسم (المقاومات) وأن هذا الكتاب لم يذكره ياقوت ، وإنما ذكر كتاباً آخر باسم (المقامات) .

وقد يتبادر إلى الذهن أن هاتين تحريفاً وقع في اسم هذين الكتابين الأخيرين ، وأنهما ليسا إلا كتاباً واحداً ذكره أحد المترجمين باسم (المقاومات) ، وذكره الآخر باسم (المقامات) ، وأنه إما أن يكون اسمه (المقاومات) أو (المقامات) ، وأن أحد اللذين ذكره بأحد الاسمين خطأ . والآخر مصيب . ولكن الحق الذي لا شبهة فيه أن السهروردي كتاباً يعرف باسم (المقاومات) ذكر السهروردي نفسه في مقدمته أنه مجرى من كتابه الموسوم بالتلوينات مجرى اللوائح ، وفيه إصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه مما كان الأولون يرسلونه إرسالاً ولم يتيسر إرادته في التلوينات بشدة إيجازها ^(١) ، وأن له كتاباً آخر في التصوف ذكر الشهرزوري أنه يعرف باسم (الكلمة) ^(٢) ، وذكره ريتز باسم (مقامات الصوفية = كلمة التصوف) ^(٣) ، وأورد أوله وهو قول السهروردي : « اللهم لك العادة

(١) مجموعة في المسكة الإلهية ، المجلد الأول ، إستانبول سنة ١٩٤٥ ، ص ١٢٤

(٢) الشهرزوري : نزهة الأرواح (نسخة فوتوغرافية بمكتبة جامعة فزاد

رقم ٢٤٠٣٧) ، ص ٢٣٦

(٣) Von H. Ritter: Die vier Suhrawardi, Der Islam XXIV, 1937, p. 282.

والتسليح ، والأذكار والتقديس . . . أما بعد : فإن الصداقة التي تأكدت بيننا ألزمتني اسعافك في تحرير كلمات مومية إلى الحقائق ، شارحة لمقامات الصوفية ومعاني اصطلاحاتهم » . وينتهي بنا هذا كله إلى أن للمهروردي كتاباً في الحكمة ونقد المنطق ودحض آراء المتقدمين فيه ، وهو ذلك الكتاب الذي ذكره ابن أبي أصيبعة باسم (المقامات) ، وأن له كتاباً آخر في التصوف ، عرض فيه للحقائق الالهية والمقامات الصوفية ، وهو ذلك الكتاب الذي ذكره ياقوت باسم (المقامات) ، وذكره الشهرزوري باسم (الكلمة) أو (كلمة التصوف) على نحو ما سنبينه في موضعه من الحديث عن تصنيف الشهرزوري لمصنفات المهروردي .

٤ — ولعل ما أغفله أو أهمله أو ألزم الإيجاز فيه واقتصر على الإشارة إليه كل من ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت فيما يتعلق بمصنفات المهروردي ، قد جاول حاجي خليفة أن يلتمسه ويثبت ، ويزيد عليه أشياء من شأنها أن تكشف عن موضوعات تلك المصنفات وخصائصها من الناحيتين الفلسفية والتصوفية ، وإن لم تكن محاولته عامة ولا شاملة لجميع تلك المصنفات . ومع ذلك فإن ما عمد إليه حاجي خليفة من بيان محتويات الكتب والرسائل التي عرض لها وذكر شروحها من شأنه أن يكمل النقص الذي يلاحظ على تصنيفات ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت ، ويعين على تصنيف بعض مصنفات حكم الاشراق تصنيفاً لعله أن يكون أدق وأوفى وأقع وأجدي في إرشاد الباحث وتوجيه البحث في المذهب الاشراقي لذلك الحكم . ومن هنا نلاحظ على حاجي خليفة أنه عني ببعض مصنفات المهروردي عناية خاصة فذكر أسماءها وأبان عن موضوعاتها وأثبت شروحها ، على حين نراه من ناحية أخرى قد وقع فيما وقع فيه ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت من وقوف عند حد ذكر اسم الكتاب أو الرسالة مكتفياً بقوله إنه أو إنها للمهروردي فقط دون أن يزيد على ذلك شيئاً . ويتبين لنا هذا كله من خلال ما يمكن أن نستخلصه من تصنيف لآثار المهروردي

وشروحها التي ذكرها حاجي خليفة في مواضع متفرقة من كتابه (كشف
الظنون عن أسامي الكتب والفنون ^(١))، وذلك فيما يلي :

(أ) فمن المصنفات التي اكتفى حاجي خليفة بذكر أسمائها ، واقتصر
على القول بأنها للمهروردي فقط (كشف الغطاء لآخوان الصفا)
(و (المدحة) و (المقامات) .

(ب) ومن المصنفات التي أشار حاجي خليفة إلى ما تبحث فيه من العلوم
أو ما تشتمل عليه من الموضوعات، كما ألم بما وضع على بعضها
من شروح : (التلويحات) و (المطارحات) و (هياكل النور)
(و (الألواح العادية) و (حكمة الاشراق) .

فالتلويحات لا يكتفى حاجي خليفة بذكر اسمه واسم المهروردي معه ،
وإنما هو يقول أيضاً إنه في المنطق والحكمة ، وإنه من الكتب المتوسطات ،
وإنه رتب على ثلاثة علوم هي المنطق والطبيعي والالهي ، كل منها على
تلويحات . وعلى التلويحات شرح لعز الدولة سعد بن منصور المعروف بابن الكونة
الاسرائيلي وهو شرح مزوج .
والمطارحات في المنطق والحكمة .

وأما هياكل النور فمن شروحها التي ذكرها حاجي خليفة شرح وضعه
مولانا جلال الدين محمد بن أسعد الدواني المتوفى سنة ٩٠٨ هـ وعليه حاشية
ليحيى بن نصوح المعروف بنوعى والمتوفى سنة ١٠٠٧ هـ . وذكر أنه قد شرحه
أيضاً الشيخ اسماعيل المولوي الأنقروبي المتوفى سنة ١٠٢٠ هـ شرحاً تركياً
سماه (ايضاح الحكم) ، كما ذكر أنه قد شرحه كذلك الفاضل غياث الدين
منصور بن صدر الدين محمد الحسيني شرحاً رد فيه كثيراً على الدواني ،
وهو شرح مزوج ولكنه لم يتم .

والألواح العادية مختصر ذكر فيه أن الملك عماد الدين قره أرسلان
ابن داود أمره (المهروردي) بتحرير مجالته في المبدأ والمعاد على رأى

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (طبعة فلوجل ، ليبك سنة ١٨٤٥ م) ، ج ١
ص ٤٢١ — ٤٢٢ ج ٢ ص ٤١٩ ج ٣ ص ١٠٢ ج ٥ ص ٣٣٠ و ٥٩١ ج ٦
ص ٦٦ و ٥٥٥ — ٥٥٦ .

الالهيين ، فأجاب واستشهد فيه بالسبع المثاني ، ورتب على مقدمة وأربعة ألواح .

وحكمة الاشراف ذكر في آخره أنه فرغ من تأليفه في جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ . وهو متن مشهور شرحه الأكاير كالعلامة قطب الدين محمود ابن مسعود الشيرازي المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، وشرحه ممزوج مفيد . وقد قيل إن في هذا الشرح كلمات لا يمكن تطبيقها على الشرع الشريف ، ولعل هذا القائل ممن لا يقدر على تطبيقها ، ولا يلزم من عدم قدرته عدم الامكان ، لأن أمر التطبيق والتوفيق عند الشارح الفاضل وأمثاله أمرهين . وعلى الشرح حاشية بالفارسية لمولانا عبد الكريم المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ هـ . وفي بعض الكتب أن العلامة السيد الجرجاني شرح حكمة الاشراف ، ولكن حاجي خليفة يذكر هنا أنه لم ير شرحه .

هذه جملة الكتب التي يذكرها حاجي خليفة للسهروردي ، لا نستطيع أن نقول عنها إنها تصنيف لآثار حكيم الاشراف ، ولكنها إذا أضيفت إلى ما ذكره ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت وغيرهم من الذين ترجوا للسهروردي وذكروا مصنفاته ، رأينا إلى أي حد يمكن أن يكون حاجي خليفة أكثر تحريماً للتفصيل وعلى أي وجه يمكن أن تعد بياناته عن المصنفات التي أوردها لحكيم الاشراف متممة للنقص الذي لاحظناه على ما أورده المترجمون من هذه المصنفات .

على أن هذا كله لا يغني في إعطاء تصنيف عام شامل لجميع ما خلفه السهروردي من آثار : فلا ما ذكره كل من ابن أبي أصيبعة وابن خلكان وياقوت وحاجي خليفة على حدة ، ولا ما ذكره كل أولئك مجتمعاً يمكن أن يقال عنه إنه تصنيف لآثار حكيمنا ، بل إنه ستظل هناك طائفة من تلك الآثار لم يذكر أحدكم أو كلهم أسماءها ، ولم يشر إلى شيء منها أو شرح عليها . ولعل هذا النقص راجع إلى أن بعض تلك الآثار لم تصل إليه أيدي المترجمين للسهروردي ، وأن ما وقع لهم أو وقعوا عليه من بعضها الآخر

وهو الذى ذكره ، لم يطيلوا النظر فيه ، ولم يكتفوا أنفسهم مشقة البحث عما يحتويه ، بل اكتفوا منه بذكر الأسماء على نحو ما فعل ابن أبى أصيبعة وابن خلكان وإياقوت وكثير غيرهم من ترجم للسهروردى ، ناهيك بأن بعضهم كان ينقل عن بعض نقلا يكاد يكون حرفياً وخلوا من التحقيق وتحرى الدقة ، حتى إذا كان حاجى خليفة رأيناه يعتمد إلى الإحصاء والاستقصاء ، ويوغل فيما وراء أسماء الكتب وعناوينها ومؤلفها إلى ما تعرض له وتنطوى عليه . ولكن إحصاءه لكتب السهروردى لم يكن شاملاً ، واستقصاءه لها لم يكن كاملاً ، وإنما هو قد فصل عند ذكر طائفة من الكتب ، وأجل عند ذكر طائفة أخرى ، واكتفى عند ذكر طائفة ثالثة بالإشارة إلى أنه للسهروردى فقط ، ولم يذكر البتة طائفة رابعة منها ، ولعل الذى لم يذكره كان أكثر من الذى ذكره . هذا إلى أن منهجه فى كتابه (كشف الظنون) كان يحتم عليه أن يتناول كل كتاب أو رسالة أو شرح تناولا جزئياً ، بحيث يعرض له أو يشير إليه أو يفصل القول فيه فى مواضع متفرقة من مواد كتابه : فلم تكن البيانات التى قدمها عما ذكره من آثار السهروردى تصنيفاً بالمعنى الدقيق الذى تدل عليه لفظة التصنيف من ترتيب أو تبويب أو تقيم أو تنظيم فى إطار واحد ، يجمع بين هذه الآثار ويرتبها وينسقها بحسب طبيعتها أو مادتها أو تاريخها أو خصائصها العامة أو الخاصة ، أولغتها التى كتبت فيها أو ترجمت إليها .

(٣)

تصنيف كلى : السهرزورى - ريتز

وإذا كان ما يذكره المؤلفون السابقون من مصنفات السهروردى . وشروحها ناقصاً إلى الحد الذى رأينا ، فلا بد إذن من أن نلتمس لآثار حكيم الاشراق تصنيفاً لعله أن يكون أتم وأجمع لها وأدل عليها . وليس من شك فى أن الثبت الذى يورده السهرزورى فى ترجمته للسهروردى

هو الأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه ذلك التصنيف ، كما أن المعلومات والبيانات التي يقدمها العالم الجليل الأستاذ ريتز في مقاله (السهرورديون الأربعة وخطوطاتهم في مكتبات استانبول)^(١) ، لها من القيمة الكبرى والفائدة العظمى ما لا يمكن جحده أو إنكاره أو إنكار أثره في العون على تأليف تصنيف كلّي جامع لا تار شيخ الاشراف ، سواء من ناحية ذكر أسماء المصنفات أم من ناحية الارشاد إلى موضوعاتها وشرحها ونسخ هذه الشروح وتلك المصنفات الخطية التي توجد في مكتبات استانبول . فثبت ريتز من هذه الناحية ومن تلك متمم لثبت السهرزوري ، لأن ما يذكره السهرزوري من مصنفات السهروردي ، واقفاً عند حد أسماءها دون أن يزيد عليها شيئاً إلا قليلاً ، كأن يقول إن هذا الكتاب أو هذا الشرح لذلك الكتاب ينسب للسهروردي وهو ليس له ، لا يفتن به ريتز ولا يقف عنده ، وإنما هو يتجاوز به إلى شيء آخر لم يعمد إليه السهرزوري ولا غيره ممن ترجموا للسهروردي وعرضوا للذكر مؤلفاته . ذلك بأن ريتز قد حاول على ضوء ثبت السهرزوري أن يلتبس مصنفات السهروردي في أصولها ، وأن يبحث عن نسخها الخطية ، وعن شروحها المختلفة في مكتبات استانبول ، وزاد على هذا كله أسماء مصنفات السهروردي لم يذكرها السهرزوري ، وأسقط من ثبته أسماء مصنفات أخرى لعله لم يتحقق من صحة نسبتها للسهروردي ، أو لم يقع منها على مخطوط في أية مكتبة من مكتبات استانبول التي اختلف إليها . ومن هنا كان الجمع بين ثبتي السهرزوري وريتز من شأنه أن يعيننا على الالمام بآثار حكيم الاشراف من ناحية ، وعلى تصنيفها تصنيفاً كلياً شاملاً من ناحية أخرى . ومن هنا أيضاً رأينا أن نلتم في ذكر أسماء المصنفات التي نسب إليها السهرزوري ، وأن نصنيف إلى إسم كل مصنف ما يكفي للإبارة عن موضوعه من بين البيانات العديدة التي وفق إليها ريتز في بعضه . ولكي يتبين ما ذكره كل من السهرزوري وريتز في ثبته من مصنفات السهروردي وما اتفقا أو اختلفا فيه ، فقد أشرنا

مع كل مصنف إلى أن هذا المصنف قد ذكره ريتز ولم يذكره الشهرزورى ،
وأن ذلك المصنف ذكره الشهرزورى ولم يذكره ريتز ، وذلك على الوجه التالى :

١ — المطارحات : ذكره الشهرزورى هكذا ، وذكره ريتز باسم (المشارع
والمطارحات) . وهو يشتمل على العلوم الفلسفية الثلاثة من منطق وطبيعيات
والهيات . وقد أوجب الشهرزورى نفسه أن يقرأ هذا الكتاب قبل كتابه
الموسوم بحكمة الاشراق وبعد تحقيق المختصر الموسوم بالتلويحات ^(١) .
ويبدأ القسم الأول من هذا الكتاب بقول المؤلف : « هذا كتاب يشتمل
على العلوم الثلاثة ... » . ويبدأ القسم الثانى بقوله : « هذا شروعا فى العلم
الثانى ... » ، ويبدأ القسم الثالث بقوله : « الاشراق سبيلك اللهم ونحن
عبيدك ... » .

٢ — التلويحات : وهو كتاب فى المنطق والطبيعيات والالهيات ،
ويشتمل على أقسام ثلاثة ، يبدأ القسم الأول منها بقول المؤلف : « السبجات
لجلالك اللهم ... » ، والقسم الثانى بقوله : « نستعين بالله واهب العقل ... »
والقسم الثالث بقوله : « تباركت ربنا خالق النور ... » .

وقد وضع على التلويحات شروح ، ذكر منها ريتز شرحاً لمحمد بن محمود
الشهرزورى عنوانه (التفتيحات فى شرح التلويحات) ، وأوله : « الحمد لله
ربافع الحجب لأولياته ... وبعد : فلما كان العالم الأرضى محل اجتماع الأشعة ...
ولما كان كتابه الموسوم بالتلويحات فى الحكمة النظرية ... مشتملا على لباب
القواعد الحكيمية والأبحاث العقلية ... » .

وذكر ريتز أيضاً شرحاً آخر على التلويحات وضعه عز الدولة سعد
ابن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن الكونة فى سنة ٦٦٧ هـ ،
وأول هذا الشرح : « بعد حمد الله تعالى على آلائه المتواترة ... لما كان
المختصر ... » .

(١) مجموعة فى الحكمة الإلهية ، المشارع والمطارحات — طبعة كوربان ، استانبول
سنة ١٩٤٥ ، ص ١٩٤

وقد كتب السهروردي نفسه ذيلًا للتلويحات هو كتابه المسمى بالمقاومات.
سند كره في رقم ٧ ، قال السهروردي في أوله : « هذا مختصر يجري من كتابي
الموسوم بالتلويحات مجرى اللواحق ... » .

٣ — حكمة الاشراف : وقد ذكر المؤلف في آخره أنه انتهى من تأليفه
في آخر جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ هـ لما كانت المكواكب السبعة في برج
الميزان . ويبدأ هذا الكتاب بقوله : « جل ذكرك اللهم ، وعظم قدسك ... »
والكتاب قيمان : قسم في المنطق ويشتمل على مقالات ثلاث ، وقسم
في الأنوار الالهية ويشتمل على مقالات خمس . ويعد هذا الكتاب أهم مصنفات
السهروردي وأجمعها لثلاث مذاهب وأدلهما على منزهة الاشراف .

وعلى حكمة الاشراف شروح وتعليقات ذكر منها ريت شرح قطب الدين
محمود بن مسعود الشيرازي تلميذ نصير الدين الطوسي والمتوفى سنة ٧١٠ هـ ،
ألفه واصله سنة ٦٩٤ هـ ، وأوله « قال مولانا قطب الملة والحق والدين ...
الاشراق سبيلك اللهم ، والأشواق دليلك ... » أما بعد : فإن أحوج خلق لله
إليه محمود بن مسعود الشيرازي يقول : إن المختصر الموسوم بحكمة الاشراف
للشيخ ... أبي الفتوح عمر بن محمد (؟) السهروردي ... » .

ويوجد على هامش هذا الشرح حاشية لنجم الدين الحاج محمود التبريزي ،
ألفه للوزير ناصر الدين سديد السلطان بن السلطان أحمد بهادور خان . وأول
هذه الحاشية : « أحمد الله أحكم الحاكمين ... » وبعد : فيقول حاجي محمود :
إن شطراً من كتاب يقال له الاشراف المنور من أنواره ، أردت أن أعلق
عليه حاشية تميز الخطأ من الصواب .. » .

وثمة شرح آخر لحكمة الاشراف وضعه محمد بن محمود الشهرزوري ،
وأوله : « سبحانه يا فاضل أمور الأزل ... » أما بعد : فإن المقصود من هبوط
النفس الناطقة في العالم العلوي ... » .

٤ — اللوحات : ذكره ريت باسم (اللوحات في الحقائق) ،
وهو مختصر صغير في العلوم الحكيمية الثلاثة من منطق وطببيات وإلهيات

وأوله : « أصلحنا بنورك يا ذا العرش العظيم ... فان هذه لمحات في الخفايا
على غاية الاليجاز ، ولم أذكر فيها غير المهم من العلوم الثلاثة ... » .

وعلى هذا اختصر شرح لنظام الدين محمود بن فضل الله بن احمد التوزي
الخمذاني ، وضعه إجابة لطلب أعز أصحابه وإخوانه في الدين ناصر الدين
أبي بكر بن شجاع الدين الحاصري ، وذلك في سنة ٦٥٠ هـ . وقد أورد ريت
هذا الشرح باسم (شرح اللمعات) .

٥ — الألواح العادية : وهو كتاب في العلوم الحكيمة ومصطلحاتها ،
وضعه السهروردي إجابة لما توارث عليه من مكاتبات الملك العالم عماد الدين
ظهير الاسلام قره أرسلان بن داود ، كما يدل على ذلك اسم الكتاب من ناحية ،
وما ورد في أوله وأثبتته ريت في ثبته من ناحية أخرى .

وعلى هذا الكتاب شرح عنوانه (مصباح الأرواح في كشف حقائق
الألواح) ، ألفه الودود بن محمد التبريزي ، وفبرغ من تأليفه في الخامس
من ربيع الثاني سنة ٩٣٠ هـ ، وذلك عند ما كان المشتري والزهرة في برج
الحوت . وقد وضع البشارح فيما بعد زيادات على شرحه ثم شرحها وأطلق
على شرحه لها اسم (شرح ذيل الكتاب) ، وكان فراغه منه عند ما كان
الكوكبان السعيدان في برج التوأمين سنة ٩٣٢ هـ .

٦ — الهياكل النورية : ذكره ريت باسم (هياكل النور) . كتبه
السهروردي بالعربية وترجمه هو نفسه إلى الفارسية . وقد أثبتته الشهرزوري
في ثبته مرتين : مرة على أنه بالعربية واسمه (الهياكل النورية) ، ومرة على أنه
بالفارسية واسمه (الهياكل) فقط . وأورد ريت أول المتن العربي وهو :
« ياقيوم أيدنا بالنور ، وثبتنا على النور ... » ، وأول المتن الفارسي وهو :
« الهيكل الأول : بدانك جسم آنست كه مقصود باشارت بود ... » .

وعلى هذا الكتاب شروح أربعة أوردتها ريت وهي : شرح لجلال الدين
محمد بن أسعد الدواني المتوفى سنة ٩٠٧ هـ ، وعنوانه (شواكل الحور) ،
وضعه في سنة ٨٧٢ هـ في تبريز : وأوله : « يا من نصب رايات آيات قدرته

على كواهل هياكل المكنات...». وشرح آخر كتيبه ابن صدر الدين الشيرازي وهو منصور بن محمد الحسيني انتوفى سنة ٩٠٣ هـ ، وعنوان هذا الشرح : (إشراق هياكل النور لكشف ظلمات شواكل الغرور) ، وهو كما يدل عليه عنوانه نقض لشرح الدواني السابق واعتراض عليه . وشرح ثالث تركى وضعه اسماعيل المولوى الانقروى شارح المثنوى والمتوفى سنة ١٠٤٩ هـ . وشرح رابع منظوم وعنوانه (ألفية الحكمة الالهية على مذهب الاشراقين مما حوتها الهياكل النورية) مع زيادات من شرحها وشئ من كتاب الاشراق ؛ نظمها حسن الكردى . ويرى ريتز أن هذا الشرح المنظوم هو حاشية عصام الدين ابراهيم على رسالة السمرقندى ، ويعرف ذلك الشارح الناظم باسمه الكامل وهو حسن بن محمد الزيبارى .

٧ — المقاومات : وهو مختصر جعله السهروردى من التلويحات بمثابة الذيل ، كما يدل على ذلك قوله فى مقدمته وهو : « هذا مختصر يجرى من كتابي الموسوم بالتلويحات مجرى اللواحق ، وفيه إصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه ، مما كان الأولون يرسلونه ولم يتيسر إبراده فى التلويحات » .

٨ — الرمز الموى : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز ، ولا ذكره أحد ممن ترجعوا للسهروردى غير الشهرزورى .

٩ — المبدأ والمعاد : وهو بالفارسية ، ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز ولا غيره .

١٠ — بستان القلوب : وهو مختصر فى الحكمة ، كتيبه السهروردى بالفارسية لجماعة من أصحابه فى إصفهان ، وأوله كما أورده ريتز : « سپاس خدای را که بنی واسطه بوجود خود وجود ما پیدا کرد... أما بعد جماعتی از اهل صفای اصفهان که مرا با ایشان نشست و خاستی بود در خواستند تا کلمه چند در حقیقت جمع کنیم چنانکه تکلف در آن راه نیابد... قسمی تعلقى بعالم اجسام دارد وقسمی تعلقى بعالم ارواح » .

- ١١ — طوارق الأنوار : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٢ — التنقيحات فى الأصول : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٣ — كلمة التصوف : ذكره الشهرزورى بهذا العنوان ، وذكره ريتز باسم (مقامات الصوفية) ويتبين موضوعه من مقدمته التى أورد ريتز أولها وهو قول المهروردي « اللهم لك العبادۃ والتسبيح ، والأذكار والتقدیس . أما بعد : فإن الصداقة التى تأكدت بيننا ألزمتنى إسعافك فى تحرير كلمات مومية إلى الحقائق ، شارحة لمقامات الصوفية ومعانى اصطلاحاتهم » .
- ١٤ — البارقات الإلهية : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٥ — النفحات البناوية : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٦ — لوامع الأنوار : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٧ — الرقم القدسي : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٨ — اعتقاد الحكاء : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ١٩ — كتاب الصبر : ذكره الشهرزورى ، ولم يذكره ريتز .
- ٢٠ — رسالة العشق : ذكرها الشهرزورى بهذا العنوان ، وذكرها ريتز باسم (مؤنس العشاق) ، وهى بالفارسية ، وأولها قوله : « نحن نقص عليك أحسن القصص ... » . وعلى هذه الرسالة شروح لشرح مجهولين .
- ٢١ — رسالة در حاله طفوليد : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتز ، وهى بالفارسية .
- ٢٢ — رسالة المغراج : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتز .
- ٢٣ — رسالة روزى باجماغت صوفيان : ذكرها الشهرزورى ولم يذكرها ريتز ، وهى بالفارسية وموضوعها كما يدل عليه عنوانها يوم مع جماعة من الصوفية .
- ٢٤ — رسالة عقل : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتز ، وهى بالفارسية ، وموضوعها كما يدل عليه عنوانها هو العقل .

٢٥ — « شرح » رسالة أوازير جبرئيل : ذكره الشهرزورى وريت ، وهو بالفارسية ، ومعناه شرح رسالة صوت جبرائيل . وعلى هذه الرسالة شرح لشارح مجهول ذكره ريت ، وأثبت له نسخة خطية محفوظة في مكتبة الشهيد على .

٢٦ — رسالة برتونامة : ذكرها الشهرزورى وريت ، ومعناها رسالة النور ، وهى مختصر بالفارسية فى الحكمة ، تناول فيها المهروردى شرح بعض الاصطلاحات ، وتعريف الجسم ، وبعض الأحوال ، والنفس واستبصارها وقواها ، وذات واجب الوجود وصفاته وفعله .

٢٧ — رسالة لغه* موران : ذكرها الشهرزورى وريت ، وهى بالفارسية ومعناها رسالة لغة الخلل ، وهى عبارة عن حكايات رمزية ، وأولها كما يورده ريت : « سباس مبدعى را كه بحقيقت همه همكى باعتراف همه موجودات از روى شهادت وجود اورا سزاوارست و درود بر روان پاكان باذ خصوصاً بر محمد النبي . . . » .

٢٨ — رسالة غربة الغربية : ذكرها الشهرزورى هكذا ، وذكرها ريت باسم (الغربة الغربية) وهى قصة رمزية تأثر فيها المهروردى قصة حى ابن يقظان لابن سينا ، وأورد ريت أولها وهو قوله : « أما بعد : فإني لما رأيت قصة حى بن يقظان صادفتها مع ما فيها . . . » .

٢٩ — رسالة صفيير سيمرخ : ذكرها الشهرزورى وريت ، وهى بالفارسية ، وأولها قول المهروردى : « سباس بادواهب حيوة را ومبدع موجودات را » .

٣٠ — رسالة الطير : ذكرها الشهرزورى هكذا ، وذكرها ريت باسم (ترجمه* رساله* طير) ، وهى ترجمة فارسية لرسالة الطير لابن سينا .

٣١ — رسالة تفسير آيات من كتاب الله وخير عن رسول الله : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريت .

٣٢ — رسالة غاية المبتدى : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريت .

٣٣ — التسميات ودعوات الكواكب : ذكرها الشهرزورى ، ولم يذكرها ريتز بالاسم ، وأكبر الظن أنه عدها ضمن نصوص متفرقة للسهروردى يجمعها اسم واحد هو (الواردات والتقدسات)^(١) .

٣٤ — أدعية متفرقة : ذكره الشهرزورى .

٣٥ — السراج الوهاج : ذكره الشهرزورى ، وشكك في صحة نسبته إلى السهروردى ، وذلك إذ يقول : « والأظهر أنه ليس له » .

٣٦ — الدعوة الشمسية : ذكره الشهرزورى .

٣٧ — الواردات الإلهية بتجزيات الكواكب وتسمياتها : ذكره الشهرزورى .

٣٨ — مكاتبات إلى الملوك والمشايخ : ذكرها الشهرزورى .

٣٩ — كتب في السيميا : ذكرها الشهرزورى هكذا دون أن يعين أسماءها ، ولم يقطع بصحة نسبتها إلى السهروردى كما يتبين ذلك من قوله : « تنسب إليه » دون أن يزيد عليه شيئاً .

٤٠ — كتب الألواح : ذكرها الشهرزورى مرة أخرى على أنها بالفارسية ، وكان قد ذكرها قبل ذلك على أنها بالعربية (أنظر رقمه من هذا التصنيف) .

٤١ — تسميات العقول والنفوس والعناصر : ذكرها الشهرزورى .

٤٢ — الهياكل : ذكرها الشهرزورى مرة أخرى على أنها بالفارسية ، وكان قد ذكرها قبل ذلك باسم (الهياكل النورية) على أنها بالعربية (أنظر رقم ٦ من هذا التصنيف) .

٤٣ — شرح الاشارات : ذكره الشهرزورى ، وهو بالفارسية ، وقال إن بعض المعارف قد ذكر له أنه عنده ، ولكنه لم يقف عليه .

(١) يرى ريتز في هذه (الواردات والتقدسات) أنها تشتمل على ترانيم وأدعية للكواكب والجن مع إطلاخ البخور ، وأن السهروردى يمرض هنا سحراً تنجيماً هائلاً من النوع الذى يمثله كتاب (غاية الحكيم) للشمسى المجرى ، وكتاب (سر المستوم في مخاطبة النجوم) لفخر الدين الرازى (Der Islam XXIV (1937) p. 285) ويدخل تحت هذه (الواردات والتقدسات) المصنفات ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ من هذا التصنيف .

٤٤ — كشف الغطاء لإخوان الصفاء : لم يذكره الشهرزورى ، وذكره ريتز ، وأورد أوله وهو قول السهروردى « اللهم أعذنا من غيرك إلينك . . . وبعد : فهذه النعمة الموسومة بكشف الغطاء لإخوان الصفاء . . . »

٤٥ — الكلمات الذوقية والنكات الشوقية = رسالة الأبراج : لم يذكرها الشهرزورى ، وذكرها ريتز : وأورد أولها وهو قول السهروردى « كتاب فيه كلمات ذوقية ونكات شوقية ، كتبت بالتماس بعض إخوان التجريد . . . اعلم يا أخى أن فائدة التجريد سرعة العود إلى الوطن الأصلية . . . »

٤٦ — رسالة لاعنوان لها : لم يذكرها الشهرزورى ، وذكرها ريتز : وأشار إلى أن موضوعاتها هي : الجسم والحركات والربوبية والمعاد والوحى والإلهام ، وأورد أولها وهو قول السهروردى : « الحمد لله مبدع الكل ، واهب العقل . . . وبعد : فإن الرسالة هذه تشتمل على بعض القواعد الحكيمية أمليناها على سبيل الإيجاز . . . »

٤٧ — مختصر صغير فى الحكمة : لم يذكره الشهرزورى ، وذكره ريتز ، وأشار إلى أنه يتناول العلوم الحكيمية الثلاثة من منطق وطبيعيات وإلهيات ، وأورد أوله وهو قول السهروردى : « الحمد لوهاب العقل حمداً يليق بعلو شأنه . . . وبعد : لما كانت العلوم مرتبة على القواعد والبراهين . . . »

٤٨ — طائفة من الأشعار : ذكرها الشهرزورى ^(١) ، وأشار ريتز ^(٢) إلى أنها وردت فى ياقوت (معجم الأدباء) ، وفى الشهرزورى (نزهة الأرواح) وفى اشيس (ثلاث رسائل، ص ١٠٣-١١٢ ١١٢-١١٣-١١٤ S 103-112) (Three Treatises) وذكر ريتز هنا القصيدة التى مطلعها :

أبدأ تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح

(١) نزهة الأرواح : ص ٢٣٦ ، وكل القصائد التى سنبت مطالعها هنا من رقم ٩٩ الى ٥٩ ذكرها الشهرزورى أيضاً (نزهة الأرواح : ص ٢٣٦ — ٢٣٩) .

(٢) Der Islam XXIV (1937) p. 286.

٤٩ — قصيدة مطلعها :

لأنوار نور الله في القلب أنوار وللسر في سر المحبين أسرار

٥٠ — قصيدة مطلعها :

أقول لجارتى والدمع جار ولى عزم المسير إلى الديار

٥١ — بيتان أولهما :

من أنكر مذهب الهوى فليأتني أنبيه بما سمعته من ذاتي^(١)

٥٢ — قصيدة مطلعها :

خلفت هياكلها بجرحاء الحمى وصبت لمغناها القديم تشوقاً

٥٣ — قصيدة مطلعها :

أنبت بعدكم هل عندكم خير طرفي وعيني فلا دمع ولا أثر

٥٤ — قصيدة مطلعها :

خليلى إن الأنس في فرقة الانس

فكن أبداً ما عشت في حضرة القدس

٥٥ — قصيدة مطلعها :

ولما وردنا ماء مدين فسقى على ظمأ منا إلى موقف النجوى

٥٦ — بيتان أولهما :

سر يدور وإن بدا استعلن مكنون سر بل سره مستمكن

٥٧ — ثلاثة أبيات أولها :

وكل صبح وكل إشراق أبكى عليكم بدمع مشتاق

٥٨ — بيتان أولهما :

يا صاح أمارأيت شهباً ظهرت قد أحرقت القلوب ثم استترت

(١) هكذا أورد السهرزورى البيت ، ولعل لفظة (فليأتني) محرفة ، والانصب
أن تكون (فليأتني) .

أقسمت بصفو حكيم في القدم مازل إلى غير هواكم قدسى

(٤)

تصنيف زمنى : ماسينيون

يلاحظ المتأمل فى ذلك الثبت العام لمصنفات المهروردى ، وهو الذى جمعنا فيه بين ما أورده الشهرزورى وما أورده ريتز ، أن له ميزة خاصة فى أنه يعطينا بياناً لعله أوفى وأشمل بيان عن مصنفات حكيم الاشراق وآثاره المنشورة والمنظومة . ولكنه على ميزته هذه لا يصنف هذه الآثار تصنيفاً زمنياً يتبين من خلاله الوقت الذى وضع فيه المهروردى كل أثر أو مصنف ، وتظهر فى ضوءه الصلة التى يتفق أو يختلف فيها هذا المصنف أو الأثر عن ذلك المصنف أو ذلك الأثر .

على أننا نلاحظ من ناحية أخرى أن الاستاذ ماسينيون^(١) قد حاول أن يصنف مصنفات شيخ الاشراق تصنيفاً موقوتاً قسم فيه هذه المصنفات تقسيماً يقوم على الأطوار الزمنية التى يرى أن حياة المهروردى الروحية قد مرت بها ، وذلك على الوجه التالى :

١ — مصنفات الصبا : ويندرج تحتها كتاب الألواح العبادية ، وكتاب هياكل النور ، والرسائل .

٢ — مصنفات الطور المشائى : ويندرج تحتها التلويحات ، واللمحات ، والمقاومات ، والمطارحات :

٣ — مصنفات الطور الأخير وهو الطور السينوى الأفلاطونى : ويندرج تحتها كتاب حكمة الاشراق ، الخ .

Recueil de Textes inédits p. 113. (١)

على أن تصنيف مصنفات السهروردى تصنيفاً زمنياً على هذا الوجه الذى يجعل من حياة حكيم الاشراق أطواراً ، ومن كل طور فترة وضع فيها مصنفات بعضها ، أمر ليس من السهولة واليسر بحيث يمكن تحديد أطواره تحديداً زمنياً دقيقاً ، وبيان مصنفات كل طور بياناً مضبوطاً . ومهما يكن من اشتراك مصنفات السهروردى فى صعوبة هذا التحديد الزمنى ، فإن منها مصنفاً واحداً هو أهمها وأشملها لنواحى مذهبه وأجمها للعنصرين البحثى والذوقى ، وأعنى به كتاب حكمة الاشراق ، نستطيع أن نحدد على وجه الدقة التاريخ الذى انتهى فيه السهروردى من تأليفه ، وأن تبين فى وضوح وجلاء أسماء المصنفات التى وضعها حكيم الاشراق قبل هذا الكتاب وفى أثناء تأليفه له ، وأن نقف على أسماء بعض ما وضعه من مصنفات فى أيام الصبا ، وعمدتنا فى هذا كله ما يحدتنا به السهروردى نفسه فى مقدمة كتاب حكمة الاشراق ، وفى آخره : فهو قد ذكر فى تلك المقدمة أنه رتب قبل هذا الكتاب وفى أثناءه عند معاودة القواطع عنه ، كتباً على طريقة المشائين ، لخص فيها قواعدهم ، ومن جملتها المختصر الموسوم بالتلويحات اللوحية والعريشة ، والكتاب المسمى باللحة أو اللوحات وهو دون التلويحات وغيرها كالمقاومات والمطارات ، على حد ما يستنبطه قطب الدين الشيرازى فى شرحه على كتاب حكمة الاشراق ، وهو قد ذكر أن من مصنفاته ما رتبته فى أيام الصبا ، وضرب له قطب الدين الشيرازى مثلاً بالألواح والهيكل وأكثر رسائله دون أن يعين شيئاً منها أو يذكر اسماً من أسمائها^(١) . وهو قد حدثنا فى آخر كتابه حكمة الاشراق بأنه فرغ من تأليفه فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر جمادى الآخرة من سنة ٥٨٢ هـ ، وكان ذلك فى اليوم الذى اجتمعت فيه الكواكب السبعة فى برج الميزان فى آخر النهار ، وأن هذا الكتاب قد ألقاه النافذ القدسى فى روعه فى يوم عجيب ، وإن كانت كتابته ما انقفت إلا فى أشهر لموانع الأسفار^(٢) .

(١) السهروردى : حكمة الاشراق وشرح قطب الدين الشيرازى عليه ، طهران

سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م ، ص ١٥

(٢) السهروردى : حكمة الاشراق ، ص ٥٦١ — ٥٦٢

فكل أولئك يدل على أن المهروردي قد شرع في التلويحات واللمحات قبل شروعه في حكمة الاشراق ، وفي أثناء تأليفه له عند ما كانت تعوقه العوائق من أسفار وغيرها ، وذلك وفقاً لما يصرح به المهروردي نفسه في مقدمة كتابه . وهو يدل أيضاً على أن مثل المقاومات والمطارحات كتل البلويحات واللمحات في أنهما من المصنفات التي وضعت قبل حكمة الاشراق وفي إيانه ، وأن الألواح والهياكل وأكثر الرسائل من مصنفات الصبا ، وذلك كله وفقاً لما يستنتجه قطب الدين الشيرازي .

والمأمل في هذا كله ، يلاحظ أن الأستاذ ماسينيون كان متأثراً في تصنيفه الزماني لمصنفات حكيم الاشراق بما أورده المهروردي في مقدمته من ناحية ، وبما استخلصه قطب الدين الشيرازي في شرحه من ناحية أخرى ، ويلاحظ أيضاً أن صعوبة الجديد الزماني المضبوط ، وإن كانت قد ذلت بالقياس إلى كتاب حكمة الاشراق ، فإنها ما تزال قائمة فيما يتعلق ببقية المصنفات الأخرى . صحيح أن بعض هذه المصنفات قد وضع قبل كتاب حكمة الاشراق وفي إيانه ، ولكن هذا لا يعني بحال ما أن تصنف مصنفات المهروردي تصنيفاً زمنياً يقابل فيه بين كل طائفة منها وبين كل طور من أطوار حياة صاحبها على نحو ما فعل الأستاذ ماسينيون . وأكبر الظن أننا لو أعملنا الفكر ودققنا النظر في بعض النصوص التي اشتملت عليها المصنفات التي ذكرها الأستاذ ماسينيون في تصنيفه ، لرأينا أنه ليس من الممكن أن تفرق في مصنفات حكيمنا بين مصنفات وضعت في عهد الصبا ، وأخرى في عهد مشائي ، وثالثة في عهد سينيوي أفلاطوني أو إشرافي : ذلك بأن العنصرين المشائي والاشراقي يكادان يوجدان متلازمين ومترجمين وشائعين بين جميع المصنفات التي يتألف منها تصنيف الأستاذ ماسينيون ، أو بين أكثرها وأهمها على أقل تقدير .

ويكفي لاثبات ذلك أن نأخذ على سبيل المثال كتاباً من المكتبة التي ذكرها الأستاذ ماسينيون في كل قسم من أقسام تصنيفه ، وأن تبين

من خلال النصوص التي سنوردها كيف كانت الحياة الروحية لحكيمنا قائمة في جملتها وفي تفاصيلها على أساسين ، أحدهما فلسفي أو بحثي والآخر تصوفي أو ذوقي ، وكيف كانت مصنفاته التي كتبها في كل طور من أطوار حياته الروحية هذه مزاجاً من البحث النظري والذوق الصوفي اللذين هما أخص ما يتألف منه المذهب الاشراقي لحكيم الاشراق .

فإذا وقفنا من بين المصنفات التي يعدها قطب الدين الشيرازي والأستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، عند كتاب هياكل النور ، ألقينا هذا الكتاب حافلاً بالنصوص التي تنطق صراحة بما كان يزعم إليه حكيمنا من منازع إشراقية ، إلى جانب ما كان يعرضه من أنظار عقلية : فهو قد عرض في الهيكل الأول لتعريف الجسم والصورة واللازم والعرض ، وفي الهيكل الثاني للنفس وجوهرتها وقواها ، وفي الهيكل الثالث لأقسام المعلوم الثلاثة والسبب والمسبب والسببية : وفي الهيكل الرابع لواجب الوجود ووحدانيته وترتب الموجودات وكيفية صدورها وأن الفاعل الحقيقي هو الحق ، وأن العوالم ثلاثة ، ولأزلية العالم وأبدية روح القدس والقرب الالهي ، وفي الهيكل الخامس للحركة والأفلاك ونفوسها والقدر والشر وأول نسبة ثبتت في الوجود وسرياتها في الموجودات ، وفي الهيكل السادس لأبدية النفس وشكل الجوهر العاقل وحال الأشقياء وشأن السعداء ، وفي الهيكل السابع للنبوات .

فكل أولئك موضوعات تناولها السهروردي في كتابه هياكل النور ، فعرض لبعضها على طريقة المشائين ، وأقام عرضه لها على أساس من النظر العقلي الخالص الذي لا يختلف كثيراً أو قليلاً عن منهج الفلاسفة الخالص ، وعرض لبعضها الآخر على طريقته الذوقية ومنهجه الاشراقي الذي يستمد قوامه من الرياضة والمجاهدة ، ويقوم على الكشف والمشاهدة . وحسبنا أن نؤيد هذا بالنصوص التالية .

عرض السهروردي في الهيكل الثالث من كتابه هياكل النور^(١) لأقسام
المعلوم الثلاثة ، وأن السبب التام لا يختلف عنه وجود السبب ، وبين تمام
السببية ، فقال ما نصه : « الجهات العقلية ثلاثة : واجب ويمكن وممتنع .
فالواجب ضروري الوجود ، والممتنع ضروري العدم ، والممكن ما لا ضرورة
في وجوده ولا عدمه . والممكن يجب ويمتنع بغيره ، والسبب هو ما يجب
به وجود غيره . فالممكن لا يكون موجوداً من ذاته ، إذ لو اقتضى الوجود
لذاته كان واجباً لا ممكناً ، فلا بد له من سبب يرجع وجوده على العدم ،
والسبب إذا تم لا يختلف عنه وجود السبب ، وكل ما يتوقف عليه الشيء
فانه يدخل في السببية ، سواء كان إرادة ، أو وقتاً ، أو مقارناً ، أو محلاً ،
أو قابلاً ، أو غير ذلك . وإذا لم يوجد السبب بتمامه ، أو انتفى بعض أجزائه
فقط ، لا يحصل السبب . وإذا حصل جميع ما ينبغي في وجود الشيء ،
وارتفع جميع ما لا ينبغي ، وجب الشيء ضرورة » .

فهذا نص فلسفي واضح الدلالة على ما يوجد في أسلوب السهروردي
من عناصر عقلية نظرية . وفي كتاب هياكل النور كثير من الأمثلة على هذه
العناصر^(٢) : التي إن دلت على شيء ، فأما تدل على أن السهروردي كان ها هنا
فيلسوفاً بأدق ما تنطوي عليه لفظة الفيلسوف من المعاني .

على أن السهروردي الذي يبدو هنا فيلسوفاً مشائياً يصطنع منهج العقل ،
ويدنو كثيراً أو قليلاً من الفارابي أو ابن سينا ، قد ضمن كتابه هياكل النور
نصوصاً أخرى فياضة بالإشراق مقعقة بالأذواق مشتتة على رمزه إلى العقول
والنفوس بالأنوار وإلى الأجسام بالظلمات ، كأن يقول ما نصه^(٣) : « ولا شك
أن أنوار الملكوت نازلة لاغائة للمهوفين ، وأن شعاع القدس ينسبط ،
وأن طريق الحق ينفثج ، كما أخبرت المخططة ذات البريق (غيبة لامعة

(١) السهروردي : هياكل النور ، مطبعة السعادة ١٣٣٥ هـ . ص ١٩ — ٢٠

(٢) هياكل النور : ص ٢٠ — ٢٢ . ص ٢٥ — ٢٧ .

(٣) هياكل النور : ص ٤٧ — ٤٨ .

عن عالم الحس) ليلة هبت الهوجاء ، كما قال تعالى : « هو الذي يرسل الرياح بشرى بين بدى رحمة » والبريقة توقية من صاحبها نازلاً وهو يدنو من النير ، فنبه صاعداً أن افتتح له سبيل القدس ، ليصعد إلى رجال منبث البرازخ الأكثرين .

« ربنا آمنا بك ، وأقرونا برسالاتك ، وعلمنا أن ملكوتك مراتب ، وأن لك عباداً متأطنين ، يتوسلون بالنور إلى النور . على أنهم قد يهجرون النور للظلمات ، ليتوصلوا بالظلمات إلى النور ، فيجعلون بحر كات المجازين قرة عين العقلاء ، وعدتهم الزاني ، وأرسلت لهم رياحا لتحملهم إلى عليين ، ليجدوا سيحائك ، وليحملوا أسفارك ، وليعلقوا بأجنحة الكروبيين ، وليصعدوا بحبل الشعاع ، وليستعينوا بالوحشة والدهشة لينالوا الأنس ، وأولئك هم الصاعدون إلى السماء والقاعدون على الأرض . أبْقِظ اللهم الناعسات من النفوس في مرآد الغفلات ليذكروا اسمك ، ويقدسوا مجدك . كل حصتنا من العلم والصبر ، فانهما أبوا الفضائل ، واربزقنا الرضا بالقضاء ، واجعل الفتوة حليفتنا ، والاشراق سبيلنا إنك بالجوذ الأعم على العالمين منان ، والله تعالى خير من أعان ، ولرسوله الصلاة والسلام والتحية والرضوان » .

فهذا النص مضافاً إليه نصوص أخرى في مواضع متفرقة من كتاب هياكل النور^(١) ، لا سبيل إلى أن يشكر منكر ما تعبر عنه من الأذواق الروحية والاشراقات النورية التي لا تكاد تختلف كثيراً أو قليلاً عما ورد في كتاب حكمة الاشراق . وهذا من شأنه أن يوقفنا من كتاب هياكل النور بين اثنتين : إما أن نعهده كما عده الأستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، وهذا يعنى أن تنتفى عنه الصفة الاشراقية التي هي عند الأستاذ ماسينيون من أخص خصائص الطور الأخير من حياة السهروردي وهو الطور الذي وضع فيه كتاب حكمة الاشراق ، وإما أن نعهده كتاب هياكل النور

(١) هياكل النور : ص ٢٢ — ٢٤ و ٣٢ — ٣٣ و ٣٦ — ٣٧ و ٤٠ — ٤٣

من مصنفات الطور الاشراقى ، وهذا يعنى أنه ليس من مصنفات طور الصبا .
ولكننا وقد تبينا من النصوص التى أثبتناها أو أشرنا إليها أن كتاب
هياكل النور قد جمع بين الحكمتين البحثية والذوقية : مثله فى هذا كمثل كتاب
حكمة الاشراق ، لا نستطيع أن نعه من مصنفات طور الصباخسب ، ولا من
مصنفات الطور الاشراقى فحسب ، وإنما الذى يصح أن يكون هو أن فكرة
الاشراق كانت حظاً شاملاً بين مصنفات السهروردى حتى ما صرح هو نفسه
بأنه كتبه على طريقة المشائين كالشارع والمطارحات كما سيتبين هذا فيما يلى :

فالسهروردى يحدثنا فى مقدمة الشارع والمطارحات ^(١) بما يبين
أنه كتاب يشتمل على العلوم الثلاثة وهى المنطق والطبيعات والالهيات ،
وأنه أورد فيه مباحث وضوابط نافعة مخرجة مشحذة من تصرفاته ،
وأنه لم يخرج فى هذا عن مأخذ المشائين كثيراً . ولكنه يضيف إلى ذلك
أنه أودع هذا الكتاب نكتاً ولطائف تومى إلى قواعد شريفة ، زائدة
على ما يورده المشاؤون . وهنا يظهر لنا السهروردى فى وضوح وجلاء
على الصلة التى توجد بين مذهبه الاشراقى الخالص وبين ما يعرضه من مذاهب
المشائين فى العلوم الفلسفية البحثية ، فيقول ما نصه ^(٢) : « ومن لم يعمه
فى العلوم البحثية به (كتاب الشارع والمطارحات) فلا سبيل له إلى كتابى
الموسوم بحكمة الاشراق ، وهذا الكتاب ينبغى أن يقرأ قبله ، وبعد تحقيق
المختصر الموسوم بالتلويحات فإذا استحكم الباحث هذا النمط فليشرع
فى الرياضات البرقة بحكم القيم على الاشراق ، حتى يطابق بعض مبادئ
الاشراق ، ثم يتم له مبانى الأمور وأول الشروع فى الحكمة
هو الانسلاخ عن الدنيا ، وأوسطه مشاهدة الأنوار الالهية ، وآخره
لأنهاية له . . . » .

(١) مجموعة فى الحكمة الالهية : الشارع والمطارحات ، استانبول ١٩٤٥ م :

١٩٤ م

(٢) مجموعة فى الحكمة الالهية : الشارع والمطارحات ، استانبول ١٩٤٥ م :

١٩٤ — ١٩٥ م

ويلاحظ المتأمل فيما يحدثنا به المهروردي عن كتابه المشارع والمطارحات ، أن هذا الكتاب وإن كان من الكتب التي يصرح المهروردي نفسه بأنه كتبها على طريقة المشائين ، إلا أنه يصرح من ناحية أخرى بأنه زاد على ذلك أشياء ليست من طريقة المشائين في شيء ، وإنما هي من طريقة الاشراقيين في كل شيء ، وأعنى بهذه الأشياء ما يعبر عنه في النص المتقدم بالنكت واللطائف التي توى إلى قواعد شريفة . يضاف إلى هذا أنه قد شرط فهم كتابه حكمة الاشراق بالتمهر في العلوم البحثية أى علوم المشائين . وهذا كله يعنى بعبارة أصرح وأوضح أن المهروردي في كتابه المشارع والمطارحات قد جمع بين الحكمتين البحثية والدوقية ، أو بين طريقتي المشائين والاشراقيين ، وأنه بهذا الجمع قد فعل في كتاب مشائي عين ما فعله في أم كتاب إشراقي له وهو كتاب حكمة الاشراق : ففي مقدمة هذا الكتاب الأخير يحدثنا المهروردي بأن طريقتي التي اتبعها فيه مختلفة عن طريقة المشائين التي اتبعها في تصنيفاته الأخرى الموضوعة على هذه الطريقة^(١) ، ولكنه يحدثنا في مقدمة الكتاب نفسه بأنه قد اصطنع الحجة العقلية لاثبات ما وصل إليه وحصل عليه من حقائق الاشراق التي يطلق عليها اسم « علم الأنوار » ، وذلك إذ يقول ما نصه^(٢) : « ... ولم يحصل لي أولاً بالفكر ، بل كان حصوله بأمر آخر ، ثم طلبت الحجة عليه حتى لوقطعت النظر عن الحجة مثلاً ما كان يشككني فيه مشكك : لأن ما ذكرته من علم الأنوار ، وجميع ما يتقن عليه وغيره ، يساعدني عليه كل من سلك سبيل الله عز وجل ، وهو ذوق إمام الحكمة ورئيسنا أفلاطن صاحب الأيد والنور ... » . يضاف إلى هذا أن المهروردي قد افرد القسم الأول من كتابه حكمة الاشراق لعلم من أهم العلوم المشائية ، واعنى به المنطق ، وجعل هذا القسم من القسم الثاني الذي افرده لعلمه الاشراق في الأنوار الالهية ، بمثابة التمهيد الذي يدخل منه طالب الاشراق إلى القسم الثاني

(١) حكمة الاشراق : ص ١٥

(٢) حكمة الاشراق : ص ١٦

من الكتاب وهو الخاص بالاشراق^(١). فكل أولئك شواهد صدق وأدلة حق على أن المهروردي في كتابه حكمة الاشراق قد جمع الى الحكمة الذوقية طرفاً هاماً من الحكمة البحثية ، وعد هذا الطرف مما لا غنى لطلاب الاشراق عنه .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان المهروردي قد جعل في مقدمة هذا الكتاب طلاب الحكمة على ثلاث مراتب : طالب التأله والبحث ، وطالب التأله فقط ، وطالب البحث فقط ، وكان خير هؤلاء الطلاب عنده هو طالب التأله والبحث ، فقد قصر شيخ الاشراق كتابه هذا على طلاب التأله والبحث بحيث لا يكون للباحث الذي لم يتأله ، ولا للطالب الذي لم يطلب التأله نصيب فيه^(٢).

ويتمى بنا كل ما تقدم من حديث عن كتاب هياكل النور وكتاب المشارع والمطارحات وكتاب حكمة الاشراق ، إلى أن الجمع بين العناصر المثائية والعناصر الاشراقية ، حظ مشترك بين مصنفات المهروردي ، سواء في ذلك ما عده منها قطب الدين الشيرازي والأستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا كهيكل النور ، أم ما عده الأستاذ ماسينيون وحده من مصنفات الطور المثاني ككتاب المشارع والمطارحات ، أو من مصنفات الطور السبئوي الأفلاطوني ككتاب حكمة الاشراق . وتساهلنا هذه النتيجة إلى نتيجة أخرى هي أن تصنيف مصنفات المهروردي تصنيفاً زمنياً أمر لا سبيل إليه ، إذ هو يتنافى مع طبيعة الموضوعات التي يتناولها المهروردي في مختلف مصنفاته من ناحية ، ومع الخصائص الفلسفية والتصوفية الاشراقية التي انطوت عليها هذه المصنفات من ناحية أخرى ، وأن الخير هو أن ينظر إلى ما خلفه شيخ الاشراق من الآثار نظرة شاملة تؤلف بينها ، وتجعل منها وحدة متسقة مطبوعة بطابع واحد ، ومتجهة إلى غاية واحدة هي إقامة حكمة إشراقية على دعائمين إحداهما بحثية والأخرى ذوقية .

(١) حكمة الاشراق : ص ٢٧ — ٢٨

(٢) حكمة الاشراق : ص ٣٥ — ٢٦

على أن صعوبة تصنيف مصنفات المهروردي تصنيفاً زمنياً ، لا تقف عند حد المصنفات التي ضربناها الأمثال ، وأوردنا منها بعض نصوصها التي تنزع إلى المنزع التصوفي الإشرافي بقدر ما تعرض للأنظار الفلسفية المشائية ، وإنما هي تتجاوزها إلى مصنفات أخرى وضع الاستاذ ماسينيون كل طائفة منها في كل طور من الأطوار التي يتألف منها تصنيفه الزمني ، وأبدى الاستاذ كوربان على وضع كل من هذه المصنفات الأخرى في كل من هذه الأطوار ملاحظات دقيقة سديدة : ففما يتعلق بكتاب الألواح العبادية الذي أهده المهروردي إلى عماد الدين أمير خربوط ، وعده الاستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، يستخلص الاستاذ كوربان ^(١) من تاريخ تولى ذلك الأمير وهو سنة ٥٨١ هـ ، ومن تاريخ وفاة المهروردي وهو سنة ٥٨٧ هـ ، أنه لابد من أن يكون كتاب الألواح العبادية معاصراً لكتاب حكمة الإشراق الذي انتهى المهروردي من تأليفه سنة ٥٨٢ هـ ، وللمصنفات الاعتقادية الكبرى . وفضلاً عن هذا فإن في كتاب الألواح إشارة إلى كتاب حكمة الإشراق .

وأما فيما يتعلق برسائل المهروردي التي عدّها الاستاذ ماسينيون من مصنفات الصبا ، وسبقه إلى اعتبارها كذلك قطب الدين الشيرازي ، فقد لاحظ الاستاذ كوربان ^(٢) أن تلك الرسائل التي كتبت في صورة أمثال وحكايات توجيهية ، تشتمل طريقة إنشائها فضلاً عن محتوياتها لأول وهلة بما فيها من اتجاه إشراقي راسخ . وهنا ينتهي الاستاذ كوربان إلى أنه لو بآن هذه الرسائل من مصنفات الصبا ، (دون أن ننسى السن التي توفي فيها شيخنا) ، لكان من العسير أن يتصور انقباضها عن كتاب حكمة الإشراق بفترة مشائية خالصة .

وكذلك المصنفات التي عدّها الأستاذ ماسينيون من آثار المهروردي في الطور المشائي ، وعدد منها المشارع والمطارحات والتلويحات والمقاومات ،

Opera Metaphysica et Mystica. Intr. Fr. p. VII.

(١)

Opéra Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. p. VII.

(٢)

فقد اعترض الأستاذ كوربان^(١) على اعتبارها مصنغات مشائية ، وأيد اعترضه بنصوص مستقاة من كتابي المزارع والمطارحات والتلويحات . وحسبنا أن ننظر مع الأستاذ كوربان في الفقرة ٥٥ من كتاب التلويحات^(٢) ، وفي الفقرة ٢٠٨ من كتاب المزارع والمطارحات^(٣) ، لتبين أن السهروردي إنما يتحدث هاهنا بلسان اشراقي لا شبهة فيه ولا غبار عليه ، كما يتحدث عن كتابه حكمة الاشراق على أنه كتاب قد تم وضعه .

وهكذا تبين من كل ما تقدم أن حكيمنا لم يكن في فترة ما من فترات حياته فليسوا مشائياً يصطنع مناهج المشائين وحدها ويؤلف عليها طائفة من مؤلفاته ، ثم أصبح في فترة أخرى حكماً إشراقياً يصطنع الذوق ويؤثر طرائق الصوفية في الرياضة والمجاهدة ويركن في تأليف طائفة أخرى من مؤلفاته إلى منهج الاشراقيين ، وإنما هو حكيم إشراقي أولاً وأخيراً : بدأ وانتهى ، في مؤلفاته كلها إن لم يكن كلها ، حكماً متوغلاً في البحث والتأمل على حد تعبيره هو ، أو حكماً جامعاً بين الحكمتين البحتية والذوقية على حد تعبير السهروردي .

(٤)

تصنيف بحسب الخصائص : كوربان

عن الأستاذ كوربان بتحقيق آثار السهروردي ونشرها نشرأ علمياً تدل عليه طبعته لهذه الآثار طبعة قدم لها بمقدمة لها من غير شك قيمتها في الامام بالمصنفات المختلفة لشيخ الاشراق ، وبيان العناصر التصوفية والفلسفية والاشراقية التي تتألف منها . وآية هذه العناية هي المجلد الاول من هذه الطبعة الذي ظهر في استانبول سنة ١٩٤٥ تحت هذا العنوان العربي : (مجموعة في الحكمة

(١) Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. P VII-VIII (١)

(٢) مجموعة في الحكمة الالهية : التلويحات : ص ٧٠ — ٧٤

(٣) مجموعة في الحكمة الالهية : المزارع والمطارحات : ص ٨٣ — ٨٤

الالهية — من مصنفات شهاب الدين يحيى بن حبش المهروردي)، وتحت هذا العنوان اللاتيني :

(*Sihābaddin yahya As-Suhrawardī : Opera Metaphysica et Mystica*) وكان حلقة من سلسلة (النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية). وكان طبيعياً ، وقد عمد الأستاذ كوربان الى تحقيق آثار حكيمةنا وإذاعتها ، أن يصنف هذه الآثار تصنيفاً اعانته عليه عشرته المتصلة للمهروردي ودراسته الدأبة لمخطوطات مصنفاته . وهانحن أولاء قد رأينا فيما سبق من حديث عن التصنيف الزماني الذي وضعه الأستاذ ماسينيون ، ما يوجه الأستاذ كوربان من اعتراضات على هذا التصنيف ، الأمر الذي كان لابد معه من أن يحاول هو تصنيف آثار شيخ الاشراق تصنيفاً يقوم على أساس آخر .

ويميز الأستاذ كوربان في مصنفات المهروردي التي وصلتنا بالفعل والتي لم تصل إلينا ولم تقف منها إلا على عناوينها التي يذكرها المؤرخون ، بين صنفين : مصنفات صيغت صياغة مذهبية منظمة ، ومصنفات وضعت في صورة رؤى وحكايات تنطوي على إرشادات وتوجيهات صوفية . ويلاحظ أنه ليس مما تمكن محارلته أن تصنف هذه المصنفات أو تلك تصنيفاً زمنياً تحقّقاً ^(١) ، ولهذا رأى أن آمن الطرق وأثمرها هو أن تصنف هذه المصنفات بحسب خصائصها الذاتية ، أصنافاً يضم كل صنف منها المصنفات التي تلتقي فيما بينها في خصائصها المشتركة ^(٢) ، وذلك على الوجه التالي :

(١) صنف يشتمل على رسائل أربع يمكن أن يطلق عليها اسم « الرسائل الاعتقادية الكبرى » ، وهي مكتوبة بالعربية . وقد وضعت الرسائل الثلاث الأولى ، وهي التلويحات والمقالات

Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. P. XIII

(١)

Opera Metaphysica et Mystica, Intr. Fr. P. XIV-XVII

(٢)

Corbin: Les motifs Zoroastriens dans la philosophie de Suhrawardi, Teheran 1946

P 17-18.

والمشارع والمطارات على أن تكون إعداداً وتمهيداً لدراسة الرسالة الرابعة وهي حكمة الأشراف التي يعدها المهروردي أهم مصنفاته جميعاً .

(ب) صنف يشتمل على طائفة من الرسائل الاعتقادية الصغرى ، كتب بعضها بالعربية ، وكتب بعضها الآخر بالفارسية مثل برتا ونامه ، أو كتب بالعربية وترجم المهروردي نفسه إلى الفارسية كما هو الشأن في هيا كل النور . ويدخل تحت هذا الصنف الأنواع العانية وبستان القلوب واعتقاد الحكماء وكلمة التصوف وكشف الغطاء^(١) واللمحات .

(ج) صنف يشتمل على طائفة أخرى من الرسائل الصغرى التي وضعت في صورة أمثال وحكايات توجيهية وقصص رمزية ، وقصد بها إلى الارشاد والتوجيه ، ويكاد كلها يكون مكتوباً بالفارسية إلا القليل منها فقد كتب بالعربية ، أو كتب بالعربية والفارسية ، كما هو الشأن في رسالة الغربة الغريبة . ويدخل تحت هذا الصنف : رسالة غفل ، ورسالة آواز هجر ائيل ، وكلمات ذوقية (= الأبراج) ، ولغة موران ، ومؤنس العشاق (= رسالة العشق) ، ورسالة در حالة طفولية ، ورسالة روزي باجماعت صوفيان ، ورسالة الطير ، وصفيير سيمرخ (د) صنف يشتمل على مجموعة من الواردات والتقديسات التي هي أشبه ما تكون بالزامير ، وتدور على طقوس يومية تقديساً للملائكة القائمين على أمر السكون . والمخطوطات التي عثر عليها من هذا الصنف ما تزال نادرة حتى الآن ، ويقول الأستاذ كوربان إنه لم يفت منها إلا على مخطوطات استانبول . ويدخل تحت هذا الصنف الواردات والتقديسات التي أوردناها في تصنيف المهروردي ريت بالأرقام ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦

(١) Henry Corbin : Suhrawardi d'Alep 1191, fondateur de la doctrine illuminative (ishraqi) Publications de la Société des Etudes Iraniennes, n, 19 Paris 1939 .

هذا مجل تصنيف الأستاذ كوربان لآثار شيخ الاشراق بحسب خصائصها التي تؤلف بين كل طائفة منها . وما أجهلناه هنا قد فصله الأستاذ في مقدمته الفرنسية التي قدمها بين يدي المجلد الأول من مجموعة الحكمة الإلهية ، وأودعه إلهيات كل من التلويحات والمقاومات والمشارع والمطاريحات ، ونشره في استانبول سنة ١٩٤٥ م . وهناك غير هذا المجلد الأول مجلدان آخران لم يظهر بعد ، وسيضمن الأستاذ كوربان أحدهما كتاب حكمة الاشراق والمصنفات الصغرى (Opera minora) ، ويضمن الآخر المصنفات الطبيعية (Opera Physica) . وإنا نترجو أن يهباً للأستاذ كوربان من التوفيق ما يمكنه من إخراج هذين المجلدين تمة للعمل الجليل الذي بدأه ، وتعمياً للنفع ، وإحياء لآثار شيخ الاشراق التي بعثت هنا وهناك ، وظلت زماناً طويلاً مطوية الصفحات ، مغمورة في ثنایا المخطوطات ، وزوايا المكتبات : فانه بهذا سيتيح للباحثين أن يقبلوا على دراسة تلك الآثار دراسة علمية تمكنهم من الوقوف على مذهب صاحبها الاشراق في جملة وتفصيله ، والتمسك العناصر التصوفية والفلسفية التي يتألف منها ، والكشف عن منازعه الروحية التي يفرغ إليها .

الأمّة

نشأتها ودعائهم الاجتماعية

للككتور مصطفى الخشاب

المدرس بقسم الاجتماع بكلية الآداب

يقوم علم السياسة كغيره من العلوم على طائفة من المصطلحات التي قد تبدو في الظاهر متقاربة المعنى والمداول . ولكنها في حقيقة الأمر متباينة ومتفاوتة وكل لفظ منها يؤدي معنى علميا يختلف كل الاختلاف عن المعاني التي يؤديها لفظ آخر . ولذلك يجب على الباحثين أن يفتنوا إلى ما تتطلبه المصطلحات السياسية من دقة ملحوظة ، وعلمهم أن يحددوا على وجه صحيح الاستعمال العلمي لكل منها ، ويدركوا الفروق الجوهرية بين هذه المصطلحات . لأن كثيراً من الصعوبات قد نشأت من الإهمال في تحديد معاني المصطلحات السياسية ، وعدم التمييز بين ما يقصد منها عادة في الاستعمال العادي وبين ما يقصده العلماء والكتاب السياسيون . ولهذا السبب جاءت الكتابات القديمة في علم السياسة غامضة يكتنفها كثير من الإبهام . ولعل عدم توفيق هذه البحوث في حل القضايا والمشاكل السياسية التي عالجتها يرجع بعض أسبابه إلى قصور أصحابها في التمييز بين المصطلحات والألفاظ التي تتطلبها طبيعة البحث وعدم استعمالها استعمالاً علمياً دقيقاً . نذكر على السبيل المثال لفظ أمة ودولة وحكومة وقومية وجنسية ... الخ . ومن ثمّ جعنا أن نضع هذه الحقيقة موضع الاعتبار ونحرر أنفسنا على التمييز بين المعاني العلمية التي تؤديها المصطلحات السياسية لأن هذا يساعدنا كثيراً في حل المشاكل الصعبة والإشكالات التي تنشأ من تقارب المدلولات ومن الغموض اللغوي .

ولذلك قبل أن نتكلم عن مقومات الأمة والدعائم الأساسية التي تقوم عليها، يجب أن نحدد بالدقة ماهو المقصود بهذا اللفظ، وما الفرق بينه وبين ما يقصد بكلمة « الدولة » أو « الحكومة » وكلها ألفاظ قد تبدو قريبة القصد متشابهة المعنى مع أن هناك فروقا جوهرية بين هذه الحقائق يجب إدراكها .

فيقصد عادة بالدولة مجموع منظم من الناس دائم البقاء يقطن أرضا معينة، له موارده المالية ونظمه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويخضع لسيادة موحدة ، ويسعى وراء غرض عام مشترك . وبهذا المعنى تعتبر الدولة تصورا قانونيا أو شخصية قانونية سياسية .

ويقصد بالحكومة الهيئة التنفيذية في الدولة . أى مجموع الأشخاص الذين تتركز في أيديهم السلطة العليا . فهي الأداة المنفذة لرغبات الدولة وغاياتها . فالحكومة في ذاتها ليست لها سيادة أو سلطة وإنما تستمد ذلك من صلتها بالدولة وتزاول وظيفتها وسلطانها بتفويض منها لأن الدولة هي صاحبة السلطة العليا . وصاحبة السيادة والنفوذ . فالحكومة إذن هي مظهر سيادة الدولة ، وهي الوسط العملي الذي عن طريقه تنشر الدولة سيادتها وتحقق سلطانها على الأفراد الخاضعين لها .

أما « الأمة » فيقصد بها معان مغايرة لما سبق الإشارة إليه . فقد اصطلح كثير من علماء السياسة على اعتبار الأمة (وحدة جنسية) أى أنها جماعة من الناس تربطهم رابطة « الجنس » . وعلى هذا الأساس تعتبر الأمة تصورا إثنولوجيا في حين أن الدولة تعتبر تصورا قانونيا وسياسيا . ورأى علماء آخرون أن الاشتراك في الوحدة الجنسية لا يصح أن يكون دعامة لقيام أمة ما ؛ لأن الأمة بالمعنى الصحيح يجب أن تتميز ، فوق ما تتميز به من وحدة جنسية ، بوحدةها الجغرافية واللغوية وحضارتها ومقومات آدابها وتقاليدها . هذا فضلا عن وحدة الشعور والعواطف والاتحاد في الرغبات والاتجاهات العامة .

ولابأس من أن نعرض بعضا من الآراء التي ذهب إليها علماء السياسة وفلاسفتها بصدد تعريف الأمة وتحديد مقوماتها المميزة .

يقول العلامة « برجس Burgess » « الأمة هي الشعب الذي يشترك في اللغة والحضارة والآداب والتاريخ والتقاليد والعادات ، وتشتد في استقرارها في قطعة أرض تمتاز بوحدها الجغرافية » ^(١) . ويوضح لنا أن صاحب هذا التعريف قد أهمل عنصر (الجنس) في تحديد خصائص الأمة .

ويرى العلامة الفرنسي فودريه (Pradier Fodéré) « أن الأمة عبارة عن مجموعة متحدة من السكان يعيشون في بلد واحد ويتكلمون لغة واحدة وتسرى عليهم قوانين واحدة وتربطهم رابطة الجنس الواحد والأصل المشترك والميزات الطبيعية والخواص الفيزيائية » ^(٢) . ووضح من هذا التعريف أن صاحبه أكد ضرورة (الوحدة الجنسية) في تحديد خصائص الأمة .

وعرفها العلامة أماري (Carnazza Amari) بأنها « مجموعة من العائلات انضوت تحت حكومة حرة موحدة ، وأقامت مساكنها على قطعة أرض محددة ، وتسعى إلى العمل على احترام شخصيتها من الناحية الخارجية » ^(٣) . ولعلنا نجد في ثنايا هذا التعريف اتجاه آخر في تحديد مقومات الأمة . إذ اشترط صاحب التعريف مبدأ السيادة والشخصية القانونية . وهذا الوضع يجعلنا نخلط بين المقصود (بالأمة) وبين ما يفهم عادة من لفظ (دولة) .

ولعل (أماري) قد فطن إلى هذا الخلط وعدم التحديد . فعزل تعريفه لتمييز بين الحقيقتين بقوله : « الدولة في نظري اجتماع قائم على القوة والقهر والاستبداد ؛ أما الأمة فهي الدولة المؤسسة على الطبيعة والقطرة وليست بطريقة صناعية — أي أنها اجتماع من عدة عائلات تربطهم مصالح مشتركة بحيث يؤلفون عائلة واحدة قوية » .

وأرى أنه بهذا التعديل أو بعبارة أخرى بهذا التوقيع قد أساء إلى فهم الحقيقتين معاً . فلم يكن موثقاً لا في تعريف الدولة ؛ ولا في إدراك الفروق الجوهرية التي تميزها عن الأمة .

Burgess = Political science and Constitutional Law Vol. I.

(١)

Fodéré = Principes généraux de Droit Politique et de Législations.

(٢)

Gilchrist = Principles of Political Science.

(٣)

ومن أشهر العلماء السياسيين الذين خاضوا في هذا الموضوع العلامة
الأماني بلنشي (Bluntchli) فقد عرف الأمة بأنها مجموع من الأناس
يعيشون في مجتمع ورائي ، ويرجعون إلى أصل واحد وجنس مشترك ،
ويتحدون في اللغة والعادات والحضارة . واتحادهم في هذه الأمور يضمن عليهم
شعوراً جميعاً بالوحدة ويميزهم عن غيرهم من الأجانب والغريباء ، ^(١) .

ويبدو أن العلامة (بلنشي) قد لمس في تعريفه كثيراً من جوانب
الحقيقة وضغط على أمور هامة لا بد من توافرها لقيام الأمة . مثل الوحدة
الإنشائية والوحدة اللغوية ووحدة الثقافة والتفكير . وهو من المتعصبين
لفكرة (الجنس) لأن وحدة الأمة في نظره إنما ترجع إلى وحدتها
الإنشائية . وهو يميز بين الأمة (كوحدة جمعية ترجع إلى أصل مشترك)
وبين الشعب (Volk) وهو قوة سياسية . فيعني بالشعب جميع أفراد الدولة
المتحدتين والخاضعين لنظمها وقوانينها . فالتمييز بين الأمة والدولة إنما يقوم
في وجود الوحدة السياسية في الدولة ، بينما لا تلزم هذه الوحدة في الأمة .
فليس من الضروري أن تتحقق مثل هذه الوحدة لتستكمل الأمة بمقوماتها .
هذه أمثلة من التعاريف التي وضعها أشهر علماء السياسة في تعريف الأمة
وتحديد دعائمها الجوهرية .

ويبدو لي أن هذه التعاريف ، على ما فيها من طفرة في التعميم ،
قد وضعت وضماً بدون أن يمد لها أصحابها بدراسة منهجية تحليلية
لمقومات الأمة والأسس الجوهرية التي يجب توافرها في الأمة بالمعنى السياسي
والاجتماعي الصحيح . ولم يعتمد أصحابها في الوصول إلى نتائجهم
على أمثلة مادية . ولذلك جاءت هذه التعاريف خاطئة في بعض نواحيها ،
وغير دقيقة في بعضها الآخر . وهي في معظمها لا تتفق مع ما يدنايه التاريخ
من حقائق .

لقد بدأ الكثير من هؤلاء الباحثين أن الدعام الجوهريّة التي تقوم عليها الأمة واضحة إلى حد ما . ولكن تبين بالدراسة والتحليل وتطبيق النظريات على الأمم الموجودة أن المسألة ليست سهلة ، وأنها تتطلب دراسة تاريخية علمية لحقائق الموضوع .^(١)

وبالرجوع إلى التاريخ نجد أن أشكال المجتمعات الانسانية كثيرة ومتغايرة . فقديمًا عاشت شعوب في الصين وفي مصر وفي بابل . وانتظمت البلاد العربية والعربية قبائل متعددة . وقامت في العصور القديمة مدن مثل اسبرطة وأثينا ، وظهرت إمبراطوريات واسعة مثل إمبراطورية الاسكندر والامبراطورية الرومانية . ونشأ بعد في هذا التاريخ الحديث قيام أمم متميزة مثل الأمة الانجليزية والفرنسية ، وقيام دول بعهادية مثل سويسرا والولايات المتحدة الأميركية . هذه أمثلة من المجتمعات التي عاشت ولا تزال تعيش ، ونحن لا نستطيع أن نميز بين خصائص كل منها إلا بصعوبة بالغة . فهل يمكننا أن نطلق على هذه المركبات الجمعية اسم « أمة » .

هذا ، إلى أن بعض المفكرين المحدثين قد ارتكبوا خطأ كبيراً في كتاباتهم وذلك بأن خلطوا بين الجنس والأمة وراحوا ينسبون إلى الجماعات المتشابهة إتولوجيا ولغوا خصائص الأمة . فإلى أي حد يمكننا الحكم على صحة هذه الأمور ؟

يذهب بعض العلماء إلى اعتبار أن الدعام التي تقوم عليها الأمة هي وجود أسرة حاكمة قهرت جيرانها وانتصرت عليهم منذ القدم ، وفرضت عليهم الخضوع والطاعة والالتزام معها في وحدة . وهذا الاتحاد الذي كان الدافع إليه الغلبة والقهر ، يصبح فيما بعد مصدراً لاتحاد مصالح الأفراد المكونين له ، وتبادل آرائهم وامتزاج رغباتهم . ويطبق أصحاب هذا الرأي نظريتهم على بعض الأمم الحديثة التي ترجع في أصل تكوينها إلى وجود عائلة أصيلة تمتعت منذ القدم بمزايا الاقطاع وتصارعت وتنازعات في وسط معين نشأت فيه ثم تفرعت وفرضت عليه سيادتها . وعن هذا الطريق تكونت « الأمة » .

Harold Laski—A Grammar of Politics. Chap Six, p 219 sqq.

(١)

ولكن هل كان هذا المبدأ دعامة أساسية في نشأة كل أمة ؟

لا نؤيد حقائق التاريخ هذه النظرية ولا نهض دليلا على صحتها . فسويسرا والولايات المتحدة مثلا قد تكونتا من تكتل القبائل والجماعات تباعا وبصفة دائمة على تمر العصور بدون وجود سلالة حاكمة أو أصل ملكي مما يجعلنا نتردد في التسليم بأن نشأة الأمة تتوقف على وجود عائلة ملكية أو أسرة حاكمة . ومما يدلنا على أن المبدأ الذي تقررته هذه النظرية ليس له من أثر يذكر في مقومات الأمة ، أن الأمم التي قد يبدو أنها قامت على أساسه يمكنها أن تخرج عليه بدون أن تفقد كيائها وحيويتها ، وبدون أن يؤثر انقلابها هذا على خصائصها وميزاتها . وفي ذلك أبلغ دلالة على فساد هذه النظرية وعدم صحتها .

والظاهر أن أنصار هذه النظرية قد خلطوا بين الدولة والأمة . لأن المبدأ الذي يقولون به يعتبر في كثير من الظروف أساسا طبيعيا لقيام بعض الدول القديمة . ويبدو أيضاً أن فكرة الأمة بمعناها العلمي لم تتضح في أذهانهم ، ولم يفهموها على وجه صحيح بدليل أنهم اعتبروا الدول القديمة أمما تامة التكوين مثل قدامى الهنود والحيتيين والكلدانيين مع أن هذه الشعوب وما إليها لا يصدق عليها لفظ أمة بالمعنى السياسي المفهوم حديثا . لأن فكرة الأمة والقومية كانت بعيدة عن تصور هذه الشعوب ولم ترق أحوالهم الاجتماعية وشعورهم الجمعي إلى درجة القوميات الحديثة . فكانت هذه الشعوب القديمة وما إليها عبارة عن جمهوريات وممالك أو اتحادات من مدن محلية يتزعمها ملوك أو أسراء يظن فيهم أنهم من سلالة الآلهة أو من أبناء الشمس والسماء . ومما يدل فوق ذلك على أن أصحاب النظرية المشار إليها لم يفهموا المعنى العلمي لكلمة « الأمة » أنهم أطلقوها على المدن القديمة مثل أثينا واسبرطة وصور وصيدا وغيرها من المدن التي ازدهرت في العصور القديمة . ولا شك أنهم في ذلك يخطئون لأن هذه المدن كانت في حقيقة الأمر عبارة عن مراكز حية للحماسة الوطنية ولا تزيد عن كونها

وحدات سياسية وقوميات صغيرة منعزلة لم تكتمل فيها الخصائص والمقومات التي تجعل منها أمما بالمعنى الصحيح .

من هذه الأمور يتضح لنا فساد النظرية التي نحن بصدد مناقشتها فلا يصح الاعتماد عليها في تفسير نشأة الأمة وليس للبدا الذي تقول به من أثر يذكر في تحديد الدعائم التي ترتكز عليها الأمم في قيامها .

وذهب كثير من العلماء في تفسير أصل الأمة إلى « وحدة الجنس » . وقد اعتمد هؤلاء في تبرير مذهبهم على الاشتقاق اللغوي لكلمة (أمة) إذ يعبر عنها في اللغات الحديثة بكلمة (nation) وهذه الكلمة مشتقة من الأصل اللاتيني (natus) ومعناه الولادة والانحدار من جنس واحد وأصل مشترك ^(١) وعلى هذا الأساس اعتبر أصحاب هذه النظرية الأمة (تصوراً إنشولوجياً) وميزوا بينها وبين الدولة التي اعتبروها (تصوراً سياسياً وشخصية قانونية) .

ويرى هؤلاء أن التقسيمات الصناعية التي كانت نتيجة عهد الاقطاع أو تراوج الأمراء أو مؤتمرات السياسيين ، تقسيمات لا تدوم ومآلها الزوال والافتراض لأنها لا تقوم على أساس سليم . أما التقسيم الصحيح في نظرم فهو التقسيم الذي يقوم على أساس الأجناس ؛ لأن هذا المبدأ يعتبر الدعامة الجوهرية في تكوين الأمم وهو الذي يعطى للأفراد المنتسبين إلى جنس واحد حقاً مشروعاً في تكوين أمة مستقلة عن غيرها لها صفاتها وخصائصها المميزة . ومعظم أنصار هذه النظرية من العلماء الألمان (وأشهرهم ممسن Mommsen) الذين يرون أن الأسرة الألمانية لها الحق الشرعي في أن تسترد كل أعضائها وجميع أفرادها من الأصل الجرمانى المشتت ، حتى ولو كانت هذه الأعضاء لا ترغب رغبة أكيدة في الانضمام إليها . لأن حق الجنسية الألمانية يجب أن يكون أقوى وأعنف ، في أى ولاية من الولايات

التي يرجع سكانها إلى الأصل الجرمانى ، من أى رغبة أو تيارات أخرى تسود هذه الولايات — أى أن أنصار هذه النظرية خلقوا لنا بصدد نشأة الأمة نوعا من الحق الأولى الضرورى (i priori) مماثلا تماما لحق الملوك المستمد من الحق الإلهى ؛ بمعنى أنهم جعلوا من مبدأ الإتنولوجيا ووحدة الجنس دعامة جوهرية يقوم عليها أصل الأمة .

وليس من شك فى أن الوحدة الجنسية هى إحدى القواعد الكلية العامة التى تقوم عليها الأمة ، وهى خاصة مميزة لمعظم الأمم التى ظهرت فى التاريخ . بل إن مجرد الاعتقاد فى الأصل المشترك ، سواء كان هذا الاعتقاد حقيقيا أو صوريا ، قد يكون كافيا فى تقوية روابط القومية .

غير أن هذه النظرية كانت هدفا لانتقادات كثيرة واعتراضات جوهرية تجعلنا نتردد فى التسليم بصحتها ، وتدلنا على أن التعصب الشديد الذى بدا من جانب العلماء الألمان فى الدفاع عنها لا يقوم على أساس ممكن (١) .

من ذلك أن ليس ثمة جنس خالص نقي . لأننا نلاحظ بالدراسة والتجربة أن الأجناس فى الأمم الحديثة مختلطة لدرجة يصعب معها تحديد العناصر الإتنولوجية فى المجتمع الواحد . ونما يزيد الأمر تعقيدا أن (علم الأجناس) لم ينتج حتى العصر الحديث فى وضع نظرية دقيقة لتمييز الأجناس المختلفة ، ولم يفتق علماء الإتنولوجيا والإتنجرافيا على نظرية واحدة مسلم بها فيما يتعلق بالتوزيع الإتنولوجى ، وخصائص ومميزات كل جنس من الأجناس . ولا نجد بينهم اتفاقا على الأصول الإتنولوجية وفروعها ، ومهد كل منها ، والظروف الجغرافية والتاريخية التى خضعت لها . إن الآراء بين الخبراء وعلماء الإتنولوجيا بصدد هذه الأمور ، لا تزال حتى عهدنا هذا مضطربة وغير مستقرة .

فالأمة لا يمكن اعتبارها سلالة عائلية خالصة ونقية من عناصر الاختلاط . حقا إن أصول القبائل والعشائر قد تنسب أو تُعزى — فى غالب الأمر — إلى جد واحد أو أصل مشترك ، ولكن الشعور بالقومية الذى يضفى عليها

صفة الأمة لا يمكن أن يقوم بدون اختلاط الدم . فإن التمازج والتناسل واختلاط الأرحام والأنساب لا بد أن يسبق ظهور القوميات . قد تعتبر (وحدة الجنس) رابطة قوية في نشأة الأمة ، ولكن ليس عن طريق النسبة الإيتولوجية ، بل لأن هذه الوحدة تتضمن ارتباطات أبعد من ذلك مدى مثل وحدة اللغة ووحدة البيئة والثقافة والتقاليد المشتركة .

ولا أدل على فساد هذه النظرية أن أعظم الأم الحديثة رقياً وحضارة ، وأقواها شعوراً بالوحدة وبالقومية ، هي الأم التي اختلطت فيها الأجناس والأصول والأنساب . فمثلاً ترجع الأمة الفرنسية في تكوينها الإيتولوجي إلى أصول كلتيه وجرمانية وإيبيرية (Ibérique) ، ونجد أن الأمة الإيطالية ، بعد تمام وحدتها الحديثة ، معقدة من الناحية الإيتولوجية . فقد امتزجت فيها مجموعة متشابهة من أجناس مختلفة : امتزج فيها الدم (الغالي والاروسكي والبلاسيك واليوناني) وغير ذلك من الأجناس التي التقت في ظروف وملايسات غامضة ، وانصهرت جميعاً لا يمكن فصل عناصره أو تمييزها . والأمة البريطانية ترجع في نشأتها إلى عناصر جنسية متعددة أهمها العنصر الجرمانى والعنصر الكلتى . وقد امتزجت فيها هذه العناصر بنسب لا يمكن تحديدها أو تمييزها . ولعل أبلغ حالة لاختلاط الاجناس وتفاعل العناصر الإيتولوجية المختلفة ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية . فإن هذه الولايات على ما فيها من اختلاف وتباين من الوجهة الجنسية والأصول المشتركة ، قد أصبحت في العصور الحديثة ممزجة من الناحية القومية .

هذه أمثلة من الأم التي اختلطت فيها الأجناس والأصول مع أنها من أقوى القوميات الحديثة وأشدّها اتحاداً . فلا وجه إذن لإصرار العلماء الألمان على الدفاع عن النظرية التي نحن بصدد مناقشتها بعد أن تبين أنها لا تتفق مع الحقائق التاريخية ولا يمكن تطبيقها على الأم الحديثة ، ولا يمكن بصفة خاصة تطبيقها على ألمانيا نفسها . لقد لسنّا من الأمثلة المتقدمة مبلغ الاختلاط والتفاعل الذي أصاب العناصر الإيتولوجية ، فهل سلمت ألمانيا

من هذا الاختلاط ؟ وهل هي الأمة الوحيدة التي شذت عن ذلك ؟ وهل ترجع جميع عناصرها إلى أصل جرمانى خالص كما يدعى أنصار هذه النظرية ؟ لاشك أن هذا وهم وتعصب من جانب أصحاب هذه النظرية لأن الجزء الجنوى من ألمانيا يغلب فيه الجنس الغالى ، ويرجع معظم الجزء الشرقى إلى الأصل السلافي . على أن الأجزاء الأخرى التي يظن أنها من أصل جرمانى خالص لم تكن كذلك في الحقيقة لأنها خضعت في كثير من أطوارها التاريخية إلى دوافع الاختلاط وعوامل التفاعل ^(١) .

وبما يزيد في فساد هذه النظرية أن بعض الشعوب التي تنفق من الناحية الإثنولوجية قد تكون متميزة من الناحية القومية وتكون أمماً مستقلة . فالإنجليز والسكوت مثلاً متشابهان إثنولوجياً ولكنهما متميزان من الناحية القومية . والدانمارك والشعوب الإسكندنافية من جنس واحد ولكنها تكون مجموعة متميزة من الأمم لكل منها قوميتها ووحدةها وعناصرها الخاصة .

وكما أخطأت هذه النظرية في تصور ما قد كان وما هو كائن ، فقد أخطأت كذلك في تقرير ما يجب أن يكون . فإن ما تقرره في هذا الصدد يتعدى تحقيقه . فهناك استحالة مادية تمنع من إعادة توزيع الأمم على هذا الأساس ، أو على الأقل تشجيع مثل هذا الاتجاه على الانتشار لأن إجراء من هذا القبيل يفقد العالم حضارته ، ويسبب اضطراباً خطيراً في الأمم القائمة ، وانقساماً لامتثل له في تاريخ العالم . إنه من الصواب أن يقال إن فكرة الجنس كانت لها أهميتها في قيام القبائل والأمم القديمة ؛ لأن القبيلة أو المدينة لم تكن سوى امتداد للأسرة أو البطن في أبسط صورها . وهذا ما لوحظ بوضوح في مدن مثل (اسبرطه وأثينا) فقد كان معظم المواطنين ذوى قربنى إلى حد ما . ولوحظ هذا أيضاً عند قدامى العبريين والعرب . ولكن العالم سرعان ما انتقل من نظام المدن البسيطة إلى نظام الامبراطوريات الواسعة التي تكونت أولاً بالعبادة والقهري ثم استقرت على أساس المصالح المشتركة .

ولا شك أن تجانس المصالح والرغبة في التعاون بين مختلف القبائل والمدن والولايات التي تختلف اختلافاً كبيراً من ناحية الجنس ، هذا الاتحاد والشعور المتبادل قد خفف كثيراً من فكرة (التعصب الجنسي) وأزال كثيراً من الموانع والعقبات التي كانت تثيرها فكرة (وحدة الجنس) (١١) .

وقد كان لانتشار المسيحية فضل كبير في القضاء على فكرة التعصب الجنسي . إذ كان في تعاليمها وخصائصها العامة وفي اعتناق مختلف الأجناس لمبادئها ما جعل الأفراد يستخفون إلى حد ما بقيمة وحدة الأصل المشترك أو المبادئ الإتنولوجية التي يزعمون أنهم انحدروا منها : وما يقال عن المسيحية يقال أيضاً عن الديانة الإسلامية . فقد كان من نتيجة هذه الحركات التاريخية الهامة أن اختفى ، منذ قرون ، من أذهان كثير من الأمم العامل الإتنجرافي . ولم تعد له قيمة يعتد بها في بحث مسائل الإنسانية .

ومن الحركات التاريخية الهامة التي ساعدت على إضعاف روح التعصب للأصل الواحد أو الجنس المشترك ما استهدفت له أوروبا بصفة خاصة من هجوم البرابرة . فإن هذا الهجوم كان من العوامل الهامة التي ساعدت على القضاء على فكرة الجنس لأن الغزاة استطاعوا أن يندمجوا ويتصاهروا ويتجانسوا مع السكان الأصليين . وقد تولى عن ذلك جيل جديد مع أن أجناس الشعوب التي أخضعوها لسلطانهم كانت مغيرة لأجناسهم إلى حد كبير . وجاء بعد ذلك شرمان فكون امبراطورية واسعة الأرجاء كما فعل الرومان ؛ وامتازت امبراطوريته بالوحدة ، وكان يسودها الشعور بالقومية مع أنها مكونة من أجناس مختلفة . وعندما أخذت هذه الامبراطورية في الاضمحلال وفكر البساسة في تقسيمها نجد أن هؤلاء الذين اشتركوا في معاهدة (فردون) لتقسيمها ، لم يعملوا حساباً لتلك الأجناس التي تقوم على شتى خط التقسيم أو حوله . هذا إلى أن الحركات السياسية التي قامت حول تعديل الحدود في القرون الوسطى كانت بعيدة عن الميول والرغبات الإتنولوجية .

وهذا ما لوحظ أيضاً في تخطيط أوروبا الحديثة وتعديل حدود الدول . كل هذه الأمور تدلنا بوضوح على أن الاعتبارات الإنتلوجية لم تكن لها بصدد قيام الأمم ونشأتها تلك الأهمية التي بالغ في تقديرها أصحاب (نظرية وحدة الجنس) وخاصة العلماء الألمان منهم . إن التعصب لهذه الاعتبارات أخذ في الضعف ، وفكرة الأصل الواحد والجنس المشترك في طريقها إلى الزوال ، وقد فقدت أهميتها الآن .

والحق أن (الجنس) ليس شئ كئ شئ ، في الأمة . وإذا كانت دراسة الأجناس تعتبر الآن من أهم الدراسات لهؤلاء الذين يشتغلون بالتاريخ العام للإنسانية ، وبتاريخ الحضارات وتوزيع الأجناس ، ولكن ليس هناك أى علاقة بين هذه الدراسات وبين تطبيق نتائجها في ميدان السياسة . إذ يجب أن نفرق بين حقائق علمى الأنتروبولوجيا والإنتلوجيا وبين تطبيقاتهما السياسية . لأنه بجانب الخصائص الجنسية يوجد العقل والشعور والآمال والآلام والمصالح المشتركة والاتجاهات المتجانسة ؛ ولا شك أن الاتحاد في هذه الأمور وما إليها يضمنى على أفراد المجتمع الواحد شعوراً بالوحدة أقوى بكثير من (وحدة الأصل) .

ويذهب بعض العلماء إلى اعتبار (الوحدة الجغرافية) هى أهم دعامة تقوم عليها الأمة . فما نسميه بالحدود الطبيعية له جانب كبير من الأهمية في تقسيم الأمم . ويرى أصحاب هذه النظرية أن العامل الجغرافى لعب دوراً خطيراً في تاريخ الأجناس وقيام الأمم الموحدة . فالأنهار مثلاً ساعدت الأجناس المختلفة على الانتشار والذوبان والاختلاط ، وأناحت نشأة الأمم والقوميات الموحدة ؛ بينما وقفت الجبال والمرتفعات فى سبيلها حجرة عثرة وأقامت بينها الحواجز والموانع . وفصلت الحواجز الجغرافية الطبيعية بعض أجزاء المعمورة عن بعضها الآخر ، ودفعت كل جزء إلى الاستقلال عن غيره فى قوامه وقوميته ^(١) .

Barker, National character.

(١)

فلاستقرار الدائم في منطقة جغرافية مميزة محدودة يعتبر أول عنصر من عناصر تكوين الأمة . وهو الباعث على نموها واتساع نطاقها . أما القبائل الرحل فلا ينتظر منها أن تكون أمة ما دامت في حالة ظعن . ولكن إذا أتاحت لها فرص الاستقرار مدة طويلة فإن ذلك قد يؤدي إلى شعورها بالقومية ولا تلبث أن تكون أمة لها مميزاتها الخاصة وطابعها الذاتي . وإذا حدث لسبب ما أو لعوامل طارئة أن تستعيد طغنها وترحلها فمن المحتمل جداً أن تحتفظ بوطنيتها وشعورها القومي وقد تعمل جاهدة إلى استعادة وطنها القومي .

ويقول أصحاب هذه النظرية أننا إذا نظرنا إلى أمم العالم نرى أن معظمها يحتفظ بحدود إقليمية معينة هي التي اكتسبتها صفاتها الخاصة وعناصرها المميزة . ولا أدل على ذلك من أن الاسم الذي يطلق على الوحدة الجغرافية قد يطلق على الأمة التي تستوطنه . وقد يطلق أيضاً اسم الأمة على الجزء الإقليمي الذي استقرت فيه . فمثلاً نقول مصر للمصريين ، وفرنسا للفرنسيين ، ودانمارك للدانماركيين ، واسكتلند - لاسكتلنديين - ولذلك يذهب أنصار هذه النظرية إلى أن حدود الأمم مكتوبة ومرسومة على الخرائط ؛ وأن أي أمة لها الحق في أن تتخذ ما هو ضروري لكي تصل إلى مرتفع ما أو نهر تعتقد أنه يحدها منذ نشأتها . وبهذه النظرية برروا كل حركات العنف التي قامت في أوروبا حول مشا كل الحدود والوحدات الجغرافية .

ولكن حقائق السياسة التي بين أيدينا لا تنمض دليلاً على صحة هذا الاتجاه في تفسير الدعامة التي تقوم عليها الأمم . لأننا نشاهد أنما كثيرة وقوميات ناضجة سياسياً مبعثرة في طول العالم وعرضه ، ومنتشرة بين ربوع الدول وتكون في كل منها مراكز سياسية حية محتفظة بقوميتها الأصلية . فظواهر الهجرة والزواج والتداخل الاجتماعي لا تؤثر في القومية ولا تهدم أنما أصيلة . فالرجل الانجليزي أو الأيرلندي هو إنجليزي أو أيرلندي في أي جزء من أجزاء العالم . وهذا ما يقال عن السلوفاك والتشييك والبولنديين .

فقد عرف عن البولنديين أنهم يستطيعون الاحتفاظ بقوميتهم أمدا طويلا في الأوساط الغريبة التي يعيشون فيها . هذا إلى أن أمما كثيرة قد قامت في التاريخ القديم والحديث بدون أن يستند قيامها إلى فواصل جغرافية طبيعية، وأن المنطقة الجغرافية الواحدة قد تسكنها أمتان أو أم كثيرة . وهذا يدل على أن العامل الجغرافي أو الوحدة الطبيعية ليست عاملا جوهريا في قيام الأمة . قد تكون هذه الوحدة عاملا مساعدا في المحافظة على الشعور بالوحدة في داخل الامة الواحدة ؛ ولكن هذا العامل لا يكفي لأن يكون دعامة لقيام أمة ما لم تتضافر معه عوامل أخرى .

ويذهب بعض العلماء إلى اعتبار «الوحدة اللغوية» هي الدعامة الجوهرية في قيام الأمة . ويرون أنه من الضروري لقيام الأمة أن يشترك أفرادها في « اللغة » لأنها وسيلة التعبير والتخاطب ؛ وعن طريقها يفهمون فيما يجب عمله ؛ وبدونها يعتذر عليهم جميعا الاتفاق على غاية مشتركة . ويقرر أصحاب هذه النظرية أن « وحدة اللغة » من شأنها أن تخلق جوأ من التفاهم وتبادل الآراء ؛ وتسهل إلى حد كبير ظروف المخاطبة والمعايشة والاجتماع . ومن ثم تنشأ ثقافة مشتركة وآداب مشتركة وحضارة مشتركة وتاريخ مشترك وهذه الأمور في نظرهم من أهم مقومات الأمة .

ومن أشهر المؤيدين لهذه النظرية العلامة «جملوفتش» (Gumplowicz) الذي يذهب إلى أن الاشتراك في اللغة هو أساس الوحدة القومية ومبدأ جوهرى في قيام الأمة . لأن تجانس وسائل التخاطب والتعبير وتشابه الأفكار والاشتراك في مقومات حضارة واحدة يعتبر ثمرة ماض مشترك أكثر منه نتيجة للاشتراك في أصل واحد ^(١) . ويقرر هذا العالم أن الأصول الإثنولوجية للآمم الحديثة مختلفة ومتشعبة ولا يمكن تحديدها . ومن ثمة ، فالوحدة الجنسية لا تصلح أن تكون أساسا أو مقياسا صحيحا ميزها عن الخطأ في الكشف عن طبيعة تكوين الأمة ، ومعرفة عناصرها الأساسية . ويضرب

(١) Garner. Introduction to political Science. chap. (Elements of nationality).

في هذا الصدد أمثلة متعددة بالألم الألمانية والإيطالية والأسبانية والفرنسية التي نشأت من خليط غير متجانس من الأصول الإثنولوجية . ولكنها أصبحت أما مميزة ومستقلة بطابعها وشخصياتها وذلك بفضل الاشتراك في اللغة ومقومات الحضارة بصفة عامة التي يرجع الفضل فيها أيضا إلى الاشتراك في طرق التفاهم والتخاطب وطرق التفكير ووسائل العمل .

ومن أنصار هذا الرأي أيضا الفيلسوف الألماني (فخته Fichte) وهو من أبرز رسل القومية الألمانية . فقد أعلن في كثير من كتاباته أن الوطنية شيء روحى ومظهر من مظاهر الوحدة العقلية . وأهم عامل يترجم عن هذه الوحدة هو (اللغة) . لأنها في الواقع تترجم وتعبر عن مجموعة التجارب العامة التي خضع لها الأفراد منذ تجمعهم ، وترجم عن المصالح المتبادلة بينهم ، والمثل العليا التي يسعون إليها . فهي دعامة الوعي القومى وبدونها لا يستقيم للأفراد فكر أو منطق ويتعذر عليهم الاتفاق على قدر مشترك من الأفكار والمبادئ الضرورية لوجودهم مجتمعين (١) .

ويستدل أنصار هذا الاتجاه على صحة ما يذهبون إليه بأن كثيرا من الحركات القومية التي قامت حديثا في أوروبا كان الدافع إليها « اللغات القومية » فقد كانت هذه الحركات ترمي إلى ضرورة استقلال بعض القوميات مادامت تشترك في اللغة وآدابها وذلك مثل ما حدث في بولندا وبوهيميا . فاللغة البولندية لعبت دورا هاما في استكمال الأمة البولندية خصائصها واستقلالها الذاتى ؛ واللغة التشيكية هي أهم ما يميز به الشعب التشيكي .

وقد أخذ ساسة الألمان بوجهة النظر هذه . فعمدوا إلى إلغاء اللغات القومية التي كانت منتشرة في بعض الأقليات والتي كانت سائدة في بعض المقاطعات الداخلة في حدودها ، وذلك للقضاء على مختلف النزعات الانفصالية . وفي ضوء مانوحى به هذه النظرية نستطيع أن نفهم ما تبذله حكومات

الهند الحاضرة من جهود في سبيل توحيد اللغات الهندية والعمل على تقوية اللهجات الهندية المختلفة وتقريبها بقدر الامكان بعضها من بعض .

ولكن الحقائق التاريخية التي نشاهدها لاتنقض دليلا على صحة هذه النظرية ، ولاتجعلنا نسلم بأن (اللغة) هي الدعامة الجوهرية لثبات القوميات . حقا إن اللغة تساعد على الاتحاد ولكنها لاتلزم ذلك ولاتفرضه . فنلاحظ مثلا أن الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا يتكلمان اللغة الانجليزية ، ومع ذلك فهما مستقلتان قوميا ، وتؤلف كل منهما أمة لها خصائصها وميزاتها . وأمريكا اللاتينية وأسبانيا يتكلمان لغة واحدة ، والأمة الأسبانية مستقلة قوميا ومتميزة تماما عن شعوب أمريكا اللاتينية . وبالعكس من ذلك نجد أن سويسرا التي تتداول بين سكانها ثلاث لغات أو أكثر تكون وحدة قومية مستقلة . ومع أننا نلاحظ أن كل جزء من أجزائها يستقل بلغة معينة ، إلا أن هذا الاختلاف اللغوي لم يكن له من أثر يذكر على وحدتها القومية وعلى خواصها كأمة مستقلة . وهذا يدلنا على أنه يوجد في الانسان شيء أسمى من اللغة ألا وهو الإرادة والرغبة في الاتحاد ^(١) .

ولعل الأهمية السياسية التي خلعبها العلماء على « اللغة » إنما جاءت من أنهم ينظرون إليها على أنها من خصائص الجنس وميزاته . بمعنى أنهم يذهبون إلى أن الوحدة الإثنولوجية تستدعي الوحدة اللغوية . لأن لكل جنس في نظرم لغة يتميز بها ، ولكن هذا الرأي خاطيء من أساسه ولا تبرره الحقائق المادية الملحوظة . فمقاطعة بروسيا مثلا التي لايتكلم أهلها إلا اللغة الألمانية تعتبر من أصل سلافي ، والأسبانيون الذين يتحدثون من جنس غالي لايزالون يتكلمون اللغة الألبية البدائية ، والمصريون يتكلمون اللغة العربية . ولوحظ قديما في القبائل الآرية والسامية أن العبيد والأرقاء يتكلمون لغات أسيادهم مع أن هؤلاء الأرقاء كانوا يختارون عادة من أجناس مغايرة لأجناس أسيادهم . وهذا يدلنا على أن تجانس اللغة لايعد دليلا على وحدة الأصل أو على الاتحاد الإثنولوجي — والأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة ولا تحصى .

ومما يزيد في خطأ هذه النظرية ، أن تقسيم اللغات إلى لغات هندية — أوروبية وسامية قائم على أساس الفيلولوجيا المقارنة ولا يتفق مطلقاً مع تقسيم علماء الإثنولوجيا للأجناس . إن اللغة عبارة عن تكوين تاريخي لا تدل في شيء على دم هؤلاء الذين يتكلمون بها ، وهي من جهة أخرى ، لا تتقدم بأى إلزام عندما يرغبون في تحديد الأسرة الإثنولوجية التي يريدون الاتحاد معها وربط مصالحهم الحيوية بها . وفوق كل هذا يجب علينا ألا نهمل المبدأ الانساني الأسمى وهو أن الانسان كائن مفكر وعاقل وله شخصية أخلاقية قبل أن يكون أسيراً للغة ما أو يعتقد أنه منحدري من جنس معين أو تابع لثقافة أو حضارة بالذات .

ويذهب كثير من المفكرين إلى اعتبار الوحدة الدينية من أهم الدعام التي تقوم عليها الأمم . لأن هذه الوحدة من شأنها أن تخلق في قلوب أعضائها عقيدة حية تدفعهم إلى الاجتماع ليتذاكروها فيما بينهم . وهذه الضرورة للاجتماع من شأنها أن تقوى فيهم وحدة التآلف والتآزر والاتحاد في الآمال والآلام . ومن ثم يتميز أصحاب هذه الوحدة تمييزاً ذاتياً ، ويكونون وحدة اجتماعية مستقلة .

ومن الأمثلة البارزة التي لعب فيها الدين دوراً خطيراً « تحقيق الوطن القوي لليهود » ، فإن الوحدة الدينية لبني إسرائيل وتمسكهم بتعاليم الدين ونصوبه هو الذي قوى فيهم الأمل نحو تحقيق وطن قوي لهم .

ويرى أنصار هذه النظرية أن الوحدة القومية لا يمكن أن تقوم وتناكد بين أفرادها إذا كان هناك خلاف جوهرى في العقائد . فقد كان السائد قديماً أن دين الأمة هو الدين الذى يعتنقه جميع أفرادها بلا استثناء . وكل من يخرج عن تعاليم الدين أو يرفض الإيمان به ، يعتبر خارجاً عن الأمة ؛ ومن ثم ، يفقد قوميته ويحل دمه . فديانة أثينا مثلاً ، في كثير من عصورها القديمة ، هي الطقوس والعبادات التي يجب على كل أثيني أن يزاولها ويؤمن بها . والفرد لا يعتبر أثينياً إذا رفض مزاولتها ؛ ففي هذا الرضا إعلان للجهور

المواطنين بأنه لم يعد أثينيا . وما يقال عن أثينا يقال عن أسطره وعن غيرها من القوميات الصغيرة التي انتظمت مدنا احتفظت كل منها بتقاليدها وعاداتها ونظمها الدينية .

ومما يدل على شدة تأثير الدين وقوة فاعليته في السياسة أن كثيراً من الحروب التي قامت قديماً كانت حروباً دينية . فالبروتستانتية دفعت إنجلترا إلى غزو أسبانيا في زمن الأرمادا . واستطاعت الكنيسة في العصر الوسيط أن تسيطر على الملوك والأباطرة وتفرض عليهم القيام بحروب لتوطيد سلطتها ونشر تعاليمها ، لدرجة أن أصبحت حروب الدولة هي حروب الكنيسة ، وحروب الكنيسة هي حروب الدولة . ولعل أبرز مثل لذلك هو الحروب الصليبية التي استهدف لها الشرق في القرون الوسطى . وفي العصور الحديثة نجد أن الحركات القومية التي قامت بين الصرب والكروات كانت قائمة على أساس ديني ؛ لأن الصرب كانوا أرثوذكساً وكان الكروات كاثوليكاً . ورومانا . ومع أنهما كانا مشتركين في اللغة وفي التقاليد ويتمتعان بثقافة واحدة إلا أن الخلاف في المذاهب الدينية أدى إلى شقاق قومي بينهما . وهذا ما لوحظ أيضاً بين الأتراك والمجريين فأنهما من جنس واحد تقريباً وبينهما قرابة لغوية ؛ ولكن انقسامهما إلى مسلمين ومسيحيين قضى على آمالهم في الوحدة القومية .

وقد أيد هذه النظرية كثير من الفلاسفة المحدثين وعلى الأخص « أوجيست كونت » الذي نادى بوجوب قيام وحدة دينية في العالم بأسره . لأن مثل هذه الوحدة تقف سداً منيعاً في وجه القوميات الراغبة في الحروب ؛ ومن شأنها أن تعزز وحدة الأمم وتقضي على كثير من المساوئ الناشئة من الاختلاف في المذاهب وفي الطقوس وفي العادات . وضماناً لتحقيق هذه الوحدة ، وضع « كونت » نظاماً دينياً جديداً هو « الدين الوضعي » أو « عبادة الإنسانية » . ووظيفة هذا الدين الجديد هي تحقيق التضامن العالمي والتضامن على تنافس القوميات وتناحرها لأن جميع الأفراد سيتجهون بقلوبهم في ضوء تعاليم هذا الدين ، نحو فكرة واحدة ومركز واحد . وبذلك تحقق

الانسانية وحدتها وكألها . ويأتى ذلك اليوم الذى نرى فيه « الأجناس البشرية الثلاث : الجنس الأبيض والأصفر والأسود التى تمثل فى الانسانية الذكاء والعمل والعواطف ، قد حققت وحدة الانسانية ، وتوجت عصرها ذهبيا لدين كلي حقيقى » (١) .

ولاشك أن هذا إصراف بالغ من « كونت » ومن نحاسه من المفكرين والفلاسفة الذين يريدون الرجوع بالعالم إلى الوحدة الدينية التى كانت تسيطر على أوروبا فى العصور الوسطى ، والذين يرون أن الوحدة الدينية هى دعامة جوهرية فى نشأة القوميات أو على الأقل فى تعزيز القوميات التى تم تكوينها . والتاريخ يمدنا بأمثلة كثيرة لأهم تقدمت وتطورت بالرغم من الاختلافات الدينية . فالقومية المصرية مثلا الآن تعتبر مكتملة العناصر وبميزة المقومات بدون النظر إلى الخلافات الدينية والطائفية الموجودة بين أفرادها . وذلك لأن القوميات الحديثة أصبحت تركز على مثل عليا أسمى من أن يؤثر فيها الاختلاف فى العقائد أو فى الطقوس .

وافتقت الآراء الحرة الحديثة على أن العقيدة أصبحت شيئا شخصيا يتعلق بضمير الإنسان . ولكل فرد الحرية فى أن يعتقد ما يشاء من الأديان ، وله أن يشترك فيما يشاء من الطقوس . ولكل فرد الحرية فى أن يختار أسلوبه فى الحياة ويتجه بالعبادة والتقديس إلى ما يرغب الاتجاه إليه بدون إلزام من الدولة أو من الأمة التى يعتبر عضواً فى أسرتها . وليس هناك دين رسمى لكثير من الدول . فقد يكون الفرد فرنسيا وهو فى الوقت نفسه إما كاثوليكيا أو بروتستانتيًا أو مسلما أو يهوديا ؛ وقد يكون الفرد واحدا من هؤلاء وينتمى فى الوقت نفسه من الناحية القومية للأمة الانجليزية أو الأمة الألمانية أو الإيطالية . والمسيحي والمسلم مصريان سواء بسواء .

ومما يدلنا أيضا على فساد هذه النظرية أن الوحدة الدينية لم تتحقق قدما . فالاضطهاد الدينى الذى وقع فى العصور الأولى لاختضاع الشرق

(١) « أوجيست كونت » للدكتور مصطفى الحجاب ص ١٤٥

A. Comte. Système de Politique Positive. I.P. 140 sqq.

لديانة الامبراطورية الرومانية وإقامة ديانة موحدة الامبراطورية لم ينجح ،
ودل على حق بالغ وعدم تقدير لمبادئ القوميات التي أريد إرهابها في ظل الوحدة
الدينية الصناعية . هذا إلى أن الدين لم ينجح حتى الآن في إقامة سياج متين
حول ميادينه . فلم نشاهد تقسماً للآدم على أساس تفسيات دينية ولم نسمع
بأم كاثوليكية وأم بروتستانتية وأم إسلامية وأم ملحدة .

هذه هي أم الدعائم التي ظن العلماء أن الأمة ترتكز عليها في نشأتها .
وتشيع كل فريق منهم إلى مبدأ من المبادئ التي سبق الإشارة إليها ،
وتعميموا في هذا الصدد تعصباً شديداً ، ولجأوا إلى كثير من المساجلات
والمناقشات التي أفادت العلم فائدة محققة لا سيما من الناحية التحليلية .
ولعل الحركات القومية والاضطرابات السياسية التي حفل بها النصف الأخير
من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أفسحت المجال لهذه المساجلات ،
وأمدتها بمادة غنية ، وأعطت الفرصة لظهور طائفة من الآراء والأفكار
التي في ضوئها استطاع العصر المحترفين أن يبرروا بها تصرفاتهم المغرضة .

وحاول فريق معتدل من علماء السياسة ألا يعتمد في تفسير قيام الأمة
على دعامة واحدة من الدعائم التي سبق مناقشتها وتحليلها . وحاول أن يجمع
بينها جميعاً واعتبرها عناصر ذاتية يكمل بعضها بعضاً ^(١) .

ويذهب هذا الفريق إلى القول بأن الأمة ذات روحية أو نفس روحية
ترجع في آخر تحليلها إلى المقومات التي درسناها في الفقرات السابقة . فهذه
المقومات هي بمثابة « إكسير الحياة » الذي يضيء على مجموع معين من الأفراد
خواص الأمة . فالأمة أشبه ما يكون بمركب كيميائي امتزجت فيه العناصر
التي ذكرناها واتحدت وفقدت صفاتها الخاصة . واتخذت باتحادها وتفاعلها
اتجاهاً خاصاً تحدده نسب التفاعل ومداها ، وشدته وضعفه ؛ وهذا هو سر

الاختلاف بين الأمم: فبقدر ما يكون هذا التفاعل شديداً ، تكون وحدة الأمة وتضامنها . وإذا ظهر أن عنصراً منها لم ينسجم إلى حد ما مع باقي العناصر ، أو أن واحداً منها لم يمثل بصفة كلية في هذا المركب الكيميائي ، فالتنا نشاهد أثره ملموساً فيما ينشأ في جو الأمة من انقسام . فكثيراً ما نتاجاً الأمم بظهور تيارات عارضة تخلقها المناسبات وتبعها الظروف ؛ فتخرج هذه البقايا التي لم تمثل بعد ، أو التي لم تهضم بصورة كافية من حالة الكون لتعمل عملها في النيل من وحدة الأمة ومن تضامنها .

ومن أمثلة هذه التيارات العارضة تلك الحروب الطاحنة التي قامت في أمريكا بين البيض والسود أي بين الشمال والجنوب ، واستغلت فيها فكرة الجنس استغلالاً سيئاً كاد يأتي على وحدة أمريكا لولا أنها انتهت بانتصار أصحاب الوحدة . وكثيراً ما نسمع من حين لآخر ببعض الحوادث المحلية أو بعض الإجراءات في الولايات المتحدة التي تفسر لنا بوضوح أن الوحدة الإثنولوجية لم تتمثل بعد وأن لها بقايا ورواسب ما زالت تظهر في الـ (Folklore) الشعبي ؛ أي في العادات الشعبية الدارجة .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما لجأ إليه الإنجليز في الثورة المصرية التي قامت عام ١٩١٩ وفي مناسبات سياسية أخرى وفي الحركات القومية التي تلت ثورة سنة ١٩١٩ من إثارة موضوع الطائفية والأقليات . وذلك رغبة في استغلال الفكرة الدينية في هدم القومية المصرية الناشئة .

ومن هذا القبيل ما لجأ إليه «هتلر» من إثارة موضوع العنصرية والجنسية لاعداء اليهود والتخلص من معارضييه والقذف بهم خارج الحدود . فكان بشردهم باسم الاضطهاد العنصري وعدم التجانس القومي أو عدم التكافؤ في وحدة الأصل والدم .

وهذا ما لجأ إليه السوريون أخيراً إذ أثاروا موضوع العنصرية والجنسية لإبعاد حكومة حسني الزعيم وتبرير إعدامه ؛ وذلك عندما بدت منه مظاهر لتقريب العنصر الكردي وإحلال الأكراد محل السوريين في الوظائف الأساسية في الدولة .

وحياة الأمم. حافلة بأثلة كثيرة من هذا القبيل التي تدلنا بوضوح على أن بعض العناصر والمقومات التي تدخل في تكوين الأمم لا تتمثل بكفاية ، وتترك راسب عمرة الهضم تظهر آثارها في الأزمات التي تتعرض لها الأمم . ولذلك يجب على كل أمة أن تدرس نفسها (شخصيتها) وتحلل عناصرها المكونة ، وتعمل حساباً كبيراً لمثل هذه البقايا التي لم يتم تفاعلها في وجدنة الأمة ؛ فقد يخشى أحياناً من اتساع فجوات هذه الثغرات البسيطة ؛ فيؤدى ذلك الى تصدع عنيف في جهة الأمة .



ونحن إذا تركنا مناقشة العناصر التي أشرنا إليها فيما سبق ، ونظرنا إلى الأمة على أنها حقيقة اجتماعية متبلورة ، واعتبرناها ثمرة ماض طويل ، ونتيجة تاريخ شاق انتهى بها التطور الاجتماعى الى ما هي عليه . . . إذا نظرنا إلى الأمة على هذه الاعتبارات أمكننا أن نقول إن الأمة قوة روحية حية تقوم على مبدأين أساسيين تكشف عن أحدهما في ماضيها ونابئ الآخر في حاضرها ومستقبلها . فالأول هو اشتراك الأفراد في قدر كبير من الذكريات الحافلة بالتضحيات والآمال والآلام ^(١) . هذا الإرث التاريخى الذى توارثه جيل بعد جيل تركز في عقول الأفراد ، ورسب في تكوينهم النفسى . فنشأ الأفراد وهم يشعرون بقوة ضغطه عليهم ، وذلك لأنهم يشاركون فيه بالضرورة . وعن هذا الطريق أصبح الإرث التاريخى المشار إليه أساساً لوحدهم الاجتماعية ، ودعامة لتضامنهم القومى . ولا شك أن الوحدة التى تنشأ عن هذا الاعتبار تكون أشد رابطة وأقوى فاعلية من أى اتحاد آخر يرجع الى العوامل التى درسناها فى صدر هذا البحث .

والعامل الثانى هو الرضى والقبول الفعلى الذى تتجاوب أصدائه بين جميع الأفراد ، ورغبتهم الصادقة فى أن يعيشوا مجتمعين فى ظل النظام والحرية ، وعزمهم على الاحتفاظ بذلك الارث التاريخى الذى ورثوه معاً وتواتر إليهم بالاشتراك ، واتفاقهم على الاعتزاز به والابقاء على قيمته الأخلاقية .

John Stewart Mill, Representative government. chap.(of nationality).

فلا انسان ليس إذن أسيراً للجنس ما ، أو لغة ما ، أو دين ما ، وليس أسيراً أيضاً لمجموعة من الحدود الطبيعية أو الحواجز الجغرافية ، ولا يتحكم في قوميته نهر أو مرتفع ؛ فهو ليس أسيراً لاتجاه سلاسل الجبال أو أودية الأنهار . لأن اجتماع الافراد على الصورة التي عرضتها في الفقرة السابقة ، وانفاقهم في الميول والرغبات ، واشتراكهم في الآلام والآمال ، وخضوعهم لظروف ومناسبات تاريخية ، ورغبتهم الصادقة في بذل تضحيات في سبيل تضامنهم والمحافظة على تراثهم التاريخي والقوى ؛ هذه الأمور المعنوية من شأنها أن تخلق في المجموع كائناً أخلاقياً شاعراً بقوته وبذاته وبحيويته . هذا الكائن المعنوي هو ما يسمى بالأمة أو بالقومية .

وهذه النظرية في مجملها هي النظرية التي ذهب إليها العلامة رينان في نشأة الأمة وفي مساجلاته مع العلامة الألماني مومسن^(١) .

ويرى بعض علماء السياسة أن الأمة التي تتكون بالصورة التي ذكرناها ، والتي تقوم على الدعائم التي أشرنا إليها ، يمكنها أن تحافظ على جوهرها وعلى قوميتها إذا كانت تخضع برمتها لحكم سياسي واحد . أي أن جميع أعضائها وعناصرها تدخل في نطاق سلطة واحدة . وقد تدأ هؤلاء بأن الدول في المستقبل ستكون دولا قومية : أي أن كل قومية ستسعى إلى أن تكون دولة مستقلة ، ورأى هؤلاء أيضاً أنه يجب أن يكون لكل أمة دولة مستقلة ؛ وأن تشمل الدولة أمة واحدة وذلك وفقاً للنظرية السياسية المعروفة (One nation, One State) لأن ذلك أدعى إلى استقرار نظم الحكم فيها .

وقد وجه العلامة "Gumprowicz" نقداً شديداً إلى هذا المبدأ ، وأكد أن ليس هناك تبرير تاريخي أو اجتماعي يبرهن على صحة هذا الاتجاه . فلم نر أن الدول ذات القومية الواحدة (mono-national) تتماز في عناصرها وتتقدم في ركب الحضارة عن الدول المكونة من عدة قوميات

Renan. Discours et Conférences (qu'est ce qu'une nations ?).

(١)

(Poly. national) . بل يذهب إلى عكس ذلك ، فيقرر أن الدول ذات القوميات المتعددة تتوافر فيها فرص الاختلاط والتبادل بين مختلف القوميات . وبفضل هذه الفرص قد تستفيد قومية من أخرى وتكتسب بعض عناصرها الفاضلة . ففي سويسرا مثلاً استطاعت الدولة أن تسير قدماً في طريق الحضارة بالرغم من تعدد قومياتها . ويتفق معه في هذا الرأي العلامة « بلنتشلي Bluntchli » الذي يذهب إلى أن وجود العناصر الأجنبية في قومية ما هو بمثابة همزة وصل تربطها بحضارة الأمم والقوميات الأخرى . وعلى أسوأ الاحتمالات والفروض قد يكون فضل هذه العناصر الغربية على القومية الأصلية كفضل المعدن الزائف الذي يضاف إلى المعدن الثمين ليكسبه القوة والصلابة ويساعده على التداول .

كتاب رايات المبرزين وغايات المميزين

لابن سعيد

نشر وتحقيق الأستاذ غرسية غومس

بقلم البركتور سوفي ضيف

هذا الكتاب طرفة تقيسة من طرف الشعر العربي في بلاد الأندلس والمغرب وصقلية . انتخبه ابن سعيد من كتاب المغرب في حُسلى المغرب ، وهو الكتاب الذى ألفه بالتوارث في مائة وخمس عشرة سنة ستة رجال هم : الحِجَارَى ، ثم أربعة من آباء ابن سعيد وأعمامه ، ثم هو نفسه ، فهو آخر من عنى بهذا الكتاب من الأسرة ، وقد أخرجه في خمس عشرة مجلدة . ويدار الكتاب المصزية نسخة بخطه ، بدأها سنة ٧٤٥ هـ وانتهى منها سنة ٧٤٧ هـ . وقد كتبها لابن أبى جرادة في حلب ، ثم تعاورت عليها الأيدى حتى تملكها المؤيد شيخ ، ووقفها على مكتبة مسجده . ومعلوم أن ابن سعيد ارتحل عن الأندلس إلى المشرق حول سنة ٦٣٨ هـ واستمر متجولا بين مصر وحلب والعراق والحجاز وتونس حتى آخر حياته عام ٦٧٣ هـ . وفي رأى بعض المؤرخين أنه عاش حتى سنة ٦٨٥ هـ .

وفي أثناء مقامه بمصر عرف ابن بعمور نائب السلطنة ، وكان يحب الأدب ويكرم أصحابه ، فتوثقت عرى الصداقة بينه وبين ابن سعيد ، فكلفه كما يقول في مقدمة الرايات أن ينتخب له خير ما في كتاب المغرب الكبير من شعر للأندلسيين والمغاربة والصقليين ، فكتب هذه المجموعة التى نشرها المستشرق الثبت غرسية غومس الأستاذ في جامعة مدريد معتمدا في ذلك على نسخة وجدها بمكتبة المرحوم أحمد زكي باشا ، وهى مصورة عن

نسخة في الآستانة ، وقدم لها بمقدمة بديعة عرض فيها لما اعتمد عليه من مراجع ، وتحدث عن وصف النسخة ، وعن ابن سعيد ومن سبقوه . في تأليف كتاب المغرب ، كما تحدث عن منتخبات الرابات وحللها ، وأتبع ذلك بالأصل العربي ، حتى إذا فرغ منه ترجمه إلى الأسبانية وعلق عليه وألحق به فهارس مختلفة .

وهذا كله عمل جدير بالشكر والثناء لما قام به حضرة الأستاذ الناشر للكتاب من خدمة الشعر الأندلسي في بعث وإحياء نص طريف من نصوصه التي تستحق العناية والدرس . فهو خلاصة ممتازة لما أخذت شعراء الأندلس والمغرب وصقلية من تجديد في شعرهم وما أودعوه من صور وتأملات . غير أنني رأيت هتات تشوب هذه الطبعة ، لاشك أن أكثرها جاء من أن الكتاب لم توجد منه إلا هذه النسخة الوحيدة ، وهي نسخة متأخرة في زمن كتابتها ، إذ كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة . وقد صحح الأستاذ غرسية غومس النص في غير موضع ، وأقام ما فيه من عوج واضطراب . وبقيت أشياء رأيت أن أبادر إلى وضعها بين يديه حتى يتم الانتفاع بهذا النص البديع . فمن ذلك ما جاء في ص ٢٦ من قول ابن عمار :

ملكٌ بروقك خلّقه وخلّقه كالروض يحسن منظرا ومخبرا

فإن هذا البيت من قطعة صيغت من وزن الكامل ، وقد وضعت فيه واو العطف مكان أو ، فأختل وزن البيت ، وصحته :

ملكٌ بروقك خلّقه أو خلّقه كالروض يحسن منظرا ومخبرا

ومن ذلك ما جاء في ص ٥٢ من عتاب بعض الشعراء لملك من ملوكهم ، إذ يقول في بعض شعره :

فيا لملكٍ ليس يرى مكاني وقد كحلتُ ناظره بنوري
كما المسواكُ مطرَحًا مهتًا وقد أبقىَ جبالاً في الثغورِ

والبيتان من وزن الوافر، فينبغي أن تقرأ كلمة «جلاء» بالمد، وإسن هذا
وهو حدث أثناء الطبع. ومثله ما جاء في ص ٦٦ إذ يقول بعض الشعراء :
والنصن من فوق النرى والكنه كرماء يميل إلى ثراء ويسجد

والبيت من وزن الكامل، فالواو في كلمة «ولكنه» مزبدة، فينبغي.
أن تحذف حتى يستقيم الوزن. ومن هذه الشاكلة ما جاء في ص ٧٠ من قول.
بعض الشعراء :

قم ستمنى شفق الشمول بسفرة وإنما شفق الصباح شمول

والبيت أيضاً من وزن الكامل، وأول شطره الثاني لا يستقيم، وأكبر
الظن أن كلمة «وإنما» حُرِفَتْ عن كلمة «وكأشما» ولعل في هذا
ما يدل بوضوح على أن النسخة المحققة كانت متعبة، وأن تحريفات كثيرة
وقعت فيها. ونقرأ في ص ٨٢ هذا البيت :

شكر الله ما أنيت وجازاك ولا زلت نجم هدى لاسر

وقد شكلت فيه كلمة «هدى» بضم ففتح، والبيت من وزن الخفيف،
فينبغي أن تقرأ «هدى» بفتح فسكون، حتى ينتظم الوزن.

ويظهر أن التصويب والتصحيح للأصل كان كثيراً، وفي مثل
هذه الأحوال قد تند بعض التصحيحات، وكل من يعانى نشر نص قديم
من مخطوطة واحدة، يعرف مدى هذه الصعوبة. ونجد كلمة «نعص»
مكان كلمة «نعص» في البيتين الواردين في ص ١٦ إذ يقول ابن بسام
في دعوة نديم له وقد قعد للشرب في حديقة سترها ضباب :

ألا بادِرْ فما ثانٍ سوى ما عهدت : الكأسُ والبدر التمامُ
ولا تكلْ برؤيته ضباباً نعصُ به الحديقة والمدامُ

فكلمة « تعض » تنبو عن المعنى ، والأصل « تقص » وهو صحيح .
ومن ذلك ما جاء في ص ٢٠ إذ يقول بعض الشعراء في فواردة :

يَا حُسْنَ فَوَارِدَةٍ لِلْأَفْقِ رَاجِعَةٍ بِالشَّهْبِ تَنْزَوْ كَنْزِ الْوَانِبِ اللَّيْبِ

فكلمة « كنزو » وضعت مكان كلمة « نزو » في الأصل ، وهي صحيحة ،
على أن تقرأ « نزو » بضم النون والراء وتشديد الواو . وفي ص ٢١ يقول
أبو الحجاج بن عتبة الإشبيلي وقد شرب مع أصحاب له تحت قصب فارسي ،
فجعلت الريح تميل ذوائبه عليهم :

أَسْبِيهِ مِنْ أَكْوَانِنَا وَلَوْ أَنَّهُ سَكْرَانٌ يُصَفِّحُ حَقَّ مَا لَمْ يَرَوْسْ

وواضح أن كلمة أكواسنا محرفة في الأصل عن « أكوابنا » ، وكان
في الأصل « سكران يطفح » أي سكران يمتلئ ، فصحيحها حضرة الناشر
« يصفح » وأظن أن الأصل صحيح . وفي ص ٤٨ يقول عباد بن ماء السماء
في وصف الخمر :

كَأَنَّهَا شَبَّهَا شَارِبٌ أَمْسَكَهَا فِي أَلْفِ كَفَّةٍ سَرْمَدًا

وكلمة « شبها » لا معنى لها في البيت ، والأصل « شباها » وهو
صحيح أي أنها تجعل شاربها الذي أمسكها دهرًا طويلًا شابًا وربما
كانت « شبيها » ، فقد شابت في يد شاربها الذي أمسكها زمنًا طويلًا
أو سمردا . وفي ص ٦٧ يقول ابن سعيّد في مدح بعض الملوك :

إِنْ هَرَّهَ الْمَسْحُ فَلَا مَوَالَ فِي بَدَدٍ وَالْعُصْنُ مَا هَرَّ إِلَّا بُدَدَ الثَّمَرُ

مَتَّعْ جَفَوْنَكَ فِي وَجْهِ بِلَا تَعَبٍ إِنْ كَانَ شَمْسًا يَدَاهُ تَحْتَهَا الْمَطَرُ

وكلمة وجه لا تستقيم ، وهي في الأصل « وُجِد » بالبدال ، وهي صحيحة
أي متع جفونك فيما تجده من نوال المدوح وكرمه .

والحق أن النسخة التي تعد للنشر إن لم تكن سليمة في أصلها وكان كاتبها
يوثق به ، فإنها تكون كثيرة التحريف ولا نشك في أن حضرة الأستاذ

الناشر حل كثيرا من تحريفات هذه النسخة ، وأعادها إلى صورتها الصحيحة .
ولكن بقيت بعض تحريفات أرى أن أذكرها ، لعله يرى رأيي فيها ،
فمن ذلك ما جاء في ص ١٢ إذ يقول ابن الامام في وصف درع :

إذا رميت بها في القاع مُطَرِّفًا حسبها نُطْنًا تجرى إلى نُطْبٍ

وواضح أنه يشبه الدرع حين تلقى بالنطف أو الدكيات القليلة من الماء ،
الصافي ، وإذن فالكلمة « مطرطا » ينبغي أن يكون الناسخ حرقها عن كلمة
« مطرعا » . وفي ص ١٣ نقرأ هذا البيت لأبي بكر محمد بن القوطية :

اشرب على السُّوسَنِ النض الذي نعا وباكر الأنسَ والورد الذي نجيا
وكلمة « نعا » محرفة عن كلمة « فعا » أى انتشرت رائحته ، وكذلك
كلمة « الأنس » محرفة عن كلمة « الآس » . وفي ص ٢٣ يقول بعض
الشعراء :

ضاعت يمين الرياح مُخَكِّمَةً في مَهَرٍ واضح الأسارير

وهو يجرى في هذا مع التشبيه المعروف الذى توارد عليه الشعراء
إذ يشبهون ما تحده الرياح فوق المياه بالدروع وما فيها من غصون ، فالكلمة
« ضاعت » فى أول البيت محرفة عن كلمة « صاغت » .
ونقرأ فى ص ٢٤ لابن شكيل فى غلام :

وقالوا أتهواه على فلج به قتل هنائي دون غيرى موردُ
مضى أبصرت عينك فى الماء طحلباً إذا كان فى كل الأحياء يوردُ

وكلمة « فلج » أى تباعد ما بين الأسنان ليست عيباً ، فوضعها هنا ناب
مع سياق الكلام ، وإسماعى « قَلَح » بالقاف والحاء ، وهو الصفرة التى تعلو
الأسنان كما يعلو الطحلب الماء . وواضح أن ابن شكيل يدافع عن غلامه
مع وجود هذا العيب فيه . وفى ص ٢٧ روى هذا البيت الناقص .

لا تمجبتك عليا ولا تخل عُرة ما ابيض من كفَل

وفي الهامش مكان الأصفار في الشطر الأول «تديم لها» . وهو حقيقة
تخريف شديد من الناسخ ، ويستقيم البيت إذا قرئت كلمة «تديم» «قديم»
وزيدت عليها لا هكذا :

لا تعجبك عليا [لا] قديم لها ولا تحل غرة ما ابيض من كحل
وفي ص ٣٠ نجد شاعرا يستهدي بأزيا من بعض ملوك الأندلس ، فيجري
على لسانه قوله :

وأمن به صافي الجناح كأنما حديت قواده بريح الشمال
وكلمة «صافي» محرفة عن كلمة «ضافي» بالضاد أى شامل وسابغ .
ومن هذا الباب ما جاء في ص ٣٣ — ٣٤ من قول ابن مقانا :

شربوا الرياح على حدة رشا ورد الورد به والياسين
وجلّت آياته عامدة تسبج الشعر على عاج الجبين
والشطر الأول من البيت الثانى رواية نفخ الطيب واختارها حضرة
الناشر لأن رواية الأصل مضطربة إذ تجرى هكذا «وجلّت داياته» .
والدايات : المشاطات . وهى خير هنا من رواية النفخ التى لا تستقيم فاذا قرأنا
كلمة «وجلّت» المحرفة «رجلّت» أى مشطت استقام البيت ، وأصبح
رجلّت داياته عامدة تسبج الشعر على عاج الجبين
والسبج : خصل الشعر . ونقرأ فى ص ٤٠ لابن حزم الأندلسى قوله :
الحُرّ كالبر يُلقى تحت ميقعة طورا وطورا يرى ثاجا على ملاك
وربما كانت كلمة «ميقعة» محرفة عن كلمة «مينعة» بالفاء ، أى التل :

وفي ص ٤٦ يقول ابن عياض :

أكثر الاستقام طرفى وأى سيف بلا ذباب

والشطر الأول مضطرب لأن الناسخ وضع كلمة « الأسقام » وضعاً متلاصقاً مضطرباً وإسمها هي كلمتان « إلا ، سقام » فصحة البيت :

أَنْكَرْتُ إِلَّا سِقَامَ طَرْفٍ وَأَيَّ سَيْفٍ بِلَا ذَبَابٍ

وذباب السيف : طرفه الرقيق ، وفي نفس الصفحة يقول ابن هيمون :

تَفَحَّمَتْ حَائِمَ حَرِّ الصُّلُوعِ كَمَا خَضَتْ بِحَرِّ دُمُوعِ الْخَلْدِقِ

يتحدث عن خيال صاحبه . وكلمة حائم — كما هو واضح — محرفة عن « جاحم » من الجحيم . وفي نص ٤٨ في ترجمة أبي بكر يحيى بن بلي « له في بني عزة قضاة سلا موشحات مشهورة ، وإسمها بنو عشرة وقد ورد ذكرهم ثانية في الكتاب ص ٩٣ . وفي ص ٥٠ يقول ابن خروف في خياط :

فَانْخِيطُ يَنْتَلُ قَلْبِي حِينَ يَنْتَلُهُ يَا لَيْتَهُ مِثْلَهُ مَا دَامَ فِي أَثَرِهِ

والبيت غير واضح ، وفي رأئي أن كلمة « مثله » محرفة عن كلمة « قتل » جمع فتيل ، كما أن كلمة « أثره » محرفة عن كلمة « إيره » فصحة البيت هكذا :

فَانْخِيطُ يَفْتُلُ قَلْبِي حِينَ يَفْتُلُهُ يَا لَيْتَهُ قُتِلَ مَا دَامَ فِي إِيرِهِ

يتمنى أن يحول قلبه إلى فتل ما دام في إير صاحبه الخياط . وفي ص ٦٤ يقول بعض الشعراء في الغمر :

مَشْمُولَةٌ ظَلْنَا بِهَا سُجَّادًا بِالنَّارِ وَالْمَاءِ حَوَتْ كَتْمَلَهَا
صِيرَهَا الْمَاءُ بِمُجُوسِيَّةٍ وَالسُّكْرُ قَدْ صَبَّرَنَا مِثْلَهَا

ويقول ابن سعيد يعقب هذه الأبيات « هذا معنى بديع لأنه صير الماء كالآب ولما كانت النار ؟ وصيرهم السكر لها سجدا حكوها في الدين » وقد وضع حضرة الناشر بعد كلمة النار استفهاماً وهي تصح بوضع الكاف مع النار أي « ولما كانت كالنار الخ » ،

وفي ص ٦٥ يقول ابن سعيد في أثناء حديثه عن شاعر « نزل براكش في منزل شخص قدم له شراباً غليظاً أسود وخرباً وزيبياً فيه غصون » وإنما هي « وخروباً وزيبياً فيه غصون » وهي الأعناق المتصلة به من أصل شجرته . وفي هذه الصفحة أيضاً يقول الشاعر في وصف أترجة ، وقد شبهها ببيضة النعام :

فإن خلتها بنت الظلم أضلها فقد فرش الإذخر من تحتها تبراً

والبيت مضطرب وقد وضعت إشارة على كلمة « الإذخر » تشير إلى ما جاء في الماشح من أن الكلمة في الأصل « الأرحى » ، وهي الأدحى بالدال وهو مبيض النعام . يقول الشاعر إن الأترجة كبيضة نعام نزلت في مهد فرش بالتبر إشارة إلى أنها صفراء . وواضح أن كلمة « أضلها » بحرفة عن كلمة « أصلها » فصحة البيت :

فإن خلتها بنت الظلم أضلها فقد فرش الأدحى من تحتها تبراً
والظلم مصغر الظلم وهو ذكر النعام . وفي ص ٦٧ يصف شاعر هواج المحبوبة فيقول :

وقد علاها احمرار من ترخرفها فقلت هيجمتموها هذه السير

وواضح أن كلمة « السير » بحرفة عن كلمة « الشرر » يزيد به احمرار الوشى المتصل بالهواج . وفي ص ٦٨ يقول بعض الشعراء :

فإن نأيتم عند مزجي بكم فيثبت العقل بمزج المدام

وثبات العقل عند مزج الخمر وشرها لا يستقيم ، وهو لا يتفق مع ما يريد به الشاعر من أن عقله يفر منه حين تأخذ صاحبه في البعد عنه ، فالتاسخ حرف الشطر الثاني ولعل البيت في الأصل كان هكذا :

فإن نأيتم عند مزجي بكم تشتت العقل بمزج المدام

وفي ص ٦٩ يقول شاعر في وصف فرس أصغر :

كَأَنَّهُ فِي وَهَجٍ كَثْمَةٍ مَصْفَرَّةٍ عُرَّتُهُ نَارُهَا

وكلمة الوهَج محرفة عن كلمة « رَهَج » بالراء ، وهو الغبار ، وذاتُها توصف الخيل في غبار الحرب . وفي ص ٧٠ يقول بعض الشعراء في حبيب له :

فَالْبِدْرُ فِي وَجْهِهِ كَدُوحٌ حِينَ اجْتَدَى الشَّمْسَ فِي الشَّعَاعِ

وأكبر الظن أن كلمة « كدوح » محرفة عن كلمة « كلوح » . يقول
إن البدر في وجهه صاحبه يتملى من نوره كاللوح تنطبع عليه أشعة الشمس .
وفي ص ٧١ يقول بعض الشعراء في يوم غيم ورعد وبرق ومطر :

إِنْ عُيِبَتْ شَمْسُهُ فَالْبَرْقُ مَهْجَتُهُ وَالرَّعْدُ رَقْدَتُهُ وَالْقَطَرُ أَذْمَعُهُ

والرقدة غريبة مع الرعد ، ولعل الناسخ حرقها عن كلمة « زفرته » .
وفي ص ٧٥ يقول بعض الشعراء :

وَاشْرَبَ عَلَى شِدْوِ الْحَنَامِ فَإِنَّهُ أَشْبَهَنِي إِلَى مَنْ الْغَرِيدُ وَمَعْبِدُ

وكلمة « الغريد » محرفة عن « الغريص » بالاضاءة ، وهو فغن مكي كان معاصراً
لمعبد وكلاهما من العصر الأموي . وفي نفس الصفحة أيضاً :

لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ زُورِقَ فَتِيَةٍ يَبْدَى لَهَا لَحْجُ السَّرُورِ مَرَاخِمُهُ

وكلمة « لهج » محرفة عن كلمة « بهج » بالباء لا باللام . وفي ص ٧٨
يقول بعض الشعراء :

فَقُلْتُ لَهَا إِذَا ضَحَكَ الْوَصْلُ تُفَرِّهَا أَأَنْتِ هَذَا الْقَطْرُ هَذَا الْأَفْحَا

والأفحى جمع أفحوان ، فينبغي أن تكون كلمة « هذا » الثانية التي يشار
بها للمفرد محرفة عن كلمة « هذى » فآخر البيت « هذى الأفاحيا »
لا « هذا الأفاحيا » . وفي ص ٧٩ نقرأ لبعض الشعراء :

سَأَشْكُو إِلَى النَّدَمَانِ أَمْرَ زَجَاجَةٍ تَرَدَّتْ بِثَوْبٍ حَالِكِ الْوَنِّ أَسَحَمَ

نصبت بها ثمنس المدامة بيننا فتقرب في جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ

وواضح أن كلمة « نصبت » محرفة عن كلمة « نصب » . وفي ص ٨٥ يقول الرصافي في وصف الأصيل هذا البيت البديع :

طائر شادٍ وغصنٌ مُنتقى . واللُّبجى يشرب صهباء الأصيل

وفي رأى أن كلمة « منتقى » محرفة عن كلمة « منثى » . وفي ص ٨٨ يقول ابن خفاجة في وصف فرس :

وأشقرٌ تُضرمُ منه الوغى بشعلةٍ من شُعلِ الناس

وكلمة « الناس » محرفة عن كلمة « الباس » أى البأس والشجاعة . وفي ص ٩٥ تقرأ هذا البيت :

يا من قصدت إليه ألفت النقى . والنفسُ مقرونٌ بها إتلافها

وكلمة « ألفت » واضحة التجريف ، ولعلها حرفت عن كلمة « ألتقط » . وفي ص ٩٩ يقول بعض الشعراء في وصف بيكين :

فكان من السكين سكينك بالحشا . ومن قطعها هذى القطيعة والحجر

وكلمة « الحجير » محرفة عن كلمة « الهجر » . وتقرأ في ص ١٠٤ هذا البيت :

وأستمر غير النقع شيباً برأسه . إلا إنما بعد القشيب مشيب

وكلمة « غر » محرفة عن كلمة « ذر » بالذال . ونستمر فنقرأ في ص ١٠٩ هذه العبارة « كان أحمد (التيفاشى) كاتب الملك فقصد المعتز ابن الرزد » . والجملة على هذا النحو غير مفهومة ، ولذلك وضع حضرة الناشر عنها علامة استفهام . وفي رأى أن كلمة « فقصد » حرفها الناسخ عن « قصصة » إحدى بلدان المغرب وكانت حاضرة مُلك المعتز بن الرزد ، فصحة العبارة « كان أحمد (التيفاشى) كاتباً لملك قصصة المعتز بن الرزد » . وفي ص ١١٠ نجد شاعراً يصف البراءة ، وهى تشبه الابريق المعروف الآن بمصر ، وقد علفت عليها الكزبان لشرب الناس منها فيقول :

ترى كل خِلْفٍ لا يدرَ وطفلة تدرُّ عليه بالرحيقِ المُسَلِّ

يريد أن أخلاف البرادة لا تدر إلا لأطفالها من الكيزان ، وإذن فكلمة « وطفلة » ينبغي أن تكون « وطفها » حتى ينتظم السياق . وتنتهي النسخة في ص ١١٤ هكذا : « ووافق القراخ من كتابة هذه النسخة ثاني يوم من عام ستة مائة وخمسة عشر بعد الألف من الهجرة » . وواضح أن كلمة « ستة » محرفة عن « سنة » بالنون ، وكان الكاتب للنسخة نسي أنه ذكر كلمة عام فوضع كلمة سنة ، وكان ينبغي أن تحذف إحداها .

وهذه هي أم التمهيجات التي لاحظناها على هذه النسخة ، وتوجد وراءها بعض أغلاط في الحركات ، لأنشك في أن أكثرها مطبعي ، فمن ذلك أننا نقرأ في ص ه هذين البيتين :

شمرُّ على الشمرِّى علا قدرهُ عنه ثناء الصديق لا يثنى
ينقلب القلب له جودَةٌ ويدخل القلب بلا إذن

وشكل البيت الثاني هكذا في نأقبة د إذن ، بأسكان الذال يجعله كأنه من قصيدة أخرى ، ولو بدأت كلمة إذن « بأذن » بمد الألف وكسر الذال لا نفقت القافية في البيتين ولم يدخلهما هذا الليس وخاصة أن المؤلف رواهما متصلين لا منقطعين ، فهما من قصيدة واحدة لا من قصيدتين . وفي ص ٤٩ نقرأ لابن خروف يشكو سوء مقامه بحباب هذا البيت :

حلبت الدهر أشطُرُهُ وفي حلب صفا حلبى

وقد سكنت لام « حلبى » وهي بحركة بالفتح . ومن ذلك ما جاء لبعض الشعراء في ص ٦٦ إذ يقول في وصف الریح :

وتميل الأغصان بعد إيلائها حتى تقبل أوجه العُدْرانِ

وقد ضبطت كلمة « أوجه » بفتح الجيم وإمبا هي بالضم « أوجه » جمع بوجه ، كما تدل على ذلك كلمة « تقيل » .

ولا ترتاب في أن كثيرا من هذه الأغلاط نداء أثناء الطبع . على أن هناك
أياتا يلفت ترتيب ألفاظها النظر ، فمن ذلك قول بعض الشعراء في ص ١٠
من الكتاب :

لاغرؤ أن زاد شوقي في مرورهم فرؤية الماء تُدكي غلة الصادي
فالشوق لا يزيد في المرور ، وإنما المرور هو الذي يزيد في الشوق ،
ولذلك كنا نرى أن صحة هذا البيت :

لاغرؤ أن زاد في شوقي مرورهم فرؤية الماء تدكي غلة الصادي
وأظن أن البيت بهذا الترتيب يتضح معناه . ومن هذا الباب ما جاء
في ص ٦٨ من قول بعض الشعراء :

جعلوا خواتم سمرهم من كل قلب معاند حسب المنقذ خنصرا
فكلمة « كل قلب معاند » واضحة أن ترتيب ألفاظها يحتاج إلى شيء
من التعديل ، وهو ليس أكثر من وضع لفظة « كل » بين « قلب » و « معاند » ،
فيصبح البيت هكذا :

جعلوا خواتم سمرهم من كل قلب معاند حسب المنقذ خنصرا
وقد بقيت ملاحظات على بعض الأعلام الواردة في الكتاب ، فمن ذلك
ما جاء في ص ٥١ ، إذ يقول ابن سعيد « ومن فرأى ابن بليطة وقد رويته
للمقبل المذكور » . وعقب حضرة الناشر بعلامة الاستفهام وراء كلمة
« المقبل » . وإنما هو « المنقل » الذي ترجم له ابن سعيد في الكتاب ص ٥٨ ، ولذلك
قال عقبه المذكور . ومن ذلك ما جاء في ص ٥٣ إذ يقول ابن سعيد « الوزير
الرئيس أبو الحسن علي بن الإمام وزير والي غرناطة عمر بن يوسف
ابن تاشفين » . وفي رأينا أن كلمة « عمر » حُرِفَتْ عن « تميم » والي
غرناطة في عهد المرابطيين إذ لم يلبها شخص يسمى عمر ، وإنما هو تميم بن يوسف
ابن تاشفين واليها من قبل أخيه علي بن يوسف سنة ٥٠١ هـ وقد استمر

واليا عليها حتى سنة ٥١٥ هـ إذ ولاه أخوه على الأندلس كلها وظل هناك حتى سنة ٥٢٠ هـ. ومما يتصل بذلك أننا نجد في ص ٩٤ شاعراً يسمى أبا جعفر بن البقي وضبط هكذا « البقي » بالباء، ووضعت إشارة تلغت إلى الهامش حيث نجد أن الكلمة في الأصل كانت « البقي » بالنون. والأصل صحيح طبقاً لما في المطمح ص ٩١ وقلاند العقيان ص ٣٠٠ وتفتح الطيب طبعة دوزي وزملائه ص ٣٢٧، ٥٨٣ من الجزء الثاني.

وما قدمناه كله لا يغض من هذا العمل المجيد الذي اضطلع به الأستاذ جارسيا جومث في نشر هذا النص الطريف، إنما أردنا أن نؤكد الفائدة منه بالإشارة إلى بعض تحريفات سقطت فيه بحكم أن النسخة التي اعتمد عليها حضرة الناشر لم تكن جيدة. ونحن جميعاً نعرف صعوبة نشر النصوص العربية، وخاصة حين لا تتعدد النسخ. فلحضرة الناشر جزيل الشكر والثناء على ما قدم لعشاق الشعر الأندلسي والمغربي من هذا النص النفيس.

ومن المحقق أن هذا التعليق متأخر عن زمان نشر هذا الكتاب، فقد نشر في مدريد عام ١٩٤٢ ولا يمكنه لم يقع لي إلا منذ أشهر قليلة، ولذلك بادرت إلى كتابة هذا المقال، للتنويه به، ورغبة في تعميم النفع والفائدة منه.

تعقيب على نقد
كتاب "رايات المبرزين"

بقلم اميليو غرسه غومس^(١)

EMILIO GARCÍA GÓMEZ

نشرت كتاب «رايات المبرزين» لابن سعيد المغربي بمadrid في سنة ١٩٤٢ ، واعتمدت في إخراجه على نسخة وحيدة فيما علمت ، حديثة النسخ ، غير متقنة ، والكتاب يحتوى على مئات من الأبيات لشعراء كثيرين من المغرب اختلفت عصورهم وموضوعاتهم ، واختلف أسلوبهم ، والمطبعة التي طبع بها ينقصها الاستعداد الفني لطبع تواليف من هذا النوع ، والعمال بها لا يعرفون اللغة العربية ، وقد بذت ما استطعت أن أبذه من العناية في سبيل التغلب على هذه العقبات ، فإذا ما تسربت بعض الزلات إلى طبعتي لهذا الكتاب بعد الذي فعلته فأظنني قد أنشدت :

لكن قدرة مثلى غير خافية والنمل يُعذّر في القدر الذي حملا

وقد نكرم الدكتور شوقي ضيف فقرأ الكتاب وصحح بعض هذه العثرات وجمع هذه التصحيحات في المقال الذي قدمه لهذه المجلة ، وكان من كرم خلقه أن عرض على تجارب مقاله ، راجياً أن أعقب عليها بالموافقة أو الرد ، فله على عنايته بالكتاب وخلقته الكريم خالص شكرى وتقديرى .

ووقتي الآن لا يتسع لإعادة النظر في الكتاب بصفة نقدية لأنين السبب الذي جعلني أثبت كلمة بدل أخرى أو أرجح رأياً على آخر ، لأن مراجعنى

(١) أفضل أن يكتب اسمى بالعربية على هذه الصورة التي أوردتها أعلاه لأن لفظى «غرسيه» و«غومس» وردا على هذه الصورة في النصوص العربية الاتنولية القديمة .

وكتبي التي احتجت اليها عند دراسة النص تنقصني هنا ، غير أنه — مع ذلك —
لا يسعني إلا أن ألبى رغبة الدكتور اللطيفة .
وقد قسمت ملاحظات الدكتور إلى أقسام :

١

بعض ملاحظاته صحيحة أقبلها بصدر رحب ، شاكرًا له حسن عونه ،
ومرددًا المثل الاسباني السائر : « إن أربع أعين ترى أكثر مما تراه عينان » .

٢

بعض ملاحظاته صحيحة ولكنها طفيفة ، تمررت الى النص عند الطبع
للسباب السابقة ، ولو أن الدكتور شوقي قرأ ترجمة النص الاسبانية لرأى
أنها صححت في الترجمة ، فمثلا جاء في ص ٢٣ : « ضاعت يمين الرياح بحكمة » ،
وقد أصلحت هذا التصحيح في الترجمة في ص ١٥١ حيث قلت : *finos*
trabajos de orfebre ، وكذلك صيخ الدكتور في ص ٢٧ البيت بالصورة
التالية : « لا تعجبك عليا [لا] قديم لها » ، وقد ترجمته *مضطجعا* في ص ١٥٨
حيث قلت : *No admires una nobleza sin antigüedad* ، وورد
النص في ص ٤٨ : « له في بنى عزة قضاة سلا » ولا أزال أعتقد أن هناك
سببا — لا أذكره الآن — جعلني أبقى النص هنا كما هو ، على أن وروده
في ص ٩٣ « بنو عشرة » مما دفعني إلى القول (في الحاشية رقم ١١٩
من ص ١٩٣) أنهم « بنو عشرة » ، وفي ص ٨٨ أصلح الدكتور النص
العربي : « بشعلة من شعل البأس » ، ولو عاد الى الترجمة في ص ٢٥٦ لرأى أنها
تقوم على « البأس » ، لا على « الناس » (وهذه هي الترجمة : *con un tizón*
de coraje) ، وفي ص ١١٤ حيث أفحمت الكلمة « ستة » عوض « سنة »
إقحاما ، كانت الترجمة في ص ٣٠٠ ما يأتي : *año 1115* ، وواضح أنها تقوم
على النص بعد تقويمه .

٣

وأخالف الدكتور شوقي في بعض تفسيراته التي يعقب بها التصحيح
الذي يقترحه والذي أوافق على صحته ، في ص ٢٤ في بيتي ابن شكيل أوافق

الدكتور على أن كلمة « قلع » ، بدلالة البيت الثاني ، هي الكلمة الصحيحة ، ولكن لا أستطيع أن لا يكون « القلع » — وهو تباعد ما بين الأسنان — عيباً ، وفي ص ٣٤ يقترح الدكتور — تبعاً لرواية « المغرب » — أن يروى البيت بهذه الصورة :

رجلت داباته عامدة سبيج الشعر على عاج الجبين

ثم يقول : « والسبيج : خصل الشعر » : والرواية صحيحة ، ولكن لا أقر الدكتور على شكله وتفسيره لكلمة « سبيج » ، لأن السبيج يفتحان (وفي اللغة الأسبانية : azabache) هو المادة الصلبة السوداء المعروفة ، اتخذت منها — منذ القديم — الدمى والحلى ، وقد رمزوا بها إلى السواد ، كما دلوا على البياض بالعاج . ألا يرى الدكتور أن معنى قول ابن مقانا :

سبيج الشعر على عاج الجبين

هو أن الدابت رجلان شعره الذى يشبه في سواده الشديد السبيج ورتبه على جبينه الذى أشبه لشدة بياضه العاج ؟

٤

وفي بعض ملاحظات الدكتور كان لى رأى خاص أثبت بمقتضاه النص . ففي ص ٧٨ مثلاً يقترح الدكتور أن يثبت البيت على الصورة الآتية :

فقلت لها إذ أضحك الوصل ثفراها أنبت هذا القطر هذى الأفاحيا

ثم قال : « والأفاحى جمع أفحوان ، فينبغى أن تكون كلمة « هذا » الثانية التى يشار بها للفرد بحرفة عن كلمة « هذى » ، فآخر البيت « هذى الأفاحيا » ، لا « هذا الأفاحيا » . وكلام الدكتور صحيح ، وما غاب عن ذهنى الفرق بين « هذا » و « هذى » عند الإشارة بهما ، ولا أن « الأفاحى » جمع أفحوان ، غير أن بعض الأندلسيين يستعمل « الأفاحى » مفرداً ، وأذكر الآن من استعملهم هذا قول ابن الخطيب فى رسالة أوردوها الفلق شذى

في «صبح الأعشى» ٥٥٢/٦ : «... حيث تغور الأفاح الباسم ، تثبلها بالسكر زوار النواسم » ، ورد مثل هذا أيضاً في ديوان ابن الزقاق أكثر من مرة ، وقد جعلني ذلك أحافظ على هذا الاستعمال المحلى ، مع اعترافى بصحة الملاحظة .

٥

ورأيت في بعض ملاحظات الدكتور شوقي أنها غير ملائمة للجو الشهري فلذلك أتمسك بما جاء بطبعتي .

فالدكتور شوقي يرى أن الرواية الصحيحة للبيت التالي هي :

اشرب على السوسن النض الذي فتها . وباكر الآس والورد الذي نجما

بدل « وباكر الأنس » . ولست أدري هل يظل الدكتور مستمسكا برأيه هذا إذا قرأ بقية الأبيات نبرة ثانية . هل يتحدث الشاعر فيها عن أكثر من شيئين هما « السوسن » و « الورد » ؟ ألا يرى أنه لو وضع « الآس » بدل « الأنس » لتجتم أن يكون الضمير بعد المذكورات جمعا ، لا ضمير تثنية ؟ ثم ألا يكفي أن السوسن سقته السماء اللين بدل الماء فأبيض لون نوره ، وأنه ليياضه لا يعترف بيباض الكافور ، وأنه أنما ييب الجليلد ، وأن الورد سقى الدم بدل الماء ، فعق العقيق حرته ، وأنه جمر الغضا ... الخ ؟ ألا يكفي كل هذا لأن يكون ما ذكر من الزهور لا يعدو السوسن والورد ؟ أما تصحيحه لكلمة « فتها » فأشكره عليه .

وفي قول ابن سعيد ص ٦٧ من طبعتي :

متّع جفونك في وجه بلا تعب إن كان شمسا يداه تحتها المطر

يرى الدكتور أن رواية « وجه » لا تستقيم ، وأن رواية الأصل ، وهي « وجد » ، صحيحة ، ولست أنكر صحة « وجد » ، ولكنني أفضل رواية « وجه » ، لأنه الذي شبه في الشطر الثاني بالشمس .

وفي ص ٤٥ يرى الدكتور في قول ابن حزم :

الحُرُّ كالنَّبرِ يُأْتِي تَحْتَ مِيقَعَةٍ طَوْرًا وَطَوْرًا يُرَى تَاجًا عَلَى مَلَك

ان صواب الرواية : « تحت ميقعة » ، بالفاء ، ويفسرهما بد « التل » ، وأرى أن هذا التصحيح غير موفق ، وأن « الميقعة » بالفاء — بمعنى المطرقة — واقعة في مكانها تمامًا ، والمعنى معها واضح .

وفي ص ٥٠ من طبعتي يصحح الدكتور بيت ابن خروف ويرويه على هذه الصورة :

فَالْخِيطُ يَفْتُلُ قَلْبِي حِينَ يَفْتُلُهُ يَا لَيْتَهُ فُتِّلَ مَا دَامَ فِي لُبْرَةٍ

وأنا أقره على تصحيح كلمة « ابره » ، بدل « أثره » ، في آخر البيت ، وأتمسك بكلمة « مثله » كما هي في الأصل ، بدل « فتل » التي يقترحها الدكتور ، وأرى أن المعنى : « ياليت قلبي مثل هذا الخيط أتناوله يد المحبوب » .

وفي ص ٦٥ من الكتاب : « وأنشدني لنفسه وقد نزل بمراكش في منزل شخص قدم له شراباً غليظاً أسود وخروباً وزيبياً فيه غصون » ، ورأى الدكتور أن رواية الأصل ، وهي « غصون » ، لا يصح غيرها ، ثم فسر « الغصون » بأنها « الأعناق المتصلة به من أصل شجرته » ، وأعتقد أن الرواية الصحيحة هي « غصون » ، كما اخترت ، ويريد المؤلف بالغصون تلك التجاعيد الفائرة ، وحينئذ يكون الزبيب رديئاً لا لعم فيه ، وبدل على هذا قول الشاعر بعد ذلك : « زيبيا كخيلائن خد العجوز » .

وفي ص ٦٨ أوردت البيت التالي بهذه الصورة :

فان نأيتم عند مزجي بكم فيثبت العقل بمزج المدام

وعلق الدكتور شوق عليه بقوله : « وثبات العقل عند مزج الخمر وشرها لا يستقيم » فهو لا يفتق مع ما يريد الشاعر من أن عقله يفر منه حين تأخذ صاحبته في البعد عنه . ، ثم يستظهر أن يكون البيت بهذه الصورة :

فان نأيتم عند مزجي بكم تشتت العقل بمزج المدام

وأرى أن المعنى الذى أرادہ الشاعر أقرب من هذا كله ، فالنمر إذا مزجت حد الماء من سورتها ، فهي بذلك أخف وطأة منها إذا كانت غير مزوجة ، ويقول لأحبه — لا لصاحبته كما يرى الدكتور — : حينئذ نشرب النمر ضرفة تذهب بالعقل ، أمامع مزجها فلا ، ولذلك يجب أن نترج لنبقى على محبتنا ، وقد أوضحت هذا المعنى فى الترجمة .

وفى ص ٧٥ روى الدكتور اليتين الآتين هكذا :

لَبْدُلٌ وَجْهِي إِلَى لَثِيمٍ أَمَرَ مِنْ وَقْفَةِ الْوَدَاعِ

فَالْبَدْرِ فِي وَجْهِهِ كَدُوحٍ حِينَ اجْتَدَى الشَّمْسُ فِي الشَّمَاعِ

وعلى على كلمة «كدوح» يقول : «وأكبر الظن أن كلمة «كدوح» محرفة عن كلمة «كلوح» ، يقول إن البدر في وجهه جيبه يعلو من فوره كاللوح تطيح عليه أشعة الشمس» . وفهم الدكتور لهذين اليتين غريب جداً ، فالشاعر لا يتحدث عن وجهه جيب ، وإنما يتحدث عن آثار الامتعاض التي تبدو بوجهه هو حينئذ يتعرض لبذل اللثم ، ويصف مראה هذا الموقف . وفهم الدكتور أن السكاف في «كدوح» للتشبيه ، وبني على ذلك تفسيره ، وليس الأمر كذلك ، فكدوح بمعنى خدوش ، وتروى كتب اللغة أثرين عن النبي أنه قال : «المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه» ، وقال : «... من سأل وهو غنى جاءت مسأله يوم القيامة كدوما» ، والمعنى على هذا أن السكاف التي على وجه البدر — وهي التي عناها بالسكدوح — إنما جاءت نتيجة الاستجداء المؤلم ، وقد أوضحت ذلك فى ترجمة الكتاب .

وفى ص ٧٩ يقول ابن مجير :

سَأَشْكُو إِلَى النَّدْمَانِ أَمْرَ زَجَاجَةٍ تَرَدَّتْ بِثُوبٍ حَالِكِ الْوَلَوْنِ أَسْخَمِ

نَصَبْتُ بِهَا شَمْسَ الْمَدَامَةِ بَيْنَنَا فَتَغَرَّبَ فِي جَنَحِ مِنَ اللَّيْلِ مَظْلَمِ

وقد على الدكتور عليه بقوله : «واضح أن كلمة «نصبت» محرفة عن كلمة «نصب» ، ولست أوافق الدكتور على هذا ، بل أرى أن ابن مجير

يجعل الندمان قضاة بينه وبين زجاجته ويتحدث عما حدث بيده وبينها فقط ،
وعلى ذلك تكون الرواية التي اخترتها واضحة وصحيحة .

وفي ص ٩٤ ورد هذا الاسم « أبو جعفر بن البني » ، بالتاء المذناة
من فوق ، ورأى الدكتور أن صحته « البني » ، بالنون ، مستنداً الى رواية
المطمح والنفح ، وكنت أرجو أن يفترض الدكتور — قبل اختياره للبني
بالنون — أن لدى* علما بأن جعفر بن البني هذا ، وأن تمسكي بالبني إنما جاء
عن دواع بينتها في الترجمة في ص ٢٦١

ويقول الدكتور في تعليقه على البيت الوارد في ص ١٠ ، وهو :
لاغرو أن زاد شوق في مرورهم ف رؤية الماء تذكى غلّة الصادى :
« فالشوق لا يزيد في المرور ، وإنما المرور هو الذي يزيد في الشوق ،
ولذلك كنا نرى أن صحة البيت :
لاغرو أن زاد في شوق مرورهم ف رؤية الماء تذكى غلّة الصادى »
وأرى أن المعنى ليس على هذا الوجه الذي يقوله الدكتور ، وإنما
هو : « أن زاد شوق عند مرورهم » ، وبذلك لانتعاج الى الترتيب
الذي يقترحه الدكتور .

*
* *

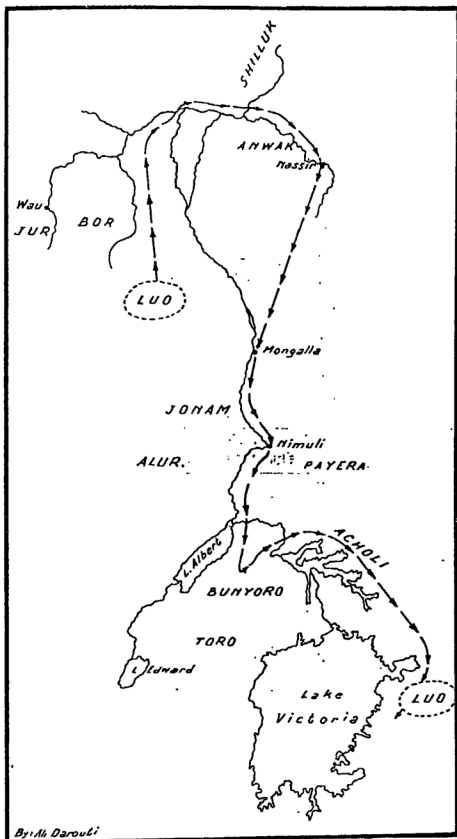
هذه ملاحظات سريعة على نقد الدكتور شوقي لكتاب « رايات البرزين » ،
وإني أكرر للدكتور شوقي ضيف شكرى على عنايته وتصحيحاته القيمة ،
وعلى ما أتاحة لى من فرصة الحديث على صفحات مجلة كلية الآداب ، أثناء
وجودى كأستاذ زائر بهذه الكلية .

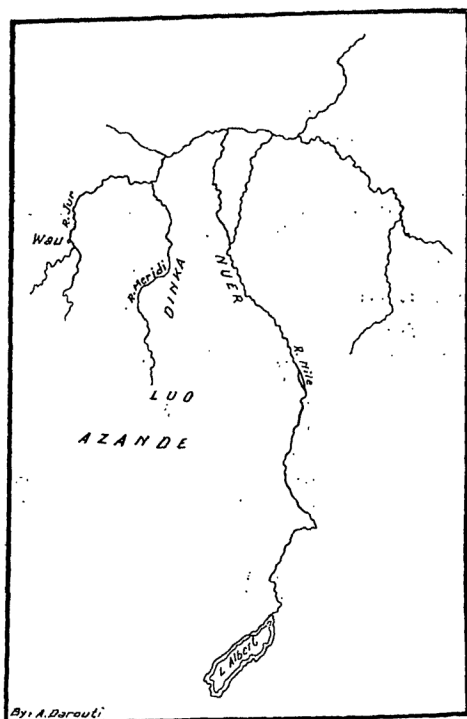
وإني لأرجو أن يكون هذا اللون من التعاون العلمى عاملاً جديداً يقوى
التفاهم الفكرى بين بلدينا — مصر وإسبانيا — فى المستقبل .

تم طبع هذه المجلة في عهد حضرة صاحب الجلالة
الملك "فاروق الأول" بمطبعة جامعة فؤاد الأول
في ٢١ من رمضان سنة ١٣٧٠ هـ

محمد زكي خليل
مدير مطبعة جامعة فؤاد الأول

Found I Univ. Press,
1196-1950-560 ex. -





To the east and north of the Luo were the Lango. They had left the Anywak long after Olum. They had followed the same road to Nimule, and had then turned south east along the bank of the River Assua. During the dry season they brought their cattle to the same watering places as the Luo. To the west of the Luo were the Madi. One year there was a great drought which forced the Madi to press on towards the watering places of the Luo from the west and the Lango from the east. At first the Lango agreed to help the Luo to drive back the Madi, but they were not successful. So the Luo made an agreement with the Madi and turned against the Lango. They drove them away to the east. The descendants of these Luo are still in that country and are called Acholi.

The Fourth Move

But there were some Luo, to the south of the Acholi, who were not troubled by the fighting with the Lango and the Madi. But the drought made them move off to the south east. Their leaders were Adhola and Awiny. They travelled along the north of lake Kioga and then south east till they met the Banyuli in the south east corner of Busoya. Here the Luo multiplied and the Banyuli asked them to move off. They went a little away to Tororo, but soon found the country too small for them. The people of Adhola, stayed, while those of Awiny, travelled southwards, and passed through the Bantu people till they reached the coast of Sakwa, Kadimo, and Uyoma. Here they settled and from these parts spread all round the Kavirondo gulf.

tribe, called the Alur. Labongo also decided to leave the tribe, so he and his family went north east then moved on towards mountain Agoro, on the boundary of Uganda, where they settled. They are now called the Payera.

Nyiripir, another son of Olum, decided to follow Tiful, but after crossing the Nile, he and his family turned north. They are at present still living in the West Province of Uganda and are called the Jonam. Olum and the Luo went on Southwards, crossed the Nile which flows into lake Albert (Victoria Nile) and entered Bunyoro. Olum and the Luo took the Bunyoro by surprise and without much fighting, conquered them and became the rulers of the country. From here they gradually spread into the surrounding country and ruled its peoples, the Baganda, the Toro, and the Ankole. So they became the rulers of a very large district. But they were few, and scattered over a very large area. They were frightened that they would get lost as a result of inter-marriage. After about 30 years, their leader Wamara decided, that they had better go somewhere else and live by themselves. He sent out scouts over the Nile to the north east of Bunyoro. They reported that there was a large uninhabited country stretching north from the Nile. A message was sent round calling the Luo together, but those who had become powerful preferred to stop where they were. They asked for a descendant of Olum to remain as their chief. The twin sons of Wamara's brother, Kyoma, were asked to stay: they were Labonago and Kintu. Labonago was made the chief, but he soon gave Uganda to Kintu, keeping Bunyoro for himself. The descendants of these two still rule in Uganda, the Bunyoro and the Toro.

The Third Move

The Luo moved to the north east corner of Bunyoro. Before they crossed the Nile, a small group, decided to stay in that corner of Bunyoro. They form of present a very small tribe, who are called Jopahuo by the Bunyoro people.

The Luo stayed there for a long time. They increased in number and were divided into several groups. At different times some of these groups became dissatisfied and decided to move. They were:

The Luo

The Jopajok

The Pari

The Kor

The Lango

The Second Move

The Luo were the first to leave Anywak. Their leader was Olum. They went South West through bad country. In the wet season, it was all swampy, and in the dry season there was no water at all. When they reached the Nile, they turned South and stopped where Mongala stands now. From here they sent out scouts to find out what the land was like. It was quite good but they did not stay. The Lotuka tribe was there and the scouts seem to have found these people just beginning to occupy the country and so advised Olum to move on.

Olum led his people on Southwards till they reached the district round Nimule. Here a quarrel occurred between the sons of Olum: Labongo and Tiful. Before the fight was settled Olum had to move farther South along the Nile, nearly to lake Albert near which the Pachwach live today. Here the council met, but could not settle the quarrel. So Tiful said, "If you say that I am wrong, I shall throw myself into the River and be drowned unless the God of the elephants helps me".

He went to the River with the idea of throwing himself into the river, but he was safe and was able to cross it. His family followed him safely. As he went, he threw an axe into the bank as a sign that Olum and Labongo should not follow him.

Tiful travelled West from here and settled in the hilly country on the border of the Congo. His descendants are a big

west across the River Meride. He settled in the country along the River Sue; south of Wau, 300 kms. from his old home. Today his descendants are called the Bor.

Nijikango and the Luo had now reached the junction of Bahr El Arab and Bahr El Ghazal. Here Dak quarrelled with Dimo, and there was a fight in which one man was killed and many hurt. Dimo decided to leave the tribe, so he went with his family and cattle to the south west. He found a good country where he settled to the N.E. of Wau. His descendants are still called the Jur.

Nijikango and Dak and the Luo were now in an uninhabited country round the junction of Bahr El Arab and Bahr El Ghazal; but it was not big enough for them. They moved to the east along the southern bank of Bahr El Ghazal. When they reached the Nile they crossed to the north bank and went on eastwards. Here they found some Dinka, with whom they fought bitterly and finally won the battle.

Now there was a third quarrel. Gilo with most of the Luo did not like Nijikango and Dak, because they were quarrelsome. So there was fighting and Gilo won. He decided to leave Nijikango and Dak, so he crossed the Nile at the point where it turns north and followed the northern bank of the River Sobat. Nijikango and Dak continued to fight against the Dinka and slowly after many years drove them to the eastern bank of the Nile. The descendants of Nijikango and Dak remained on the west side of the Nile and gradually spread as far north as Khartoum. They are called the Shilluk. Gilo with the main group of the Luo went on along the Sobat till they reached the country round the town of Naser in Abyssinia. Here they decided to stop and those who still remain there today are called the Anywak.

THE ORIGIN OF THE LUO

BY

Dr. M. MITWALLY

It was mentioned in a previous paper (1) that the Luo live in the area lying to the north of Kavirondo Gulf known as Northern and Southern Kavirondo.

According to the Luo traditions there lived between the River Nile and the River Meride three large Nilotic tribes :

The Dinka in the north and west.

The Nuer in the east.

The Luo in the south.

They are all Nilotes. Their language is similar and their physique is the same.

To the south of the Luo lived the Azande. They are not Nilotes, and were not friendly to the Luo. They were increasing in number and they wanted the land of the Luo.

The First Move

The Luo were all joined together under one chief, Nijikango. He and the elders of the tribe decided that the Luo had better move away, or the Azande would overpower them. The Dinka and the Nuer did not want to give up their land, so the Luo moved 300 kms. northwards through swampy country between the Dinka and the Nuer. Nijikango had three sons: Dak, Bor, and Dime. Before they started, Dak quarrelled with Bor. Bor was angry, and decided to leave the tribe. He took his family and cattle to the

(1) Mitwally, "Kavirondo, Land and People", Bull. Faculty of Arts, Uni. Fouad Vol. No. (12) 1950.

of many published works, manuscripts, papyri, journeys, works of literature, etc., relating to Mediaeval Egyptian History.

Dr. Zaky M. Hassan Bey has written a valuable essay on the method of historical research entitled: "Studies in the method of research and sources of Islamic History", which appeared in the Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad I University, Cairo (May 1950); it is the fruit of a profound study of the material sources, such as papyri, coins, medals, inscriptions, archeological remains, monuments, etc. The author has also shown the best direction to be followed by the students of Mediaeval Egyptian history, who wish to study this period carefully and thoroughly.

Egypt has made a good effort in the field of historical research. I have only dealt with one period of Mediaeval Egyptian history. There are other periods of Egyptian history in which scholars and students of history have taken keen interest.

The activities of Egyptians in both ancient and modern history are no less important.

Moreover, Egypt has taken part in the International congresses of Historical Sciences, in the congresses of Orientalists, as well as in other congresses. In Egypt itself international congresses meet from time to time, other local congresses are also held; the best example is the Congress of Arab Culture which now (August-September, 1950) holds its meetings at Alexandria.

From this rapid review it can be understood how prominent a part Egypt has played in the development of historical research, by writing historical works, by publishing manuscripts, by giving lectures and radio talks and by participating in international and local congresses. We cannot, however, ignore the part played by Europeans residing in or visiting Egypt in promoting and contributing to researches in Egyptian history throughout the ages.

Material sources, such as papyri, architectural remains, coins and medals, works of arts, etc., are considered among the most important sources for the historical study of Mediaeval Egypt. These are invaluable for those who intend to study Egyptian history at all deeply. Some Egyptian scholars have taken particular interest in this field.

Among these contributions mention may be made of "al-Funûn al-Îrâniyyah in the Muslim Period" by Dr. Zaky Muhammad Hassan Bey, Dean of the Faculty of Arts, Fouad I University, Cairo. This book of 406 pages was published at Cairo in 1946. In this work the author deals with the effect of Persian art on other Muslim arts, including the Egyptian, during the Fâtîmid period.

The same author has also written "at-Taşwîr fi'l-Islam 'Inda'l-Furs" (Painting in Islâm among the Persians), Cairo, 1936. The author deals with Muslim painting and its development and effect on Egyptian art. He has also published: "Al-Fann al-Islâmî fi Mişr" (Muslim Art in Egypt) in 133 pages with many plates illustrating painting in Egypt from the Arab Conquest to the end of the Tûlûnid period.

The "Kunûz al-Fâtîmiyyîn" (the Treasures of the Fâtîmids) comprising 300 pages by Dr. Zaky M. Hassan Bey (Cairo, 1937), is a further valuable contribution to the study of the Fâtîmid period in Egypt.

Methods of historical research and the use of the various sources of Mediaeval Egyptian history have also attracted the attention of some of our scholars. I myself have taken interest in this question in my Fâtîmids in Egypt, etc., in my Outline of Egyptian History from the Arab Conquest to the Ottoman Conquest, as well as in my History of Islâm.

Dr. Ali Ibrahim Hassan has written a book on the method of historical research (it comprises 207 pages and was published in Cairo in 1949). The author has given an adequate account

in Egypt and who died in 1209 A.D. This MS. was published by Dr. Aziz S. Atiya Bey, Professor of Mediaeval History at Farouk I University, Alexandria, in 1943. It contains 468 pages, and deals with the geography of Egypt, its cities, towns and rivers, its agriculture and economic organisation. The editor has consulted original sources in order to elucidate the names of places (or) proper names and persons.

Mention may be made of another MS., *i.e.* the "Mufarrij al-Kurûb fi Akhbâr Banî Ayyûb" (the dissipator of sorrows, being a history of the Ayyûbid dynasty) by Ibn Wâsil who died in 1297 A. D. The book was submitted by Dr. Jamal al-Lîn al-Shayyâl to Farouk I University, Alexandria, with a historical introduction and commentary on the MS., and the candidate was awarded the doctor's degree for this work, which contains valuable information on the Fâtimid and the Ayyûbid periods in Egypt.

Among the books that have been written on Mediaeval Egyptian history, mention may also be made of "Arabic Papyri in the Egyptian Library", in 8 volumes, by Prof. Adolf Grohmann. The first three volumes of this valuable contribution have appeared in English, as has the Arabic translation of the first two volumes by Dr. Hassan Ibrahim Hassan Bey.

The Arabic M. SS. discovered in the Library of the Monastery of St. Catherine in Sinai by some members of the teaching staff of Farouq I University in collaboration with U. S. A. Educational Mission, are a valuable contribution to the study of Mediaeval Egyptian history.

Mediaeval Egyptian literature also constitutes valuable material for those who like to study Egyptian society; this literature has supplied the Arab library with adequate material. Among these documents mention may be made of the "Diwân al-Mu'ayyad fi'd-Dîn Hibatu'llâh of Shîrâz. This work was published by Dr. M. K. Hussain (Cairo, 1949).

An outline of Muslim Institutions has been written by these same authors in collaboration with Abdel-Rahim Mustafa Bey, Secretary-General of Ibrahim Pasha al-Kabir University, Cairo. It consists of 159 pages, and has been printed several times and prescribed by the Egyptian Ministry of Education for the use of the students in the preparatory year of the University.

Among works dealing with Mediaeval Egyptian institutions, I may mention "Nuzum al-Hukm bi-Miṣr fi 'Ahd al-Fāṭimiyyīn" (Institutions in Egypt under the Fāṭimids), being the thesis submitted by Dr. Atīyya M. Musharrafa for the doctor's degree in Fouad I University (Cairo, 1945, pp. 436).

A thesis on Mediaeval feudalism until the end of the Ayyūbid period was submitted by I. A. Tarkhan for the M.A. degree in Fouad I University in 1949, but it has not hitherto been published. It deals with feudalism in Islam in general and in Mediaeval Egypt in particular.

Another thesis on the economic condition of Egypt under the Fāṭimids by my pupil Dr. Rashid M. El-Barrawy was submitted in Arabic to Fouad I University in 1944 for the doctor's degree. This was published in Cairo in 1948.

The Author studied in detail the agriculture, industry, technical development and system of labour. He then dealt with home and foreign trade and communications and with financial organisation; the book is considered the first attempt in this field.

The Egyptian scholars have taken keen interest in editing hitherto unpublished works, in order to supply other scholars and students of Mediaeval Egyptian history with original documents easily accessible for the pursuit of their researches.

Among these mention may be made of "Kitāb Qawānīn ad-Dawāwīn" (*i.e.* Regulations for state departments) by the eminent historian Ibn Maṣmūṭ, who flourished towards the end of the Fāṭimid period and at the beginning of the Ayyūbid period

Aghâ Khân, also by Dr. Taha A. Sharaf. It deals with propaganda as instituted by the Ismā'īli leader, al-Ḥasan aṣ-Ṣabbāḥ, in Persia.

The author deals with the Fāṭimid organisation of the Ismā'īli propaganda in Persia and the travels of this leader to Egypt during the reign of the Fāṭimid Caliph, al-Mustansir, in order that he might be initiated into the Ismā'īli tenets by the Caliph himself. The Fāṭimids established courses of lectures on the Ismā'īli faith in the mosques such as the Azhar Mosque and in the institutions such as Dār'u-l-Ḥikmah.

The author has also studied the conflict between this religious leader, al-Ḥasan aṣ-Ṣabbāḥ, and the higher civil-servants headed by the great Vizier, Badr al-Jamālī, who aimed at enthroning the Caliph's grandson, al-Musta'li, in the place of Nizār, although the latter was the elder and had been proclaimed crown-prince by his father. This led to the division of the Ismā'īlis into two parties: The Musta'liyyah or the adherents of al-Musta'li, whose descendants are now called the Buhras in India and the Yaman, and the Nizāriyyah, or the adherents of Nizār, the eldest son of al-Musta'li, who was deprived of the throne.

Let us now pass on to the 2nd division, *i.e.* the institutions. This subject has not yet attracted the attention of scholars of Mediaeval Egyptian history, yet a few of them have produced tentative works dealing with these institutions.

"An-Nuzum al- Islāmiyyah" (Islamic Institutions) was written in Arabic by myself in collaboration with Dr. Ali Ibrahim Hassan, and comprises 384 pages, and published in Cairo in 1939. It deals with the political, administrative, financial and juridical institutions in the Muslim world from the rise of Islam in the VIIth century A. D. to the Xth century A. D., and gives a detailed account of the Caliphate until it was abolished at Constantinople in 1924; this book has been translated into Urdu and the translation published at New Delhi.

propaganda with the Fāṭimid Caliph al-Ḥākim. He also showed how Ḥamīdu'd-Dīn al-Kirmānī, the chief Fāṭimid propagandist in Persia, helped in the establishment of the House of Wisdom in Cairo (Dāru'l Hikmah) as well as in other cultural activities of the Ismā'īlīs in Persia.

Another book on the history of the Ismā'īlī sect of which mention may be made is : "Tārīkh al-Ismā'īliyyah fi'l-Ḥayāt as-Siyāsiyyah (History of the Ismā'īlīs in political life) up to the taking of Baghdad by the Mongols in 656 A.H. (1258 A.D.) by Dr. Talha A. Sharaf, a thesis for which he was awarded the doctor's degree from Fouda University in 1946.

The author dealt with the history of the Ismā'īlīs from the time of their constitution as a religious sect during early 'Abbāsīd period, and with the development of their history up to the XIIIth century A.D.

Dr. Sharaf divided the Ismā'īlī propaganda into two succeeding types: the old propaganda and the new. In dealing with the old propaganda he examined the leadership of the Fāṭimids in the Ismā'īlī world, and showed how the Fāṭimids organised their propaganda in Egypt as well as elsewhere. He explained likewise the relation of the Fāṭimids to their adherents and their subjects, studied the history of the Ismā'īlī dynasties, such as the Carmathians in the Yaman, Bahrayn and 'Irāq, and the Ṣalāḥīs in the Yaman. He also underlined the weak factors in this old propaganda and their effect on the fall of the Fāṭimids.

Dr. Sharaf examined the employment of the new propaganda and its development in Egypt. He analysed the history of this propaganda up to the fall of the 'Abbāsīd Caliphate, which was brought about by the Tartar, Hulagu. It kept characteristic aspect until it was revived by the Aghā Khāns.

Within the last few days has appeared a book entitled : "Dawlat an-Nizāriyyah, the grandfather of His Highness the

Among these sources quoted mention may also be made of "Zahr al-Ma'ānī min Kitāb al-Muntakhab fi Kutub al-Isma'iliyyah and "Ghāyat al-Mawālīd" by Abū'l-Khaṭṭab ad-Dā'ī (propagandist) "al-Majālis wa'l-Mus āyārāt by Abū Ḥanīfah an-Nu'mān al-Maghribī, well-known among the Isma'īlis as "Sayyidnā al-Qiḍī an-Nu'mān". He was perhaps the most important of those propagandists during the reigns of the first three Fāṭimid Caliphs. As chief Judge and chief Propagandist he contributed greatly to the development of Isma'īlī propaganda, where his works represented the results of his long research in Isma'īlī jurisprudence, as well as of his discussions, interpretations, doctrines, biographies, historical essays and sermons. Mention may be also made of "Ṭabaqāt, 'Ulamā' Ifriqiyyah" by the Maghribite historian and juriconsult Abū'l-'Arab Tamīm.

The second book which I published with Dr. Taha A. Sharaf is entitled: "Al-Mu'izz li-Dini'llāh, the Imām of the Isma'īlites and Founder of the Isma'īlī Dynasty in Egypt". It deals with the life of the Caliph, al-Mu'izz, the Fāṭimid conquest of Egypt, the Fāṭimid institutions, as well as with Fāṭimid arts and culture and the social conditions of Egypt in the reign of this Caliph. The book contains nineteen appendices reproducing historical documents such as "Itti' āz al-Ḥunafā" by the great Egyptian historian, al-Maqrizī, al-Majālis al-Mustashirīyyah", by al-Mu'ayyad fi'd-Dīn Hibatu'llāh of Shirāz, the chief Fāṭimid propagandist in Persia, the Da'ā'im al-Islām, and the "Himmah fi' Ādāb Atbā' al-A'immah" by Abū Ḥanīfah an-Nu'mān.

Among other works on historical research that have appeared concerning the history of Mediaeval Egypt figures also: "Rasā'il Falsafīyyah" by Abū Bakr Muḥammad ibn Zakariyyā ar-Rāzī, the Isma'īlī propagandist in Persia; was edited at Cairo in 1939 by Paul Kraus, some-time lecturer in Foad I University. The editor demonstrated the development of the Isma'īlī propaganda in Persia, and dealt with the relations of the supporters of this

of the Faith, an-Nāṣir li-Dīni-llāh. Thus there coexisted in the first decade of the IVth century A.H. (Xth century A.D.) three caliphates: the 'Abbāsid Caliphate in Baghdād, the Fāṭimid Caliphate in Qayrawān in North Africa, and the Umayyad Caliphate in Cordova in Spain.

The Sectarian struggle between the Fāṭimid Shī'ites and the Umayyad and the 'Abbāsid Sunnites became more violent than it had been before. The three parties fought not only with the sword, but also with the pen and the spoken word; the Fāṭimid schools played a prominent part in spreading Fāṭimid Ismā'īlī culture, particularly in North Africa, Egypt and Persia. These centres of Ismā'īlī propaganda were called the schools of wisdom (Madāris al-Ḥikmah), and include the well-known Dāru'l-Ḥikmah established in Cairo by the Fāṭimid Caliph al-Ḥākim. Many Ismā'īlī propagandists graduated from these religious institutes.

Yet the history of the Ismā'īlī Fāṭimids is more or less obscure, and hence has been the object of extensive research. I have been able to produce in collaboration with my pupil Dr. Taha A. Sharaf two documents dealing with the history of the Fāṭimids.

The title of the first is: "Ubaydu'llāh the Mahdi (or guide), the Shī'ite Imām and founder of the Fāṭimid dynasty in North Africa" (Cairo, 1949), in 367 pages, with 14 appendices. This work deals with the history of the Fāṭimids in North Africa and Egypt and contains quotations based on authentic sources, such as Asrār an-Nuṭaqā, by Ja'far ibn Manṣūr al-Yaman who occupied an important post in North Africa and Egypt; he gained the esteem and respect of the Fāṭimid Caliph, al-Mu'izz, who appointed him "the door of his doors" (Bāb abwābihi) in Egypt, a higher post than that of the chief propagandist (dā'i), and has left us many scientific works, manuscript, copies of which have remained in the libraries of the Buhras in India down to the present day.

man of God, and that he entrusted 'Alī with the secret of his message, and hold that the descendants of 'Alī, or, as they call them, the House of 'Alī, had the natural right to control the destiny of Islām both factually and rightfully, and as such possess the sovereignty over Islām or the Caliphate. The Persians supported the Caliphate of the House of the Prophet in order to regain some of the political influence which they had lost under the Sunnite Umayyads and 'Abbāsids. Therefore, they transferred their allegiance to the Alids, because they believed that al-Ḥusayn, son of 'Alī, married Shahr-banu, the daughter of Yazdigird III, the last Sasanian King; hence the remaining Imāms (or guides) of the house of 'Alī of both great Shī'ite factions (the "Sect of the Twelve"—or "Ithnā 'Ashriyyah" now prevalent in Persia—and the "Sect of the Seven"—Sab'iyyah or Ismā'illis) to which the Fāṭimids belonged, represented not only the Prophet but also the Kingly right and virtue, being at the same time descended from the Prophet Muḥammad and from the House of Sasan. Hence they supported the Caliphate of the descendants of 'Alī and Fāṭimah.

It is from the death of the eleventh Shī'ite Imām in the VIIIth century A.D. that the chief activity of the Ismā'īlī sect begins. In the last decade of the IXth century A.D. the choice of the Ismā'īlīs fell upon North Africa, because of its remoteness from the central authority of Baghdād. The Idrīsids were the first of the 'Alids to establish their authority in the Farther Maghrib in the 8 and 9th centuries A.D., and the Zaydis followed their kinsmen's example in the Yaman. In 800 A.D. Ibrāhīm ibn al-Aghlab established a dynasty which was called the Aghlabite dynasty, which lasted until the 'Alid 'Ubaydu'llāh al-Mahdi established the Fāṭimid Caliphate in 909 A.D., in a short time extended his authority over nearly the whole of North Africa.

Not long after the establishment of the Fāṭimid Caliphate in North Africa, 'Abdu'r-Raḥmān III of Spain ordained in 926 A.D. that he was to be designated in public prayers and official documents, as Caliph, Commander of the Faithful, and Champion

Egyptians, the wealth and splendour of Egypt, the pomp and glory of the Fāṭimid Caliph as seen in the Friday prayer, in the celebrations, banquets, and lastly with the fall of the Fāṭimids and its causes.

In 1933, the History of Jawhar, the Fāṭimid Conqueror, by Dr. Ali Ibrahim Hassan, Professor of Islamic History, Fouad I University, was submitted to Fouad I University for the M.A. degree and published in the same year. It deals with the life of Jawhar until the conquest of Egypt in 969 A.D., and thereafter with his policy and the monuments he erected in this country.

In 1950 Dr. Gamal Eddin Surur of Fouad I University, Cairo, published a book entitled: "Relations between Egypt and the Hijāz during the Fāṭimid Period", dealing with these relations from the political and religious points of view.

Among the books that have been written on Mediaeval Egyptian History, mention may be made of my "Egypt in the Middle Ages", *i.e.* from the Arab conquest in 640 to the Ottoman Conquest in 1517 A.D. It comprises 103 pages, and is incorporated in the series in Arabic: "An Outline of Egyptian History", written by certain members of the staff of the Department of History in Fouad I University in Cairo, edited by myself in 1942. I have given particular attention to the Fāṭimid period. Mention may also be made of "Egypt in the Middle Ages from the Arab conquest to the Ottoman conquest", by Dr. Ali Ibrahim Hassan (2nd. ed., Cairo, 1949). This author also has dealt particularly with the Fāṭimid period.

Among these sources: *Al-Qāhirah Min 'Ahd al-Mu'izz ilā 'Ahd al-Farouq* (Cairo from the reign of al-Mu'izz to the reign of Farouq) (published in Cairo in 1943 and comprising 250 pages) by Colonel Abd ar-Rahman Zaky, Curator of the Military Museum in Cairo, can also be considered a contribution to Mediaeval Egyptian History.

Fāṭimid history merges into the history of the Shi'ites, a sect which believes that the Prophet Muḥammad was the chosen

historical research and, lastly, the part taken by Egyptians in the International Congresses of Historical Sciences. You will, I trust, allow me to begin with the 1st division, *i.e.* political history.

Egyptian scholars and students of History have tackled the ancient, mediaeval and modern history of Egypt, either independently or in researches dealing with Islamic History in general. I myself have written a book on the History of Islam from the political, religious, cultural and social points of view : three parts out of five have already been published.

The first deals with the history of the Arabs in the pre-Islamic period, the prophetic message of Muḥammad, the Arab Empire during the period of the first four Orthodox Caliphs and the Umayyad period.

The second part deals with the early 'Abbāsid period (750-847 A.D.), the third with the second 'Abbāsid period from the death of the Caliph Al-Mutawakkil in 847 A.D. to the rise of the Seljuks in 1056 A.D.

Each of these three parts gives a fairly vivid picture of the political and religious movements, foreign relations, institutions, economics, culture, arts and social conditions in the Eastern Muslim world, Egypt, and in North Africa and Spain. I have taken particular interest in the study of the history of Egypt in these periods which include that of the Fāṭimids.

Moreover, my book deals in detail with "The Fāṭimids in Egypt considered chiefly in connection with their politico-religious activities", a subject submitted by me as an English thesis and for which I was awarded the D.Lit degree of the University of London in 1927.

An Arabic translation of this book was published in Cairo in 1932. It deals with the Shi'ite movement up till the establishment of the Fāṭimid dynasty in Egypt, the organisation of Fāṭimid propaganda, the policy of the Fāṭimids towards the

CONTRIBUTIONS TO THE STUDY OF FĀṬIMID HISTORY IN EGYPT DURING THE LAST 12 YEARS (*)

BY

Dr. HASSAN IBRAHIM HASSAN BEY

The Fāṭimids, who derive their name from Fāṭimah, the Prophet's daughter, and 'Alī, the Prophet's cousin and son-in-law, succeeded in establishing a powerful empire which ruled Egypt and its territories for more than two centuries (969-1171 A.D.) rivalling if indeed not surpassing the 'Abbāsīd Empire.

The authority of the Fāṭimid Caliphs extended all over North Africa, Sicily, Egypt and Syria, and their names were recited in the Friday prayer in the mosques from the Atlantic to the Red Sea, in Ḥijāz and Mawṣil, and even in Baghdād, then the capital of 'Abbāsids, for about a year.

The Fāṭimids established a vast empire and a brilliant civilisation, remarkable for its excellent methods of administration, its artistic activity, the efficiency of its army and navy, the incorruptibility of its tribunals, the breadth of its religious toleration; and perhaps most remarkable of all, its patronage of learning and culture.

In order to give a picture of the achievements of the Egyptians along these lines, I will divide this subject into 7 parts, reviewing some of the most important researches that have appeared under the following heads: political history—economic history—published manuscripts—literary history—arts—methods of

(*) Paper read at the IXth International Congress of Historical Sciences (Paris, 28th August—3rd September, 1950).

But these details can be usefully treated by Egyptologists only, who after many years of close intercourse with the hieroglyphic and hieratic documents could evaluate, without European coarseness, the delicate chances of spiritual intimacy between really Egyptian wisdom and really Greek philosophy. The lucubrations of just Greek reading students of these matters do not appear to lead anywhere.

By his visit to Egypt and by his acceptance of the music of Isis as a revigorating charm Plato tied a bond between the oldest conservatism of humanity as lingering on in Egypt and its youngest progressive impetus as breaking up in Greece. This bond proved of surprising strength in all following developments of Christian and Islamic civilisation. For present humanity in its endeavour to create a synthesis of Oriental and Occidental forces. Plato's voicing Egyptian harmonies in Hellenic words has still the full power of an actual event.

Why did Plato leave Athens after the death of Socrates, why did he start on long travels? To seek adventures? To satisfy his curiosity like Herodotus? To forget his tragic loss in foreign surroundings? All this is mere trash. Plato wanted only one thing: to find universal harmony. He found something of it among the Pythagoreans in Italy, but more of it in Egypt. So his daring flights to heaven lost their presumable character of sacrilegious attempts with insufficient forces, they became appropriate and moderate movements with new-gained transcendent security. Now the first series of dialogues describing the soaring to the stars under the guidance of Socrates could be worked out with literary mastership. But the naming of Egypt in these dialogues would have been as we saw a mere personal indiscretion of which Plato was incapable. Only much later when he had to discuss the appearance of perfection in time he could gratefully acknowledge his debt to Egypt with majestic symbols.

Is it possible to overesteem the tremendous impression made by the magic atmosphere of millenarian temples with the unbroken spirit of illuminated priests upon a mind like Plato's who was so deeply movable by the "potestas numinosa" and who, after all, lived in his country in a kind of mystical parochialism? The so-called Oriental wisdom with its doctrines and techniques which can be overrated and underrated with equal facility is of secondary significance in face of the overwhelming power of that altogether hieratic life itself. The probable initiation of the foreign sage to some stages of secret worship would be a definitive way of strengthening his metaphysical vitality, without necessary influence on the rational formulas of his philosophical message. On the other hand it is by no means excluded that single features of his myths, *e.g.* the pictures of the Beyond in the "Gorgias", the "Phaedo" and the "Republic" or the various emanations of royal wisdom as discussed in the outlines of the just community, owe a good deal to Egyptian models and suggestions.

mind, all rooting in the central problem how to reconcile that mystical sight of the ideas with the fatal challenge of reality. So the Egyptian way of imbuing as it were the perishable existence with a kind of eternal time acquired actual importance on the symbolic stage of some of the following dialogues.

Here we must ask: had that plan of Plato's old age, which culminated in the sublime fragment of his super-Homeric Egyptian epos, praising primordial Athens in her fight against titanic Atlantis, had this broad vision of universal history any significance for the precedent vision of the ideal cosmos? That means: did the contact with Egypt also contribute to the conception of Plato's fundamental philosophy? The answer is emphatically in the affirmative. Only in the Egyptian temples Plato found living manifestations of mystical perfection beyond the abyss of fatal perishableness. So only there he could find the courage to say yes to his own most daring hopes as involved in the conception of "ideas". Let us never forget: Plato was not a modern Utopian, who makes theoretical plans according to the requests of his impatient will or his speculating wit. All his thoughts and plans were based on mystical experience. In Socrates he had found the power through which the human being may become eternal being. But Plato would not go the way of Socrates, he would not concentrate himself on his own perfection in order to become a kind of second Socrates. His was the passionate longing for a perfect community within which the law of universe would rule in earthly harmonies. And here we see the decisive point. Plato would never develop this longing as such, he would never try (as all modern idealists do) to draw himself out of the swamp of present reality by his own brain-rooted pigtail. Still less he would just describe his ideas about a fine world beyond and leave this world with moralising superiority in its desolate state. Even theoretically he would not admit this absolute contrast of an alleged perfection "there" and a hopeless misery "here".

So we have come to the end of our interpretation. Plato had found in Egypt the key to universal history, to history as a representation of the universe in universal mankind. Now we must put our last question: how must we explain that he speaks about Egypt only in the second part of his work? As we saw it is nearly sure that he made his great travel when he was approaching his fortieth year, and only two decades later, in the "Phaedrus", we find the first use of an Egyptian symbol which speaks with unmistakable intensity of his extraordinary experience on the Nile. But in these twenty years he had written as we think the whole first series of his dialogues which culminated in the "Republic". Why did he never mention, besides a few playful allusions (Socrates' swearing by the Dog, the Egyptian god, and the registering of the fare of sailing to Egypt, both in the "Gorgias") what he had seen in his younger age? There is, by the way, one important exception: the extensive praise of Ammon's oracle in the Egyptian desert, to be found in the smaller dialogue with Alcibiades. But as this dialogue as a whole is a problem we do not want to discuss it here.

The answer to the above question is this: Plato, who never exploited personal impressions without a possible symbolical evaluation, had no reason to speak of the value of history in the first part of his philosophical display. He had to reveal the idea of perfect life as it is founded in timeless being. He had to excite in the souls of his contemporaries the longing for that life and he could stir them only by appealing to the noblest instincts, traditions and ideals of their most intimate interior which, of course, was entirely Greek. Socrates, the symbolic leader of his mystical campaign, had practically never left Athens. So Plato did not leave it either. Even the detailed description of the state of justice was carefully kept in the sphere of a metaphysical sight, with consciousness rejecting the debate about a future realisation, which forcibly would have conducted to the future, that is, to a temporal aspect. Only when the great work was done and the "Republic" brought to its mythical conclusion new questions arose in Plato's

Socrates had really said. Nevertheless all these sentences are substantially Socratic, because the concrete experience of Socrates' mystical power is their real cause.

The whole story of primordial Athens and Atlantis may be a pure invention of Plato's, but it could be put in the mouth of the Egyptian priest only, because Egypt had revealed to Plato her mystical substance of eternity in time. We are sure that Plato would never have ventured to send his ancestor Solon to Egypt, if he had not found in the tradition about him some sparks of that concrete Egyptian wisdom. Nevertheless the words addressed to Solon by the priest have no need of historical precision, they are the "expansion of the substance" in the enchanting tale. It is hardly thinkable that an Egyptian under the Saitic dynasty had already sufficient insight into Greek mentality (which was still in the pre-philosophic state) in order to understand the character of Greek irrepressible youthfulness. But the gist of it could have been discussed in Sais or Heliopolis by Plato, himself, with the priests, and the symbolical value of the discussion would not suffer from its transfer to Solon.

There could be found a contradiction between the judgment of writing, of γράμματα, in the "Phaedrus", where they are characterised as futile, and here in the "Timaeus", where they seem to contain the most elevated historical wisdom. But all the stress in the latter must be laid on the word "holy", ἅγια. This view had no place in the "Phaedrus". "Sacred signs"—that means that the hieroglyphs are here understood in the true Egyptian sense. They bear in themselves mystical powers, that is, they can be interpreted only by priests who are inspired from mouth to mouth, from living soul to living soul through cosmic knowledge (as praised by Ammon and Socrates in the "Phaedrus")—for which the signs are an appropriate help. And the history of Athens and Atlantis which could be read in them (if they were read with the secret art of reading!), that history was by no means a congeries of mere facts, but as a whole and in every detail a development of eternal truth in temporal events.

writer of the 19th or 20th century. In his master Socrates he had found the living bearer of transcendent wisdom who was illuminating the souls beyond the power of words. But undoubtedly his disciple's greatest natural gift was an overwhelming power of words.

So Plato created a verbal manifestation of his own, melting wisdom into beauty and providing a body of symbolic speech to the soul of his metaphysical inheritance from Socrates. The art and style of his dialogues in which he had neither predecessors nor followers is purely symbolical. The words in them are not communicated in order to say something "real", *e.g.* to tell a story, but with the only scope to point to a metaphysical order into which Plato wishes to lead his hearer. This is possible because Plato had a realistic experience of metaphysical power. He could name the real causes of that experience and introduce them into his words as the lively symbols of the cosmic order. He had found the main cause personified in Socrates. The temple of Egypt with its songs and dances, its wise priests and holy signs he found as another. But this symbolism goes much farther. There is no name in which there is not hidden a mystical view, there is no reported event, no described gesture which must not be understood as the flash of a mystical hint. In this light of symbolical truth mere fantasy or artistic effectiveness simply fades out.

According to this view the introduction of the Egyptian priests can only mean that they had conveyed to Plato a concrete metaphysical experience. So their words could have symbolic value by pointing to the eternal order with which alone Plato is concerned. On the other hand, in all details of their description, in the whole expansion of their mystical substance Plato is naturally free to follow his creative imagination without which the substantial truth could not insinuate itself into the hearts of his hearers. So perhaps no single sentence, proffered by Socrates in all the dialogues, is an exact repetition of what the historical

founded by the Goddess Athene-Neith even 1000 years before Sais (or Egypt as a whole?). Many of the laws that had granted Egypt her duration in unique dignity were given first to that Athens which, before all, had a ruling class of priests. Moreover, Athens had received from Athene a cosmic wisdom (φρόνησις περὶ τὸν κόσμον), she had the power of prophecy and the art of medicine. Her people, arisen from the seed of Earth with the help of heavenly Fire, had the finest spirit of justice and courage, embodied in a class of warriors whose separate character (if not virtue...) could still be found in the soldier caste of Egypt. The priest repeatedly pointed to the "holy registers", the *ἁγία γράμματα* of their temple, covering a period of 8000 years where Solon could find all documents concerning these narratives. Of no importance for our considerations are the further details of that philosophical epos which Critias is going to recite after the cosmological introduction of Timaeus. It remained a fragment. For us it suffices never to lose out of view that the whole primordial history was supposed to have come from the Egyptian holy tradition, told by the old priest to Solon, by old Solon to young Critias I, by old Critias I to young Critias II, by old Critias II to Socrates, to his friends and to (very young) us.

Many interpreters of "Timaeus" and "Critias" say: "All these Egyptian stories must not be taken so seriously. Plato in his old age wished to leave free course to his fantasy and to encourage his Athenian readers by telling them unknown glories of their past. How could he make such stories probable and amusing at the same time? Why not take them from Egypt, a distant country, full of horrors and secrets and lately an allied of the Greeks? Why not bring in Solon about whom fables of every kind were rife? Plato was an artistic writer of the first class. We must be comprehensive and thankful at the same time and enjoy his tales without falling into neo-Platonic obscurantism." This opinion, of course, cannot be refuted with mathematical strictness. Nevertheless it seems (in its many varieties) unconvincing. Plato was a visionary, hardly interested in the success of a European

his old namesake). Through this touching half-hidden symbol Plato puts his own existence into the mysterious after-glow of the remotest past. Old Critias who at the dramatical date of the "Timaeus" (about 420 B.C.) could not be much under eighty had heard the story as a boy of ten years (about 490 B.C., in the year of Marathon?) from his grandfather and namesake Critias, a patriarch of ninety at that time. This Critias was the son of Dropidas, a great friend and perhaps relative of the famous sage Solon, and as a young man he had been present when Solon was telling about his marvellous experience in Egypt. So we have at last arrived at the source, the run of historical tradition through the generations (especially from very old to very young men) having been developed before our eyes. Solon travelled to Egypt nearly two centuries before Plato. He came to the town Sais in the Delta, the home of the last powerful Pharaonic dynasty and the seat of a very old cult of the goddess Neith which was identified with Athene, so that the Athenians were beloved in that town like children of the same heavenly mother. Solon, received with much honour, (a remembrance of Plato?) tried to discuss antiquity with the local priests. He was not able to trace the past beyond that big deluge after which arose what the Greeks thought to be the first men. So a very old priest rebuked him with the famous words: "Oh Solon, Solon, you Hellenes are never anything but children, and there is not an old man among you". He informed his amazed guest that there had been many deluges before the last one which alone was known to the Greeks and that the Nile, "the never-failing saviour of Egypt", had preserved his countrymen from perishing in the floods or from fleeing to the highest mountains in whose bare spaces the remnants of all the other tribes had lost their cultural inheritance and had to start on a new process of civilisation after the waters had flown away.

So the Athenians have totally forgotten and only the wise people among the Egyptians know that before 9000 years there existed another Athens, the Urathen we have mentioned already,

members of noble families for whom the sacred acting was a traditional duty, not the highest aim of mystical education and thought. Still less there existed an organised community of priests which would conserve the idea and practice of an hieratic life, independently of political confusion and social decay. Plato was, of course, keenly aware of these facts and therefore expressed his debt to the Egyptian priests with the unmistakable gratitude the symbolic signs of which we now wish to make clear.

That "historical" trilogy begins with the discourse of the Pythagorean Timaeus who describes the cosmic roots of man before all historical development. But in order to make it quite comprehensible that the very aim of the whole work is to show the position of man in time Plato gives the first word of the dialogue "Timeaus" to Socrates who expresses his wish for historical enlightenment. He had the vision of the perfect state as a remote picture (which he had expounded to his interlocutors the day before), but felt unable to transfer it into the movements and actions of the real past. In Greece only poets and sophists were available to discuss and describe the past. Of these the poets were addicted to the business of imitation which did not allow them to look beyond the narrow horizon of their special experience, while the sophists were rootless intellectual vagabonds. Plato could not express clearer the traditional inability of the Greek to visualise mystical powers (as appearing in the idea of the perfect state) within the frame of historical developments and to realise the current of transcendent reality in the temporal sphere, which embraces past, present, and future. Socrates, the very genius of Greece, looks for help. Help is brought to him from Egypt, through the mouth of Critias who is going to tell the historical revelations of an Egyptian priest.

This Critias was the great-grandfather of Plato himself, namely the grandfather of his mother Perictione, daughter of Critias' son Glaucon. (The famous tyrant Critias was a son of Glaucon's brother Calleschrus and consequently a grandson of

remembered and described with transcendent inspiration only, never with empirical investigations and amusing tales. The "Phaedrus" throws just a glance at this conception of history, while a later work makes a sublime effort at realising it in a full display of past events. This work was planned as the triad of the dialogues "Timæus", "Crito", "Hermocrates". It was intended to be not a fortuitous history of a single nation or a single period, but the description of "history itself", of the series of those cosmic events which symbolically would represent the idea of mankind in time.

The idea of mankind was once realised by an ideal community of the laws of which Plato had developed, as an abstract possibility, in the "Republic". In his old age he imagined that this community had existed nine thousand years before his time in no other country than his own: primordial Athens, Urathen, had been the seat of a human life in cosmic harmony. What else could be "history" worth of attention? The greatest historical deed of that ideal city had been the victory over the despotic power state Atlantis in whose monumental organisation all destructive possibilities of the human soul had been represented as it were by a negative picture of the cosmic idea. In the fight between Athens and Atlantis, between highest freedom and lowest servitude, between ideal harmony and material despotism history would have appeared as the mirror of genuine transcendental memory.

This conception of the past, or better, of time, of temporal development and temporal achievement as a worthy medium of philosophical thought was for Plato the gift of Egypt. In Greece nothing of the kind was to be found. There was no sense of metaphysical history in the Greek cults, not even in such centres as Delphi or Eleusis, nor any sense of a holy state in the political communities. This was impossible, because the figure of the real priest had vanished from Hellenic society. Practically all high functions of divine service were administered by worldly

Hermes, the dispenser of unexpected findings. Hermes is the Greek name for Theuth! So Plato expresses his gratitude by making him the hero of his gay little myth.

One must understand what *μνήμη* means in opposition to *ἀνάμνησις*. It is not the recollection of facts. For facts as such are shadows, they are perishable and illusory sensations in the Platonic philosophy. They are not the objects of *μνήμη*. Whether a nation remembers, by oral or written tradition, the exterior facts of its earlier existence through few or many centuries has no importance for Plato. The Greeks had a very short reminiscence of such facts and the Egyptians a very long one. But that is not the real point. Plato admires Egypt not for the amount of her reminiscences, but for the continuity of her *μνήμη* which is identical with *ἀνάμνησις*, that is, with metaphysical recollection as expounded in "Meno" and "Phaedo". The Egyptians "remembered in their interior by themselves" (*ἐνδοθεν αὐτοὶ ὅφ' αὐτῶν ἀνεμνήσκοντο*). In their cult the priests conserved a permanent unity of the cosmic soul and the earthly body. They "remembered", that is, they obeyed the laws of a divine order in whose all-embracing power forgetfulness, that is, the resistance of time against eternity, was suppressed and the opposition of the present to the past was cancelled. The ancient traditions were kept up and—as a minor consequence—the facts of past history were remembered, because generations after generations were inspired by the ever-renewing presence of cosmic *μνήμη*, of immortal mystery.

The Egyptian king of the "Phaedrus", that ideal statesman, who unifies in his person supreme wisdom and supreme power, gives us, the first time in Plato's work, a hint at history in the great sense. By opposition to the futile invention of writing (Egyptian only for fun's sake) he reveals the majestic power of perennial memory. This memory can find an expressive symbol in the knowledge of the past, and that is history, which as we just were seeing is not a heap of facts, but the representation of the everlasting laws in time. Therefore it could be conceived and

characters and not remember of themselves (οὐκ ἔνδοθεν αὐτοὺς ὅφ' αὐτῶν ἀναμνησκομένους). The specific which you have discovered is an aid not to memory (μνήμης), but to reminiscence (ὕπομνήσεως), you give your disciple not truth, but the imagination (δόξα) of truth".

Phaedrus admires Socrates, because he can invent so easily tales of Egypt. As an invention indeed appears this story to us too, for the simple reason that the finding of letters, that is of hieroglyphs, could never have been praised by an original Egyptian as offering a specific to memory. Hieroglyphs were signs for sounds in a partial sense and secondary way only. Their original power which was strongly felt until the end of their use appears in the magic symbolism by which they conveyed visible presence to superhuman radiations. If Plato was in Egypt he certainly was the first to realise this character of the "sacred carvings". At any rate he would have understood them, as he understood the pictures on the same walls (cf. "Laws", 656 D, also "Timæus", 23 A) as an immediate help for representing not gestures of the body, but directives of the spirit. Even Plotinus six hundred years later had still a dim knowledge of these things. Why, then, does Plato place his criticism of Greek mechanical sound reproduction in the Egyptian milieu where the painted signs were much more than mechanical helps? Because only there the contrast of living tradition and self-deceiving forgetfulness could be made clear. In Greece there was no powerful μνήμη by which the primordial truth was carried on through the centuries. So it was impossible to show through Greek inventions in a Greek milieu the danger which could arise for that truth from fictitious tricks of a resourceful mind. On which base could a Greek divine king (supposing that ever there was such a person) have rejected the new invention of technical γράμματα? What did real μνήμη mean in Greek life? According to Plato it did not exist there. But he had found it in Egypt, and the tale in the "Phaedrus" is a precious testimony to that gift of luck, for which Plato had to thank

for transmitting visible models to the gestures of the living young... As he repeats at so many occasions painting is only a secondary imitation of reality. In these temples it had at least a vital function of helpful conservatism. The impression of this Egyptian ideal vitality is enhanced by its contrast to the arbitrary, amoral and fickle behaviour of the Greek poets whom Plato does not forget to oppose as the authors of all instability to the eternal performance of Isis.

The lasting power of sacred Egyptian life is glorified in another way in a famous passage of the "Phaedrus", written a long time before the "Laws"; but also belonging to the second period of the philosopher's work. Plato was probably not far from his sixtieth year when he was composing his last great praise of Eros as the only begetter of inspired language. Towards the end of his wonderful walk with young Phaedrus Socrates raises the question how far writing would be useful for conserving the power of speeches. He comes to a negative result. A word written in the past by a person whom one could not ask about his meaning is unable to conserve the dynamism of the spoken word as acting between living souls. In order to give this unpleasant truth a pleasant introduction Socrates tells a jocular story from Egypt about the first invention of script. According to this the Egyptian god Theuth, whose sacred bird was the ibis, had invented a great number of useful arts: arithmetic and calculation, geometry and astronomy, draughts and dice, and at last γράμματα, the art of writing. These arts he offered to Thamus or Ammon, divine king of Egypt, ruler in Thebes, for their being used by his people. The king examined them all, but he rejected the letters. Theuth had said: they will make the Egyptians wiser and give them better memories, they are a specific both for memory and wisdom (μνήμης τε καὶ σοφίας φάρμακον). To this the king replied: "This discovery of yours will create forgetfulness in the learners' souls, because they will not use their memories; they will trust to the external written

the new and weariness of the old has not strength enough to corrupt the consecrated song and dance, under the plea that they have become antiquated. At any rate they are far from being corrupted in Egypt".

It seems difficult to think that a very old man, who speaks with such an intense praise of divine songs probably composed by Isis and of their perfect execution, should reproduce second-hand impressions and theoretically analyse the feelings of someone else. So let us keenly suppose that Plato knows of what he is speaking (he usually does...) and that he communicates an experience of immeasurable value. Whatever he may have dreamt about a perfect life here he tells us that he has seen and heard its sacred representation. And this representation knew no age. These perfect movements and gestures, these enrapturing rhythms and melodies had been created in an immemorial past and had kept their divine character in limbs and throats of immemorable generations which were blessed by a never-failing method of education. The masters of this education were the kinglike priests.

So this chain: divine creation, priestly wisdom, kinglike power, unbroken tradition, methodical education, youthful beauty in perfect present performance—this chain which was the result of his deepest thinking in Greek transcendental values found its living confirmation in Egypt. We do not wish to exaggerate. This confirmation was limited to a narrow circle of traditions conserved in hermetical enclosures within a degenerate national community. Plato was far from finding his ideal city on the Nile. But he found a miraculous message in living symbols which told him that his ideas were mysteriously one with the oldest achievements of inspired humanity. It is interesting to see that Plato's enthusiasm is concentrated on the musical and choreographic side of his experience. The artistic values of the Egyptian pictures on the temple-walls did not catch him for a minute. The pictures were nothing to him but technical devices

loved them. But doubtlessly they pointed for him towards his central conception of the royal philosopher.

Let us quote now the passages of the "Laws" which show the purest and holiest impressions Plato ever received in sacred surroundings so that eternity itself sounded in his ears (656 D). The Cretan old man asks: "What are the laws about dancing and music in Egypt"? The Athenian old man answers: "You will wonder when I tell you (Θαύμα καὶ ἀκοῦσαι). Long ago they appear to have recognised the very principle of which we are now speaking—that their young citizens must be habituated to forms and strains of virtue. These they fixed, and exhibited the patterns of them in their temples: and no painter or artist is allowed to innovate upon them, or to leave the traditional forms and invent new ones. To this day, no alteration is allowed either in these arts, or in music at all. And you will find that their works of art are painted or moulded in the same forms which they had ten thousand years ago;—this is literally true and no exaggeration,—their ancient paintings and sculptures are not a whit better or worse than the work of to-day, but are made with just the same skill".

The Cretan exclaims: "You speak of miracles" (Θαυμάσιόν λέγεις). The Athenian continues: "Certainly I speak of things worthy of the legislator and of the statesman in the highest degree. I know that other things in Egypt are not so well. But what I am telling you about music is true and deserving of consideration, because showing that a lawgiver may institute melodies which have a natural truth and correctness without any fear of failure. To do this, however, must be the work of a god or of a divine person; in Egypt they have a tradition that their ancient chants which have been preserved for so many ages are the composition (ποίηματα) of the goddess Isis. And therefore, as I was saying, if a person can only find in any way the natural melodies, he may confidently embody them in a fixed and legal form. For the love of novelty which arises out of pleasure in

goes the following sentence, evidently implying personal souvenirs de voyage (Laws, 953E): "We should show respect to Zeus, the god of hospitality, not forbidding strangers at meals and sacrifices as in the manner which prevails among the creatures of the Nile (θέρματα Νείλου, nearly equal to "those beasts of the Nile"), nor driving them away by savage proclamations".

Plato does not speak either of the Egyptian state nor of the Pharaoh's divine kingship which had been just restored to liberty in his time. Nor does he join the chorus of admirers of colossal monuments. Neither the "regalis situs" of the pyramids nor the "Labyrinth" nor other monumental buildings impressed themselves on his mind as unforgettable symbols of eternal life. Were their unmoving stones rather symbols of eternal death to him? His philosophical emotions palpably arise in the atmosphere of the living priests. There is a revealing passage about Egyptian priests in the "Statesman," (290 D/E): "the priest and the diviner are swollen with pride and prerogative (φρονήματος πληροῦται) and they create an awful impression of themselves (καὶ δόξαν σεμνὴν λαμβάνει) by the magnitude of their enterprises. In Egypt the king himself is not allowed to reign unless he has priestly powers and if he should be of another class and has thrust himself in he must get enrolled in the priesthood (εἰς τοῦτο τὸ γένος)". In Greece, as Plato continues, there is also some pride in the priestly character. But it lives on in the biggest sacrifices only which are offered by the highest magistrates, that is, by merely functional priests. So at Athens "the most solemn of the ancient sacrifices are supposed to be celebrated by him who has been chosen by lot to be the King Archon". As we see the proud and awe-inspiring character of a vocational priest whose lifelong position was kinglike in substance and law could not be studied by a Greek in his country where the importance of such figures was mere recollection to be found in some archaic customs. Their presence as spiritual power was realised by Plato in Egypt, and as it were he admired them more than he

Syracuse, from where he was brought home via Aegina as a kind of prisoner, having excited the wrath of the old tyrant Dionysius. So the journey to Egypt may have taken place at any time in this decade between 398 and 388 B.C. Even a slightly later date, implying another departure of Plato's after his return from Sicily, could not be excluded on principle. We may sum up, at any rate, these considerations by stating that there is not the tiniest argument forbidding to admit the reality of Plato's travel to Egypt. So we are free to interpret the spiritual content of his dialogues under the aspect that a definite contribution of real Egyptian experience may be sought in them.

There are about twenty passages spread out over the dialogues which deal with Egyptian matters. Most of them are short mentionings of isolated facts, a few go into details. They all seem to say something of the importance which that country had for the Platonic thought. But we shall limit ourselves here to interpreting the few outstanding passages which throw, if rightly understood, a full light upon the deep impression or, as we may say, on the metaphysical revelation experienced by Plato in the sanctuaries on the Nile. Let us state one fact at once. When we are speaking of Egypt in this positive sense we mean the holy life in her temples only. Plato makes it very clear that he distinguishes between the sacred and the profane sphere of the old country. In the "Laws" he says (657A): "Other things you will find bad in that place, but what I am telling you about (sacred) music..." and so on. He does not care for what to-day would be called the "national character" of the Egyptians. Not without a smile we read his angry statement ("Laws" 747C) about the "habit of craft,—which evil tendency may be observed in the Egyptians and Phoenicians and many other races, through the general vulgarity of their pursuits and acquisitions..." or about "the love of money which may be attributed to the Phoenicians and Egyptians". We cannot help hearing in such words the echo of a traveller's unpleasant incidents (he may have been cheated when selling his oil...). Even farther

passage money of two drachmas for one person ! The residence there could be financed by some of the highly appreciated Greek export goods, *e.g.* by a big amphora full of the delicious Attic oil. Plato as his late biographer tells us ventured to travel with such oil (if this is not meant to be an allegory of Attic wisdom). Egypt had just thrown off the Persian yoke, she had again a pharaon of her own. Greeks of all kind were welcome allies and guests. They were to be found in many parts of the country, not only in the old military settlement Naucratis in the Delta. Last not least, eminent travellers like Plato—who betrayed by their appearance and speech a genuine humanism were certainly received with dignified kindliness by the priests, at whose temples they knocked in search of hidden wisdom.

It is by no means impossible that Plato was really initiated, if not to the highest degree, into the mysteries of the sun worship in Heliopolis—which whatever they were certainly were manifestations of genuine metaphysical power, incomparably more impressive than anything of the kind a Greek could find in the sanctuaries of his own country. And Plato as an Egyptian mystagogue would be bound by a double silence, the sacred seals of the cult being added to his own usual reticence about his person. We may be allowed to mention that this was the definite opinion of the late sufi René Guénon. Plato's silence was for him an evident sign of his initiation into Egyptian sacred rites. His view in this matter seems to deserve more attention than that of other modern Europeans who have lost all connection with that world of mysteries which played a tremendous rôle in Plato's thought and life.

As to the date of the Egyptian travels there is no lack of opportunities for settling it within the frame of the philosopher's life. In this we know two certain dates : Plato left Athens after the death of Socrates in 399, temporarily to stay with his friend Euclides in Megara, and he was near forty, according to his own testimony in his seventh letter, when he went the first time to

All our poor knowledge of his life is based on those late compilations, made at the earliest a half millennium after his death. There, with negligible exceptions, the voyage to Egypt is a generally recorded fact. No detailed descriptions are available in them, nor are the dates of the travels exactly mentioned. Their order, too, is given in different ways as that period has got no longer a special interest in the exactitude of facts. But there is no hint at any discussion which would have put into doubt the visit to Egypt itself.

Cicero is the first serious and informed writer in our documents for whom the sojourn of Plato in Egypt is a matter of undebated fact. Strabo and Plutarchus are his nearest and most important followers in that respect. Cicero was in personal connection with the representatives of the Academy and, of course, with many other outstanding Greek philosophers of his time. He saw the last days of an unbroken and undisturbed tradition of the enlightened spirit which had acted in Athens since the fourth century. There was an inheritance of clear and conscious reason, bearing no traces yet of the future taste for pseudo-mysticism and speculative fake. It seems incredible that "orientalising" legends about Plato should have been mixed with historical truth by the leading Greek philosophers of that time and accepted by their Roman followers. The process of obscurantism started later on spreading a veil of dimness over the spiritual relations between Greece and the older Eastern world. Plato was already safe in Egypt, protected by sober historical sense, before mere fabulosity would send him thither.

Common sense is entitled to put the opposite question to the modern systematical sceptics: why should Plato not have gone to Egypt? Really, for an Athenian of the beginning fourth century B.C. such a travel was not a more dangerous adventure than a sailing to Syracuse. There was a heavy traffic to the Nile from Attica, the "Gorgias" even mentions the modest

songs and words. This experience meant a decisive encouragement to the philosopher. It made him continue his line and bring the Greeks his message of the everlasting idea which may become real and enduring on earth.

In these few sentences we have summed up in anticipation our opinion of what Plato sought and found in Egypt. We must now interpret his own words in order to prove that they bear witness to that decisive experience we attributed to him. But first a general doubt must be discussed which is often connected with Plato's travelling to the Nile. People who are sceptics concerning all spiritual ties between Greece and the mysticism of the older civilisations never fail to raise the question: has Plato been in Egypt at all? We cannot base our arguments on mystical values only. First commonsense has a right to be satisfied. What does it tell us about the historical facts in this case?

Plato in his dialogues never speaks of himself. So we could not expect his travels to Egypt to be mentioned there. Only in his epistles, all written in his very old age, he gives direct information about his life. But even there his personal experience is treated only within the strict limits given by the scope of the special letter. So in his famous seventh epistle Plato speaks in many details of his political development in his youth and of his travels to Sicily, because he is writing to Sicilians about their and his common political problems. His Egyptian adventure had nothing to do with this line of actions and thoughts, so we are by no means surprised to see it left in silence here. Further on all biographical and historical writings treating Plato out of immediate experience have been lost. No work of Aristotle or of other disciples of Plato, where details of his life would be discussed, has escaped destruction. The whole philosophical literature of the following centuries is not known to us but in most fragmentary quotations of later compilers and does not give us, as far as we can see, the slightest direct information about Plato's earthly existence.

PLATO IN EGYPT

BY

HELMUT VON DEN STEINEN

Egypt is for us the homeland of human eternity. This is meant in the literal sense. Ancient Egyptian civilisation worked out the forms of religion and life, of art and state in which eternity was believed to be present as the soul in a living body. There was no division between the invisible eternity in heaven and the perishable existence on earth. Heaven was the immortal law ruling over the mortal beings on earth. Gods and men served the same law just as light and shadow are manifestations of the same sun. All human works were dedicated with unique intensity to the service of eternal power. So Egypt was blessed by a reward of heaven which has not been granted to any other human community. She lasted and lasted, while other nations were rising and falling. Even in the periods of decay her holy life continued to shine and the final decline of her oldest traditions stretched out through uncounted centuries.

One might say, even in her mummified state Egypt preserved a treasure of eternity from which her conquerors and visitors derived the greatest benefit for their own participation in immortality, Alexander no less than Caesar and even Bonaparte in our days. Perhaps the most important visitor to the Nile who came there in search of heavenly powers and found them in unexpected glory was Plato. In his own country he had conceived the idea of imperishable being. But would it be humanly possible to bring the idea into earthly existence? To this question Egypt gave an answer: she revealed to Plato mystical gestures of eternity, which were still living in the precincts of her sanctuaries. She showed immortality in human thoughts,

continued in its main features into Roman times : added charges are frequently found in tax-receipts of the first and second centuries A.D. under the name προσδιαγραφόμενα, at varying rates which are generally comparable to the Ptolemaic : there were alternative methods of statement, but the results are the same'.⁽¹⁾

⁽¹⁾ MILNE J. E. A., XI, p. 282.

the tax-payers a certain percentage normally $6\frac{1}{4}\%$, of the amount sent into the bank. The word *šp*, on the other hand, means 'to receive', 'to collect'; hence its use as the name of an extra charge literally meaning 'collection (-dues)'.

In section 12, above, the poll and fodder-merchant's taxes are stated to have been collected 'without prosdiagraphomena'. This might, however, indicate that the prosdiagraphomena have to be paid on a future occasion. The most significant point here is the reference to the prosdiagraphomena in connection with the tax on the fodder-merchants due for the year 34 of Augustus at Thebes. This seems to show that these 'extra charges' were known at Thebes before the 41st year of Augustus and not to have been introduced there between that year and the 43rd year of the same emperor as has hitherto been supposed; cf. Tait, *Ostraca*, p. 88, note on No. 79, ad fin.

In receipts from Edfu the prosdiagraphomena never figures in connection with payments for taxes. But a receipt from that locality, issued at the beginning of the year in respect of 10 obols for *p hnt (n) wt* 'the copper of prosdiagraphomena' (if the word *wt* here has the same meaning as that which we have already dealt with above), seems to indicate that the prosdiagraphomena at that locality were not paid simultaneously with their respective taxes, as was the case at Thebes, but rather in a lump sum at the end of the year for which they were due or at the beginning of the new year; (Section 13).

From section 14 it seems that *wt* had already existed in the Ptolemaic period as the name of an 'extra charge' and that it persisted into the Roman period when it corresponded to the prosdiagraphomena. 'In the IInd and Ist centuries B.C. the Ptolemaic Government allowed the banks to charge on the farmers or payers of taxes and the farmers to charge on the payers an extra percentage to cover the costs of collection, and in the case of taxes assessed in silver a further percentage for the conversion of copper into silver'. 'The system of charges seems to have

the amount due' the officials sometimes took it to mean 'subtract $\frac{1}{16}$ from the amount paid', he compares this to the modern distinction between true and bankers' discount; (3) in receipts for λαογραφία from Arsinoë, the 10 obols said to be paid as προσδιαγραφόμενα on 20 dr. include $2\frac{1}{2}$ ob. for συμβολικά; (4) in receipts for Ἰουδαίων τέλεσμα 8 dr. 2 ob. are said to be the τιμή δηναρίων δύο, the extra charge in this case amounting to only 1 obol to the stater instead of $1\frac{1}{2}$ obols; (5) other rates of the προσδιαγραφόμενα are found in receipts for those few taxes for which, in the Roman period, payment was still accepted in Ptolemaic copper, i.e. the ἀπέμοιρα, ἐπαρούριον, ναύβιον and sometimes ἐγκύκλιον, the extra charges added to these taxes being survivals from the Ptolemaic period; (6) in the case of some taxes imposed for purely local purposes there was probably no extra charge. The extra charge of $6\frac{1}{4}\%$ was exacted because, he believes, the money was ρυπαρός (just as the προσμετρούμενα were exacted because the corn was ρυπαρός); i.e. because tax payments were made either in the debased silver of the later Ptolemies, or afterwards in the billon tetradrachms of Alexandria; and not in the Roman denarii, which alone were accepted at their full nominal value, but in practice did not circulate in the χώρα.

That the προσδιαγραφόμενα of the money-taxes is comparable to the προσμετρούμενα of the corn-tax is quite true in the sense that each of them constituted an 'extra charge' (the first, in money, and, the second, in kind) to meet the expenses of collection, but not because money and corn were ρυπαρός, especially when we realise that the προσδιαγραφόμενα and προσμετρούμενα are the Greek counterparts of the demotic *wt* and *šp*, which literally mean 'sending' and 'receiving-dues' respectively. The word *wt*, is technically used for 'paying' money in a bank; it literally means 'to send' money into a bank. Its use as the name of an extra charge points to the practice of *sending* the money-taxes to the bank through the tax-collectors who charged

9. *'rm-w p wt hmt 2* 'with them (sc. one stater $\frac{1}{2}$ kite 2 obols for dyke-tax of the 3rd year of Tiberius) are the prosdiagraphomena, 2 obols'.

10. *'rm pe-w wt hmt 1½* 'with their prosdiagraphomena, 1½ obols' with reference to the sum of one stater for the 'account of freemen' of the 3rd year of Tiberius.

11. *'rm (?) p wt hmt 2.t* 'with the prosdiagraphomena, 2 obols' in respect of one stater one kite 4 obols for the dyke-tax of year 16 of Tiberius.

12. *(n) ws (n) wt* 'without prosdiagraphomena' in three receipts, the first of which is for the tax on the fodder-merchants due for the 34th year of Augustus, the second for the price of barley for the 41st year of the same emperor and the third for the poll-tax of year 11 of Tiberius.

13. A receipt for *p hmt (n) wt* 'the money of the prosdiagraphomena'. It comes from Edfu and belongs to the 4th year of Tiberius.

14. In a receipt from Gebelein of the year 107 B.C. a certain Panebkhōne pays 80 Silver pieces (?) for apomoirā *e pe-w wt hn-w* 'their extra charge (?) being (included) in them'.

Sections 1-3 record the rate of the prosdiagraphomena as $1\frac{1}{2}$ obols to the stater. Section 4 gives a rate of 1 obol only. Section 5 merely refers to the prosdiagraphomena as being paid without fixing the rate. Sections 6-10 record the total sums paid for the prosdiagraphomena. In section 6 the rate rises to 2.7 obols to the stater. In sections 7-10 the rate is $1\frac{1}{2}$ obols, while in section 11 it is 1.2 obols to the stater. The normal rate of the prosdiagraphomena was $1\frac{1}{2}$ obols to the stater of four drachmae. The exceptions Tait explains on pages 87 and 88 of his *Ostraca* as follows: (1) fractional amounts less than 2 ch., or sometimes 4 ch., may be either neglected or reckoned as wholes; (2) although προσδιαγραφόμενα ἐξ—c properly means 'add $\frac{1}{16}$ to

(b) *p wt a $\frac{1}{2}$ hmt 1 1/2* 'the prosdiagraphomēna at the rate of 1 1/2 obols' with payments for the poll and bath taxes of year 9 of Tiberius combined, for the poll-tax of years 12 and 14 of the same emperor, for the dyke-tax of his 18th year and for the combined dyke and bath taxes of the 23rd year of Tiberius and the 5th of Gaius.

(c) *'rm pe-w wt a $\frac{1}{2}$ hmt 1-t 1/2* 'with their prosdiagraphomēna at the rate of 1 1/2 obols' with a poll-tax of the 11th year of Tiberius.

(d) *'rm wt a $\frac{1}{2}$ hmt 1 1/2* 'with prosdiagraphomēna at the rate of 1 1/2 obols' with the tax on palm-trees for the 17th year of Tiberius and the combined poll and bath taxes of the 3rd year of Gaius.

4. (a) *pe-w (?) wt a $\frac{1}{2}$ hmt 1* 'their prosdiagraphomēna at the rate of 1 obol' referring to the amount paid for the dyke tax of year 17 of Tiberius.

(b) *'rm wt a $\frac{1}{2}$ hmt 1-t* 'with prosdiagraphomēna at the rate of 1 obol' with payments for the tax on vineyards for the 18th year of Tiberius, the poll of years 7 and 8 of the same emperor and the combined poll and bath taxes of the 2nd year of Gaius.

5. *'rm p wt* 'with the prosdiagraphomēna' with a payment for both vineyards and wine-taxes of the 12th year of Tiberius.

6. *'rm pe-w wt hmt 4 1/2* 'with their prosdiagraphomēna, 4 1/2 obols' referring to the sum of one stater one kite 4 obols paid in respect of the dyke-tax of the 9th year of Tiberius.

7. *p wt hmt 4 1/2 'rm-w (?)* 'the prosdiagraphomēna 4 1/2 obols with them' (sc. 3 staters for temple palm-trees on account of the 18th year of Tiberius).

8. *pe-w wt hmt 2 1/2* 'their prosdiagraphomēna are 2 1/2 obols' with reference to the sum of one stater one kite 4 obols paid on account of the dyke-tax of each of the 2nd and 17th years of Tiberius.

In the following list I give instances which refer to these 'extra charges' together with the taxes in connection with which it occurs and the dates of their respective receipts. Sections 1-12 refer to receipts from Thebes while sections 13 and 14 concern, the first, a receipt from Edfu and, the second, another from Gebelein.

1. (a) 'rm p ict a $\frac{1}{2}$ hmt 1-t 1/2 a t sttr 1-t 'with the prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each stater' with wine-tax of the 4th year of Tiberius, poll and bath taxes of the 6th year of Tiberius, and the tax on pigeon-houses of the 2nd year of the same emperor.

(b) 'rm pe-w ict a $\frac{1}{2}$ hmt 1 1/2 a t sttr 1-t 'with their prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each stater' with poll, bath and dyke taxes of the 3rd, 4th and 6th years of the same emperor.

2. (a) 'rm pe-w ict a $\frac{1}{2}$ hmt 1 1/2 a t sttr 1-t nt hry 'with their prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each of the above (-mentioned) staters' with reference to amounts paid for poll-tax of the 1st and 4th years of Tiberius and to an amount in respect of the poll, bath and pigeon-house taxes combined for the 4th year of the same emperor.

(b) 'rm ict a $\frac{1}{2}$ hmt 1 1/2 a t sttr 1-t nt hry 'together with prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each of the above (-mentioned) staters' in connection with sums paid for poll-taxes of the 43rd year of Augustus and the first of Tiberius.

(c) rm(?) ict(?) tn(?) hmt 1 1/2 a t sttr 1 nt hry 'together with prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols to each of the above (-mentioned) staters' referring to the amount paid in respect of the tax on vineyards for the 43rd year of Augustus.

3. (a) 'rm p ict a $\frac{1}{2}$ hmt 1-t 1/2 'with the prosdiagraphomena at the rate of $1\frac{1}{2}$ obols' with the tax on palm-trees of the third year of Tiberius and the dyke-tax of his 16th year.

THE PROSDIAGRAPHOMENA; ITS FORM AND HISTORY IN DEMOTIC AND GREEK TEXTS

BY

GIRGIS MATTHA

P ut is the demotic for the προσδιαγραφόμενα, "additional payments", of the Greek texts. The phrase 'rm p ut a h hmt 1.t 1/2 a t sttr 1.t 'and the additional payments at the rate of 1½ obols to each stater' literally corresponds to καὶ προσδιαγραφή (φόμενα) ὡς τοῦ ἐνὸς στατήρος ἐκ — L of *Ostr. Strassburg*⁽¹⁾ 54 (cf. also *Archiv* ⁽²⁾, IV, p. 146). Révillout (*Mélanges* ⁽³⁾, pp. 201, 216 and 225) wrongly translates *p ut a h hmt 1.t 1/2* 'le versement à Alexandrie', apparently reading a *R^e-qt* 'to Rakote (= Alexandria)', instead of *a h hmt 1.t 1/2* 'at the rate of 1½ obols'. Révillout further explains the phrase 'le versement à Alexandrie' at the bottom of page 225 of his *mélanges* as follows: "Quant au versement à Alexandrie c'est un impôt spécial ... Il s'agissait sans doute de travaux faits à Alexandrie et pour lesquels on avait fait contribuer pécuniairement tous les Egyptiens comme pour la statue impériale ...". As a matter of fact no such contribution is traceable nor does Alexandria figure at all in the texts.

In translating the demotic *ut* I have used the corresponding Greek word prosdiagraphomena so as to show what kind of 'extra charge' the demotic word refers to.

(¹) P. VIKRECK, *Griechische und Griechisch-Demotische Ostraka der Universitäts-und-Landesbibliothek zu Strassburg im Elsass.*

(²) *Archiv für Papyrusforschung.*

(³) E. RÉVILLOUT, *Mélanges sur la Mitrologie, l'Economie Politique, et l'Histoire de l'Ancienne Égypte.*

us a glimpse of the *Atellanae* in the imperial times. He says ⁽¹⁾
“*Transeuntem eum Isidorus Cynicus in publico clara uoce*
Corripuerat, quod Naupli mala bene cantitaret, sua bona male
disponeret; et Datus Atellanurum histrio in cantico quodam.”

ὕλαίνε πάτερ, ὕλαίνε ρήτερ

ita demonstrauerat, ut bibentem natantemque faceret, exitum
scilicet Claudii Agrippinaeque significans, et in nouissima clausula.

Orcus vobis ducit pedes

senatum gestu notarat”. we gather from this report that the *canticum* and its musical accompaniment were outstanding features, and that the audience used to take the hints and gagging as if they were improvised, and that the use of Greek in the *Atellanae* was quite common. It is also obvious that they were used as a medium of occasional political satire ⁽²⁾.

To sum up, the *Atellanae* were short masked performances with *cantica* and music. They allowed of improvisation. No wonder then, as they have all these points in common with the *Satura*, that the Roman young men turned to them in preference to the Andronican *fabula*.

⁽¹⁾ cf. *Uit. Ner.* XXXIX.

⁽²⁾ cf. also Suetonius *Uit. Gal.* XIII; *Uit. Calig.* XXVII; *Uit. Tib.* XLV.

It must be admitted, however, that in dealing with Horace's *Sat.* V. 54-70 one is necessarily never certain because (1) The scholiast says nothing about this *Sarmentus*, and (2) the *morbus Campanus* is not known, and (3) *domini* is better supported by the MSS. than *dominae* in vs. 67⁽¹⁾.

What were the characteristics of this drama that made the Roman youth prefer them to the plays of Andronicus? They were easy to act because they were short since Fronto⁽²⁾ calls them by the diminutive form *Atellaniollae*. And they were acted in masks⁽³⁾. As they dealt with the adventures of a limited number of stock characters, they allowed of improvisation, if they did not depend entirely on it. This characteristic element, added to easy acting, won the favour of the Roman youth at the beginning of their dramatic career and allowed the *Atellanae* to retain their attraction for the common folk right down to the imperial times.

Ancient scholars testify to the prevalence in the *Atellanae* of riddles and puzzles⁽⁴⁾, of jokes and funny sayings⁽⁵⁾, and of rustic facetious and ridiculous words⁽⁶⁾. Horace testifies to the introduction of dances in it⁽⁷⁾. But it is Suetonius who gives

⁽¹⁾ H. Nettleship, (*Lectures and Essays*, Oxford, 1885, p. 65) adds to the list of the characters of the *fabula Atellana*, but without substantial evidence, *Bubulcus*, *Decuma*, *Fullo* and perhaps *Mamia*.

⁽²⁾ cf. p. 34, Naber.

⁽³⁾ cf. Festus, p. 217 "*per Atellanos qui proprie uocantur personati quia ius est eis in scena non poni personam*."

⁽⁴⁾ cf. Quintilian, *Instit. Orat.* VI, 3, 47 "*illa obscura quae Atellani e more Caplant*". *Obscura* of the MSS is now preferred to the emendation *obscena*. cf. W. Beare, *Quintilian VI. iii. 47 and the Fabula Atellana*, *The Classical Review*, 1937, vol. LI, pp. 213 sqq. cf. also Varro, *Sat. Men.* 193 b. "*potes eos non citius tricas Atellanas quam id extricatos?*".

⁽⁵⁾ cf. Fronto, p. 105 Naber, "*ex Atellanis lepidas et fucetas*".

⁽⁶⁾ cf. Fronto, p. 62 Naber, "*In Atellana uerbis rusticianis et iocularibus ac ridiculariis*".

⁽⁷⁾ cf. *Sat.* I. V. 63.

continues) Sarmentus was one of the youthful favourites of Caesar such as the Romans call *deliciae*" (1).

It is natural to suppose that Dellius was not referring to more than a clown. Plutarch is explaining that the nickname is given to a young *delicia*. There is no historical ground to identify this Sarmentus with the one mentioned by Horace.

As regards the Sarmentus mentioned by Juvenal:

Si potes illa pati, quæ nec Sarmentus iniquas.

Cæsaris ad mensas nec vilis Gabba tulisset,

the scholiast says *natione Tuscus, e domo Marci Fauoni incertum libertus an seruus, plurimis forma et urbanitate promeritis eo fiducia uenit, ut pro equite Romano ageret et decuriam quoque quaestoriam comparet. Quare per ludos quibus primum XIV ordinibus sedit, haec a populo in eum dicta sunt:*

aliud scriptum habet Sarmentus, aliud populus uoluerat.

"digna dignis": Sic Sarmentus habeat crassas compedes.

rustici, ne nihil agatis, aliquis Sarmentum alliget.

The wording of the people's satire, and the recurrence of the word Sarmentus show that Sarmentus was a nickname for a person. It appears that each Caesar had attached to his retinue a Sarmentus who was sometimes a favourite with the people and sometimes not. The scholiast is reporting the story of one of them. But once we take Sarmentus as a nickname, the historical connection between the one and the other disappears completely. There is something certain: that the Sarmentus of Horace accused of being a runaway (*fugitiuus*) cannot be identified with the Sarmentus of Juvenal as described by the scholiast, because this one was manumitted by Maecenas.

(1) cf. Ant. 49: ὁ δὲ Σάρμεντος ἦν τῶν καίσαρος παιγνίων παῖδάριον, ἃ δηλῶς Ῥωμαῖοι καλοῦσιν.

no one of the guests took part in the *pugna*. It looks as if the professionals were left to themselves. This is clear from the jokes of Sarmentus at the expense of Cicirrus. They must be jokes that would allow Cicirrus to show his skill as an actor. We have a glimpse of the technique of the performance when Sarmentus asked Cicirrus to dance the Cyclops' pastoral dance to round off his rôle before he started his performance at Sarmentus. We have the physical description of Cicirrus as an Oscan with a bristly brow and a scar on his left side. He was tall, so much so, that he does not need a *Cothurnus*. Nor does he need a mask to perform, perhaps because his features were accentuated and marked enough.

Sarmentus, on the other hand, was a *scurra*, a jester⁽¹⁾. He starts the *pugna* and leads the game. We also know that he was lean and slender and so very weak. Sarmentus was born a slave (*Sarmenti domina exstat*). Now he is no longer a slave; he is engaged in another capacity as a free-man⁽²⁾. Yet this did not one whit abate his mistress' claims. What claims? He fled his mistress not because he had not enough food⁽³⁾, but perhaps to escape the exorbitant demands of his mistress. The obscene reference is characteristic of Cicirrus. This remark tantalizingly brings the report of Horace to an end.

Plutarch tells us that "Dellius (the historian) was also afraid of a plot against him by Cleopatra, ... For he had offended Cleopatra at supper by saying that while sour wine was served to them, Sarmentus, at Rome, was drinking Falerian. Now (he

(1) The word *scurra* occurs seven times in Plautus. *Cur.* 296: *Epid.* 15: *Most.* 15: *Poen.* 612, 1281: *Trin.* 202: *Truc.* 491. The *scurra* in Plautus is not a jester or a clown, but the effeminate man about town. In *Epid.* 15 and *Truc.* 491 he is contrasted with a soldier, in *Most.* 15, with a country slave. *Urbanus* is twice used with *scurra*, *Most.* 15 and *Trin.* 202.

(2) *cf.* vs. 65.

(3) *cf.* vs. 37 sq.

esse feri similem dico'. ridemus, et ipse
 Messius 'accipio', caput et movet. 'o tua cornu
 ni foret exsecto frons' inquit 'quid faceres, cum
 sic mutilus minitaris? at illi foeda cicatrix
 saetosam laeui frontem turpauerat oris.
 Companum in morbum, in faciem permulta iocatus,
 pastorem saltaret uti Cyclopa rogabat:
 nil illi larua aut tragicis opus esse cothurnis.
 multa Cicirrus ad haec: donasset iamne catenam.
 ex uoto Laribus, quaerebat: scribe quod esset,
 nilo deterius dominae ius esse, rogabat
 denique cur umquam fugisset, cui satis una
 farris libra foret, gracili sic temque pusillo.
 prorsus iucunde cenam producimus illam.

and whose name is glossed by Hesychius as meaning 'cock', has been ingeniously claimed by Dieterich as an addition to the characters of the *Atellana* ⁽¹⁾.

If Cicirrus is accepted, there is no reason for keeping Sarmentus out of this family. He is mentioned four times in classical authors. In the passage of Horace, quoted above, which is referred to in Quintilian ⁽²⁾, in Juvenal ⁽³⁾ and in Plutarch ⁽⁴⁾.

Horace tells us that they were entertained on that evening by an arranged *ludus*. He refers to it as *pugna*. As the characters in the *Atellanae* appear in a variety of rôles, Horace tells us that Sarmentus is in the rôle of *scurra*, in the same way as Pomponius would say *Maccus Virgo*. It should be noted that

⁽¹⁾ cf. Dieterich, *op. cit.* p. 94 sq.

⁽²⁾ *Instit. Orat.* VI. iii, 58. "*et Sarmentus Missium cicirrum equo fero comparavit*".

⁽³⁾ *V.* 3.

⁽⁴⁾ *Ant.* 59.

The third is Maccus. This name comes probably from the Greek μακκοῦν = to be stupid⁽¹⁾. It was shown⁽²⁾ that the root μακ = *mak*. signifies stupid greed, and that this was Maccus' chief quality⁽³⁾. As representative of stupidity he is associated with Bucco in Apuleius. He, like Dossennus seems to have appeared in a variety of rôles. In the list of Pomponius' *fabulae* we find *Macci Gemini*, *Macci Priores*, *Maccus Miles*, and *Maccus Virgo* as we find *Duo Dossenni*.

The fourth character is Pappus. Πάππος is the Greek form of the name. Varro says that Pappus was an old man and was sometimes called by his Oscan name *Cansar*⁽⁴⁾.

To these Boissier⁽⁵⁾ adds *Lamia* and refers to Horace :

Nen pransae Lamiae uiuum puerum extrahat aluo⁽⁶⁾.
Cicirrus who occurs in the following passage of Horace's Satires⁽⁷⁾ :

nunc mihi paucis
Sarmenti scurrae pugnam messique Cicirri,
Musa, uelim memores et quo patre natus uterque
contulerit lites. Messi clarum genus Osci ;
Sarmenti domina exstat : ab his maioribus orti
ad pugnam uenere. prior Sarmentus 'equi te

(1) cf. Aristophanes, *Knights*, vs. 62 :

ὁ δ' αὐτὸν ὥς ὄρε' μεμακκοηκότα.

(2) cf. K. Sittl. *I personaggi dell' Atellana*, (*Rivista di storia antica e scienze affini*), I. 1890, pp. 28 sq.

(3) Modern Italians still use in the same sense the words *Matto* and *Mat'accio*.

(4) *De Ling. Lit.* VII. 23. "item significant in Atellanis aliquot Poppum senem, quod Osci Cansar appellant". cf. also *Festi L'pit.* 33, 184. "*Cansar senex Oscrum lingua*".

(5) Daremberg and Saglio, s.v. *Atellanae Fabulae*.

(6) cf. A.P. vs. 340. For the Connection of *Lamiae* with *Lemures* Larua and λαυρόδος, see Paley on Ovid, *Fasti*, V. 41.

(7) I.V. 51-70.

The rôles in this drama were taken by stock characters, but our knowledge here is defective, and we have to depend on the derivation of the names of these stock characters.

We have Bucco whose large cheeks betoken either folly, stupidity or greed. We meet him in Apuleius⁽¹⁾ and in Plautus⁽²⁾. Both references suggest folly and stupidity. Cornford⁽³⁾ says that the fat cheeks are borrowed from the pig which in Greece stands for stupidity.

The second is Dossennus. Varro tells us that his other name is Manducius⁽⁴⁾. This is described as *magnis malis ac late dehiscens et ingentem dentibus sonitum faciens*⁽⁵⁾. This description appears to link Dossennus with food and love of eating, and this impression is confirmed by his appearance in Horace as a parasite⁽⁶⁾.

Dossennus played a chief part in the *Philosophia* of Pomponius and appeared as a school-master in his *Maccus Virgo*. The passing stranger is bidden to read his wisdom in his epitaph quoted by Seneca⁽⁷⁾.

It is not difficult to imagine a parasite full of wisdom, but most probably there were many varieties of Dossenni.

(¹) *De Mag.* 81 (Helin), "omnes isti quos nominavi... si cum hac una Rufini fallacia contendantur, Macci prorsus et Buccones videbuntur".

(²) *Bacchides*, vs. 1788 :

Stulti solidi fatui fungi bardi bienni buccones.

(³) *op. cit.* p. 184, note 2.

(⁴) *De Ling. Lat.* XII, 95 M. "In Atellanis Dossennum vocant Manducum".

(⁵) *cf.* Paulus quoted in Festus, p. 128.

(⁶) *cf.* *Epist.* II. 1. vs. 173 :

Quantus sit Dossennus edacibus in parasitis.

(⁷) *Epist.* XIV. I, (89), 7: *sapientia est quam Graeci σοφία vocant hoc verbo Romani quoque utebantur... quod et togatae tibi antiquae probabunt et inscriptus Dossenni morumento titulus :*

Hospes, resiste et sophian Dossenni lege.

ἀγῶνα πάτριον καὶ μιμολογεῖσθαι⁽¹⁾ gave rise in Mommsen's head to the theory that the *Atellanae* were entirely Roman and that they were the result of the cultured Roman laughter at the follies of uncivilized Atella. He believes that the true home of this kind of drama is Latium, and that the Oscan territories are only its dramatic setting, and that it had nothing to do with the Oscans⁽²⁾. The *Atellanae* have also been claimed as Etruscan⁽³⁾.

The Roman literary historians were sometimes under the impression that they developed Tragedy and Comedy directly from the Greeks, and as the Greeks had also Satyric drama, they maintained that their *Atellanae* were derived from the Satyric drama⁽⁴⁾.

But when Cicero remarked to his correspondent Marcus Marius⁽⁵⁾, that the latter, who had stayed away from the shows given by Pompey in 55 B.C., had not missed much in failing to see the *ludi Osci*, since he could see Oscans in his own town council (at Arpinum), and described the *Atellanae* as "*Græcos aut Oscos ludos*", he was not under such an impression, but perhaps he could see the similarity between these farces and some Greek prototype.

Modern criticism is in favour of Livy's account. It says that the *Atellanae* were performed in the old Oscan dialect by the citizens of Atella in Campania and transplanted in the third century B.C. to Rome⁽⁶⁾.

(1) V. 233.

(2) *Römische Geschichte*, Berlin, 1884-1894, vol. II. p. 438.

(3) J. Whatmough, *The Foundations of Roman Italy*, London, 1937, pp. 390-392.

(4) cf. Diomedes, *ibid.*

(5) *Ad fam.*, VII, 1, 3.

(6) cf. F. Marx, *Atellanae fabulae* (in Pauly-Wissowa, *Realencyklopädie*, Stuttgart, 1896, vol. II): A. Dieterich, *Pulcinella*, Leipzig, 1897, pp. 84 sqq.; F. M. Cornford, *The Origin of Attic Comedy*: Cambridge, 1934 ed. 2, p. 138; A. Nicoll, *Masks, Mimes and Miracles*, London, 1931, p. 67; M. Bieber, *Theatre*, London, 1939, p. 295.

THE FABULA ATELLANA AND ITS STOCK CHARACTERS

BY

DR. WAHEEB KAMEL

In his famous report on the beginnings of Roman dramatic art, Livy says "*Postquam lege hac fabularum ab risu et soluto ioco res auocatur, et ludus in artem paulatim uerterat, iuuentus histrionibus fabellarum actu relicto ipsa inter se more antiquo ridicula intertextibus iactitare coepit, unde exordia quae exodia postea appellata consertaque fabellis potissimum Atellanis sunt; quod genus ludorum ab Oscis acceptum tenuit iuuentus nec ab histrionibus pollui passa est; eo institutum manet ut actores Atellanorum nec tribu moveantur et stipendia, tamquam expertes artis ludicae, faciant⁽¹⁾*". Livy is in fact stressing the characteristics of the dramatic *Satura* when he says that when it became a *fabula* there was no room for improvisation and so it lost its spontaneity and its appeal to the young Romans. These fell back on their old way of producing a short improvised *ludus*. This happened to be the *Atellanae*. Opinions differ as regards the origin of the *Atellanae*. Livy⁽²⁾ and Diomedes⁽³⁾ make it clear that they believed that they were indigenous *ludi* of Atella in Campania. Strabo's remark ἴδιον δὲ τι τοῖς Ὀσκοῖς, καὶ τῶν Αὐσόνων ἔνθει συμβέβηκε : τῶν μὲν γὰρ Ὀσκων ἐκλειοιπότην ἢ διάλεκτος μένει παρὰ τοῖς Ῥωμαίοις, ὥστε καὶ ποιήματα σκηνοβατεῖσθαι κατὰ τινὰ

(¹) VII, 2.

(²) *ibid.*

(³) *Artes Grammaticae libri. iii* (in H. Keil, *Grammatici Latini*; Leipzig, 1857, I, pp. 489-490).

14,164 says that the Sosius-Herod capture of Jerusalem took place in the third month, at (on) the festival of the fast. We suspect that Josephus wished to produce yet another of his date-doublings and that his fast-day for Pompey's capture is had directly from Strabo, whether from *Geog.* 16,240 or from *Geog.*'s source in Strabo's *History*. Here the notable differences between *B.J.* and *A.J.* given by D and E above seem to tell a plain story. *A.J.* carries a full date and list of historical authorities missing from *B.J.* Authorities listed are Strabo, Nicolas, and Livy, in that order. Full date consists of Fast-Day, particular Olympiad, particular consuls, in that order. From Livy the consuls, from Nicolas the Olympiad, from Strabo the Fast-Day—it is a good guess. The composer of *A.J.* 14,43–4, expanding *B.J.* 1,7.4 at the price of ugly repetition in order to achieve his date, forked into the narrative precisely that 'Fast-Day' which the composer of *B.J.* had corrected to Seventh Days and Sabbaths, reinstating Strabo's looseness of terminology as technical strictness.

Of the fact of correction in *B.J.* the man had no knowledge. But he had Strabo, and in Strabo, he had, conveniently for inclusion, 'Fast-Day'. In went Fast-Day.

In conclusion it may be recalled that Strabo's *History* was preferred to Nicolas as probable source for A and C, that B's 'fast-day' was presumed to have been present in Strabo's *History* as well as in Strabo's *Geography*, and that in conformity it was presumed that A and C corrected Strabo's 'fast-days' to 'Seventh day's' and 'Sabbaths'. Suppose, however, that Nicolas was primary source for A and C, and the argument remains unaffected, gaining in simplicity what it loses in documentation. With Nicolas as primary source supplying 'Sabbaths' to A, there was no correction of 'fast-day' to 'Sabbaths'; the man who forked 'fast-day' into the date in C had his authorities assembled under his eye and took 'fast-day' from Strabo.

On the other hand, retain B's 'fast-day' in its stricter possible sense of Tenth Tishri, and we must wholly reject A and C if we accept B. Otherwise we must suppose that Pompey was sharp twice over in this siege—sharp in selecting Sabbaths and sharp also in selecting Tenth Tishri—and that our historians divided his sharpnesses, Josephus in A and C chronicling a Sabbaths-sharpness and Strabo in B chronicling a Tenth-Tishri-sharpness. Reject, then, A and C; grant B monopoly of historical authority. B, considered alone, is unintelligible. Pompey picked on Tenth Tishri to assault and carry the temple, having previously filled up the ditch? If so, what did he get out of his sharpness? Nothing: the besieged Jews could, and did, lawfully resist, self-defence being lawful on rest-days. And if so, what moved Strabo to add "when the Jews would not work"? Was he giving his readers a piece of general information by the way, not at all suggesting to them that Pompey picked Tenth Tishri precisely because the Jews would not work? Let us try another cast in the hope of hooking some sense. Pompey had not filled up the ditch, but picked on Tenth Tishri in order to fill up the ditch when the Jews would be idle? That is not so bad, but still is not good enough to rescue our text. Strabo puts it on record that the ditch was 60 feet deep and 260 feet long. It could not occur to him therefore that Pompey expected, let alone achieved, results from one-day Jewish idleness on Tenth Tishri. He meant therefore, to say that Pompey used more than one 'fast-day' when the Jews were idle. And, if so, he must by 'fast-day' mean 'Sabbath', only one fast-day proper being possible in a three-month period.

With the Strabo-text's support withdrawn, Tenth Tishri's sole support is Josephus *A.J.* 14,4.3 ἀλοῦσης τῆς πόλεως περὶ τρίτον μῆνα τῇ τῆς νηστείας ἡμέρᾳ. This support, such as it is, is weakened by the fact that Josephus *B.J.* 1,7.4 in the parallel passage affirms the third month, but omits to mention the fast-day. It is further weakened by the fact that Josephus *A.J.*

Hence it is reasonable to presume that B, if a condensation, may well be Strabo's condensation of his *History*.

In any case the close family-relationship of the three accounts of Pompey's decisive sharpness given by A, B, and C is unquestionable. It is worth while to set out some of the features again for special notice :

B.—Strabo : τηρήσας τὴν τῆς νηστείας ἡμέραν ἥνικα ἀπελ-
χοντο οἱ Ἰουδαῖοι παντὸς ἔργου πληρώσας τὴν τάφρον καὶ
ἐπιβαλὼν τὰς διαβάθρας.

C.—(B.J.) : τὴν τε τάφρον ἔχου καὶ τὴν Φάραγγα πᾶσαν...
χαλεπὸν ἢ ἦν τὸ ἀναπληροῦν... εἰ μὴ τὰς ἐβδομάδας ἐπιτηρῶν...
ἐν αἷς παντὸς ἔργου διὰ τὴν θρησκείαν χειρὰς ἀπίσχουσιν
Ἰουδαῖοι ἀναπεπληρωμένης τῆς Φάραγγος πύργους
ὕψηλοὺς ἐπιστήσας τῷ χώματι

D.—(A.J.) : μόλις πλησθείσης τῆς τάφρου ... προσβαλὼν
μηχανὰς ... ἐπιστήσας ... εἰ δὲ μὴ πάτριον ἦν ἡμῖν ἀργεῖν τὰς
ἐβδομάδας ἡμέρας ... ὁ δὲ καὶ Ῥωμαῖοι συνιδόντες κατ' ἐκείνας
τὰς ἡμέρας, ἃς δὲ σάββατα καλοῦμεν, ... χοῦν δὲ καὶ πύργους
ἀνίστασθαι.

This triple similarity of language is concerned with one message—how sharp-eyed Pompey won his victory by selecting for filling ditch and for securing assault-position a time when the besieged Jews could not obstruct him. All three accounts agree in all respects but one—the time selected. C and D say, the Sabbaths ; B says, the fast-day—which the Greek fully allows to signify either one particular fast-day or (provided that more than one such fast-day could occur during the siege) more than one fast-day. All three accounts agree in all respects if B's 'fast-day' is understood as a (by no means here unique) gentile name for 'Sabbath'.

Substitute 'Sabbath' for 'fast-day' in B, and B is intelligible and the three accounts agree. Substitute 'fast-days' (Tenth Tishris) for 'Sabbaths' in A and C, and A and C are wholly unintelligible and the three accounts still fail to agree.

μόλις πλησθεισης της τάφρου διά βάθος ἀπειρον, προσβαλὼν μηχανὰς καὶ ὄργανα ἐκ Τύρου κομισθέντα ἐπιστήσας κατήρατε τὸ ἱερὸν τοῖς πετροβόλοις. εἰ δὲ μὴ πάτριον ἦν ἡμῖν ἀργεῖν τὰς ἑβδομάδας ἡμέρας, οὐκ ἂν ἠνύσθη τὸ χῶμα κωλυόντων ἐκείνων· ἀρχοντας μὲν γὰρ μάχης καὶ τύποντας ἀμύνασθαι διδωσιν ὁ νόμος, ἄλλο δὲ τι δρώντας τοὺς πολεμίους οὐκ ἔσθι. ὁ δὲ καὶ Ῥωμαῖοι συνιδόντες κατ' ἐκείνας τὰς ἡμέρας, ὡς δὲ σάββατα καλοῦμεν, οὐτ' ἐβαλλον τοὺς Ἰουδαίους οὐτ' εἰς χεῖρας αὐτοῖς ὑπήντωι, χοῦν δὲ καὶ πύργους ἀγίστασαν καὶ τὰ μηχανήματα προσήγον, ὥστ' αὐτοῖς εἰς τὴν ἐπιούσαν ἐνεργὰ ταῦτ εἶναι.

Notable differences between *B.J.* and *A.J.*, take the form of statements found in *A.J.* and not found in *B.J.*

D.—Jos. *A.J.* 14,4,3-4 : καὶ γὰρ ἀλούσης τῆς πόλεως περὶ τρίτον μῆνα τῇ τῆς νηστείας ἡμέρᾳ, κατὰ τὴν ἐνάτην καὶ ἑβδομηκοστὴν καὶ ἑκατοστὴν, Ὀλυμπιάδα, ὁπατευόντων Γαίου Ἀντωνίου, καὶ Μάρκου, Τυλλίου, Κικέρωνος, οἱ πολέμιοι μὲν εἰσπεσόντες ἐσφαττοῦ τοὺς ἐν τῷ ἱερῷ, . . . ὁ μέγιστος τῶν πύργων κατηνέχθη καὶ παρέρρηξέ τι χωρίον, εἰσεχέοντο μὲν οἱ πολέμιοι. [*Cr. B.J.* 1,7,4 : τρίτῳ γὰρ μηνὶ τῆς πολιορκίας μόλις ἕνα τῶν πύργων καταρριψάντες εἰσέπιπτον εἰς τὸ ἱερὸν.].

E.—Jos. *A.J.* 14,4-3 : μαρτυροῦσι πάντες οἱ τὰς κατὰ Πομπήιον πράξεις ἀναγράψαντες, ἐν οἷς καὶ Στράβων καὶ Νικόλαος καὶ πρὸς τοῦτοις Τίτος Λίβιος ὁ τῆς Ῥωμαϊκῆς ἱστορίας συγγραφεύς. [*Cr. B.J.* 1,7,4 : no list of authorities given].

B cited above (Strabo *Geog.* 16,2 40) looks like a condensation. The fact that Strabo *Geog.* 15 uses Nicolas, together with ὡς φασι, may suggest condensation of Nicolas. On the other hand, Strabo's *History* dealing with Pompey's career and agreeing closely with Nicolas (teste Josepho, who used both Strabo and Nicolas for Pompey) had already appeared in advance of his *Geography*, and in D and E cited above (Josephus *A.J.* 14,4,3) Josephus both claims to use Strabo along with Nicolas and actually states that the capture took place on the fast-day.

that in respect of ninety per cent of the matter either one account must be so much rewriting of the other or both accounts together must be so much reproduction of some one source. Agreements include emphatic statement of Pompey's astuteness in using against the besieged Jews their Sabbath-scruples ; which scruples (it is contended) alone enabled him to fill up ravine and ditch and mount his final assault. It is necessary to quote at length this emphatic statement-in-duplicate and to compare it with the much shorter parallel statement in Strabo, for convenience sandwiching the Strabo between the Josephus-pieces.

A.—Josephus *B.J.* 1,7.3 : αὐτὸς δὲ κατὰ τὸ προσάρκτιον κλίμα τὴν τε τάφρον ἔχου καὶ τὴν φάραγγα πᾶσαν, ὕλην συμφορούσης τῆς δυνάμεως. Χαλεπὸν δ' ἦν τὸ ἀναπληροῦν διὰ βάθος ἀπειρον καὶ τῶν Ἰουδαίων πάντα τρόπον ἐργόντων ἄνωθεν. κἂν ἀτέλεστος ἔμεινεν τοῖς Ῥωμαίοις ὁ πόνος, εἰ μὴ τὰς ἐβδομάδας ἐπιτηρῶν ὁ Πομπήιος, ἐν αἷς παντὸς ἔργου διὰ τὴν θρησκείαν χειρὰς ἀπίσχοysin Ἰουδαῖοι· τὸ χῶμα ὕψους τῆς κατὰ χεῖρα σύμβολῃς ἐργῶν τοὺς στρατιώτας ὑπὲρ ἴδονου γὰρ τοῦ σώματος ἀμύνονται· τοῖς σάββάτοις· ἤδη δ' ἀναπεπληρωμένης τῆς φάραγγος πύργους ὕψηλους ἐπιστήσας τῷ χῶματι καὶ προσαγαγὼν τὰς ἐκ Τύρου κοίμισθεις μηχανὰς ἐπειράτο τοὺς τείχους. ἀνέστελλον δὲ αἱ πετροβόλοι τοὺς καθόπερθεν κωλύοντας. ἀντεῖχον δ' ἐπὶ πλεῖον οἱ κατὰ τοῦτο τὸ μέρος πύργοι μεγέθει τε καὶ κάλλει διαφέροντες.

B.—Strabo *Geog.* 16,2.40 : κατελάβετο δ', ὡς φασι, τηρήσας τὴν τῆς νηστείας ἡμέραν ἡνικα ἀπείχοντο οἱ Ἰουδαῖοι παντὸς ἔργου πληρώσας τὴν τάφρον καὶ ἐπιβαλὼν τὰς διαβάθρας.

C.—Josephus *A.J.* 41,4.2 : Πομπήιος δ' ἔωθεν στρατοπεδεύεται κατὰ τὸ βόρειον τοῦ ἱεροῦ μέρος, ὅθεν ἦν ἐπίμαχον. ἀνεστήκεσαν δὲ καὶ ἐνταῦθα μεγάλοι πύργοι, καὶ τάφρος δ' ὠρώρυκτο καὶ βαθεῖα περιείχετο φάραγγι· ὑπερρώγει γὰρ καὶ τὰ πρὸς τὴν πόλιν, τῆς γεφύρας ἀνατετραμμένης ἐφ' οὗ δὴ Πομπήιος· καὶ τὸ χῶμα ὁσημέραι ταλαιπώρως ἐγήγερτο, τεμνόντων τὴν πέριξ ὕλην Ῥωμαίων. καὶ ἐπειδὴ τοῦτ' εἶχεν ἱκανῶς,

POMPEY'S CAPTURE OF JERUSALEM ON TENTH TISHRI?

BY

D. L. DREW

Readers of the Bulletin interested in Semitic studies may care to have some of the Greek evidence re-presented at this moment when the Jerusalem Habakkuk Scroll comes up for editings. The scroll (column 11.7-8 in W. H. Brownlee's English translation of December 1948) speaks of an event resembling a divine epiphany as having occurred on a day which was at once a Day of Purim and a Day of Fasting. It is natural to see in this day a Tenth Tishri—the only Levitical Day of Purim *cum* Day of Fasting. In his recent lecture (26th May, 1950), published as "Observations sur le Commentaire d'Habacuc découvert près de la Mer Morte", A. Dupont-Sommer invites us to associate the event with Pompey's capture of Jerusalem in 63 B.C. Whatever the merits of Professor Dupont-Sommer's interpretation of the apparent epiphany as an apotheosis achieved by the Teacher of Righteousness, Pompey's capture must be considered seriously, if in fact it took place on Tenth Tishri. Jewish history records for Tenth Tishri so few outstanding events that we can afford to neglect none recorded. And there is some evidence for placing capture on Tenth Tishri (in Josephus and Strabo) rather stronger apparently than the cruder counter-evidence yet available (in Dio Cassius).

* * *

Josephus gives two accounts of the capture, in *B.J.* 1,7,2-4 and in *A.J.*, 4,14,2-4. These accounts agree closely in incident, phrasing, sequence, sentiment, and general theory—so closely

Catholic Christian literature, though it may have existed in real life as we may judge by the lives of famous magi. The God of the Christians is generally more chary with revelation and does not communicate the gnos̄is to man beyond certain limits, even in the gnos̄is-loving Protestant interpretation of Christianity. This is why the vital vocation of the alchemist is always looked upon as a trespassing on forbidden regions, and the profound suspicion of the place of science in our essentially scientific modern civilization is but one aspect of this distrust of knowledge inherent in the Christian dogma, increasing and decreasing with the flow and ebb of religious sentiment. The most that the Protestant outlook could do was to plead for a certain order of temporal knowledge, on the assumption that it is not unholy, but it never relaxed its denigration of unholy knowledge, which it styled Faustian or Mephistophelian.

For in the Protestant outlook, the theft of the "gnosis", exculpated by Predestination, compels sufficient sympathy for the fallen sinner, and the Christian sense of guilt is not only preserved but also enhanced by the very idea that original sin is never completely washable and that, unless Grace intervenes, damnation is in store for the entire race. This belief in the ineradicable evil nature of man raises Necessity to the dignity of a second Deity and through this dualistic conception supplies the basis of the dramatic conflict. It places every human being in the position of Faustus, of Hermes, of Prometheus and of Lucifer, and therefore makes their fall universally felt and, consequently, suitable subject for tragedy.

This explains why from the Reformation onwards the comic or humorous treatment of the story of the alchemist as in Chaucer, Greene and Ben Jonson gave way to tragic treatment as in Shakespeare's Friar Lawrence, in Marlowe's Dr. Faustus and eventually in Frankenstein, called by Mary Shelley the "Modern Prometheus", and all derivative literature.

The Modern Prometheus is the Creative Scientist, principally the Alchemist. An alchemist with no sense of sin is a Hermetist; an alchemist with a moral problem is a Promethean. The Hermetic alchemist is fully reconciled with God and views knowledge, even of the elixir of life, as a divine gift. The daemon that obsesses him is a blessed daemon, an Agathodaemon, the very tutor of Hermes. The Promethean alchemist is obsessed by an evil power, an Alastor, or simply he is a prey to his own sense of guilt: he is a Hermetist in his claim to the gnosis, but he is Christian in his expiation for it. Hence the Frankensteinian experience in a Protestant world is, like the Faustian, a sordid experience. Faustus stands for the alchemist of the Middle Ages; Frankenstein stands for the chemist of the Modern World. The new symbol renovates the old. The pure Hermetic type to whom knowledge had no boundaries and creativeness was the holy gift of God probably never existed except in propagandist

for Lear as victims to wanton gods who kill them for their sport. In such a world even Faustus is not entirely responsible for his fall. In such a world, were it permissible to write a tragedy on the fall of Satan Milton would have done it. But to write a tragedy on the fall of Satan is more than Christianity would allow, as that implies undisguised compassion for the arch-enemy of God, and, perhaps, a degree of suspicion in the ways of God to his creatures. Besides, Milton was a believer in Free Will. Hence Milton chose the epic-form, where admiration for the hero needs not imply admiration for his cause. The tragic-form is too compromising in the case of Lucifer. In the case of Faustus it is possible, because Faustus is not commensurate with the Principle of Evil on a cosmic scale.

The Hermetic attitude is like its extreme opposite, the Catholic attitude, essentially undramatic, because it only recognizes a blithe Hermes. Though it makes a distinction between holy and unholy knowledge, yet in practice it accepts all knowledge as holy provided it is lawfully acquired, i.e. provided it is acquired by the class specially equipped for the reception of the gnosis, the Hermetics, and provided it is acquired by white magic (science). Knowledge is unholy only when it is Promethean, i.e. acquired by the potters with the help of black magic. Then it is a sin, and the sinner must suffer for it. His fall does not move us to pity, for he is either a villain pure and simple or a blundering fool, and not a hero. Hence, from a strictly Hermetic point of view, the fall of Prometheus is untragic. The absence of agony and contest in both attitudes excludes the possibilities of drama in the treatment of the story of the First Thief. In Hermetism the career of the alchemist ends by his apotheosis, his ascension in a "column of light" to the abode of the immortals; in Christianity it ends by his utter destruction without pity or hope of future pardon.

Drama only thrives when Hermetic Christianity flourishes; when the Protestant outlook or any similar theodicy prevails.

his expulsion from Oxford, Shelley wrote to Hogg from Field Place about June 27, 1811 saying: "I am a perfect hermit". In *Alastor* (1815) he portrays himself as a hermit. We know that he used to swear by Franklin, which places Franklin and the creative scientist in general in the position of the Allfather a truly Hermetic attitude. That Mary Shelly shared many of her husband's views is proved by her contributions on men of science to the "Cabinet Encyclopaedia".

From a strictly Catholic Christian point of view, all knowledge (particularly its higher form) is Mephistophelian, for Prometheus, Mephistophiles and even Hermes himself are one and the same person: Lucifer. By the application of Divine Justice following the exercise of Free Will the theft of fire, the gnosis, vying with God in creativeness and all other forms of sin original or worldly, are essentially untragic, essentially undramatic, for the simple reason that where Free Will is assumed the sinner bears full responsibility for his sin and we can have no compassion for his suffering. His story affords good material either for comic treatment, as in the case of Faust whose story was treated in puppet-shows during the first half of the sixteenth century before the full efflorescence of the Protestant outlook, or good material for epic treatment, if the "agon" or contest is intense. In the first instance, the sinner becomes a straightforward villain to be ridiculed, his suffering merited and therefore enjoyed by the beholder. In an epopee we sympathize with all the persons in the contest being all heroes with varying degrees.

What the Reformation revived in Europe was Predestination, and with Predestination the Drama. For in a world ruled by the iron grip of Necessity there is room for sympathy even with a downright sinner. The idea that we are puppets, or poor players that fret and strut our hour or that all the world is a stage is the basis of all drama. It exonerates Macbeth, finds excuse for Othello, makes us pity Hamlet and inspires us with sorrow

The story of the Dipsian snake, used by Shelley in his Promethean drama (to be found in Aelian's *Natural History*; cf. Sophocles, Ibycus, Epicharmus, Aristaeas, etc., in Aelian) proves that Hermetism from the earliest times was concerned over the elixir of life and similar practices, not as forbidden knowledge but as the gift of Zeus. For, the story begins, when Prometheus stole the fire of the gods, Zeus "gave those who told him of the theft a charm to avert old age" as a reward. Those who denounced Prometheus were none other than the Hermetics, we judge by the profound opposition between Prometheus and Hermes. Propertius (*Elegies* Bk. I, xii, lines 5-10) tells us of "some magic herb gathered on Promethean hills for the sundering of lovers". The love-potion administered by the Hermetic in his cell produced the opposite effect, which only confirms the diametrical opposition between the Luciferan malignity of Prometheus and the blessedness of Hermes.

Shelley followed with interest the Hermetic tradition and was greatly attracted by it. In fact he was a Hermetic himself. His Platonism has been discussed by many critics and his Hermetic leanings were a direct outcome of his Platonism, for the line of Pythagoras ran through Aeschylus, Plato, then the entire Hermetic movement of the Messianic Age whose principal protagonists were the neo-Platonists and the Gnostics. The magi of the preceding century, St. Germain (1710-1784), the Grand Copht (1743-1795), Mesmer (1733-1815) were a living reality in the age of Shelley. He read *The Magus* of Francis Barrett (1801) and he fell under the spell of Freemasonry whose defence came from Rosicrucian and Hermetic centres. He was attracted by Arrianism which is essentially a Hermetic interpretation of Christianity. His favourite picture of himself is that of a hermit, and for some time in his middle literary life he signed himself "The Hermit of Marlow" as in the case of his "Proposal for Putting Reform to the Vote" and his "Address to the People". As early as the *Rosicrucian*, after

For in Hermetism the hero is generally followed not by an Alastor or an Evil Spirit but by an Agathodaimon or a Good Spirit; and it makes a great difference whether the hero is possessed by Prometheus or by Hermes.

In Hermetism, far from being sinful and forbidden, knowledge is a gift of God, provided, of course, it does not aspire too high, or, more precisely, provided it is acquired by divine sanction and put to holy use. The line of demarcation between holy and unholy knowledge is very shifty, though in theory, Hermetism never went as far as to include the philosopher's stone and the elixir vitae in the bounds of permitted knowledge. The great contradiction arises from the fact that Hermetism in theory professes the thorough asceticism of the hermit yet in practice finds use for research whose unique purpose is to turn lead into gold and to renovate youth or even to abolish death altogether. In the Preface to Roger Bacon's *Cure of Old Age* (translated by R. Browne, London, 1683), it is said that "Some report he made a Brazen Head that spake, and think he did it by the help of the Devil. But, Albertus Magnus did the same and Boethius the like without any other Magick than Nature". Roger Bacon himself adopted the same position centuries before, and his main argument in his own defence was that alchemy is a science and not the work of magic. Francis Bacon in his *Advancement of Learning* makes the same distinction between science and magic and even goes as far as to reduce the search for the elixir vitae and the philosopher's stone to orthodox science. In the past they expressed the difference between holy and unholy knowledge by the terms of white and black magic.

Thus, from a Hermetic point of view, the entire question of knowledge is not so much one of range as of technique; which, alone, decides whether knowledge is holy or unholy, the gift of God or the snare of the Devil; Promethean or Mephistophelian; as Mr. Basil Willey erroneously describes it in his earlier *Background*; for both are in reality the same thing.

the attitude of the Rosicrucian is largely the same as the attitude of Frankenstein. Frankenstein's repentance for the sin of creation is manifested in his refusal to allow his creature to propagate and afterwards in his determination to destroy him. It is a form of refusal to deny the existence of God like Wolfstein's own. The automatic death of Wolfstein following the death of his master, Ginotti, is a striking parallel to the death of the Being following the death of his creator, Frankenstein. In *Frankenstein* the death of the Being is clearly explained by the theory that, by the law of nature, no creature is allowed to survive his creator. In the *Rosicrucian* the death of Wolfstein is not explained at all but, we may suppose, was a moral necessity, if not as an expiation for his crimes, at least because he was possessed of the secret of deathlessness. In both cases the result is the same: the restitution of the existing order.

One of the marked differences between the *Rosicrucian* and *Frankenstein* is that in the former there is a sense of fatality about the quest of forbidden wisdom, whereas in the latter it is the fruit of the exercise of free will. Ginotti follows Wolfstein as his own shadow and from his hidden lurks plans out the hero's life for him against his own will. This motif is permanent in Shelley's philosophy and gives significance to much of his poetry. "And what so horrible crimes have I committed", exclaimed Wolfstein, driven to impiety by desperation; "what crimes which merit punishment like this?" "The fiends of fate are heard to rave And the death-angel flaps his wings o'er the wave". "Yes! 'tis the influence of that sightless fiend, Who guides my every footstep, that I feel: An iron-grasp arrests each fluttering sense, And a fell voice howls in mine anguish'd ear: 'Wretch, thou mayest rest no more,'", etc. The entire conception of *Alastor* is based on this idea of the hero being followed doggedly by the Evil Spirit which impels him to feel and act creatively. But this is opposed to the cardinal principle of Rosicrucianism and all other forms of Hermetism.

If we forget that the immature Shelley identified himself with all his characters that he was at once the diabolical Ginotti, the suffering Wolfstein, the gallant Mountfort and the sentimental Irish lover Fitzcuestace, and if possible also the colourless Steindolf, etc., he was essentially Wolfstein, the hero of his story. The underlying idea of the *Rosicrucian*, as far as one can make it out, is that a certain individual is sometimes prepared by fate, usually expressing itself as an ancient curse or unwashable sin in the family, for the unholy life of the rebel against the laws of God or what Shelley calls in his novel the sense of right and wrong. In such circumstances the hero falls painfully between two crushing forces, on the one hand faith or conscience or the scale of right or wrong, and on the other hand, the Satanic evil spirit pursuing him with unrelenting vigilance and tempting him with the pleasures of life, the pomp of power and, above all, the elation of immortality gained through forbidden knowledge. Such was the condition of Wolfstein, and, of course, of Shelley himself. It is also the problem of Manfred and of Frankenstein, of Faustus and of Prometheus. Some of these types succumb to the evil spirit, sign compacts with the devil and pay for it in the end. Others do not, like St. Cyprian for instance and the St. Irvyne of Shelley, i.e. Wolfstein. Though they may die like martyrs because they cannot survive the evil spirit that dominates them, yet they are spared the eternal woes of hell-fire. Shelley as Wolfstein, though three months later (march 25, 1811) he was expelled from Oxford on account of the *Necessity of Atheism*, refused "to deny his Creator". The *Rosicrucian* being a composition of his Eton days, we may infer that the difference of attitude could have been due to the growth of Shelley's atheistic tendencies.

The problem of the existence of God, we may assert, was present in Shelley's mind even before he was fifteen, for there can be no doubt that, when he called young Andrew Amos "apurist", he modelled that word on the term atheist. However, whatever may have been the development of Shelley himself,

inconsistent and puerile purple patches, and not relieved by the high-spirited orotundity and swift, balanced and graceful sweep of this master of poetic prose whose *Defence of Poetry* so bewitched an experienced critic like Matthew Arnold as to make him declare that Shelley's true medium was prose rather than poetry, but rendered unreadable by stereotyped storminess and jerky turns of phrase.

The scene of action in the *Rosicrucian* is, for the most part, the Alps, "whose gigantic and misshapen summits, reddened by the transitory moonbeam, were crossed by blank fleeting fragments of the tempest-cloud". Its hero is Wolfstein, the young heir of St. Irvyne who falls, with his innocent sister Eloisa, under the domination of the Satanic Ginotti, master of the occult science and discoverer of the secret of immortality. Both are shifted about and made to act by the will of Ginotti without knowing it. But, apart from the discovery of the Elixir of Life, the thesis of the *Rosicrucian* is more like that of Lord Lytton's *The Huncamulches* and *The Huncamulches* than like that of *Frankenstein*. Eloisa is finally saved from the evil influence of Ginotti by an English chevalier named Mountfort and is taken to England by her Irish lover Fitzcarriger with her illegitimate child by Ginotti who had posed to her as de Nempere, seduced her, then sold her to the chevalier Mountfort to cancel a gambling debt. Wolfstein, however, succumbed to the spell of Ginotti, and by repeated crimes brought upon himself misery, but was saved from eternal damnation in the end by refusing to deny his Creator as Ginotti wished him to do. The temptation was great. For there lay his beloved wife Megalena, mysteriously dead, and Ginotti, possessing the power to bring her back to life, would not resuscitate her unless Wolfstein renounced his faith in God. "Wilt thou not?" thundered Ginotti. "No, no,—any thing but that", replied Wolfstein. In a moment Ginotti "mouldered to a gigantic skeleton, yet two pale and ghastly flames glared in his eyeless sockets". Wolfstein too fell dead in expiation for his sins, yet "over him had the power of hell no influence".

exceeded my most sanguine expectations. *Love* I cared not for ; and wondered why men perversely sought to ally themselves with weakness. Natural philosophy at last became the peculiar science to which I directed my eager inquiries ; thence was I led into a train of labyrinthic meditations. I thought of *death*—I shuddered when I reflected, and shrank in horror from the idea, *selfish and self-interested* as I was, of entering a new existence to which I was a stranger. I must either dive into the recesses of futurity, or I must not, I cannot die.—‘ Will not this nature—will not the *matter* of which it is composed, exist to all eternity ? Ah ! I know it will ; and, by the exertions of the energies, with which nature has gifted me, well I know it shall. This was my opinion at that time : I then believed that there existed no God. Ah ! at what an exorbitant price have I bought the conviction that there is one ! ! ! Believing that priestcraft and superstition were all the religion which *man* ever practised, it could not be supposed that I thought there existed supernatural beings of any kind. I believed *nature* to be self-sufficient and excelling ; I supposed not, therefore, that there could be anything beyond nature.

“ I was about seventeen : I had dived into the depths of metaphysical calculations. With sophistical arguments had I convinced myself of the non-existence of a First Cause, and, by every combined modification of the essences of matter, had I apparently proved that no existences could possibly be, unseen by human vision ”

The autobiographical element in the *Rosicrucian* is very strong, and it is certain that Mary Shelley was acquainted with the novel and was consciously constructing her *Frankenstein* on it, that is to say in parts, and on what she knew of her husband's early life. The general clumsiness and lack of suppleness in the style of *Frankenstein* are of the same quality as in the early writings of Shelley, where the storm and stress are not ennobled by genuinely rich imagery but debased by a plethora of

found an echo in the discussions between Frankenstein and Clerval. In a sense Hogg was Shelley's first victim for Hogg's expulsion from Oxford was due to his coming to Shelley's defence after the publication of the "Necessity of Atheism".

Shelley's interest in chemistry was essentially alchemical. He never studied chemistry or physics or any other branch of science systematically but only, in the words of his Eton-mate, Andrew Amos, as a "means of producing interesting and dazzling results", though he believed that science held the secret of life and regeneration. When Shelley went up to Oxford at the age of eighteen he was already the author of two published books, the Gothic thriller called *Zastrozzi* and *Original Poetry of Victor and Cazire* written conjointly with his sister Elizabeth, but he also brought to Oxford the manuscripts of two other works *The Wandering Jew* and the novel called *St. Irvyne, or the Rosicrucian*, which latter his publisher Stockdale, first puzzled by the fact that one of its characters appeared to die twice, got Shelley to put into shape and by December 10, 1810 the book was printed and bound. It was advertized in *The Times* of January 26 and February 2, 1811 as the "University Romance", a very suggestive designation considering that Frankenstein himself was a Rosicrucian and that his romance was also a University Romance.

Like Frankenstein, the villain of *St. Irvyne or the Rosicrucian* called Ginotti possessed the secret of the Elixir Vitae which he was to impart to Wolfstein. Ginotti sketches out for Wolfstein the evolution of his own life, which is precisely the early life of Shelley himself:

"From my earliest youth, before it was quenched by complete satiation, *curiosity*, and a desire of unveiling the latent mysteries of nature, was the passion by which all the other emotions of my mind were intellectually organized. This desire first led me to cultivate, and with success, the various branches of learning which led to the gates of wisdom. I then applied myself to the cultivation of philosophy, and the éclat with which I pursued it

crucibles, bags and boxes, were scattered on the floor and in every place; as if the young chemist, in order to analyse the mystery of creations, had endeavoured first to reconstruct the primeval chaos. The tables, and especially the carpet, were already stained with large spots of various hues, which frequently proclaimed the agency of fire. An electrical machine, an air-pump, the galvanic trough, a solar microscope, and large glass jars and receivers, were conspicuous amid the mass of matter, etc." Shelley demonstrated his galvanic battery and his other electrical and chemical instruments before Hogg to prove to him the splendid future of science. He gave him by mistake aqua regia in a cup of tea. All this happened on the next day Shelley and Hogg met at Oxford:

Hogg, we know, neither savoured, nor took seriously, the scientific tastes of Shelley, and gradually Shelley himself abandoned his experiments. But the very first day Shelley and Hogg met, Shelley left Hogg in the evening to attend a lecture on mineralogy but was soon to return to his new friend disappointed, for the lectures had nothing to talk about except "stones! stones, stones, stones! nothing but stones!" a very poor contrast to Walker who fired the imagination of Shelley at Eton with his public hymns in praise of science and his inordinate faith in its future. Frankenstein, like Shelley, attended the lectures of two professors, one sympathetic and full of vision, the other dull and pompous. Of the two Waldmann is Adam Walker.

To proceed with this parallel between the life of Frankenstein and the life of Shelley, we may identify Clerval with Hogg. It seems as if Mary Shelly drew the names of her heroes from her immediate surroundings. "Clair + val" is obviously a variation on "Clair + mont", and since Hogg himself studied at Inglostadt and not at Oxford, he had to have a continental name. Inglostadt itself is a town which nearly signifies the town of the English or the English town, which could be Eton or Oxford or both. Hogg's failure to appreciate Shelley's scientific pursuits has

Of thy deep mysteries. I have made my bed
In charnels and on coffins, where black death
Keeps record of the trophies won from thee,
Hoping to still these obstinate questionings,
Of thee and thine, by forcing some lone ghost
Thy messenger, to render up the tale
Of what we are. In lone and silent hours,
When night makes a weird sound of its own stillness,
Like an inspired and desperate alchymist
Staking his very life on some dark hope,
Have I mixed awful talk and asking looks
With my most innocent love, until strange tears
Uniting with those breathless kisses, made
Such magic as compels the charmed night
To render up thy charge: etc...

Hogg tells us in his *Life of Shelley*, that when Shelley was at Eton he stole away one evening at midnight, resolved to raise a ghost. Crossing the fields with a skull in his hand, he dared not look back lest he should be followed by the devil, until finally he reached a small stream in a secluded spot. Shelley bestrode the stream, drank thrice from the skull, repeated aloud his incantations and waited for the ghost to appear. When no ghost appeared he went back to his college blaming his own lack of skill in magic. In his boyhood days Shelley's mind, Medwin tells us in his *Revised Life of Shelley*, "ran on bandits, castles, ruined towers, with mountains, storms and apparitions—the terrific".

Shelley's interest in chemistry and physics lasted with him throughout his Oxford days, and Hogg's famous description of his rooms attests to those interests: "Books, boots, papers, shoes, philosophical instruments, clothes, pistols, linen, crockery, ammunition, and phials innumerable, with money, stockings, prints,

from Shelley's letters to Godwin of January 10, 1812 and June 3, 1812, that Shelley read at Eton "with an enthusiasm of wonder, almost amounting to belief" the "ancient books of Chemistry and Magic", namely, Albertus Magnus whom he read in Latin and Paracelsus whom he read in translation. Of contemporary scientists Medwin (*op. cit.*) tells us that Shelley read Franklin and Condorcet at Eton, quoting them to support his theory of the triumph of mind over matter. Shelley, Medwin adds, "swore by Franklin".

From Hogg (*Life of Shelley*) we learn something which probably has great bearing on the composition of *Frankenstein*. We learn that, while still at Eton, Shelley, in one of his vacations spent at Field Place, planned to gain access to the charnel-house at Warnham Church and to watch over the bones of the dead. This scene, with similar experiences, is preserved in the "Hymn to Intellectual Beauty" (stanza V):

While yet a boy I sought for ghosts, and sped
Through many a listening chamber, cave, and ruin,
And starlight wood, with fearful steps pursuing
Hopes of high talk with the departed dead.
I called on poisonous names with which our youth is fed:
I was not heard: I saw them not.

In *Alastor* too, written in 1815, there are reminiscences of Shelley's visits to charnel-houses during his early life (lines 18 et seq.):

Mother of this unfathomable world!
Favour my solemn song, for I have loved
Thee ever, and thee only; I have watched
Thy shadow, and the darkness of thy steps,
And my heart ever gazes on the depth

"I think I hear, as if it were yesterday, Shelley singing, with the buoyant cheerfulness in which he had often indulged, as he might be running nimbly up and down stairs, the Witches' songs in 'Macberth'. I fancy I still hearken to his

Double, double, toil and trouble,
Fire burn, and cauldron bubble.

"From this period my intimacy with him slackened. Not following his new passion with the same zeal as himself, we now seldom walked or boated together in the hours between school-times. He used to call me—in a tone not altogether unfriendly, but still, evincing displeasure approaching to bitterness—by the appellation of *Apurist*; indicating classically thereby one who did not appreciate properly the element of *fire*".

When Shelley called Andrew Amos "apurist" he must have been about fourteen, for when he was living with Amos he was still a junior boy at Eton, (he went up at the age of twelve); Amos' harsh judgment of his earliest companion at Eton, even a quarter of a century after the poet had fulfilled his mission in life, shows that, though he may have been a good barrister, he was one of the genuine apurists of the world. His note to the *Athenaeum* shows that Shelley could coin new words from his limited Greek vocabulary.

Walker was the Waldmann of *Frankenstein*, a professor who possessed not only knowledge but vision. His forecast of the steam-engine, hooted down by the Eton boys, is very reminiscent of Waldmann's prophetic words concerning the future of chemistry.

Shelley, as a boy was not satisfied with the factual courses of Adam Walker on electricity and was soon to go beyond the limited range of science into the mysterious world of alchemy. Thomas Medwin in his *Revised Life of Shelley* does not specify, any particular books on chemistry read by Shelley at Eton, because chemistry was a "forbidden thing" there. But we know

electrical machines. These found a ready sale amongst the boys ; much to the encouragement of infant science—and proving that the philosopher's man had found out the philosopher's stone. He made a small fortune for the time. Shelley was amongst the purchasers,—and, so daring and bold in his experiments; that he nearly blew up himself and Mr. Hexter's house into the bargain. Astronomy, like electricity, seized upon his imagination. His jubilee was night. His spirit bounded on the shadow of darkness, and flew to the countless worlds beyond it”.

Andrew Amos, another Eton fag who lived with Shelley as a lower boy, also wrote to the *Athenaeum* (issue of April 13, 1848) of his recollections of Shelley stressing the same chemical interests pointed out by Merle :

“Walker's lectures, mentioned by your correspondent, (meaning Merle), were perhaps an unfortunate occurrence for Shelley ; as they supplied him with the means of producing interesting and dazzling results, requiring very little application of mind, and as they increased his aversion to the studies of the school. By the way your correspondent will perhaps recollect that ‘Old Walker’ on the occasion of one of his lectures, at which both Shelley and myself were present, said, ‘Perhaps in the time of my son, if not in my own, it may come to pass that he or I shall get down from London to lecture here without being drawn by horses, but impelled by steam’,—and that thereupon there was a deafening shout of derision from nearly three hundred boys at this Walker and his Eureka.

“After attending Walker's lectures, Shelley became transported with a love of chemical experiments. He did not, however, I believe, study any scientific works upon the subject:—and I think it would have been happy for him if the multitude of boys at a public school had not rendered it almost impracticable for the tutors to watch, and endeavour at least to exercise some control in directing, the pursuits and dispositions of their pupils.:

In more than one way *Frankenstein* is a biography of Percy Shelley himself written by his wife, for the career of *Frankenstein* closely corresponds to Shelley's own. We know that Shelley, as a boy, and indeed at all the stages of his life, was keenly interested in alchemy and in chemistry. Whether at Eton or at Field Place or at Syon House Academy he had his little Laboratory of chemical and electrical equipments. Shelley's interest in fireworks when still at Eton has been noted by all his biographers. He conducted experiments with chemical brews, once almost blew himself up and at another time almost poisoned himself. Once he electrified with his galvanic battery the Eton tutor "Butch" Bethell. His interest in chemistry found satisfaction in the lectures and demonstrations of Adam Walker at Eton who gave his course in alternate years. From Adam Walker's assistant Shelley bought small electrical machines which he installed at Field Place.

W. H. Merle wrote to the *Athenaeum* (issue of March 4, 1848) of his Eton reminiscences in connexion with Shelley's boyhood:

"Another circumstance I perfectly remember;—and name it because I feel certain that it called into active play a host of thought and feeling. In Shelley's days there used to be one 'Walker' who lectured on astronomy, chemistry, mechanics, etc. I allude to the 'Old Walker' as he was called; a man self-taught for the most part, but possessing much of talent, and being in his nature a thousand times more clever than much learning could ever make his son. Shelley, and myself and many others attended 'Old Walker's' lectures; and it may easily be imagined how the wonders of heaven, earth and electricity would seize on a mind like Shelley's. Boys have fashions in their playthings—and experimental electricity became the rage. 'Like master like man', says the adage—and 'Old Walker's' servant and assistant had picked up a smattering of his master's knowledge sufficient to enable him to make small

identity of the author, as Shelley who handled all correspondence kept them ignorant of it (Vide *Julian Works*, IX, 234, 242, 252, 256, 272, 278). Afterwards, Charles and James Ollier, when they found out that Mary Shelley's novel outsold anything Shelley had ever written, sought to be Mary's publishers.

The Shelleys went back to Italy and were subsequently informed by Godwin and Peacock (to Shelley June 14, 1818; Leigh Hunt to Shelley August 4, 1818) of the favourable notice *Frankenstein* was receiving in England. The critic of the *Quarterly Review* XVIII, 324, May 1818) believed that Shelley was the author of the book and though admitting that the work had considerable merit, seized on the occasion to flog Shelley for the ways in which he employed his talents. In a note on the *Foliage* of Leigh Hunt, the critic of the *Quarterly Review* John Taylor Coleridge, who was Shelley's school-mate at Eton, attacks the person of Shelley as one who entered his name in hotel registers qualified with the epithet "atheos" but refrains from mentioning his name or reviewing his latest production (meaning *Frankenstein*) in order that he may not "lend notoriety" to it by reviewing it. Similarly, the *British Critic* (X, 94, July 1818), à propos of *Frankenstein*, says that "Mr. Shelley (1)—an unmentionable subject", could not be discussed on account of his vile immorality and dangerousness to public life. By way of commentary on this attitude of the reviewers towards him, Shelley in his letter to Peacock dated July 25, 1818 says: "Their notice of me, and their exposure of the true motives for not noticing my book, shews how well understood an hostility must subsist between me and them" (cf. Shelley to Hunt December 22, 1818).

(1) Referring to the Greek Demokritos, Philanthropos and Atheos Shelley once scribbled against his name in the register of an inn at Montanvert in 1816; the similar epithets he also inscribed against his name in the register of the Hôtel de Londres at Chamounix.

started on something we hear nothing of later. Similarly Byron set to work on a story called *The Vampire* which he left unfinished and which was completed by Polidori then published in 1819 and enjoyed a great vogue on the understanding that it was Byron's own. As for Polidori, Mary Shelley tells us that he began the story of a woman with a 'fleshless skull which he eventually abandoned, but Polidori himself states that he worked on a different story which he did complete and publish under the name of *Ernestine Berthold*.

At first Mary Shelley found some difficulty in hitting on a suitable subject. "Have you thought of a story?" Shelley asked her every morning. Then listening to a conversation between Shelley and Byron on the vital principle; the idea of *Frankenstein* struck her: "perhaps a corpse would be reanimated; galvanism had given token of such things". For some time after Mary Shelley spent sleepless nights haunted by the vision of "a pale student of the unhallowed arts engaged in creating a monster, at last endowed with life, and the shame and terror of the artist who had brought him into being". Thus *Frankenstein* was born and though no definite date is known of its beginning, it was finished on May 14, 1817.

Frankenstein was declined by Murray on June 18, 1817 and by Ollier, to whom it was submitted on August 3 of the same year, before August 15. Soon after, it was submitted, before August 22, to Lackington, Allen and Co. who accepted it. Shelley, who was then in England with Mary, expected to correct its proofs a month later and, on October 28, submitted some alterations; on December 3, a dedication. The printing of the book, though not the binding, was finished on December 23, *Frankenstein* was ready for distribution on January 2, 1818. A letter still in Ms. from Shelley to Walter Scott dated Jan. 2, 1818, states that on that very day he sent him a copy of the novel. The publishers of the book were Lackington, Hughes, Harding, Mavor and Jones, and even they did not know the

nightly boatings across Lake Leman and had to spend entire evenings indoors.

One evening, on the sixteenth of June 1816, they were kept in at the Villa Diodati by the rain. The book they read was a collection of German ghost-stories translated into French and entitled "Fantasmagoriana, ou Recueil d'histoires d'apparitions, de spectres, revenans etc.". For several evenings the conversation centred upon the subject of ghosts. On the evening of the 18th they were still confined by the storm and the rain, round the fireside of Byron who suggested the possibilities of apparitions and weird beings as materials for poetry, quoting passages from Coleridge's "Christabel", which he had seen in manuscript, to support his contentions. Shelley was very upset by the conversation, and as Byron recited the lines of Coleridge describing the secret of the witch's deformity there was silence for a moment, and Shelley, staring at Mary, uttered a terribly shriek, gestulated nervously, seized a candle and fled from the room. Gazing at Mary he evoked a long-forgotten vision of a witch he had once heard of who had eyes in the place of her nipples. Dr. Polidori's ether and cold compresses brought him back to normalcy. (Vide Polidori's *Diary* pp. 125-128 ⁽¹⁾; the story is corroborated by Byron's letter to Murray dated, May 15, 1819).

In the introduction written by Mary Shelley for the 1831 edition of *Frankenstein* we are told that Byron was the first to suggest the writing of the novel: "We will each write a ghost story, said Lord Byron; and his proposition was acceded to", says Mary Shelley. "You and I," he added, "will publish ours together". (Vide Thomas Moore: *Letters and Journals of Lord Byron* II, 21). Claire Clairmont was also there but she is ignored in all the accounts left to us by Mary Shelley. It is known that the next evening Shelley began an autobiographical thriller which he was soon to abandon. The next evening too Claire Clairmont

(1) "When silence ensued, Shelley, suddenly shrieking and putting his hands to his head, ran out of the room with a candle." Polidori.

place". (vide 19.58.) Of Hermes Lactantius says the same thing: "Unum proferam quod est simile divino, et ob nimiam vetustatem et quod is (Hermes) quem nominabo ex hominibus in deos relatus est". (vide Div. Inst. I. 6. i). Of Aesculapins Arab mythographers like Ibn Abi Osaybiyah relate the same tradition and repeat almost verbatim: "Le Dieu suprême a révélé à Esculape ce qui suit: Tu es plus digne que je t'appelle un ange qu'un homme... Hippocrate dit que Dieu a élevé à lui Esculape dans les airs, au milieu d'une colonne de lumière" (vide Sanguinetti in *Journal Asiatique*, 1853, IV, p. 184). To close the circle, the "Secretum Secretorum" tells us that Hermes and Enoch are the same person: "Quidam si quidem volunt et affirmant quod Enoch novit hoc secretum per visionem. Volunt enim dicere quod iste Enoch fuit magnus Hermogenes. Greci multum commendant et laudant, et ei attribuunt omnem scienciam secretam et celestem" (Vide Roger Bacon, op. cit. capitulum 27, pp. 98-99).

B.—FRANKENSTEIN

1

The circumstances attending the composition of "Frankenstein" are known fairly accurately. It was in Geneva where Shelley had been spending the summer of 1816 in the villa on Lake Lemán called Mont Alègre at the foot of the Jura and Byron moved from the Hôtel de l'Angleterre into the villa Diodati at eight minutes walk from Mont Alègre. The Shelleys, Byron and Dr. Polidori met regularly every evening. The weather was stormy and rainy and often kept the party at home, chiefly at the Villa Diodati, where they read and chatted until the early hours of the morning. "One night we enjoyed a finer storm than I had ever before beheld", wrote Mary Shelley to Peacock on June 1, 1816; but though they were thrilled by the wrath of the elements they could not always go on with their usual

Renaissance alchemist who brought the Hermetic origins of alchemy to the surface and even tried to interpret mythology by alchemical symbols was Michael Maier (1568-1622) author of the "Atalanta Fugiens" or "Atalanta Fleeing". He operated in the Prague of Emperor Rudolph II to whom he was physician and private secretary, the Prague of the Golem and of gold-makers. The thirteen laws of alchemy were reputed to have been engraved on the Emerald Tablet found in the tomb of Hermes.

The alchemists of the Renaissance hermetized everything and everyone, including Aristotle. In Roger Bacon's Latin version of the famous "Secretum Secretorum", (circa 1250), supposedly a book of Aristotle, preserved by the Arabs, in which the philosopher puts forward the duties and rights of a ruler for the benefit of his pupil, the great conqueror, Aristotle is spoken of as if he were Hermes. For in the "Secret of Secrets" it is said: "I have seen it written in several books of Grecian history that God made a revelation to him, saying: Verily I prefer to call thee an angel rather than a man. Strange and marvellous things are related about him which are too numerous to mention. There are different traditions about his death. It is contended by some that he died a natural death and is buried in his tomb which is well known, while the others affirm that he was lifted up to Heaven in a column of light".

In Bacon's Latin version we have: "Quedam enim secta que dicitur peripathetica asserit ipsum ascendisse ad empireum celum in columpna ignis⁽¹⁾". So Aristotle was lifted up in a "column of fire". Whether it was a "columpna ignis" or a "columpna luminis", is indeed immaterial for our present purpose. The ascension of Hermes, Aesculapius, Enoch or Idris, many names for the same hero, is an essentially Gnostic conception. Of Idris the Qoran says: "And mention in the Book Idris; verily he was a confessor, a prophet; and we raised him to a lofty

(1) Opera Inedita Rogeri Baconi, Fasc. V, "Secretum Secretorum", edidit Robert Steele, Oxford, Clarendon Press, 1920, vide Sections 32b and 33a, p. 36. The English translation is based on the Arabic Gothic Ms. (vide *Op. Cit.* fasc. V, p. 176).

one of the agents of Elijah. The pupils of Elijah never die unless they go over to black magic ; but, when their mortal course is run, they are lifted up into heaven like their sublime master". The pattern is always the same and even the slight variations confirm their common descentance from Hermes Trismegistus. The essential Gnostic detests the essential Christian and despises him because Hermes is a saviour without a sense of guilt while Christ expiated on behalf of all the sinner. The strength of the one and the weakness of the other is the gnosis. The slighting terms St. Germain and Cagliostro used when Christ was discussed are but distant echoes of the greater quarrels of the Messianic Age.

Alchemists often called themselves the "Sons of Hermes" and called alchemy the "Hermetic Art", which establishes their direct descentance from Hermes Trismegistus. The very word "alchemy" comes from "khemi" the denomination of Egypt, mother of Hermetism, the Hellenized form of the cult of Thoth. The sealed egg-shaped pot in which alchemists performed their dangerous experiments of the Elixir Vitae was called the Vase of Hermes, or the Hermetic Vessel. The Four Elements of Aristotle were eventually cut down by the alchemists to the "tria prima" or the "three hypostatical principles" or the alchemical triangle which was at the basis of all alchemical research from the Middle Ages onwards. Of Fire, Water, Earth and Air, fire and water were the elements that counted and their physical counterparts were sulphur and mercury respectively, commonly thought to be masculine (sulphur), feminine (mercury), and their conjunction produced the philosopher's stone which was sometimes represented as a child. Salt was the third element. The three elements were worked out as symbols of soul, which was sulphur, spirit which was mercury and salt which was body. "Know, then", wrote Paracelsus, (1493-1541), "that all the seven metals are born from a threefold matter... Mercury is the spirit. Sulphur is the soul and Salt is the body... the soul, which indeed is Sulphur... unites those two Contraries, the body and the spirit, and changes them into one essence". The

We have also seen how the theory of the Divine Right of Kings is more latent in Hermetic philosophy than in the original Christian dogma, and was therefore more suited to the needs of the feudal system and its Catholic Church than it was to the needs of the middle class and its Protestant Church. To sum up, between the Crusades and the great efflorescence of the Renaissance both the aristocracy and the bourgeoisie were equally interested in Hermetism, the ancient regime in its static, and the new order in its dynamic principles. The gnosis solved the problems of both classes, with one difference that the Catholic Church, unlike the Protestant Church, hampered by the spiritual communism of original Christianity never went as far as to accept the gnosis in theory though it accepted it in practice. Gerbert or Pope Sylvester II (999-1003) attests to the truth of this statement. Like Faust he had intercourse with Lucifer personified in a black dog, and like Friar Bacon who created a brazen head that told the future and answered any questions put forward to it he was accredited with the introduction of clocks and Arabic numerals from Islamdom into Europe, feats of magic also attributed to Roger Bacon. The agent between him and the devil was an Arab or a Jewish sage possessing a book of magic, following the traditional pattern of the magus. His charmed magical palace is only reminiscent of Solomon's own, and, like practically all the magi of history, a legend gathered around his death.

The Rosicrucians and Freemasons threw up similar creative types who triumphed over old age and even renovated their own bodies and tasted of deathlessness like Signor Gualdi, the Count of St. Germain and Cagliostro. They had laboratories in which they searched for the Elixir of Life and similar forbidden things. "I hold nature in my hands", said St. Germain, "and in the same way in which God created the world, so too I can conjure forth everything I wish from the void". The Grand Copht, Cagliostro, (1743-1795), was a living reality when Percy and Mary Shelley lived and wrote. Of him it was written in 1779: "Cagliostro is

among the magi of the Renaissance, in which case the true beginnings of the Renaissance will have to be shifted back to such great historical landmarks as the Crusades and the disintegration of the Arab Empire. The toleration of magic, and even the participation in it, by the black popes indicates that the Hermetic tradition had by the Crusades penetrated into the inner circles of the Catholic Church. The theory of a Catholic Church admitting a form of gnosis or communion with the power of the beyond in its inner circles is not altogether a fantastic theory, considering that in the degraded Christianity of the close of the Middle Ages, chiefly concerned with the preservation of feudal interest, the spiritual brotherhood of man becomes itself a cumbrous dogma entailing formal and material concessions which the feudal aristocracy was not prepared to make. What was needed was a form of Christianity in which the privileged in worldly possessions were also privileged in spiritual dominion. The complete bankruptcy of human intelligence, postulated by Christianity in its militant phase, equalized all men in the virtue of ignorance and flattered the revolutionary aspirations of the slaves by removing at least one strong barrier between the rulers and the ruled, namely, the gnosis. In a fully consolidated feudal system admission of equality, even on a purely formal plane, was inconsistent with the social and economic structure based on irretrievable class distinction, if not a real menace to it. The pretence of spiritual equality was thus dropped, and a race of black popes possessed of the gnosis and having intercourse with Lucifer sprang into existence. In fact a Catholic Church supporting a vested hereditary aristocracy needed for its survival the rigid hierarchical system of Hermetism more than the dynamic and self-made bourgeoisie. If predestination or spiritual determinism suited the revolutionary purposes of the nascent bourgeoisie as much as historical determinism suits the revolutionary purposes of the proletariat today, it also explained away an aristocratic society only hanging together by the ties of primordial privilege and divine discrimination between the different categories of mankind.

Simon Magus, Cyprian and Faust to Gerbert, Roger Bacon, the Rosicrucians, the Freemasons, Saint Germain, Cagliostro, Madame Blavatsky and Rasputin, not counting her minor magi. We have seen how Plato and Pythagoras and their progeny represented during the Messianic Age the Hermetic tradition based on the gnosis while Christ stood for the repentance of the gnosis as the original sin of humanity. The same applies to St. Cyprian whose repentance makes him no more a magus than Christ. It is only the accredited Gnostics who form the true line of the magi.

Similarly, as regards the Rosicrucians and the Freemasons of the Renaissance onwards, Professor E. M. Butler fails to connect them with the Hermetic tradition and she shows preference for the theory of spontaneous generation. The fact that Hermetism had to go underground after its defeat by Catholic Christianity does not mean that it expired completely or that its revival in the Renaissance was not a revival but the spontaneous creation of a few gifted men thrown up by the new social currents of Renaissance Europe. The alchemists of the Renaissance represent a flourish of an already existing tradition and Hermetism had survived after its defeat in secret brotherhoods and underground societies whose spread during the Renaissance implied the coming into light of a sect that had once been forced into the darkness. At any rate the community of empirical thinkers from Roger Bacon to Goethe are known to have been initiated Rosicrucians, and in the list appear not only the names of Agrippa, Paracelsus and Jakob Boehme but also those of Francis Bacon and Descartes.

The difficulty is to define when the Renaissance really began and how far Hermetism was tolerated by Catholic Christianity in the days of the eighteen black popes between John XII (965-972) and Gregory VII (1073-1085). The list is generally extended by the Lutherans so as to include Alexander VI (1492-1503) and after. There is no reason whatever not to count the black popes

Carl Spitteler, author of "Prometheus and Epimetheus", also deals with the theme of robots in his "Olympian Spring" ("Olympischer Frühling"), but his robot is Ananke or Fate which is called the Automaton and which grinds both men and gods.

4

To return from literature to reality and from fiction to fact, we find that this creative urge in man and the desire to vie with the gods do not only find expression in the art of writing but also in the life of man, or rather in the lives of certain individuals, real individuals, who stand in symbolic relation to the ages they live in. We can also identify whole epochs of history as manifesting the same creative urge, the same desire to vie with the gods. Such individuals we have already denominated the Prometheans and such epochs Promethean epochs.

Between the Messianic Age and the Renaissance all varieties of Prometheanism disappeared. The ebbing away of Prometheanism in literature characterizes the whole cycle of history called the Middle Ages. In her admirable book "The Myth of the Magus" dealing with the Promethean personalities across the ages Professor E. M. Butler has given no names between the Messianic Age and the Renaissance. This can hardly be a coincidence. The "Downfall of the Magus", as she calls it, during the Middle Ages corresponds to a decline of the creative urge and a lack of desire to vie with the gods, *i.e.* an unconditional acceptance of the will of the Allfather caused by the triumph of Christianity. This is why we believe that Professor E. M. Butler has made an error by including Jesus Christ among her magi, though she explicitly states that "The downfall of the magus when antiquity waned was directly due to the appearance of Jesus Christ".

Simon Magus, yes, but not Jesus Christ. The line of magi as she traced them extends from Zoroaster, Moses and Solomon to Pythagoras, Apollonius of Tyana and Christ, and, from

years at the maximum after which period they become rusty and inefficient, are scrapped, smelted and refashioned. "The human machine", says one of the engineers, "is too imperfect and it was necessary to replace it... But it is a great progress to produce by the machine which is considerably more convenient and faster. Nature knows nothing about the rhythm of modern production, for, technically speaking, all childhood is altogether without sense. It is an intolerable waste of time". The same could be said of old age. Everything goes smoothly in this world of mechanical slaves. Humanity is spared all the drudgery of physical work to cultivate its higher parts. But instead of doing so, men indulge in indolence and sensuality, and in their egoism they even stop to procreate, and there comes a time when the race of robots outnumbers by far the race of men. To satisfy a caprice a certain Dr. Gall, one of the directors of the factory, is tempted by a woman called Helen to create robots endowed with consciousness, which he achieves after some labour, and that marks the beginning of the tragedy. For the new robots become conscious not only of their surroundings but also of themselves. Better organized and more numerous than men, the robots are led by their sentient fellows to revolt against the tyranny and egoism of man. The upsurge is dreadful, for the robots exterminate the human race and destroy the robot factory. It is like the first deluge, for only one man survives the universal destruction, namely Alquist, a savant and a sage through whom the race of robots is saved from utter extinction, for he alone knows the formulæ by which robots are manufactured. He chooses the best couple among the robots and endows them with Love and its natural corollary, Suffering. Intelligence alone is not enough, and if science is to bring new life into the world it can only be redeemed by Love.

Another drama by Karel Tschapek dealing with the same subject of creation is his "Adam Creator". It tells the story of an able inventor who fashions the superman and the superwoman. Being superhuman, the new creatures despise their own creator.

"Les Rubis du Tibet" by André Zwingelstein (1940), the "Ballet des Automates" by Daniel-Rops (1934), "Feu M. le Duc" by Paul Morand (1941) and a great many others, have all been discussed by Alfred Chapuis in his "Les Automates dans les Oeuvres de l'Imagination" (Neuchâtel 1947). Though the theme of all such pseudo-scientific romances is the creation of robots, we refrain from giving detailed accounts of them as they have no special political significance.

Now we come to one of the greatest works dealing with robots in the twentieth century, namely Karel Capek's "R.U.R.". We are in the year 2000 when a certain Rezon, a great physiologist-engineer, succeeds in producing living substance, the protoplasm, and is thus able to manufacture all varieties of organisms, soulless men included. Rezon himself, being a militant atheist, wishes to abolish God who becomes really superfluous after man's discovery of his only inscrutable secret: creation. However, Young Rezon, his nephew, uses his uncle's discoveries for more useful purposes, the creation of a class of living and intelligent robots to work in factories and relieve mankind of all mechanical labour. Nor is he satisfied with the creation of specimen beings; for him robots are of no value unless they are produced on a large scale: "'Tis folly to spend ten years on the construction of a single man", he said to his uncle. "If you can't produce men at a rate that beats the rhythm of nature, then go to hell with your invention". Young Rezon simplifies the process of production, then establishes a great robot factory in which he manufactures, then assembles, thousands of robots which are taught how to read and write, how to run the machines and, eventually, dressed up like men and women, according to the taste of the customers, when they are exposed for sale. The usefulness of robots is at once recognized by every one, and soon "Rezon's Universal Robots" is to manufacture automatons by the millions, not only to supply individuals with servants but also to supply governments with soldiers to fight their wars. The great thing about the robots is that, unlike human beings, their term of service is: twenty

As the conception of machineless utopias by Butler and Morris expresses a profound political attitude, so does the conception of entire societies or entire classes of automatons contain a political significance.

"La Cité des Automates ou la solution inimitable" of Léon Massieu (1923) is to be found in an oasis in the desert of Westralia. The automatons of Massieu are a class of Androids performing the functions of the slave-caste. For the city of Vaucanson (this is the name of the utopia) is modelled after Plato's Republic, where men and women participate in the noble life of art while all the dirty work of the city (sweeping, cooking, building, etc.) is performed by automatons. There is a long tradition of creating Androids in the city, since its foundation by a descendant of Vaucanson, and the experiments of preceding generations are to be seen in the museum of the city. The greatest achievement of Vaucanson is a perfect Pandora who is a masterpiece of creation and the pride of the city, known as Astarte. A young French traveller who gains access to the city, beholding Astarte, is at once ravished by her beauty and decides to kidnap her. He carries her off on his horse and gallops away with her but, when he starts to make love to her, he realizes that she is only a pile of cogs and wheels. His bitterness is so great that he smashes Astarte and hurls her dismembered body into a deep precipice, then he returns to France to tell his story.

In "L'Ether-Alpha" of Albert Bailly (1929), a Jules-Verne prize winner, the servant class is also formed of mechanical Androids. Cecil Montcalm invents invisible flying machines that carry him and his fiancée to the moon which he finds inhabited by the sons of radium, a race more advanced than ourselves leading an electromagnetic existence. Montcalm is served by Diego a perfect automaton who sees and hears things only through the eyes of his master and has no brain of his own. Diego is nourished with electricity, and when he is drunk too much (with electricity) he appears phosphorescent.

Eugène Mouton (1881), "Jim Click ou la merveilleuse invention" by Fernand Fleuret (ed. Gallimard), etc.

Samuel Butler's (1835-1902) "Erewhon" (1875) and William Morris's "News from Nowhere" will always remain the greatest protests against mechanical civilization. From both utopias the machine is utterly banished and Samuel Butler even had to give up his watch before he entered his great city.

The creation of masses of automatons, instead of individual Androids, characterized the establishment of mass-production in the fields of industry and regimented mass-movements in the field of politics. Hence it was not possible in the earlier stages of bourgeois society. Procreation, we must remember, was forbidden to the Being of Frankenstein by Mary Shelley for fear that he might people the earth with a monstrous and unwieldy progeny. The problem of the Homonculus thus remained an individual problem so long as the system of production as a whole was predominantly individual in execution or, at any rate, individual in enterprise. It must be noted, however, that as mass-production is latent in the nature of mechanical production, so is the mass-creation of automatons latent in the conception of the mechanical Android. The Homonculus, on the other hand, lends itself less to propagation, though it is itself endowed with greater generative powers than the Android whose creation and multiplication depends entirely and at all times on the ulterior plans of its creator, man; and, although we can imagine with equal facility myriads of biochemical creatures incubating in myriads of test-tubes, yet, traditionally, the laboratory experiment has always had from the days of the Mediæval alchemists a very individual, even intimate, nature. For the alchemist's private knowledge of cabalistic formulæ, which constituted an important element in the creation of the Homonculus, is not required in the engineer. Physics was never an occult science except in so far as it shaded off into chemistry. There is no cabalistic tradition hanging about the creation of the Being by Frankenstein, and Mary Shelley has the merit of putting the creation of the Homonculus on a purely scientific basis for the first time in history.

is Hadaly and her description is given with more relish than the description of Pandora in Hesiod. It was the plan that Edison should change the countenance of Hadaly to make her look like Miss Alicia Clary, the superficial mistress of the young lord, but the young lord is so taken with Hadaly as she is that he no longer desires any change, but rather prefers the artificial to the natural creature. Hadaly could do what Alicia could not do, whisper enchanting words of love and adoration in the ears of her lover, words that had the magic of poetry and the poetry of magic. Hadaly first manages to say those things without feeling them as she is mentally controlled by another woman who inspires her not only with the words but also with the thoughts through some mysterious electro-magnetic contact. But in the end the miracle happens and Hadaly is able to think for herself and to speak for herself and feels every word she utters with passion far greater than the passion in the world of man. She is the Future Eve. Even Edison himself does not know how the transformation took place. Villiers de l'Isle-Adam, accepts the traditional attitude of mistrust in the works of man, for the Future Eve, on her way to England, sinks to the bottom of the Atlantic Ocean together with the ship carrying her. The ship founders in an accident and the secret is lost for ever, bewitching the imagination of modern man as that fabled island that gave the ocean its name charmed the mind of man in ancient days. The final destruction of the man-created creature indicates that Villiers de l'Isle-Adam followed the main tradition which attaches a profound sense of sin to the role of the Demiurge.

"L'Eve Future" has given rise to a great number of imitations, sometimes serious and sometimes facetious, such as "Monsieur Mézigue" of Clément Vautel and G. de la Fouchardière, "Aventures de Rouletabille" of Gaston Leroux as well as his "La Poupée Sanglante" and the "Machine à assassiner" (1924). Kindred types of modern fiction on the theme of robots and mechanical creation in general is "L'Homme truqué" by Maurice Renard (1921), "Le Voyage au pays de la quatrième dimension" by G. de Pawlowski (revised edition in 1923), "Contes" by

Thirty years later, Jules Verne, in 1880, returned to the creation of robots, on a strictly animal level. This time, in "La Maison à vapeur", the hero of the story is a mechanical steel elephant. In 1892 he wrote "Le Château des Carpathes", which deals with a similar theme.

The subject of Jules Verne's "La journée d'un journaliste américain en 2889" written in 1889 is an inventor of the future who arrives at resolving all the elements of nature to one simple element at the basis of all matter and is thus able to create a human being, human in every sense, except one, that he has no soul.

"The Future Eve" ("L'Eve future") of Villiers de l'Isle-Adam (1840-1889) is a magnificently written novel on the theme of Androids, but it does not follow the tradition which brings out the tragic element in mechanical civilization. On the contrary, it is full of hope for the new humanity. It ends with a miracle like most of the other treatments of the theme but it contains no crisis. For the "Future Eve" is the story of a certain engineer of singular genius called Edison, who, in the precincts of New York, successfully conducts his creative experiments. A young Englishman, Lord Edwald, who is a particular friend of the inventor Edison, passes through the most unpleasant experience of being in love with a woman who possesses all the physical charms but whose soul is insufferably shallow. There is no way out for the young lover, so after realizing the hopelessness of his situation he decides to commit suicide. He calls on his scientific friend Edison to bid him the last farewell, but Edison persuades him not to carry out his decision for there might be another chance yet, considering that Edison is already working on the creation of the New Eve who will at once combine physical excellence and the height of wisdom. The young lord gives his word. When the experiment is completed they both wait for her appearance with solemn anxiety. Edison bids his creature come out of a secret door, and instantly she appears before them and says "Eh bien ! mon cher Edison, me voici !". Her name

chronometric skill, and now the clocks of the town themselves stopped ; so did the clock of the cathedral. Presently, a curious man, no taller than three feet, with a metallic head and a plated chest, a monstrosity of no definable age, but believed by many to have been centuries and centuries old, with a nose sticking out like the pointer of a sun-dial and a pendulum swinging inside his broad chest in place of the heart, paid Maître Zacharius a friendly visit and ended up by asking the hand of young Gérande in marriage. Young Gérande, said Maître Zacharius had already been promised to young Master Thin, his own apprentice, and nothing could be done to change that. The rebuff was too hard for the Pendulum Man, who threatened to frustrate all that Maître Zacharius had already achieved and all that Maître Zacharius aspired for, and he was capable of fulfilling his threat, for he was no other than the Regulator of the Sun. As the visitor went out, Maître Zacharius heard his pendulum-heart tick six. His name was Signor Pittonacio and he lived in a secluded chateau on the topmost pinnacle of the Alps, where the only clock that still functioned was, the last remaining glory and by far the most finished handiwork of Maître Zacharius. Anxious over the immortality of his name, Maître Zacharius went up to the castle of that robot and promised to give him his daughter in marriage. He wound up the great clock and lo ! as the clock announced every hour, there glittered on its dial profane mottos : "L'homme peut devenir l'égal de Dieu", "l'homme doit être esclave de la science, et pour elle sacrifier parents et famille", and so forth. But when the clock struck midnight there flashed the terrible warning and prophecy : "Qui tentera de se faire l'égal de Dieu sera condamné pour l'Eternité" ! Then the clock burst and fell into a hundred pieces while its spring jumped across the hall, and the aged or ageless Pittonacio writhed with pain and cried "Mon âme, mon âme". Maître Zacharius was struck dead by the miracle while Pittonacio picked up his spring and vanished into nothingness.

l'Absolu, and in 1846-8 Alexandre Dumas dealt with the career of Alessandro Cagliostro in his *Mémoires d'un Médecin*.

The statue of Moloch and the animated mechanical figures with which the priests of Carthage inspired terror in the hearts of the people have no direct relation with the automatism of the century. It is only with Jules Verne that the treatment of automatic figures reaches its most memorable phase.

"Maître Zacharius" (1854) one of Jules Verne's best known stories develops the theme of the Android to its inevitable conclusions and puts forward the case of the robot with perfect clearness. Maître Zacharius, the hero of the work, is a sixteenth-century Geneva clock-maker who lives in the company of his unsophisticated and rather attractive daughter Gérande and his apprentice Albert Thün. Maître Zacharius is more than a common clock-maker, for in addition to his incomparable skill in his art, he has the gift of inventiveness which enables him to introduce new systems and overcome all the deficiencies in the world of clocks. Hence his pride and keen sense of creative originality. He goes as far as to see in his clocks a concrete realization of the perfect union of body and soul, which constitutes the very essence of life. "Un rapport intime" says Maître Zacharius, "existe entre l'oeuvre de Dieu et la mienne; c'est sur sa créature que j'ai copié la succession des rouages de mes horloges". "Maître", answered his apprentice, "vous comparez une machine de cuivre et d'acier à ce souffle de Dieu qu'on appelle l'âme et qui anime le corps comme la brise communique le mouvement aux fleurs". Mais quelles pièces seraient si bien ajustées qu'elles engendrassent les pensées en nous". Gérande, too was terrified by the unholy thoughts of her father and argued as best she could to restore him to normalcy, but her efforts were all vain. One day, however, all the clocks of Maître Zacharius stopped at once for no knowable reason. Great was his rage and distress for he had earned for himself the reputation even of a magician by the wonders of his

Heinrich Heine (1799-1856) gives the story of an English mechanic whose great skill enables him to manufacture a robot that has and does everything a human being has or does, and his robot is even trained to be a perfect gentleman. The only thing, however, that robot lacks is a soul, and this supplies the crisis of the story, for Heine's robot is ever beseeching his creator to endow him with a soul, but in vain. K.L. Immermann (1796-1840) also treats the theme of living robots in his "Tulifantchen".

Automatism finds its way into the work of Edgar Poe (1809-1849), particularly in his "Chess-Player of Maelzel". Dickens (1812-1879) was also attracted by the theme of living automata, and, in his unfinished "Master Humphrey's Clock" he imagines the statues of Gog and Magog coming to life in the Guild Hall of London whenever the clock struck midnight, and exchanging memories of the long-forgotten history of London. But Dickens's interest in animated automata is purely the interest of the narrator who animates the inanimate to provide himself with an untiring story-teller of the type known in the "Thousand and One Nights".

In French literature the tragic issue of mechanical civilization is discussed by Théophile Gautier (1811-1872) in his collected papers written between 1830 and 1837 and published under the title of "Fusains et eaux fortes". In the chapter entitled "De l'originalité en France" Gautier declares: "Voilà pourtant où la civilisation nous a menés. Je ne doute pas que d'ici à quelque cent ans, on n'en vienne à arranger la vie de façon telle qu'un automate puisse en remplir les fonctions. Nous aurons des hommes d'Etat à ressort, des armées sur roulettes, des commis à rouages et contrepoids, établis dans les systèmes des tourne-broches, etc. Les enfants et les livres se feront à la vapeur. Peut-être notre vieux monde n'en irait-il pas plus mal ! Oh ! malheureux peintres, malheureux poètes que nous sommes d'être nés dans ce temps où il n'y a plus ni poésie, ni peinture ! ..."

Not long after, in 1834, Balzac drew the portrait of the temperamentally alchemical Balthazar Claes in *La Recherche de*

creating the image of a beautiful damsel so perfectly wrought that men took it for a real creature, and her name was Olympia. Nathanael, a young student living next-doors, fell in love with her. When she appeared in society men were dazzled by her radiance and though she was a trifle stiff in her movements, her unusual gestures were attributed to her embarrassment in the presence of so many people. She played the piano with the perfection of a machine and she sang like a nightingale that rehearsed its songs. Yet when young Nathanael danced with her a cold shiver ran through his body at the mere touch of her icy hands, and he could never recover from his amazement at the impossible precision of her steps as she circled round and round with the regular cadence of the music. Whenever he whispered words of love in her ears, she only sighed back saying "Ha! Ha!" She was like a fairy that had come out of fairyland. But alas! the fairy was soon to depart. For one day Nathanael calling on his lovely Olympia, overheard angry voices and many buffets that tore the air: it was Spallanzani and Coppelius fighting over that remarkable creature, each claiming the authorship of certain parts of her body, and Nathanael only realized that she was a wax statue when he saw her two eyes rolling on the floor. The shock was too great for him and his mind gave way.

Lovely female automatons were common before Hoffman. Rousseau dealt with the theme I Pygmalion and Galatea. Jean Paul has a chapter in his "Teufels Papiers" (1789) on a new and charming wooden bride. There was also "Madame Du Bois" whose story was collected by Hoffmann himself in a volume of humorous anecdotes published at Erfurt in (1792). Hoffmann also has the story a future-telling Turk made of cogs and wheels. His Professor Abraham is the inventor of many mechanical creatures. But the underlying idea of the majority of these tales is the sordid position of man between illusion and reality. This tragic conflict between the world of dream and the world of fact constitutes a central theme of Romantic literature and finds adequate expression in the work of Gerard de Nerval.

indeed, will yield no individuals, no egos worse than the egos fabricated by the materialists. Creative nature will vanish into thin air: nothing will remain save artificial nature, when the machinists themselves become machines". This is one of the earliest satires on the mechanical craze that has been moulding the destiny of men ever since the Industrial Revolution began. Goethe treated the same theme in his "Zauberlehrling" or "Apprentice Sorcerer", who, having provoked by his imperfect magic the elements of nature, was unable to control them, with the result that he was their first victim. This theme, which Goethe took over from Lucian, was eventually handled by the musical composer Paul Dukas and became one of the important episodes in Walt Disney's "Fantasia". Another instance of Goethe's handling of the theme of automata is the story of Prince Oronaro who, in "Der Triumph der Empfindsamkeit" or "The Triumph of Sensibility", creates a statue of the queen he loves but finally prefers illusion to reality and falls in love with the statue itself. Wieland too (1733-1813) has a poem called "Idris" more or less on the same subject. As for Goethe's Promethean Trilogy it deals with the tragedy of the Demiurge in its bearings on the destiny of the Creative Artist.

The inherently tragic situation implied in Jean-Paul's "Personalien vom Bedienten und Maschinenmann" and in Goethe's "Zauberlehrling" demonstrates the deep suspicion with which many of the Romantics envisaged not only the civilization of the machine but also the cheerful dreams of creation that go along with it. The terrifying imminence of the on-coming catastrophe comes to the surface for the first time in Mary Shelley's *Frankenstein* where the symbol ceases to be a symbol and the inner crisis of our science-governed world is unfolded with brutal frankness.

In the famous "Tales" of Ernest-Théodore-Amédée Hoffmann (1776-1826) we have different specimens of Androids. We have the story of the Man of Sand in which Coppélius, an old lawyer, succeeds, with the help of the savant Spallanzani, in

this case, only that law of motion the sense-perceptible result of which is the formation of cells; for in this field, plant and animal, meet. This law is an eternal one, coming everywhere to expression, when conditions occur under which it manifests itself". Virchow is equally categorical in his mechanical materialism: "It is apparent from this that I took up the mechanistic conception at an early period, that I even thrust aside all dynamic views and admitted in the whole realm of natural science only static and moving bodies. Consequently living bodies could also appear to one only as bodies in motion, and their difference from the lifeless seemed to me to consist only in the peculiarity of their mechanical motion in so far as this contributes to cell-formation. My 'Vitalism' had to develop consequently to a mechanical cell theory from which there resulted further a similar mechanical cell-pathology". Dr. Frankenstein no doubt worked on similar assumptions. Erasmus Darwin who was reported by the scientific superstition of his days to have turned a piece of vermicelli into a worm showed marked mechanistic leanings that brought upon him the ill-humoured ridicule of Goethe."

One of the earliest writers to deal with the subject of Androids is Jean-Paul Richter (1763-1825), who wrote in 1798 a section of his "Palingenesien" or "New Birth" called "Personalien vom Bedienten und Maschinenmann", dealing with the story of a certain person he himself visited, called Magnus, who availed himself of the most up-to-date inventions by which he regulated and rendered comfortable his own life, down to his very servants who were so stylé that they resembled perfect automats. A certain apparatus woke him up, lit his fire, pulled his curtains aside; another looked after his daily toilet without any intervention on his part; he had an orchestra of automatic musicians, etc. Scores of mechanical devices he possessed and Magnus explains half-ironically that in the machine lies the future of the world: "Everything will turn into statues or mannequins, even those who will have created the statues and the mannequins. That,

a new slave for the greater comfort of mankind than to match man's aptitudes against those of the gods.

The history of Androids in the modern sense takes us back to great empirical philosophers like Francis Bacon (1561-1626) and to the founders of mechanical theory like René Descartes (1596-1650) rather than to legendary characters like Faust or men of dubious reputation like Paracelsus.

The starting-point of mechanical science is that the entire universe is a machine in perfect order, man included, though he may be for irrelevant reasons the pet creation of God. Descartes goes as far as to declare that "s'il y avait de telles machines qui eussent les organes et la figure extérieure d'un singe ou de quelque animal dépourvu de raison, nous n'aurions aucun moyen pour reconnaître qu'elle ne serait pas en tout de même nature que les animaux". Again: "Tout est mécanisme dans les corps, tout est pensée dans les esprits" affirmed Descartes⁽¹⁾. To Pascal man is half an automaton, half a spirit, but he was of opinion that the spirit should dominate the automaton. The eighteenth century materialists notably Gassendi, La Mettrie and Diderot brought the mechanical conceptions of Cartesianism to perfection, so much so that La Mettrie, for one, stated that "Le corps humain est une horloge, mais immense et construite avec tant d'artifice et habileté que si la roue qui sert à marquer les secondes vient à s'arrêter, celle des minutes tourne et va toujours son train...". Laplace gave full expression to this attitude; so did Lavoisier in his own field when he announced to his generation that "La vie est une fonction chimique". Lotze's words are typical: "The natural scientist knows only bodies and their qualities; everything over and above this he calls transcendent, and he views transcendence as an aberration of the human spirit. If the natural scientist speaks of a life-force he understands, in

(1) Cf. La Bruyère in "Les Caractères" (1688): "Le sot est automate, il est machine, il est ressort, le poids l'emporte, le fait mouvoir et toujours, et dans le même sens, et avec la même égalité: il est fixé et déterminé par sa nature et j'ose dire par son espace."

he reached America where he took away his own life. Simultaneously, the laboratory of Professor Pancrace at Paris is seen ablaze, the "egg of life" being destroyed. What happened was that Lazare, by committing suicide, gave up a soul which was not his but that of Professor Pancrace. Professor Pancrace did not die, however, but lived on in an animal existence devoid of the divine spark. It was he who destroyed the "egg of life" that succeeding generations may not pry into his secret.

Le Singe is another French novel written jointly by Maurice Renard and Albert Jean dealing with the creation of Homonculi. The hero is Richard Cirigue who professedly follows in the wake of Faust, appeals to Prometheus the first creator and uses the authority of the early alchemists, Albertus Magnus, Raymond Lully, Flamel, Paracelsus, Quinton and Berthelot. His medium is physical chemistry through which he is able to create lower organic species, fruits, fish, quadrupeds and even those are created lifeless. Richard Cirigue dies before he reaches any definite results and his great task is completed by his brother, Claude Cirigue, who succeeds in creating a living double of his own person. The new being, though he has the physical semblance of Claude, possesses the soul of Richard. As soon as the being issues forth he springs on his own creator intending to destroy him, for in reality Claude is the deadly rival of Richard, whom Richard plans to remove at all costs. The double, Richard Cirigue tries to occupy his former place in life but he is soon found out and destroyed, dying for the second time.

3

To pass from the creation of organic Homonculi to the creation of mechanical Androids is to pass from the sphere of magic and quasi-scientific phantasy to that of more positive and disciplined experiment. The urge for creation and the desire to vie with the gods in their special art are present in the two types of thinking but with varying degrees. The conception of automatic robots is in the first place less ambitious and less heaven-defying than the creation of organic men, as it very often happens that the principle underlying the conception of robots is more to create

Burdon's future wife, Margaret Dauncey, and surrendering to Haddo's spells she goes so far as to marry him, but he spares her his contact in compliance with the rules of magic and only uses her to perform hazardous things. Haddo proceeds to reenact an old experiment made in 1775 by Johann-Ferdinand, Count of Kúffstein, who succeeded in creating embryos that happened to be destroyed by accident. His explicit desire is to vie with God in creativeness. Even in the work of Somerset Maugham the alchemists of the sixteenth century are evoked, and, in an inaccessible villa, Haddo is able to produce embryos which he has to nourish with human blood. His victim is Margaret Dauncey herself. Arthur Burdon is too slow to save her but he finally destroys the magician Haddo, invades his mysterious laboratory and sets fire to the entire villa. A similar theme is the subject of a novel by the Spanish writer Jacinto Gran, and of a kindred nature are the stories of marionettes coming to life, of which the best known is C. Collodi's *The Adventures of Pinocchio*, the Italian fairy tale translated into all the living languages.

L'auç de vie of the French novelist Jean de Quirielle is the story of a certain professor named Panrace who claims being able to kill a man by the mere exercise of his will and thus operating upon a criminal called Ronget achieves success. Eventually, Panrace also succeeds in bringing Ronget back to life by the communication of his will, life and soul, and he rechristens him Lazare. "Avonez", says Dr. Panrace to Dr. Silbourg, "que j'ai trouvé une partie du secret de Prométhée. Mais tout cela ne constitue qu'un commencement; les organismes que je créerais en réalisant ma grande oeuvre, seront à la fois infiniment plus simples et plus intelligents que ceux de l'homme: cette misérable machine!" And it was no empty vaunt, for Panrace did produce the "egg of life" from which the new humanity was to come out. Meanwhile Lazare, who had developed into a man of spotless moral conscience, cursed his own resuscitator for having endowed on him a pure soul without paying attention to his sinful body. Obsessed with this idea Lazare roamed about until

Of the same category are the Homonculi we read about in modern occult fiction and in the reports of modern occult science. The work of Pierre Devaux entitled "L'Avenir fantastique" is based on the experiments of Colonel de Roches, Paul Janet and others to endow with sense and sensitivity wax statuettes. G. de Pawlowski in his "Voyage au pays de la quatrième dimension" draws a picture of a new class of Homonculi who would replace the forced labour of feudal society and the paid labour of bourgeois society. In Pierre Devaux we have "le robot à moitié vivant, composé d'organes naturels accouplés avec des machines". His initial point is the revivification of the internal organs of a dead animal to which is attached the brain of a guillotined person: "Raccordé par des électrodes impolarisables à des conducteurs électriques, les tronçons du nerfs, tranchés par la guillotine, commanderaient des électro-aimants, des yeux électriques, des contacteurs, des moteurs, des porte-voix... Un robot effroyable s'avance, hybride de la machine et de l'humanité !"

Men of greater calibre in the world of science and thought such as Bergson have discussed the possibility of creating organic syntheses out of which could be obtained "le dessin extérieur de certains phénomènes d'organisation comme la circulation protoplasmique". Bergson, however, believes that the revivication of entire kidneys, livers etc. as well as the culture of tissues and their nourishment with synthetic blood which are accomplished results in the science of today, only yield "des déchets de l'activité vitale, les substances proprement actives demeurant réfractaires à cette synthèse".

A type of modern fiction dealing with the creation of organic Homonculi is Somerset Maugham's *The Magician* in which a young scientist of unusual abilities, Olivier Haddo, becomes versed in the occult lore and actually learns Arabic and Hebrew to study cabalistic formulae in their original texts. Wishing to avenge himself on a certain physician named Arthur Burdon, Haddo employs his forbidden knowledge to influence the mind of

Rabbi accepted to demonstrate his creature if he is promised utter silence during the performance. The promise granted, both creator and creature made their appearance in the Court but, unfortunately, the Court Jester whispered a joke in the ear of the Emperor's favourite mistress who in turn burst into profane laughter, and lo! a curse fell on the city. The insulted Golem turned into a devastating monster, and it was only by despoiling him of his amulet that he fell again into a lump of clay and peace reigned once more over the city. This legend attracted much attention lately, was the subject of a German silent film in which Paul Wagener played and a French talking film in which Harry Bauer performed the part of the Emperor. The theme was also handled by the German writer Meyrink in his novel "Der Golem" (Munich 1915).

Paracelsus has left us in several of his works, chiefly in his "De Natura Rerum", the formula for creating Homonculi. He is particularly important to us as he is the leading source from which Shelley drew the inspiration of his early life, and which underlies the entire scheme of Mary Shelley's *Frankenstein*.

The fabrication of Homonculi in the laboratory of Dr. Faustus and his disciple Wagner belongs to the same period, if not earlier, and, though there is no trace of it in the work of Marlowe, yet it is preserved in the second part of Goethe's *Faust*. An offshoot or an adaptation of the story of Faust and Wagner is the story of Friar Bacon and Friar Bungay.

Not before the *Frankenstein* of Mary Shelley is the theme of the Homonculus himself or itself treated. All preceding literature dealing with biological creation by man discusses the creator rather than the creature. The Being created by Dr. Frankenstein is the first complete picture of a Homonculus in action. The Golem of course operated long before in the city of Prague, but the Golem is not, strictly speaking, a biological creation, as his life is not inherent in his clay but depends on a cabalistic formula hidden in the star suspended on his chest.

strange realms of the impossible and the miraculous that makes the very wealth of Mediaeval literature. However, the close of the Middle Ages and the dawning of the Renaissance were marked by the revival of interest in Hermetism and the attempt to realize Hermetic dreams of creation. The full expression of this revival of interest in creativeness is of course the coming to surface of Faustianism in the European society of the sixteenth century and the restoration both in folk-lore and in great literature of the central creative theme of the Messianic Age, in its Gnostic version of Faustus and Helen as well as in its Christian obverse version of Cypriano and Justina as treated in Calderon's "Il Magico Prodigioso". This formally announced the return of the crisis to the soul of Europe, but in reality the Hermetic visions began as early as Gerbert.

2

The creative anxieties of modern Europe developed in two different directions: the realisation of the Homonculus or the Chemical Man and the realisation of the Android or the Mechanical Man.

The Homonculus was born from the alchemical visions of the masters of modern science, men of mysterious and exceptional talents versed in science, in magic and in legend when all three were aspects of the same tradition. The quest for the Elixir of Life was their concern, and they thought they had discovered it in the roots of mandragora distilled in dangerous phials, vitalized by wondrous abracadabra and administered with esoteric and cabalistic rites in which Mephistophiles himself was high-priest.

The oldest known specimen of the Homonculus was the Golem of Prague, a lump of clay brought to life by Rabbi Loew who endowed his creature with a soul by placing the written formula inside a star which he stuck on the Golem's chest, a perfect amulet. On hearing of this great event the Emperor sent for Rabbi Loew to present his Golem to the Court. The

containing wine distilled from and soaked with the herb of love, becomes indissolubly tied to Iseult. Separated from his fair Iseult, he marries another Iseult known as the white-handed, but his soul ever yearns for his first love:

"After this marriage, Tristan, conqueror of the Moldagoge giants, acquires from those much wealth and many workmen whom he bids construct in a hollow rock, shaped like a vault, a hall which he embellishes with lovely 'images' with the help of goldsmiths and other artisans.

"In the middle of the vault they erected an image whose proportions and countenance were wrought with such perfect art that no beholder ever doubted that life animated all its members, and endowed with such accomplished beauty that there was not her peer in the whole universe. Her lips exhaled such a sweet breath that its scent filled the hall with the aroma of all the rarest herbs blended together. It was by Tristan's cunning that under her breast, in the place of the heart, a cavity was made to hold a box full of musky herbs, the most precious in the world.

"From this box two little pipes parted, both of the purest gold, one conveying perfume to where the hair met the back of the neck, the other to the mouth. And the image resembled the Queen Isolt so much in attitude, in loveliness and in stature that they looked one and the same person. So blooming was she that she appeared alive".

The theme, which is reminiscent of the creation of Pandora in Hesiod and in Hermetic literature (*Vile Mead's Thrice Greatest Hermes*), was taken up by the Minnesingers and it also recurs in the legend of the Holy Grail. There are also in the Middle Ages and in the Renaissance episodes of wax images with a fetishistic value, to destroy which is to destroy their originals: statues coming to life to take revenge on Don Juan, theme eventually exploited by Molière and after him by Mozart, etc.

Such visions of a luxuriant imagination very often served no purpose other than that of idle phantasy or romancing in the

Later on, with the final establishment of monotheism all creativeness became the monopoly of the Allfather and the Symbol of Pandora, where it was no entirely assimilated in the conception of Eve. Begged on, not as a feat of genuine creativeness, but as the work of magic. To allow for an enchantress not created by the Allfather was to allow for rival creators coexisting in the universe. Hence, from the Messianic Age onwards, through the Middle Ages, the creation of Pandora was replaced by the creation of the more humanized enchantress Helen, or Luna as she was sometimes called, the mistress of Simon Magus and the divine prostitute of the Gnostics.

Helen reappears in Mediaeval lore in association with practically all the converted Christian saints at the critical period of their lives, the temptation period. The classic pattern is the biography of saint Cyprian from which we know that before the issue was quite decided in his soul he evoked the phantasm of the beautiful Helen with the aid of the Devil. The anticlimax came when God made him realize that the Helen evoked by the Devil was not a real person but an empty phantom conjured up by black magic. Similarly, Helen appears in connection with Faustus who missed his sainthood by a hair's breadth, and would have been duly canonised like Cyprian if he had not signed the charter with his own blood. The beginnings of Faustus are in St. Augustine. In the Messianic Age, however, men were too near the source of wisdom not to understand that Helen symbolized the "gnosis", the enchantress who stood between two civilizations, enthralled with her bewitching smile half the world and would have enthralled the other half had she not been surrendered by Prometheus to the Allfather.

The theme of the beautiful enchantress created by the power of magic reappears in the chivalric literature of the Middle Ages but gradually loses its original significance and acquires a more human value. In the story of Tristan and Isolt this tradition is preserved. Tristan, who partakes with Isolt of the magic philtre

two armed automatons who weave circles in the air with the iron instruments they carry. (See Léon Gautier, *Les Epopées françaises*, vol. III).

Similarly, in the French Mediaeval legend on the "Voyage de Charlemagne à Jerusalem et à Constantinople" we are told that "On his arrival at Constantinople the great emperor and his peers are received by King Hugues who introduces them into an immense hall constructed with magnificent craftsmanship and round which stood a hundred marble columns all encrusted with fine gold, each supporting a child in bronze blowing an ivory trumpet. When the storm rages all the palace is shaken and the bugles sound and turn like drums or peals of thunder or huge waving bells, and the children look at each other and laugh so naturally that you would think them all alive. The uncouth barons of the emperor go through the unpleasant experience and soon find themselves upturned on the floor, full amazed, while the statues bugle to one another and smile". Of the same pattern is the episode in the story of Parcifal of the two images, one of gold and the other of silver, placed outside the tent, the first to strike any "villain" who trespasses on those grounds the other to play false notes should a common maiden approach to the tent:

La harpe sonne la discorde,

De la harpe rompt une corde.

The creation of Pandora passed through devious transformations with the gradual change of the world from free polytheism to strict monotheism without losing any of its symbolic value. In the days of Hesiod it was possible that Pandora should be fashioned by the entire Greek pantheon. During the Messianic Age, when humanity narrowed down its polytheism to an Allfather, a Demiurge of Parts and a Winged Word flying upwards and downwards communicating Divine Will to the world of man, Pandora became the creation sometimes of Prometheus the Demiurge; at other times of Hermes the Logos.

day. This, however, was not the only creation of Hephaestus for the *Iliad* (Canto XVIII) tells us that he fashioned twenty three-legged stools, moving by themselves on wheels of gold to the meeting-place of all the gods, that the immortals might be royally seated. The palace of Hephaestus, the *Iliad* also tells us, was guarded by statues made of gold, "resembling animated youths to whom power, thought and speech have been given, the immortal gods having taught them their duty, ever to remain by the side of their King".

The best known legend of animated statues in the ancient world is the legend of Pygmalion, King of Cyprus, who, having carved the statue of a lovely maiden and prayed to Aphrodite to breathe life into it, which prayer was granted, he fell in love with his own creation, Galatea. The identification made elsewhere of Aphrodite, Ishtar, Isis, Venus, with Pandora, Pallas and Minerva, or at any rate their fusion as symbols, shows that the legend of Pygmalion could have been an offshoot of the Promethean cycle and that Galatea is one of the many aspects of Pandora.

The Mediaeval world both in Christendom and in Islamdom, had its autokinetic figures some of which were survivals of the past while others were its own. In the "Thousand and One Nights" (Night 49) Prince Sharkan saw in one of his expeditions in Asia Minor, statues that spoke, sang and moved at the court of Queen Abrizah. The Europe of the same period, chivalric Europe, and hermetic Europe, was peopled with such autokinetic creatures. In the cycle of King Arthur and the Knights of the Round Table, there is the statue of a brazen knight, armed cap-à-pied, and stationed at the threshold of a castle, ready to strike with his uplifted axe at a glance from his master. Elsewhere in the Arthurian Romances Sir Launcelot of the Lake, the companion of King Arthur, saw at the entrance of a castle two mechanical guards each carrying a heavy sword with which he wove circles in the air to block the passage of any stranger. The French Mediaeval epopee of "Huon de Bordeaux" also has

THE ALCHEMIST IN ENGLISH LITERATURE

I.—FRANKENSTEIN

BY

LOUIS AWAD

A.—BACKGROUND

1

The dream of creating autokinetic beings, whether organic or mechanical, is one of the oldest phantasies of humanity. The dream of creation betrays an inherent desire in man to vie with the gods. The fact of biological reproduction, itself a high form of creativeness, never fully satisfied the sense of divinity which humanity has always possessed, for biological reproduction, in addition to its animal basis, intensifies rather than does away with man's feeling of the First Cause or the primum mobile that moulded or animated the first prototype of the species. The desire to play the part of the First Cause is at the root of all human vision of a man-created creature. It is the very essence of Prometheanism.

Prometheus was not the only creator the ancient world knew. Ptah, the Egyptian Hephaestus, created men long before Prometheus did, not to mention the clay creatures of Khnum. Hermetic literature is full of the glorification of Ptah the creator. In the Greek world Hephaestus, we know, created out of a certain alloy an enormous giant named Talos and gave him as a gift to Minos, King of Crete to watch over the shores of that island, and the vigil made the round of the island three times a

CONCLUSION

Nous évoquons le cas de Joseph non sans arrière-pensée. Pour tout dire, il nous semble qu'il mérite d'être mis en regard de celui d'Emheb, *lui aussi Intendant en-chef d'origine palestinienne*, et d'être étudié d'une manière approfondie, ce qui ne pourra être fait que lorsqu'on disposera de *toute l'inscription biographique* de la stèle d'Edfou.

Nous ne croyons pas que même quand cela sera chose faite on ira jusqu'à *identifier* Emheb-Mahabeh avec le patriarche biblique. N'empêche point qu'on *relève chez les deux plusieurs points communs* et que l'on considère la stèle d'Emheb comme un document précieux pour les études bibliques et, en particulier, pour l'établissement des bases historiques de la légende patriarcale, *laquelle pourrait à la rigueur s'inspirer d'elle*.

DESIDERATA





Nous souhaitons donc deux choses et nous sommes sûr d'exprimer en même temps les vœux de nos collègues s'intéressant à l'inscription biographique du "*Nourricier universel—renouvelant la vie*" Emheb, à savoir :

1. Qu'on fasse un sérieux effort pour retrouver la stèle portée manquante tant dans les magasins de l'Institut Français d'Archéologie Orientale que dans ceux du Musée Égyptien (1) ;

2. Que soit publiée l'inscription intégrale, sans attendre la redécouverte de la Stèle, en se servant de la photographie, laquelle, abstraction faite de quelques collations, serait suffisante.

Le Caire, octobre 1950.

(1) Nous l'avons recherchée deux fois au Musée Égyptien avec l'aimable autorisation de sa Direction et avec l'assistance de ses fonctionnaires et de quelques collègues. Nous avons exploré les salles fermées, mais pas les sous-sols. Les réserves de l'Institut Français sont restées, elles aussi, hors de notre atteinte.

Nous nous bornerons donc à suggérer qu'au début du "nom" conféré par le Pharaon à Joseph il y avait, apparemment, le mot  qui pourrait être une transcription de *dj'j*, et qu'à la fin, il y avait le mot  dans lequel on pourrait reconnaître à la rigueur   'nh.

Ces deux mots figurent dans les titres d'Emheb.

Cependant ce n'est pas seulement sur cette évidence qui attend encore d'être fermement établie et complétée qu'on puisse faire un rapprochement entre le patriarche biblique et le prince égyptien. Il y a des faits beaucoup plus probants, à savoir que les deux étaient de provenance palestinienne, qu'ils occupaient le même poste d'intendant général et qu'ils avaient acquis une ascendance absolue sur ses subordonnés.

Tout cela, espérons-le, sera tiré au clair par la publication intégrale du texte biographique d'Emheb qui a eu le temps de bien mûrir depuis la date déjà ancienne de sa découverte.

Si les petits traits disent quelque chose—et en effet cela arrive souvent—nous n'aurions pas manqué, en guise de *post-scriptum*, de mettre en regard ce que dit le Pharaon à Joseph en conférant à celui-ci le poste exalté d'Intendant Général :


אני פרעה ובלעדיך לא-ארים איש את-ידו ואת-רגלו
בכל-ארץ מצרים

"Je suis Pharaon ! Mais sans toi *personne ne bougera sa main* ni son pied dans tout le pays d'Égypte" (!).

Cette phrase nous rappelle de près ce qu'Emheb dit sur son compte dans la ligne 5 de son inscription. Nous l'aurions citée volontiers, mais encore ceci se trouve "au-delà de la limite" (nous faillîmes dire—de la "parallèle") !

(!) *Genèse*, XII, 44.

surtout sous l'empire d'une vive émotion, aussi bien que par désir de mettre en relief telle ou telle chose, ou par snobisme. Le "camouflage" de notre prince cananéen naturalisé en Egypte pourrait bien faire droit à l'une de ces tendances.

La présence de mots sémitiques dans les textes du Nouvel Empire n'est pas d'ailleurs chose inconnue. A comparer, par exemple, les chefs des "Neuf Arcs" vaincus par le pharaon Mineptah qui crient . C'est bien le mot hébraïque שלום *shalom* ⁽¹⁾. On trouve aussi des stèles où sous une figuration égyptienne, accompagnée d'hieroglyphes, figure une prière en syriac. Ce sont des monuments commémoratifs de Cananéens, lesquels pareillement à Emheb résidaient en Egypte et y étaient ensevelis. Toujours est-il que comme notre prince-intendant ils s'étaient donnés des noms locaux. Citons comme exemple la stèle de la dame syrienne portant le nom parfaitement égyptien d'*Akhet-abou* ⁽²⁾.

Par contre, dans un texte hébraïque il n'y a pas lieu de s'étonner de trouver des mots égyptiens. Il suffit de se souvenir du cas célèbre de Joseph à qui le pharaon confère un "nom" lequel à l'examen s'avère être, tout comme dans notre cas, *une phrase*. La "Genèse" en parle en termes suivants :

וַיִּקְרָא פַרְעֹה שְׁם־יוֹסֵף צִפְתָּן פַּעֲנֵס ⁽³⁾

Il serait hasardeux de tenter à la légère la traduction de ce passage qui a résisté jusqu'à présent à de nombreuses tentatives de gens beaucoup plus compétents que nous en cette matière.

(1) *Stile d'Israël*, 1. 26.

(2) A. ERMAN, *Religion*, 2^{ème} édition, p. 293 et fig. 121.

(3) *Genèse*, XLI, 45.

Nous nous représentons le mécanisme de la dissimulation dont il vient d'être question de la manière suivante. Notre prince, en composant sa notice biographique en langue égyptienne, conçoit la phrase suivante :



Il la voile ensuite en remplaçant les deux mots compromettants *hryt* et *tnwt* par des équivalents empruntés à sa langue maternelle, *yārah* et *tnuāt*, qu'il écrit, comme tout le reste en hiéroglyphes, cela va de soi, d'une manière alphabétique et non syllabique qui l'aurait trahi—en faisant croire à ses lecteurs persuadés que tout était écrit en langue égyptienne, qu'il s'agissait d'un nom propre. De la sorte le camouflage atteignait pleinement le but.



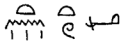
Ainsi, à la longue, nous revenons à la thèse d'un nom propre avec remplacement de celui-ci par une désignation d'un personnage anonyme.

Il est à remarquer toutefois que nous ne croyons pas pouvoir affirmer—tant que nous ne disposons pas de tout le texte biographique—que nous soyons en présence d'une *dissimulation intentionnelle*. Il se peut que les quelques mots sémitiques se soient glissés dans le texte biographique d'Emheb-Mahabeh grâce à l'habitude propre à tous les étrangers de mêler les mots de leur langue maternelle à celle du pays d'adoption. Cela se fait






là-dedans (i.e. dans le bateau) présentèrent l'hommage au seigneur de cette île".

Forme négative : "il (ne) resta (que)

ce qui n'était pas" (i.e. il ne resta rien (ou personne) (*Sinuhé*, B, 11, 136-137).

chose" (1) et  = "נִינְאָתָא" avec ,
 "entrer en compétition"; "se mesurer avec
quelqu'un (sur le champ de bataille ou ailleurs)" (2).

En définitive, les cinq mots faisant partie du prétendu nom propre dont le troisième et le quatrième sont de souche cananéenne (et le cinquième pourrait être autant cananéen qu'égyptien) se présentent de la manière suivante :

     (i)
nty m yârah tnuât i (i)

"Celui qui était dans la crainte de mon opposition (ou : de ma compétition)" (3).

(1) "Das Schrecken vor einer Person ... mit Genitiv oder Suff." *Wörterb.*, III, p. 148.

(2) *Ibid.*, V, p. 311, 4. Se dit aussi du roi qui est "grand" et "fort" (pendant la bataille), *l.l.*, et de la "muraille qui est solide", *l.l.*, 2.



(3) Il est à remarquer que la phrase 'h'n d'd nty m y'irah tnuâti ne soulève aucun doute du point de vue de grammaire, les pronoms relatifs positif (nty) et négatif (nty), en tant que sujets des formes verbales *sdm.f* et *sdm.n.f* étant bien connus. Citons comme exemples :

Forme positive. On ne trouve aucune difficulté de concevoir le passage du "Naufragé" (l. 30), où il est question de la disparition du

bateau, sous la forme suivante : 

"Ceux qui étaient là-dedans (i.e. dans le bateau) moururent" (cf. GARDINER, *Grammar*, p. 155, b, 2 : "those who were in the ship died").




En éliminant dans un autre passage du même conte (l. 171-172) le page.


on obtient cette phrase parfaitement correcte 
 "ceux qui étaient


aussi bien que le nom du propriétaire de la stèle lui-même, lequel bien que portant un nom d'apparence incontestablement égyptienne pouvait cacher derrière lui un nom de la même provenance que celui de sa mère.

En présence de ces antécédents il se posa devant nous la question suivante : *nos deux mots insolites, ne pouvaient-ils pas être, à leur tour, de la même nature ?*

Ils s'avérèrent, en effet comme tels.

Le mot  *yrh* n'est autre que ירה (1) signifiant "crainte" ou "terreur" (2), et  *int*, c'est le תנוצת status pronom. du mot תנוצה signifiant "opposition" (3). Un exemple biblique nous présente notre mot suivi du suffixe sing. masc. de la 1ère personne, exactement comme dans notre cas : תנוצתי (4) (= ), dans la phrase וידעתם את תנוצתי (5) "vous saurez ce que vaut mon opposition".

Les deux mots hébraïques en question ont des équivalents égyptiens assez proches. A comparer  avec

 "par crainte de quelqu'un ou de quelque

(1) Cf. la forme néo-hébraïque ירה dans LAZER-TORGZYNER, *Deutsch-Hebräisches Wörterbuch*, Berlin und Wien. 1927, p. 235.

(2) W. GRESSINIUS, *Handwörterbuch*, édit. angl., p. 432.

(3) *Ibid.*, p. 626 : "my opposition".

(4) *Ibid.*, l.l.



(5) *Nombres*, XIV, 34.

naud gordien dont le mystère ne pouvait être résolu qu'en le tranchant. ou il serait plus juste de dire—en le sectionnant.

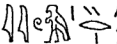







Faisant confiance à cette supposition. nous décomposâmes le prétendu nom en cinq mots que voici :










De ces cinq mots, les deux premiers et le dernier étaient parfaitement clairs. Ce sont respectivement le pronom relatif *nty* (graphie archaïsante), la préposition *m* et le suffixe de la première personne du singulier *i*. Cela réduisait à moitié le mystérieux "nom". Mais il restait encore à identifier les deux mots médians, *yrt* et *t(i)nt*. Ceux-là semblaient plus résistants et mener vers une impasse la piste au début si promettante. Toutefois, à la longue il se présenta à nous une issue, et c'est le premier des deux mots insolites qui nous indiqua le chemin à suivre.





Le signe  au début du mot  nous parut étrange, ou en tout cas très rare, tant que nous tenions ce dernier pour un mot égyptien. C'était là une indication que nous avions devant nous très probablement *un mot étranger* ⁽¹⁾. Sous ce rapport, il nous souvint la mère du prince Emheb, laquelle portait, comme nous l'avons relevé plus haut un nom de souche sémitique,

(1) Cf.  *y'srael*,

      *yûbul* "courant, rivière"  

(cf. la graphie égypt.  ), dans     

מגדל-נת de la Stèle d'Aménophis II de Mit-rabineh l. 22,

    *yod* "sage", etc.

Il en est question dans le passage suivant faisant partie de la troisième ligne de l'inscription biographique (r. *supra*).

On croit devoir le transcrire de la manière suivante :

'*h* n *ḏ*l n. (*i*) T (*i*) m (*y*) r (*h*) t (*i*) n (*i*)

et de traduire comme suit : " *Alors Tmrtn me dit ...* "




Le nom de l'adversaire d'apparence insolite est la pierre de touche de toute l'inscription. La manière apparemment syllabique dont il est écrit a fait penser à ceux qui se sont intéressés à l'inscription et nous en avaient fait part qu'on avait affaire à un *nom étranger*. Il restait à connaître le lieu de provenance de son mystérieux porteur.

Certains optèrent pour le Sud et crurent reconnaître dans T (*i*) m (*y*) r (*h*) t (*y*) n (*i*), ou Tmrtn tout court, un *Nubien*. D'autres préférèrent l'Ouest et tinrent l'inconnu pour un chef *libyen* (de là il n'y avait qu'un pas à faire pour postuler la thèse d'une guerre nubienne ou libyenne). Mais pourquoi le chef barbare s'était-il pris à Emheb qui affichait ses occupations pacifiques, et non pas au batailleur sanguinaire, son maître ? Cela devait paraître étrange, mais n'était pas un obstacle insurmontable dans le cas où la provenance du personnage en question était sûre. Mais tel n'était aucunement le cas. Il en resulta qu'il y avait de ceux qui tournèrent leurs regards vers l'Est et le Nord pour faire passer l'inconnu pour un *Palestinien* ou un *Syrien*.

Nous n'avons pas fait exception à la règle et comme les autres nous avons accompli le long et pénible travail d'identification en nous orientant, à tour de rôle, vers les quatre points cardinaux. A la longue, nous nous sommes rendu à l'évidence qu'aucun lieu de provenance de notre mystérieux personnage ne tenait ferme, et l'un après l'autre nous avons abandonné les thèses, nubienne, libyenne et syro-palestinienne.

Que nous restait-il à faire sinon de supposer que le point de départ était faux et que la suite d'hiéroglyphes en question représentait aussi peu un *nom* que le *Kann-nicht-verstehen* du conte allemand, bien que quelqu'un, en toute simplicité, le tenait pour un tel. Nous nous dîmes que nous étions en présence d'un

avec le mot de genre masculin  (1). Le nom cent pour cent

égyptien    ne serait dans ce cas qu'un *'camouflet*,



pareil à celui dont il sera question plus loin. Notons que la signification du mot hébraïque *mâ-hîbîh* "refuge" irait fort bien à notre prince, *Nourricier-de-tout-le-monde*, qui s'est donné en guise de nom égyptien un mot qui pourrait signifier "Celui qui vient en triomphateur". N'a-t-il pas résolu avec succès la tâche ardue de l'approvisionnement et, *last but not the least*, n'est-il pas sorti vainqueur lors des compétitions avec le mystérieux personnage dont il est question dans la phrase










Voyons ce que cette dernière nous apprend sur le compte de l'adversaire de notre intendant en-chef.

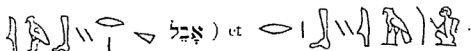
LE NOM PRÉSUMÉ D'UN QUATRIÈME PERSONNAGE

Après nous avoir fait connaître dans des termes pittoresques qui lui étaient propres comment il arriva à bout de tous les fonctionnaires de l'approvisionnement (*medw nb*) et s'imposa comme dictateur en vivres, le prince Emheb nous parle du défi que lui avait lancé un certain personnage.


(1) Dérivé du mot  "cacher" (arab. , assyr. *habû*). A com-




parer      signifiant également "cacher" et




dont l'équivalent hébreu pourrait être  (arab. ).




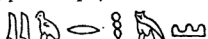




Les deux sont des noms, respectivement d'une localité syrienne et d'un personnage syrien. On connaît deux autres cas où le groupe


 fait partie également de noms syriens (1).

Le *m* est accompagné dans la plupart des cas de ' et se présente sous la forme syllabique , , , ou autre.

On connaît aussi les combinaisons *m* + *l*, *m* + *w* et *m* + *y*, respectivement ,  et  (2). Pareillement à

 il est rare que  soit employé tout seul, au milieu et à la fin des mots, comme nous le voyons, par exemple, dans les noms des localités syriennes  (3) et .

יִרְהֵב. Nous trouvons précisément ce cas dans le nom de la mère d'Emheb . Le  sans complément phonétique





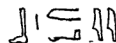
est suivi ici du trait vertical |. Nous ne le trouvons pas ailleurs (4). Cependant avec certains autres signes alphabétiques cela arrive, surtout avec le . A comparer cet autre radical faisant partie du nom de la mère d'Emheb lequel, dans l'un des exemples cités plus haut, est accompagné d'un trait,



(1) M. BURCHARDT, *op. cit.*, I, 15.









(2) *Ibid.*, p. I, 18 et suiv.




(3) *Urk IV*, p. 782, No. 36.




(4) Le cas de la localité n'est pas sûr. Voir le texte parallèle dans *Urk IV*, p. 784, No. 81.




En gardant  tel quel, nous obtenons le mot *Bûmû*, le même que dans notre stèle d'Edfou et dans l'exemple biblique cité plus haut (Ézéchiél), avec cette seule différence que le trait unique | et les deux traits || (remplacés par ) changent de radicaux :  , dans un cas, et  || (écrit ) , dans l'autre.

En ce qui concerne la graphie du nom de la mère d'Emheb, nous devons relever ce qui suit. Il se compose de deux radicaux, *b* et *m*. D'ordinaire ils sont suivis de compléments phonétiques qui en font des syllabes. Pour le *b* les compléments en question sont  ou  ,

 ,  etc., et  ou  (faisant partie des mots courants, tels que    

BOΛ "dehors" et    "char"). Il

arrive parfois que *b* soit écrit sans complément phonétique (par exemple   (1);  (2),

etc.) ou qu'il soit suivi du complément  . C'est précisément ce que nous avons dans notre cas. Les exemples connus sont de la même époque que notre stèle, c'est-à-dire, de la XVIIIème dynastie. Les voici :   (var.

(1) *Crk.* IV, p. 788, No. 130.

(2) *Ibid.*, p. 790, etc.

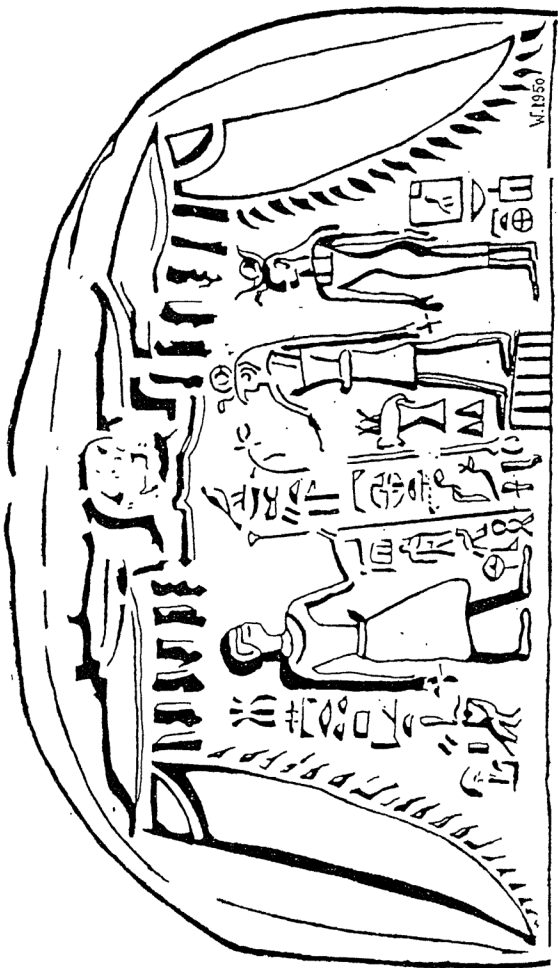






















Fig. 2.

A comparer le mot assyrien *bāmāt* dans les Psaumes babyloniens ⁽¹⁾ et la forme hébraïque *bāmō-thē*, dans les textes poétiques ⁽²⁾. En tant que désignation de *m-m* nous le trouvons dans *Ézéchiel*, XX, 29 :  "et le nom de *Bāmā* (haut-lieu) lui fut donné".

Notre mot se rencontre dans les *Annales* de Thoutmès III. Il s'y présente sous la forme de  ⁽³⁾. Burchardt qui l'a signalé croit être en présence d'une erreur et devoir corriger  en  ⁽⁴⁾. Il en résulterait le mot  *bāmōt*. On se demande s'il est vraiment nécessaire de changer quoi que ce soit dans la graphie du mot en question. Le groupe  était employé plus d'une fois et faisait partie des mots où le changement proposé par Burchardt n'avait aucune raison d'être. Tels sont les mots de localités      ⁽⁵⁾ et      ⁽⁶⁾, etc. C'est une graphie syllabique du son *m*. Nous trouvons les deux manières d'écrire le *y* combinées ensemble dans le mot    ⁽⁷⁾ (à lire ) ⁽⁸⁾.

⁽¹⁾ H. ZIMMERN, *Babylonische Basspsalmen*.

⁽²⁾ W. GENSENUS, *Handwörterbuch*, 13 édit., p. 111-112 = *Hebrew Lexicon*, Oxford, 1929, p. 119.



⁽³⁾ *Urk.* IV, p. 781, No. 7.




⁽⁴⁾ M. BURCHARDT, *Altkananäische Fremdwörter*, etc., p. II, 19, No. 340.
















⁽⁵⁾ *Urk.* IV, p. 799, No. 160.

⁽⁶⁾ *Ibid.* p. 793, No. 308.

⁽⁷⁾ *Ibid.* p. 793, No. 310.

⁽⁸⁾ Burchardt ne rapproche pas  de  et suppose que le premier groupe est dû à une erreur de lecture du signe (*op. cit.*, p. I, 19-20).




A comparer le même signe aux lignes 2 et 3 (1). La présence du participle passif *mry* après les noms des deux divinités titulaires est attestée, de l'autre côté, par les titres  *df', y* (2) et  *uchm 'nh* lui faisant suite et se rapportant *incontestablement* à Emheb. Les mêmes titres se retrouvent à la ligne 3 du texte principal, et là leur appartenance à Emheb est également de toute évidence. Dans ce dernier cas, le titre *df', y* est suivi du complément  *hr-nb* (3) “(de) tout le monde”. Celui-ci manque dans le cintre, tout simplement, faute de place.

Le nom de la mère d'Emheb    n'est pas ordinaire(4). Les listes onomastiques de l'Égypte ancienne l'ignorent. A part cela il est écrit d'une manière syllabique. Ceci et cela nous fait penser à un nom étranger. Les radicaux *b* et *m* évoquent dans notre mémoire         *ba-am-ma-a-tu-u* “haut lieu”, “éminence”, “montagne” (en tant que lieu de culte) (5). Le mot de la même racine se rencontre souvent dans la Bible et ailleurs. Il s'écrit . Au pluriel et au *stat. constr.* nous trouvons à la place de  un  (6). La signification du mot est la même qu'en assyrien. “L'inscription de Mesha” en fait également état (1. 3 et 27) sous la forme .

(1) Ceci ne peut être fait, pour le moment, que par ceux qui ont une photographie de la stèle.

(2) Un titre très ancien, figurant déjà dans la tablette en ivoire de Nakada, dite de Ménès (voir nos “Monuments archaïques”, dans *Ann. Serr. Ant. et Bull. Inst. d'Égypte*).

(3) Voir notre “À propos d'un extrait, etc.”, dans ce *Bulletin*, vol. IX, mai 1947.

(4) Le  qui précède le nom de la mère appartient à son titre. Cf. la graphie   dans *Wörterb.*, II, 416.

(5) W. MUSS-ARNOLD, *Assyrian Dictionary*, p. 172.

(6) Cf. p. ex., le roi Josias qui nettoie le pays “des hauts-lieux” (I *Rois*, XIII, 2, 32, 38, II *Rois*, XXIII, 5-20. II *Chr.* XXXIV, 3).



FIG. 1.

principal, c'est-à-dire, de droite à gauche. L'inscription se rapporte *en entier* au propriétaire de la stèle. La voici :



(I-II) *D'Horus d'Edfou, dieu de la Ville*
et d'Hathor, maîtresse de Denderah } *l'Aimé, le Nour-*
ricier, Celui qui renouvelle la vie;

(III) *l'Intendant en-chef de l'Administration des greniers,*
Emheb,

(IV) *né de la Princesse Bâ mû.*

Le dieu se tient sur un support ayant l'apparence d'un .
 Il se peut qu'il s'agisse d'Horus "qui
 est sur son tertre". Une autre particularité serait le et le
 tournés les deux non pas vers Emheb, mais vers le dieu.

A moins que ce ne soit là une simple inadvertance de la part du graveur ou que celui-ci fût gêné par la colonne hiéroglyphique toute proche, nous pourrions l'interpréter comme signifiant que "toute vie et toute joie" appartiennent au dieu Horus.




Le participe passif *mry* est masqué par une éraflure dans la pierre, mais on voit tout de même le trait horizontal de la manche et quelques traces de la ligne inférieure sinueuse.

Or il nous semble qu'encore sous ce rapport on fait fausse route, le présumé quatrième nom étant en réalité *une phrase*. Et, bien qu'elle se rapporte à un homme, elle ne demande pas nécessairement l'introduction d'un nouveau personnage. Elle pourrait très bien viser le troisième, autrement dit, le "maître".

Nous ne le connaîtront définitivement qu'après la publication de toute l'inscription biographique. Tout ce que nous pouvons faire pour le moment, c'est de reparler du nom du prince Emheb, en y ajoutant celui de sa mère, et de tâcher d'en tirer quelques renseignements complémentaires.

LES NOMS ET LES TITRES D'EMHEB ET DE SA MÈRE

Les figures et les légendes se trouvant dans le cintre de la stèle sont encadrées de trois côtés des ailes rabattues du disque solaire (fig. 1-2). Celles-ci ont l'air de rideaux tirés faisant voir les "acteurs" comme sur une sorte d'avant-scène.

LES FIGURES. Ce sont, à droite, le dieu Horus d'Edfou et la déesse Hathor de Dendérah et, à gauche, le propriétaire de la stèle, Emheb. Horus debout sur un tetragone rayé tient à la main droite le sceptre  surmonté de , le tout tourné vers lui-même, et à la main gauche, pendant le long du corps, un autre . Le dieu porte une chemise à bretelles et un pagne collant retenu par une ceinture. La déesse, les mains pendantes, est vêtue d'une longue chemise collante à bretelles. Sa tête est ornée du disque solaire avec uræus entre deux cornes. Emheb se tient devant les deux divinités, le bâton de commandement à pommette papyriforme à la main droite et un *ankh* à la main gauche.

LES LÉGENDES. Le cintre contient quatre colonnes d'écriture hiéroglyphiques orientées dans le même sens que le texte

considération ou non par l'éditeur, elles sont utiles ne fût-ce que pour cette raison qu'elles rompent le silence planant sur un nouveau texte intéressant. Et c'est déjà quelque chose.

Dans cet esprit de loyale collaboration fut faite la traduction par M. Drioton de quelques lignes du texte biographique en question. Elle parut dans un ouvrage sur le théâtre égyptien étant donné que l'éminent auteur a cru reconnaître dans Emheb et dans son "maître" *deux mimes ambulants* (1). Si la chose était prouvée, ce serait là une indication directe que le théâtre populaire—et non pas seulement *les mystères*—existait déjà en Égypte ancienne.

La publication des quelques lignes en question et le fait que M. Drioton a mentionné le nom et les titres du propriétaire de la stèle donnèrent au monde savant la possibilité de se prononcer sur le contenu de la stèle, contenu partiel il est vrai, mais non dénué d'intérêt. Et cela sans enfreindre la coutume qui veut que ce soit le fouilleur lui-même qui publie le document qu'il a découvert, surtout s'il y tient.

Nous avons donné la réplique à M. Drioton dans deux numéros de notre "Bulletin" (2) tout en suggérant qu'il s'agissait non pas de mimes ambulants, mais *d'un chef militaire et de son intendant en-chef*.

Cette fois-ci nous allons porter notre attention non seulement sur le nom et les titres d'Emheb, mais aussi sur le nom de sa mère, lequel, comme on le verra, ne manque pas d'intérêt. En parlant d'eux, nous nous verrons obligé de jeter un coup d'œil au-delà de la limite établie par la publication de M. Drioton et de citer une partie de la ligne 6 du texte d'Emheb. D'après l'avis général exprimé de vive voix il y aurait là *le nom d'un quatrième personnage*, les trois premiers étant Emheb, sa mère et son "maître".

(1) Et. DRIOTON, *Le Théâtre Égyptien*. Éditions de la "Revue du Caire", 1942, p. 15-16, 18 et 66.

(2) Vol. IX et X.


LE NOM ET LES TITRES D'EMHEB ET DE SA MÈRE

(*Suite et fin*)⁽¹⁾

PAR

VLADIMIR VIKENTIEV

Les fouilleurs de l'Institut Français d'Archéologie Orientale ont découvert en 1922 à Tell Edfou plusieurs stèles publiées sans délai par feu Engelbach⁽²⁾. A part ces documents d'une facture assez grossière et d'un intérêt plutôt restreint, il y avait une stèle

au nom d'un certain  Emheb, aussi gauchement sculptée que les autres, mais qui se recommandait vivement à l'intérêt des savants par son contenu peu banal et par la mention de la ville d'Avaris. C'était de toute évidence une biographie où, à part le propriétaire de la stèle et sa mère, il était question de son "maître" (*nb.f*).

Qui était l'un et qui était l'autre ?

La stèle entretemps devenue introuvable et pour cette raison ou pour une autre tardant à être publiée par le directeur des fouilles qui se la réserva, on se livra à des essais d'interprétation en se basant sur la photographie très obligeamment mise à la disposition des personnes intéressées. Les échanges de vues sont désirables, surtout quand il s'agit d'un texte difficile, et celui d'Emheb l'était. Que les suggestions soient ensuite prises en

(1) Voir "Les titres d'Emheb", dans *Bull. Fac. Arts, Fuad I. Univ.* vol. X, Part I.

(2) R. ENGELBACH, *Stèles d'Edfou*, dans *Ann. Serr. Ant.*, vol. XXI, p. 64-67 ; XXII, p. 113-133, et XXIII, p. 183-186.

TABLE DES MATIERES

Wladimir Sémionovitch Golénischeff	Pag. 1
<i>Curriculum vita</i>	3
Liste des publications	5

TABLE DES PLANCHES

Frontispice. Photographie de W. Golénischeff. que lui-même considérait comme la meilleure, avec sa signature en hiéroglyphes, en russe et en français.

Planche I. Une page de l'adresse présentée à W. Golénischeff à l'occasion de son 70^{ème} anniversaire (*D'après une g-auche de l'Auteur*)

N.B.—Les deux têtes d'Hathor font allusion, l'une à Madame Cécile Golénischeff, la dévouée compagne du savant, et l'autre à sa science aussi inséparable.

Planche II. W. Golénischeff en tenue de professeur à Zaafarane.

Planche III. W. Golénischeff en tenue de chasseur à Louxor.

Planche IV. W. Golénischeff en tenue de momie dans son musée privé à St. Petersbourg.

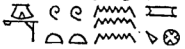
N.B.—On aurait tort de voir dans cette photographie rien qu'une amusante plaisanterie de jeune savant. Si nous étions de cet avis, nous ne l'aurions pas reproduite dans notre article commémoratif. Nous y relevons quelque chose de beaucoup plus intéressant, à savoir le désir, cela va de soi inconscient, d'entrer *in medias res* de sa science en s'identifiant avec l'un de ses monuments les plus représentatifs. Il est parvenu à notre connaissance que d'autres égyptologues se voyaient en rêve *mangeant des hiéroglyphes*. C'est là une autre manière, elle aussi symbolique, de faire siens les secrets de notre science. D'ailleurs, ni la "tenue de momie" ni la "consommation d'hiéroglyphes" ne datent de nos jours. Il n'y a qu'à se souvenir, d'un côté, du héros du conte démotique de "Setné Khamouas" absorbant un texte ésotérique après l'avoir dilué dans une coupe de bière, et, de l'autre, de la pratique si répandue, tant dans les cérémonies sacrées que dans les représentations profanes, de s'identifier avec une divinité ou avec un héros en arborant son masque et son vêtement. La "plaisanterie" du jeune Golénischeff est ce qu'on appelle un "rêve éveillé" témoignant d'une manière éloquent de sa ferveur de néophyte.

Planche V. Stèle de Ronsa II, roi d'Ounrartou (partie supérieure) transcrite et interprétée par W. Golénischeff.


28. Papyrus hiératique de la Collection W. Golénischeff sur le voyage de l'Égyptien Ounou-Amon en Phénicie, *Rec. Trav.*, 1899 (t. XXI).

29. Nadpiś Vanskago Tzaria Roussi II, in 4°, St. Petersb., 1901.

30. Offener Brief an Herrn Professor G. Steindorff (die Libyerfrage betreffend), *Zeitscher. f. äg. Spr.*, 1902-3 (t. XL).

31. Die Landschaft , *ibid.*, 1904 (t. XLI).

32. Le Papyrus N° 1115 de l'Ermitage Impérial de St. Petersbourg, *Rec. Trav.*, 1908 (t. XXXIII).

33. Das Wort  "der Feuerbohrer", *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1908-1909 (t. XLV).

34. Le Conte du Naufragé, *Bibliothèque d'Etudes*, t. II, in 4°. Le Caire 1912.

35. Eguipetskaïa mogilnaïa plita N° 4071 (*Pamiatniki Mousieia Iziachtechnikh Iskousstv*, Moscou, 1912).

36. Les Papyrus hiératiques N° 1115, 1116 A et 1116 B de l'Ermitage Impérial, Fol., St. Petersb., 1913.

37. Quelques remarques sur la syntaxe égyptienne, *Recueil Champollion*, 1922.

38. Leçon inaugurale de Philologie Égyptienne à l'Université Égyptienne, Le Caire 1923 (traduction arabe).

39. Parallélisme symétrique en ancien égyptien. *Studies presented to F. Ll. Griffith*.

40. Le rôle de l'intonation dans quelques textes égyptiens, *Mélanges Maspero*, vol. I.

41. Deux dessins humoristiques anciens-égyptiens. *Zapiski Arkhéologičeskago Obščestva*, St. Petersb. (sans date).

42. A propos de l'exemplaire du "Livre des Morts" au nom d'Horus, fils de Nespaḥerân et Taḥapy, *ibid.* (sans date).

Frontispice



Photo de l'Auteur

Д 52112

B. Tscherning

W. Golinschiff

13. Notice sur un ostracon hiératique du Musée de Florence, *ibid.*, 1882 (t. III).

14. Sur l'origine alphabétique de certains hiéroglyphes. Congrès des Orientalistes de Leide, 1884, in 4°.

15. Le cachet bilingue du roi Tarkutimne (dans *Proc. Soc. Bibl. Arch.*, mai 1888).

16. Opyt grafitcheski raspologennago assyriiskago slovaria, St. Petersbourg, 1888, in 4°.

17. Epigraphitcheskié resoultaty poezdki w Ouâdi Hamamât, St. Petersburg, 1888, in 4° (dans *Zapiski Arkhéologitcheskago Obchtchestva*).

18. Lettre à M. G. Maspéro sur trois petites trouvailles égyptologiques, *Rec. Trav.*, 1889 (t. XI).

19. Arkhéologitcheskiyé resoultaty pouteschestviya po Egiptou zimoi 1888-1889, St. Petersburg, 1890.

20. Une excursion à Bérénice, *Rec. Trav.*, 1890 (t. XIII).

21. Stèle de Darius aux environs de Tell El-Maskhoutah, *ibid.*, 1890 (t. XIII).

22. Vingt-quatre tablettes cappadociennes de la Collection W. Golénischeff, in 8°, St. Petersburg, 1891.

23. Inventaire de la Collection Egyptienne à l'Ermitage Impérial, in 8°, 1891.

24. Opissanié assyriiskikh drevnostei w. Imp. Ermitagé (1892 ?).










25. Amenemhat et les Sphinx de San, *Rec. Trav.*, 1893 (t. XV).

26. Egipto-saveïskii sarkofag w Guizeliskom Muscié, in 8°, 1893.

27. Eine neue Darstellung des Gottes Antäus, *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1894 (t. XXXII).

de notes lexicographiques et grammaticales, qui exigent non seulement beaucoup de soins, mais aussi beaucoup de temps, et de plus en plus il s'adonne à l'étude minutieuse de la structure de l'ancienne langue égyptienne.

LISTE DES PUBLICATIONS (1)

1. Ueber die Aussprache des Wortes  und über das Wort      , *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1874 (Tome XII).
2. Eine ältere Redaktion des 108 Kapitels des Tottenbuches, *ibid.*, t. XII.
3. Miscelenea, I, *ibid.*, 1875 (t. XIII).
4. Miscelenea, II, *ibid.*, 1876 (t. XIV).
5. Le Papyrus N° I de St. Petersburg. Notice lue le 29 août/10 sept. 1876 au Congrès des Orientalistes à St. Petersburg, *ibid.*, 1876 (t. XIV).
6. Ueber das Wort  ,  oder  .
ibid., 1877 (t. XV).
7. Die Metternichstele, Leipzig, 1877, Fol.
8. Sur un ancien chapitre du Livre des Morts, 1878.
9. Sur un ancien conte égyptien. Congrès de Berlin, 1881, in 4°.
10. Ueber zwei Darstellungen des Gottes Antæus, *Zeitschr. f. äg. Spr.*, 1882 (t. XX).
11. Offener Brief an Herrn Professor H. Brugsch (Mariette, Karnak betreffend), *ibid.*, 1882 (t. XX).
12. Notice sur un texte hiéroglyphique de Stabel Antar (Speos Artemidos), *Rec. Trav.*, 1882 (t. III).

(1) Nous ne pouvons pas garantir qu'elle soit complète.

De 1869 à 1875 il fait ses études au Ier Gymnase (= Lycée) Classique et de 1875 à 1879 à l'Université, Section des Langues Orientales, où il termine avec le grade de "candidat" (ce qui à cette époque correspondait au Magister des Universités Allemandes.

De ce titre il doit se contenter n'ayant pas la possibilité de présenter et de défendre aucune thèse égyptologique, puisque, à ce moment, il n'y a nulle part en Russie ni professeurs ni chaire d'Égyptologie.

Il n'abandonne pas pour cela ses études favorites sur la langue et les antiquités égyptiennes, et, pendant de multiples voyages en Egypte, jorme pour lui une assez grande collection d'objets anciens et surtout de manuscrits.

Après le premier voyage en Egypte il est nommé Conservateur de la Collection Égyptienne et Assyrienne du Musée de l'Ermitage Impérial et y reste, comme tel, jusqu'en 1915. Pour comprendre les inscriptions, qui se trouvent sur les objets assyriens de la collection, il se voit obligé à s'adonner à l'assyriologie.

En Egypte il parcourt à maintes reprises la Vallée du Nil, du Caire jusqu'à Ouadi Halfa et même jusqu'à Khartoum, et fait des excursions dans le désert : à Ouâdi Hammamat, à mi-chemin de Kéneh à Kosseir, à Bérénice, au bord de la Mer Rouge, et à l'Oasis d'El Khargeh.

Depuis 1919, il collabore au Grand Catalogue du Musée du Caire, en faisant une transcription aussi exacte que possible des manuscrits hiératiques.

En même temps, de 1923 à 1924-1925, il fait des cours d'Égyptologie à l'ancienne Université Égyptienne, et un cours pendant la saison 1924-1925, à l'Ecole d'Archéologie.

Pendant sa longue carrière égyptologique, qui commença en 1870 avec l'étude du Prof. Reinisch sur les antiquités égyptiennes au Musée de Miramar, il amassa peu à peu une réelle collection

d'Archéologie à Mounira et chef de la Section Egyptologique de l'actuelle Université Fouad I^{er}, à Zaafaran (Abbassich).

Après avoir démissionné en 1929 pour se consacrer entièrement à son œuvre magistrale sur la Syntaxe, il n'a cessé un seul instant de s'intéresser aux progrès de la jeune science philologique en Egypte et de prodiguer conseils et encouragements à ses anciens élèves qui semblaient être aussi attachés à leur vénérable Maître que lui était à eux.

A part le côté purement égyptologique, les entretiens avec Golénischeff étaient édifiants sous maints autres rapports. C'était un homme d'une vaste culture donnant réplique à toute question d'ordre général ou spécial.

Golénischeff connaissait la langue accadienne aussi bien que celle de l'Egypte ancienne, sans parler du latin, du grec, de l'arabe, et de l'hébreu biblique. Tant qu'il s'agit de ses connaissances en cunéiforme, preuve en est la Stèle de Roussa II, roi du royaume d'Ourartou, publiée et interprétée par lui en 1901 (pl. V). La langue chalde de cette inscription étant alors fort peu connue, c'était une entreprise vraiment héroïque qu'il mena à bout avec le maximum de succès auquel on pouvait s'attendre,

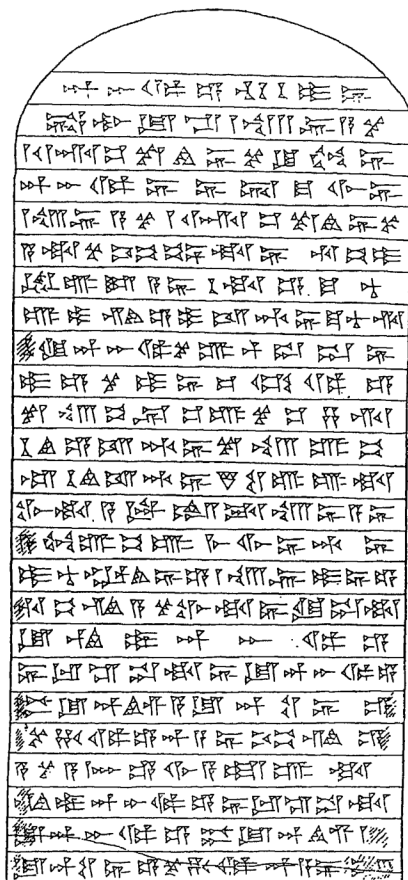
Une autre preuve, s'il en faut, serait son "Dictionnaire assyrien" arrangé d'après le principe graphique. Il a fait aussi l'inventaire des antiquités assyriennes de l'Ermitage, publié des tablettes cappadociennes, etc.

17 décembre 1950

CURRICULUM VITÆ

Voici les données que W. Golénischeff lui-même communiqua à la Faculté des Lettres de l'Université Fouad I^{er} (alors Université Egyptienne) lors de sa nomination en 1925 au poste de professeur titulaire de philologie égyptienne.

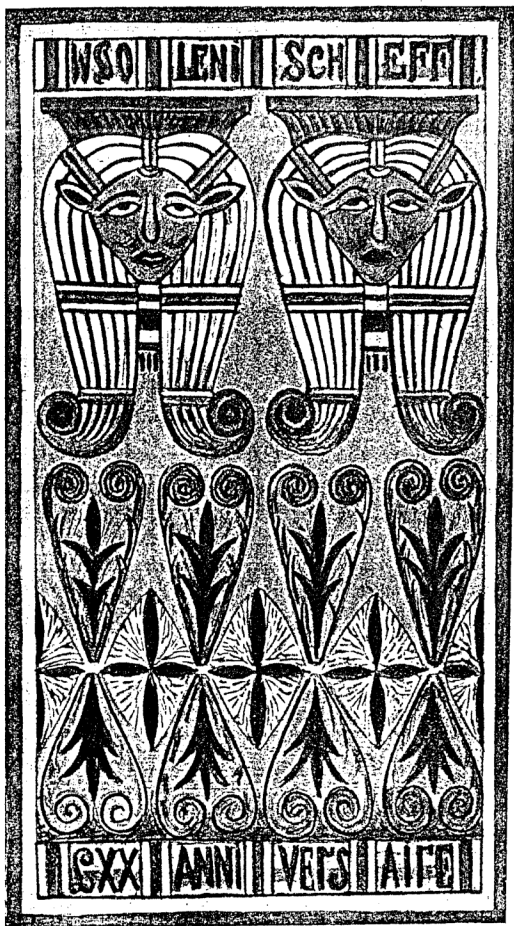
Wladimir Golénischeff est né à Petersbourg le 17 janvier vieux style (= 30 janvier nouveau style) 1856.











Saint Petersbourg en 1915. Il vint vers nous d'un pas alerte du fond d'une longue galerie. Cette première impression d'un homme en pleine vigueur ne se fit que s'accroître quand nous entrâmes en conversation. Sa manière de parler pleine de verve nous a fait oublier d'emblée que nous étions en présence d'un sexagénaire. Et alerte il resta jusqu'à la fin de ses jours. Si ses pas se ralentirent, s'il a dû plus tard s'appuyer sur une canne, son esprit n'a jamais fléchi. En 1947 il était aussi éveillé—nous aimerions dire, aussi dynamique—qu'en 1915. Il l'était même à la date fatidique du 9 août où sans préavis la mort l'a surpris à sa table de travail penché sur une feuille de papier couverte de signes hiéroglyphiques de son écriture minuscule et nette.

Ainsi se termina la longue série de ses méditations jamais interrompues. Commencées en 1870, quand Wladimir Sémionovitch n'avait que quinze ans, *elles durèrent soixante dix-sept ans*. Et la dernière année était comme la première. Pensée vive attachée amoureusement—c'est bien le mot—à tout ce qui avait trait à l'Égypte ancienne.

Nous en avons une preuve dans la lettre par lui écrite quelques jours—même pas une semaine—avant sa fin. Elle pourrait faire honneur à un jeune savant par son enthousiasme.

Cet enthousiasme d'un homme à cœur d'or et de grand savant, il le mettait pendant trois quarts de siècle au service de tous ceux qui voulaient s'initier à la science dans laquelle il était passé maître.

En cette année et en ce mois de décembre 1950, quand nous fêtons le jubilé d'argent de notre Faculté des Lettres, il y a lieu de rendre hommage à Golénischeff en tant que l'un de ses fondateurs les plus éminents. Il a posé en 1923, à l'ancienne Université Égyptienne, la première pierre des études académiques en matière d'égyptologie, et il posa bien d'autres pendant les cinq ans qu'il fut consécutivement professeur à l'Ecole

WLADIMIR SEMIONOVITCH
GOLENISCHEFF
(1856—1947)

PAR
VLADIMIR VIKENTIEV

Pour commémorer un grand disparu on garde une minute de silence. Pour nous qui l'avons connu de si près, la minute symbolique a duré trois ans. Ce n'est seulement maintenant que nous sommes à même d'admettre le fait et d'en parler. Et encore, en peu de mots.

Nous venons de dire que nous l'avons connu de près. A part l'affection mutuelle, le rapprochement était facilité par le fait que nous étions, tous les deux, dans des conditions assez semblables. Même patrie inaccessible. Même attitude envers notre peuple subissant une transfiguration extraordinaire. Malgré son apparence "européenne", Golénischeff était avant et après tout un Russe séparé de son pays d'origine non pas par des considérations idéologiques—les liens qui l'y unissaient étant combien plus profonds—mais, tout simplement, par des raisons d'ordre technique. Sans parler de l'Egypte où il est venu régulièrement chaque année, en tout soixante fois, pour y faire des séjours prolongés, nous l'avons vu souvent à Nice et nous aurions pu le voir autant de fois sur les bords de la Néva, si les voyages de ce côté ne présentaient tant de difficultés dont certaines insurmontables.

En effet, la première fois que nous l'avons rencontré, ce n'était pas au Musée du Caire, son centre de recherches égyptologiques préféré, ni dans sa bibliothèque niçoise. C'était à l'Ermitage de

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

	PAGE
VLADIMIR VIKENTIEV	
Wladimir Semionovitch Goleni-cheff	1
VLADIMIR VIKENTIEV	
Le Nom et les Titres D'Emheb et de sa Mère	11
LOUIS AWAD	
The Alchemist in English Literature	33
D. L. DEWE	
Pompey's Capture of Jerusalem on Tenth Tishri	83
Dr. WANEEB KAMEL	
The Fabula Atellana and its Stock Characters	89
GIRGIS MATTHA	
The Proslographomena ; Its Form and History in Demotic and Greek Texts	99
HELMUT VON DEN STEINEN	
Plato in Egypt	107
Dr. HASSAN IBRAHIM HASSAN BEY	
Contributions to the Study of Fâtîmid History in Egypt During the Last 12 Years	129
Dr. MOHAMAD MITWALLY BEY	
The Origin of the Luo	141

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XIII—PART I

MAY 1951

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Fouad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to **Dr. Zaky M. Hassan Bey** Editor of the Bulletin, and Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CAIRO
FOUAD I UNIV. PRESS,
1951

مجلة كلية الآداب



المجلد الثالث عشر — الجزء الثاني

ديسمبر ١٩٥١

تصدر هذه المجلة مرتين في السنة . في مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة
جامعة فؤاد الأول بالجزيرة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى المشرف على تحريرها الدكتور زكي محمد حسن بك عميد كلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول بالجزيرة

مطبعة جامعة فؤاد الأول

١٩٥١

فهرس القسم العربى

الدكتور فريد شافى . . .	زئارف وطرز ساسا . . .	١
الدكتور شوقى ضيف . . .	تقط العروس فى توارىخ الخلفاء لابن حزم	
	رواية الجيدى . . .	٤١
الدكتور زكى محمد حسن بك .	محف جديدة من الحزف النساطمى	
	ذى البريق المدنى . . .	٩١
الدكتور ابراهيم احمد زقانة .	علم ما قبل التاريخ ، نشأته ومنهجه .	١١١
الدكتور محمد محمود الصياد .	سكان مديرية البحيرة فى خسين عام	
	(١٨٩٧ — ١٩٤٧) . . .	١٤٧
الدكتور سامى جبره بك . . .	وحدة وادى النيل . . .	١٨٥

زخارف وطرز سامرا

لاركنور فرير سافعى

تميز سامرا بين سائر المدن التي نشأت في العصر الاسلامي بعدة ظواهر هامة قل أن وجدت في أى مدينة إسلامية أخرى . فقد سار العمران فيها بخطوات سريعة متلاحقة . وصار تخطيط المدينة أبعد ما يكون عن الاقتصاد في التوسع . فقد ترامت رقعتها في مساحة هائلة . إلا أنها لم تعمر طويلا إذ كانت السرعة في خرابها وهجرانها تتناسب مع السرعة الجبارة في نموها . فالفترة بين البداية والنهاية تكاد لا تتجاوز نصف القرن . وهي فترة ان كانت قصيرة الزمن فهي طويلة الأثر . إذ تم فيها على قصرها تطور ليس بالمألوف في تاريخ الفنون والزخارف .

وأكثر معالم ذلك التطور وضوحا كان في الزخارف النباتية بوجه خاص سواء في المحفورة منها أو المرسومة .

وانفق علماء الآثار على تقسيم الزخارف النباتية المحفورة في الجص الى ثلاثة طرز ولكنهم اختلفوا في نظام الترتيب الزمني لتلك الطرز ، إلا أن الأدلة والتحليل الفني والمنطقي ترجح كلها النظام الذي اتفق عليه الأستاذ كريبول والدكتور زكى محمد حسن بك والدكتور كوتل وهو عكس نظام الأستاذ هرزفيلد^(١) .

وقد عرضت لنا في دراستنا بعض ملاحظات وتحليلات رأينا أن نصيغها الى تلك الأبحاث القيمة مساهمة منا في دراسة الزخارف النباتية التي كانت ولا تزال تسترعى اهتمامنا .

فطرز سامرا — وخاصة الثانى والثالث منها — يمثل فيهما بحق مظهر جديد لزخارف الفن الاسلامي ، بل ويوضح فيهما طابع مميز للفن كله بوجه عام

ولزخارفه النباتية بوجه خاص . إذ تحورت شخصيته من قيود الفنون السابقة
التي كان يعتمد عليها كل الاعتماد منذ نشأته .

ويمكن تحليل هذه الطرز وتبويب تطورها كالاتي :

الطرز الأول (لوحات ١-٤) :

يتميز بقرب عناصره من الطبيعة ، أو بمعنى أصح بقربها من أصولها
الهلينستية إذ لم يطرُق إليها إلا التطور المنتظم المعتاد في الفنون . وكانت
عناصره لا تزال تخرج من عروق طويلة تمتد في انحناءات وحلزونات كانت
معروفة في الزخارف الهلينستية وما تأثر بها من الفنون الأخرى :

وأهم العناصر النباتية في هذا الطراز هي : ورقة العنب الخماسية (شكل ١)
وقطاعها يميل إلى التقعر والثلاثية (شكل ٢) وعناقيد العنب ذات المحيط المسكون
من ثلاث قصوص (شكل ٣) والعناصر الكأسية ذات الفجوات المعينة للشكل
(شكل ٤) ويلاحظ في الأشكال الأخيرة ميل قطاعها إلى التجذب .



(شكل ٢)

ورقة عنب ثلاثية ، ساسرا طراز ١

Creswell: II, Pl. 77 c.



(شكل ١)

ورقة عنب خماسية ، ساسرا طراز ١

Creswell, II, Pl. 78 d.

ويتضح في عناصر أوراق العنب ظواهر هلينستية صريحة هي للتعرق
التخيلي والعيون بين القصوص (شكل ١) .

كما يتضح الطابع الهلينستي في أسلوب الجفر من حيث تجسيم العناصر
في تقعر أو تجذب مما يضفي على التحنف ظلالاً متفاوتة العمق .

الطراز الثاني (لوحات ٥ - ٧):

تضاءل الأرضيات الى أن صارت قنوات ضيقة تفضل ما بين العناصر التي كادت أن تفقد ما ألفتناه من اتصال بعضها ببعض بواسطة عروق، كما كان الحال في الطراز الأول؛ فتطورت العناصر الى وحدات كبيرة منبسطة لا تجسم فيها وتتم بعضا البعض بحيث لا تترك أرضية أو فراغا بينها ونتج عن ذلك تصرف كبير في أشكال كثير منها، كي يساعد



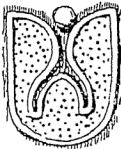
(شكل ٣)

هتقود عنب، سامرا طراز ١
حفريات - سامرا لوحة رقم ٣٢

على تنفيذ الفكرة والدق الجديدين الذين وضحا في هذا الطراز بعد التمهيد لها في الطراز الأول، كما نراه في العناصر التي تملأ الأركان المحصورة بين المناطق أو الجامات الهندسية التي يقسم إليها السطح المزخرف (لوحات ١ و ٢).

وفي رأينا أن هناك عاملا هاما في هذا المظهر الجديد يرجع الى أساليب

الصناعة تقسمها الى مطالب واتجاهات في تلك الأساليب لم تكن هناك حاجة إليها قبل إنشاء سامرا، وكان لزاما على الأساليب الصناعية أن تلبها.



(شكل ٥)

ورقة كاسية ثنائية، سامرا طراز ٢
حفريات سامرا لوحة رقم ٣٥



(شكل ٤)

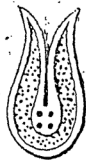
ورقة كاسية ثلاثية، سامرا طراز ١
Creswell, II, Pl. 52 e & Fig. 186.

فلو قارنا زخارف الطراز الثانى بزخارف الطراز الأول لوصلنا الى نتيجة هامة، هى أن الفنان اذا كان عليه أن يملأ مساحة ما بالزخارف فيلزمه وقت معين للملأها بزخارف من الطراز الأول . ولكن يلزمه وقت أقل من ذلك بكثير إذا غطاها بزخارف من الطراز الثانى ، وهذا الاقتصاد فى الوقت — ويتبعه زيادة اقتصاد فى التكاليف (٢) — كانت الحاجة اليه سببا فى الميل الى قلة التألق فى التصميم والتوزيع والصناعة ومحاولات التبسيط فيها وفى المحيط الخارجى للعناصر والاختصار فى الحشو الداخلى فى بعضها ، إذ نرى مثلاً



(شكل ٧)

ورقة كأسية ثلاثية ، سامرا طراز ٣
حفريات سامرا ، لوحة رقم ٦٠



(شكل ٦)

ورقة كأسية ثنائية ، سامرا طراز ٢
Creswell : II, Pl. 78 b.

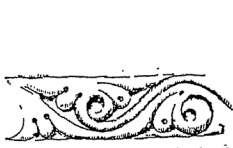
أن خلية النحل المكونة من معينات غائرة منتظمة ، كما كانت فى الطراز الأول (شكل ٤) ضاع منها التألق فى الطراز الثانى وأصبحت عبارة عن حفر صغيرة متلاصقة على السطح فى غير نظام بل وفى إهمال ، كما نراها فى بعض عناصر الطراز الثانى الموضحة بالرسم (أشكال ٥ الى ٧) .

الطرز الثالث (لوحات ٨ — ٩) :

هو المرحلة الأخيرة لتطور الطراز الثانى بفكرته وعناصره مع تعديل فيها بحيث تصبح أكثر صلاحية لفكرة جديدة أخرى هى « البصب » فى قوالب واستخراج نسخ متعددة من الوحدة الزخرفية الواحدة . وأغلب ظننا أن ازدياد الميل إلى الاقتصاد فى الوقت والنفقة الذى يتطلبه التوسع الكبير فى العاثر فى وقت قصير هو الذى أدى إلى التفكير فى استعمال

أساليب صناعية لها طابع آلى مبسط كان لها الفضل الأكبر في تطور العناصر في الطراز الثالث إلى أشكالها المعروفة في ذلك الطراز (أشكال ٨ إلى ١٣)

ولكن برغم ذلك كله فإننا نلاحظ شيئا هاما في عناصر الطرازين الثاني والثالث هو أنها كلها لا زالت تحتفظ بملايح كثيرة من الأصول الهلنستية والساسانية وأتينا لا نعثر على أى عنصر أجنبي خارج عن مجموعة العناصر المعروفة في الشرق الأوسط حتى العناصر التي يخلل بينها الأول وهلة أنها غريبة كـ بعض أشكال المراوح النخيلية الكاملة (شكل ٨) والمقسومة (شكل ٩)



(شكل ٩)

أوراق نخيلية مقسومة ، سامرا طراز ٣

Creswell, II, Pl. 74 c.



(شكل ٨)

ورقة نخيلية ، سامرا طراز ٣

Creswell, II, Pl. 72 c.

وكالورقة الجناحية (شكل ١٠) وكالعناصر الكاسية الكاملة (شكل ٤ — ٧) والمقسومة (شكل ١١ — ١٣) ، فكلها أو أوصولها كانت موجودة إما في الفنون الهلنستية والبيزنطية وإما في الفنون الساسانية . والتغير الذي طرأ عليها كان ناتجا من التصرف في بعض الجزئيات الخارجية والداخلية فجعل لها ذلك الطابع الغريب الذي تم نسجه وتطوره في الطراز الثالث . وهو طابع إسلامي صميم لا يوجد في أى فن من الفنون الأخرى ، اللهم إلا ما تأثر منها بالفن الإسلامي (٢)



(شكل ١١)

ورقة كأسية مقسومة ثنائية
سامرا طراز ٣

Creswell, II. Pl. 74 c.



(شكل ١٠)

ورقة جناحية ، سامرا طراز ٣

Creswell, II. Pl. 67 b.

والحق أننا نشاهد في الطراز الثالث ميزتين رئيسيتين تساعدان كثيرا على الحصول على ما يلائم الحاجة إلى أساليب صناعية لها طابع آلي مبسط هو الصب في القوالب ، والميزتان هما : (أولا) الحفر بطريقة الشطف (ثانيا) التخلص من الأرضيات العميقة ، فكلاهما يسهلان كثيرا عملية الصب في القوالب. والصب في القوالب طريقة سريعة لاستخراج نسخ متكررة من وحدة زخرفية تعطى في مجموعها مساحات كبيرة في وقت قصير وثققة قليلة وبضائقتها وجود أرضيات غائرة ضيقة بين العناصر ، كما يضابقها وجود زخارف مخفورة أو محشوة بخفر دقيق إذ ينتج عنها صعوبات جمة في تخليص الألواح المصبوبة



(شكل ١٣)

ورقة كأسية مقسومة ثنائية
سامرا طراز ٣

Herzfeld: Wandschmuck, Abb. 213a.
Orn. 199c.



(شكل ١٢)

ورقة كأسية مقسومة ثنائية
سامرا طراز ٣

Herzfeld: Wandschmuck, Taf. XIV.

من قوالها ، بل يتعذر أحيانا بدون إتلاف جانب كبير من الزخارف الدقيقة
وحرف جانب آخر وخاصة ما كان منها حادا . ومن هنا جاءت فكرة الاستعانة
بشطف الحواف وإلغاء الأرضيات .

ويمح أن نشرح شيئا من المنبع في الوقت الحاضر في عمل الزخارف وصيها
واستخراجها من قوال ، دلا نطن أن هناك اختلافا جوهريا بين المنبع الآن
والمنبع في البلاد الأخرى وفي أزمان قديمة ، وإذا وجد اختلاف فأغلب ظننا
أنه يوجد في التفاصيل الصغيرة . ونلخص طرق الصناعة في الخطوات الآتية :
أولا — تعمل ألواح من الجص ويرسم عليها النموذج الزخرفي
(PATTERN) المراد تكراره بسن مدبب أو قلم .

ثانيا — تحفر الأرضيات حول محيط العناصر الزخرفية فتظهر الأخيرة
بارزة فوق الأرضية الفائرة . وتعمل في الحفر آلات حادة كالنقاب والأزاميل
المتفاوتة الغلظ وذات القطع المستقيم أو المستدير حسب حجم ومحيط الزخارف
المراد حفرها .

ثالثا — تملأ العناصر بالزخارف الداخلية من تعرق أو عناصر دقيقة
نباتية أو هندسية أو عيون أو أقراص . . الخ ثم تجسم في مستويات
متفاوتة .

وأغلب الظن أن الخطوات السابقة كانت متبعة في عمل الزخارف في سامرا
من الطرازين الأول والثاني .

أما الطراز الثالث فله خطوات أخرى تتم الخطوات السابقة وهي :
رابعا — كانت الزخارف الأصلية أحيانا تحفر على الخشب ^(١) بدلا
من الجص ويستخرج من هذا النموذج الايجابي إن كان من الخشب أو الجص
قالب سلبى من إحدى مادتين :

(١) الجص ، ويوجد منه أمثلة بدار الآثار العربية ^(٥) ومثل آخر
بمتحف معهد الآثار الإسلامية بجامعة فؤاد الأول ^(٦) . ونظرة
إلى هذين المثالين تعزز رأينا في أن طريقة الحفر بالشطف في الطراز

الثالث وانعدام الأرضية واتساع الزخارف فيه كل ذلك يسهل كثيراً انتزاع القالب الإيجائي بعد صبه .

(ب) الطين ، وكانت تصنع منه قوالب سليمة تؤخذ من نماذج من الخشب ، كما سبق القول ، ثم تحرق القوالب الطينية لأكسابها الصلابة اللازمة لاستعمالها .

خامساً — يطلى القالب السليبي بمادة دهنية تمنع التصاق الجص اللبن الذي يصب فيه لاستخراج العدد المطلوب من النسخ الإيجائية . وقد يتطلب الأمر أحياناً عمل أكثر من قالب سليبي إذا كان العدد المطلوب من القوالب الإيجائية كبيراً . إذ أن القالب السليبي يتلف من تكرار الصب فيه وخاصة إذا كان مصنوعاً من الجص .

أما من أين جاءت فكرة الصب في القوالب فصدرها ليس بعيداً عن سامرا . إذ تدلنا الآثار الساسانية على أن الفنانين الفرس كانت لهم دراية واسعة بأساليب صناعة الجص ، فقد كان من المواد الرئيسية المستعملة عندهم في طلاء الواجهات الداخلية والخارجية للحوائط المشيدة بالآجر أو اللبن . وكانت هذه الطريقة أكثر انتشاراً في فارس منها في البلاد الإسلامية الأخرى وأغلب الظن أن تلك الأساليب كان لها فضل كبير في تزويد الفنانين في سامرا بما ساعدتهم على إحداث تلك الثورة فيها .



(شكل ١٥)
أوراق جنائحية ساسانية

Orbell & Trever: Orfèvrerie
Sasaniide, Pl. 73



(شكل ١٤)
أجنحة ساسانية

Erdmann, Ara Islamica, IV. Figs.
13-14

وإذا عدنا إلى المميزات والعناصر والظواهر المختلفة في الطرازين الثاني والثالث والأخير منهما يوجه خاص وحلائها وجدنا أنها تتمثل في النمط الرئيسية الآتية :

١ — عناصر الأوراق الجناحية (شكل ١٠) وهي في الحقيقة أنصاف أجنحة ساسانية إذ أن مصدرها الرئيسي عناصر الأجنحة المنتشرة في الرسوم الساسانية وزخارفها والتي كثيرًا ما كانت تستعمل في تيجان القياصرة الساسانيين كتاج خسرو الثاني مثلاً (شكل ١٤) ثم تطورت الأجنحة باختزال الضلوع والاقتصار على المحيط الخارجي (شكل ١٥) ويسمى أمثاله الأستاذ هرتفيلد بالبات الجناحية (Flügel-palmette)^(٧).

٢ — عناصر أنصاف الكؤوس، (أشكال ١١—١٣) وأصلها في رأينا عناصر الكؤوس الكاملة المعروفة في الفنون الهلينستية والساسانية ثم انحرف وضع العرق إلى جانب منها فتتجت الأشكال نصف الكأسية . ولنا أن نعتبرها—حسب آخر المعلومات عن حفائر الآثار الإسلامية—عناصر إسلامية صميعة ولدت بالعراق في الربع الثاني من القرن الثالث الهجري (٩ م) .

ولا يفوتنا احتمال وجود خطوات تمهيدية سابقة ، ولكن ليس لدينا في أي فن من الفنون السابقة ما يصح أن يعتبر حلقة تمهيدية اللهم إلا عنصر في صينية من الفضة تنسب إلى الفن الساساني (شكل ١٦) . وهو في الحقيقة ليس بنصف كأس على الهيئة الصريحة التي انتشرت في الفن الإسلامي منذ سامرا . إذ تقع نقطة اتصال الساق بالعروقي في محور الكأس تمامًا كالعتاد ، والذي حدث هو أن الساق انثنى أو ارتفع حتى امتد مع مستوى القاع ، فأخفت بذلك إحدى الزاويتين اللتين كان الساق يصنعهما عادة على الجانبين عند التقائه بالقاع واقترب العرق وجانب من الكأس من أن يشتركا في خط منحني واحد . غير أننا لانسبعت أن يكون من هذا الوضع وأمثاله ما ساعد على الإيحاء للفنانين المسلمين بتلك الظاهرة لابتكار تلك العناصر الجديدة التي هي — إن شئنا

الدقة — هيئات جديدة لعناصر قديمة كانت موجودة في زخارف الشرق الأوسط والأدنى .



(شكل ١٦)

ورقة كاسية ساسانية

Surrey. 17. Pl. 227 .



(شكل ١٧)

قاع مجوف ، سامرا

٣- ظاهرة التجويف في قاع العناصر الجناحية والعناصر الكاسية (شكل ١٧) .

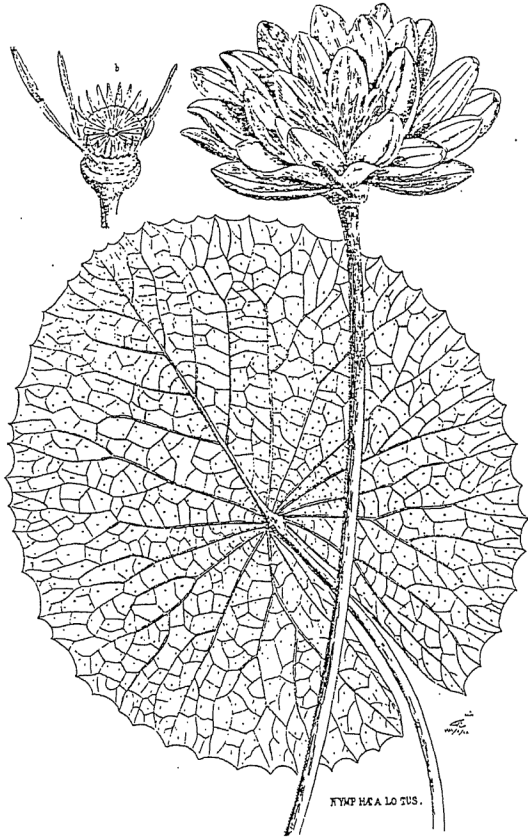
وعى في رأينا مشتقة من التجويف في العناصر الجناحية التي انحدرت من الفن الساساني كما سبق القول (شكل ١٥) ثم انتقلت من العناصر الجناحية إلى الزخارف الكاسية في سامرا وذلك للاحتكاك المباشر بين هذه العناصر وبعضها ، أما احتمال اشتقاقه من مصادر أخرى ، فلا نميل إلى

الأخذ به . فمثلا قد يكون المصدر من الطبيعة مباشرة ، إذ يوجد في بعض الأوراق الطبيعية تجويف ضيق عند نقطة التقاء الساق بالورقة ومن أمثلتها أوراق نبات العليق (Convulvulus) (شكل ١٨) وأوراق اللوتس المصري (Nymphaea) (شكل ١٩) إلا أنها أنواع بعيدة عن الزخارف الإسلامية ، ولكن النوع الأكثر اتصالا



(شكل ١٨)

ورقة العليق ، طبيعية



(شكل ١٩)

(زهرة وردة اللوتس المصرية — Description de L'Egypte)
(Histoire Naturelle-t. 2 bis, Pl. 60/I)

بالفن الإسلامي ، هو ورق العنب (شكل ٢٠) فقيه عيون وفجوات بين فصوص الورق وبعضها، وكذلك بين الفصوص السفلى منها وبين الساق، وأوراق العنب من العناصر الزخرفية المألوفة في سامرا (شكل ١) ولكننا برغم هذا نعتبر هذا الاحتمال بعيداً لسببين : أولهما ، أن استلهام الطبيعة أو الاقتباس المباشر منها لم يكن من مبادئ المزهرفين والقنازين وخاصة في العصور الأولى من الفن الإسلامي ، والسبب الثاني أنه بفرض حدوث تطور من ظاهرة طبيعية إلى أخرى زخرفية فإن ذلك يتطلب وقتاً طويلاً



(شكل ٢١)

ورقة كاسية ثلاثية ، سامرا رقم ١

Creswell : II, pl. 78 d



(شكل ٢٠)

ورقة عنب خاشية طبيعية

Baily : Cyclopedia of Horticulture,
Fig. 3953.

وخطوات تدريجية لا تتفق مع القفزة التي رأيناها في تطور زخارف سامرا . إذ لم يظهر التجويف صراحة في العناصر الكاسية إلا في بشائر الطراز الثاني (شكل ٢١) ، ولم يظهر في العناصر الزخرفية التي تمت لورقة العنب بصلة النسب أو الشبه على كثرة أمثلتها في الطرز الثلاثة في سامرا وخاصة في الطراز الأول منها .

٤ — فكرة تلاصق العناصر بحيث تتم بعضها البعض ولا تترك فراغا بينها . وفي رأينا كما سبق القول أن النسب المباشر لهذا الأسلوب هو الحاجة

إلى الاقتصاد في الوقت والنفقة ولانتاج كميات كبيرة من الزخارف في أسرع وقت (Mass Production). وكان الفنانون القرس أكثر الناس في ذلك الوقت دراية بأساليب الصناعة في الجص .

هـ — ظاهرة التقطاع المشطوف أو المحدث للعناصر (شكل ٢٢) وقد بدأ ظهوره في بعض عناصر الطراز الأول^(٨) ثم عاد ليصبح من أهم مميزات الطراز الثالث . وهي ظاهرة ليست بالجديدة في العصر الاسلامي إذ نراها قبل ذلك في عناصر زخرفية قديمة من زخارف الطراز الأول ،



(شكل ٢٣)

قلمة بني حماد



(شكل ٢٢)

التقطاع المحدث ، سامرا رقم ٣

Marcaia : Manuel, I, Fig. 94 e

كشفت عنها في حفائر مدينة الحيرة . وتدلنا الأبحاث الأولية عن هذه العناصر أنها تسبق إنشاء سامرا^(٩)، ومهما يكن من الأمر ففي رأينا كما سبق القول أن أساليب الصناعة وعمل القوالب لزخارف الطراز الثالث مسؤولة إلى حد كبير عن انتشار ظاهرة التقطاع المشطوف في عناصر الطراز الثالث .

٦ — ظاهرة خروج العناصر النباتية من بعضها ، بمعنى أن يمتد طرف العنصر حتى يصبح عرقاً ينبت منه آخر قد يتحول طرفه إلى عرق وهكذا . وقد وجدت هذه الظاهرة قبل الاسلام في فنون الشرق الأوسط وخاصة في زخارف الشام من العصر المسيحي^(١٠)، ولكنها وضحت نهائياً وتم نفضيها وانتشرت إلى حد كبير في الفن الاسلامي وصارت من أهم مميزاته الصريحة

غير أنها على أى حال لم تقو على محور الفكرة القديمة وهي خروج العناصر مباشرة من العروق ، ومن الملاحظ أن الظاهرتين كانتا متلازمتين في مدارس الفن الاسلامي في الشرق الأوسط والأدنى بوجه عام . أما في المغرب فكانت الفكرة القديمة أوسع انتشاراً من فكرة سامرا التي كانت نادرة هناك .

وإذن فكل هذه العناصر والظواهر المختلفة الخاصة بالزخارف تشعرتنا بأن العوامل المحلية كانت تعمل في قوة ليس من المنطق ولا من الانصاف أن نتجاهلها^(١١) ، وأن نرجح عليها عوامل أجنبية يحتمل مجيئها مع أقوام من الترك من أواسط آسيا ، كما يقول الأستاذان شترزيكوفسكي^(١٢) وكونل^(١٣) .

وتحليل العناصر والظواهر التي شرحتها فيما سبق تعزز الى حد كبير رأى الدكتور زكي محمد حسن بك^(١٤) في نشأة وتطور زخارف سامرا وتشجيعنا على التمسك بالقول بأن زخارف سامرا قد تكون طابعها وتمت تطوراتها تحت تأثير عوامل فنية وصناعية معظمها إن لم يكن كلها محلي .

ولكننا نخالف الأستاذ الدكتور زكي بك في أنه لا يرى في ذلك ثورة زخرفية ونحن نعتبرها كذلك للسبب الآتي :

سبق القول بأن الإبانة كريسول والدكتور زكي بك والدكتور كونل قد اتفقوا على نظام ترتيب الطرز الثلاثة بعكس نظام الأستاذ هرتزفيلد^(١٥) فإذا لاحظنا أن الطراز الأول يبدأ مع أقدم جزء من عمائر سامرا الأولى في الجوسق الخاقاني أى في باب العامة (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م)^(١٦) وأن الطراز الثالث هو السائد في زخرفة قصر بلكوارا الذي يؤرخه الأستاذ كريسول بين (٢٤٠ و ٢٤٥ هـ / ٨٥٤ و ٨٥٩ م)^(١٧) فالفرق بين التاريخين لا يزيد عن ٢٤ عاماً وهو بلا شك يعتبر فترة قصيرة جداً في تاريخ تطور الزخارف الذي نراه يأخذ أجيالا وقروناً في بعض الأحيان لكي تتم فيه خطوات انتقال صريحة من حال الى حال . ومن الواجب اعتبار ماحدث في سامرا من تطور في تلك الفترة القصيرة ثورة فنية حقاً .

زخارف الخشب

ولنتناول بعد استعراض تطوّر الزخارف في الطراز الثالث في الجص أن نقارنه بتطورها في الخشب .

وعبثاً نحاول أن نجد ما يهدينا إلى أن التطور في الخشب كان يتمشى مع التطور في الجص . فبرغم وجود عدد كبير جداً من منتجات الخشب من الطراز الثالث فإنه لا يوجد مثل واحد يصح اعتباره من الطراز الثاني أو اعتباره قريباً منه .

ولا نعتقد أن ذلك راجع لفقد المستندات الأثرية . فهي متوفرة في معظم المواد . وحتى إذا فرضنا أن منها ما فقد في سامرا فإن لدينا مصر وقايس وفيها أمثلة عديدة من الطراز الثاني في الجص ، ولا أقل من وجود قطع ولو نادرة من ذلك الطراز الثاني في الخشب ، إن كان قد وجد فيه .

ولا مفر إذن من الظن بأن أسلوب الحفر في الخشب في مدرسة سامرا لم يتبع تماماً خطوات التطور التي رأيناها في الحفر في الجص . وليس هذا بغريب ، إذ يمكن تفسيره بسهولة : فلم تكن للفتاتين حاجة إلى التحايل في أساليب صناعة الخشب كحاجتهم إليها في الجص . والطراز الثاني الذي يعتبر مرحلة تبسيط للزخارف والذي يصل الطراز الأول بالثالث في الجص لم تكن هناك ضرورة لوجوده في الخشب ، فالخشب لم يكن من المواد المحلية في العراق حتى يمكن استعماله في الزخرفة بأسراف كالجص .

والطراز الأول في الخشب يمكن اعتباره ممثلاً في بضع تحف خشبية منها منبر جامع القيروان الذي جلب له من بغداد في (٨٦٢هـ - ٨٦٣م) وهو تاريخ يعاصر سامرا وازدهار البناء فيها ، ثم الق قطع الخشبية المشابهة لحشواته وعثر عليها في تكريت^(١٦) ، ثم الباب الخشبي الذي عثر عليه في تكريت والمحمول الآن بمتحف بناكي في أثينا وينسب إلى القرن ٣ هـ (٩ م)^(١٧) ، أي يصح اعتباره أيضاً معاصراً للزخارف سامرا . نأسلوها كلها يتوازي

مع أسلوب الطراز الأول في الحفر على الجص من حيث اتفاقها في احترام التقاليد الهلنستية مع بعض التطور الرزين

وأغلب ظننا أن التطور في الخشب قد تحول من ذلك الطراز الأول إلى الطراز الثالث مباشرة عند ما بدأ الفنانون في استعمال الخشب كأصل لزخارف الطراز الثالث ليستخرج منه القوالب السلبية^(١٦) كما سبق شرحه (صفحة ٥٥) ولا شك أن الفنانين لمسوا السهولة والسرعة الكبيرتين اللتين تتوفران في طريقة حفر زخارف ذلك الطراز، فضلاً عن مظهرها وشخصيتها الجديدين — ولكل جديد بلاوة — فأقبلوا على ذلك الأسلوب وتوسعوا في استعماله في زخرفة الأخشاب .

زخارف الخزف ذي البريق المعدني

أما الزخارف النباتية في الخزف ذي البريق المعدني فمن البديهي أن يختلف مظهرها لاختلاف المادة . والمشهد أن الطرازين الثاني والثالث لا تختلف العناصر فيهما كثيراً في الشكل والتخطيط الخارجي والفرق بينهما هو في طريقة الحفر، فهي في الطراز الثالث مجسمة وفي الثاني متبسطة (Flat) وهي توافق الرسم على الخزف، والحق أن كثيراً من زخارف الخزف نراه وثيق الصلة بعناصر محفورة في الجص من الطرازين الثاني والثالث . وقد قارن الأستاذ مارسيد بعضاً منها ووضح صلات الشبه الكبيرة بينها^(١٧) . وإذن فزخارف الخزف ذي البريق المعدني من مجموعتين : أحدهما تشبه الطراز الأول ، والأخرى تشبه الطراز الثاني والثالث معا .

تطور زخارف سامرا

أما أهمية زخارف سامرا فلا تأتي من تطوراتها في سامرا نفسها فحسب بل من تطوراتها خارج سامرا أيضاً .

فقد انتشرت تلك الزخارف في بقاع الشرق الإسلامي واحتفظت بمميزات الأصلية فترات طويلة في بعض تلك البقاع وقصيرة في البعض الآخر .

ولكن كان لها في كل الأحوال أثر كبير في توجيه تطور الفن الاسلامي في تلك البقاع ، وفي تطور زخارفها بوجه خاص .

ولكى يمكن تتبع نفوذها وآثارها جمعنا ما أمكننا من النجف والآلات التي بقيت محتفظة بـمميزات الأصلية وخاصة بـأسلوب أحد الطرازين الثاني والثالث في مختلف الأفطار الإسلامية وربطناها حسب تسلسلها التاريخي كالآتي :

٢٢١ — ٢٦٩ هـ (٨٣٦ — ٨٨٣ م) العراق : سامرا : زخارف القصور والمنازل في الرخام والجص والخشب والخزف^(١٩) .

٢٢٤٨ هـ (٨٦٢ — ٨٦٣ م) المغرب : القيروان ، بلاطات من الخزف ذي البريق المعدني بالمسجد الجامع^(٢٠) .

٢٦٣ — ٢٦٥ هـ [٨٧٦ — ٨٧٩ م) مصر : جامع ابن طولون^(٢١) . زخارف محفورة في الجص والخشب .

نهاية القرن ٣ هـ (٩ م) مصر : محراب طولوني من الجص^(٢٢) .

نهاية القرن ٣ هـ — مصر : النزل الطولوني^(٢٣) ، زخارف محفورة في الجص .

نهاية القرن ٣ هـ — فارس : قرب سمرقند في الشمال الشرق في نيسابور وافرازيب : زخارف محفورة في الجص^(٢٤) .

نهاية القرن ٣ هـ — الرقة : تيجان أعمدة من الحجر عليها زخارف من طراز سامرا الثالث ومن الطبيعي أن ينسبها هرترفند إلى عصر هارون الرشيد أي في بداية القرن ٣ هـ (٩ م)^(٢٥) لأنه كما علمنا كان يعتبر الطراز الثالث هو الأول^(١) .

نهاية القرن ٣ هـ — الشام : تيجان أعمدة من الرخام عليها زخارف من طراز سامرا الثالث نسبها ديماند إلى القرن ٢ هـ (٨ م)^(٢٦) وهو خطأ واضح نشأ عن اعتماده على تقسيم الأستاذ هرترفند لطرز سامرا (أعلاه صفحة ١) وعلى تأريخه لتيجان الرقة السابقة .

القرن ٣ — ٤ هـ (٩ — ١٠ م) العراق : افريز من الجص في الكنيسة الكبرى في الرصافة (١٢٧).

القرن ٣ — ٤ هـ (٩ — ١٠ م) مصر : قطع زجاجية عليها زخارف بحسبة تنسب إلى العصر الطولوني (١٢٨).

القرن ٣ — ٤ هـ (٩ — ١٠ م) مصر : قطع خشبية تنسب إلى فترة الدولة الطولونية وأوائل الدولة الفاطمية (١٢٩).

٣٠١ — ٣٠٢ هـ (٩١٤ م) مصر: وادي النطرون ، زخارف جصية في كنيسة العذراء بدير السريان (١٣٠).

القرن ٤ هـ (١٠ م) مصر : محاريب بجامع ابن طولون (١٣١).

القرن ٤ هـ — العراق : الموصل ، مار يعقوب ، حشوات في محرابين على جانبي محراب كبير ينسبهم الأستاذ هرتزفيلد إلى القرن (٩ م) (١٣٢) ولكننا نلنس فيهم بعضاً من التطور يشجعنا على وضعهم في القرن (١٠ م) .
القرن ٤ هـ — العراق : الغراء ، محراب مقام عبد العزيز (١٣٣).

القرن ٤ هـ — فارس : مانشا ، تاج عمود وحشوة والائنسان من خشب (١٣٤).

حوالي ٣٥٠ هـ (٩٦٠ م) فارس : زخارف جصية بجامع ناين (١٣٥).

٣٢٥ — ٤٠١ هـ (٩٣٦ — ١٠١٠ م) الأندلس : مدينة الزهراء ، حزن ذو بريق معدني وزجاج ذو زخارف بحسبة فيها عناصر من الطرازين الثاني والثالث (١٣٦).

٣٥٩ — ٣٨٦ هـ (٩٧٠ — ٩٩٦ م) مصر : الجامع الأزهر ، زخارف جصية من عصر المعز والعزير (١٣٧).

الربع الأخير من القرن ٤ هـ (١٠ م) مصر : المحراب المعروف بمحراب جبي الشبيه وينسبه الأستاذ فلورى إلى منتصف القرن (١٠ م) (١٣٨).

ولكننا تفضل وضعه في الربع الأخير من ذلك القرن للأسباب التي سنذكرها
فيما بعد (صفحة ٧٨).

٣٨٦ — ٤١١ هـ (٩٩٦ — ١٠٢٠ م) مصر : الجامع الأزهر ،
باب خشب باسم الحاكم بأمر الله ^(١٢٩).

٣٩٣ — ٤٠٣ هـ (١٠٠٣ م) مصر : جامع الحاكم بأمر الله ، الأربطة
الخشبية للعقود الحاملة للقبّة ^(٤٠).

٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) فارس : غزنة ، باب خشب لمدفن محمود الغزنوي
في حصن أجرا ^(٤١).

٤٢٩ هـ (١٠٢٧ م) فارس : يزد ، دوازده أمام ، جص ^(٤٢).

حوالي ٤٣٠ هـ (١٠٤٠ م) المغرب : القيروان ، مقصورة المسجد الجامع
من الخشب ^(٤٣).

٤٤٧ — ٤٥٠ هـ (١٠٥٥ — ١٠٥٨ م) فارس : أردستان ، محراب
ذو زخارف من الجص في المسجد الجامع ^(٤٤).

نهاية ٥٠ هـ (١١ م) العراق : تكريت ، زخارف من الجص في مشهد
الأربعين ^(٤٥).

٥ — ٦ هـ (١١ — ١٢ م) فارس : خيوه ، أعمدة من الخشب مزخرفة
بالحفر في المسجد الجامع ^(٤٦).

٥ — ٦ هـ (١١ — ١٢ م) فارس : يزد ، محراب من الجص
في مسجد شاه أبي القاسم ^(٤٧).

النصف الأول ق ٦ هـ (١٢ م) فارس : قزوين ، زخارف جصية
في مسجد حيدرية ^(٤٨).

٥٢٨ هـ (١١٣٤ م) فارس : بزان ، امام زاده شاهزاده كرار ،
جص ^(٤٩).

٤٥٧ هـ (١١٥٢ م) فارس : إزجند ، جص في مدفن جلال الدين ^(٥٠).

النصف الثاني ق ٦ هـ (١٢ م) فارس : همدان ، زخارف ومحراب
من الجص في علويان^(٤١)

٥ هـ (١١ م) فارس : أبرقوه ، جص مدفن بير حمزة سبزپوش^(٤٢) .

حوالي ٥٥٩ هـ (١١٦٣-١١٦٤ م) الشام : حما ، المنبر الخشب في جامع
نور الدين الأروجه الداخلية لكوشات العقود المتصصة (نوحات ١١ : ١٢) .

٥٦١ هـ (١١٦٥-١١٦٦ م) العراق : الرقة : تيجان أعمدة من الجص
في الجامع داخل السور من عصر نور الدين^(٤٣) .

٥٦٦-٥٦٨ هـ (١١٧٠-١١٧٢ م) العراق : الموصل : تيجان
من الحجر لاكتاف بالمسجد الجامع^(٤٤) .

حوالي التاريخ السابق ، العراق : الموصل ، تاج عمود من الجص من عصر
نور الدين في مارأحودمه^(٤٥) .

حوالي التاريخ السابق ، العراق : الموصل : تاج عمود من الجص في مشهد
الشيخ فتحي^(٤٦) :

٥٧٣-٥٩٠ هـ (١١٧٧-١١٩٦ م) — فارس : لوح من الجص
عليه اسم أرطغرل^(٥٧) .

٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) العراق : مشهد على زخارف من الجص^(٥٨) .

نهاية القرن ٦ هـ (١٢ م) فارس : ترمذ ، بقايا مبنى^(٥٩) .

٦١٦-٦٣٤ هـ (١٢١٩-١٢٣٦ م) آسيا الصغرى : قونية ، حفر
في حجر من الأسوار^(٦٠) .

٧٠٣-٧١٢ هـ (١٣٠٣-١٣١٢ م) — فارس ، جص في بير بکران^(٦١) .

٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) — فارس : ورامين ، جص في امام زاده^(٦٢) .

ق ٨ هـ (١٤ م) فارس : قم ، جص في مدفن ولي بقرب بوابة قاشان^(٦٣) .

٧١٠ هـ (١٣١٠ م) فارس : أصفهان ، جص في المسجد الجامع^(٦٤) .

٧١٣ هـ (١٣١٣ م) فارس : بسطام ، مشهد بايزيد المحراب الجص^(٦٥) .

٧٣١ هـ (١٣٣٠ م) مرند : جص في مدفن^(٦٦) .

ويمكننا أن نستخلص من مجموعة الأمثلة السابقة ما يأتي :

أنه قد خرجت موجات محملة بمميزات طرز تلك الفورة الفنية من متبعها في سامرا فوصلت في قوة وعنفوان إلى فارس ومصر ، ومن البديهي أن تكون قد مرّت بديار الشام بحكم موقعها الجغرافي فهي بمثابة الممر الذي تنحدر فيه الموجات الآتية من الشرق إلى مصر . إلا أنه ينقصنا للأسف كثير من المستندات الأثرية التي ترجع إلى ما قبل القرن ٦ هـ (١٢ م) في تلك الديار لكي يمكن تتبع آثار تلك الموجات فيها .

* * *

وأول ما يستلقت نظرنا في سير تلك الموجات في الشرق الاسلامي أنه بمجرد خروجها من سامرا ووصولها إلى البلاد التي سبق ذكرها زارها قد بطأ سيرها وأخذ تطورها يتدرج بالسرعة المنتظمة المألوفة في تطور الفنون وهي قد تبدو لنا كثيرة البطء إذا قسناها بالفقرة التي حدثت في فترة ربع القرن التي رأيناها في سامرا .

التطور في مصر

ونرى في مصر بوجه خاص أن الموجة التي وصلتها بدأت تظهر في زخارف جامع ابن طولون ثم زخارف البيت الطولوني في العسكر ثم في زخارف دير السريان بوادي النطرون ثم نجد فراغا في صناعة الجص يستغرق نصف القرن تقريبا تقابله حلقات من زخارف محفورة في الخشب وكلها من الطراز الثالث السامري الى أن تأتي أول حلقة ثابتة التاريخ في الحفر على الجص هي الزخارف الجصية في الأزهر . وإذا بنا نشاهد فيها بدء تحول في الذوق والمزاج الفني يتضح في ميل العروق — بعد قصرها في طراز سامرا الثالث — الى الإمتداد في حركات تقرب من التثنيات والحلزونات التي كنا نشاهدها في الأساليب الهلنستية البيزنطية قبل الفورة السامرية . كما تغير الذوق في رسم بعض العناصر مع احتفاظها بآثار من سامرا وعادت الأرضيات إلى الظهور والانتعاش تدريجياً . إلا أن أهم هذه الظواهر كلها هو

امتداد العروق وحتى تامة الوضوح في المحراب المحفوظ نسخة منه بدار الآثار العربية والمعروف باسم محراب يحيى الشيبه . وينسبه الأستاذ فلورى الى منتصف القرن ١٠ م . ولكننا فضل نسبته الى الربع الأخير من ذلك القرن لأسباب سنشرحها فيما بعد (ص ٧٨) ومن بين تلك الأسباب وضوح ظاهرة امتداد العروق الى أشرنا إليها .

أى أننا نرى خطوات التطور قد سارت في تمهل وانتظام في مادى الجص والخشب في مصر ونمت وتزعرعت فيهما أساليب وزخارف سامرا الاسلامية الصنمية . والدليل على ذلك تلك القطع الخشبية الكثيرة المتوفرة حتى نهاية عصر الحاكم بأمر الله . ولكن لا توجد للأسف زخارف جصية أخرى تأتي مباشرة بعد زخارف الأزهر حتى جامع الجيوشى لى تتضح جليا خطوات تطور الزخارف في الجص . أما الأشرطة الجصية في جامع الحاكم فهى كتابات كوفية تتناثر في أرضياتها بعض العناصر البنائية ، وبالنظر إلى أننا لا نعرف من العصر العباسى ولا من غيره أشرطة كتابية من الجص فيها زخارف من الطراز الثانى أو الثالث أو ما يقرب منها فلا يمكننا الاعتماد على أشرطة جامع الحاكم الكوفية في تتبع تطور الزخارف النائية على الجص .

أما المادة الجديدة وهى الحجر التى استعملت بتوسع واشتركت جنباً الى جنب مع الآجر في بناء جامع الحاكم فإنه لا يوجد فيها مثل واحد به زخارف أو مميزات من أحد الطرازين الثانى والثالث السامريين، وكل الزخارف المحفورة على الحجر في ذلك الجامع فيها ارتداد صريح للأساليب الملهينية^(٦٧) فالأرضيات راسعة والعروق طويلة تمتد في أمواج وتثنيات وحلزونات كما كانت قبل قنوذ سامرا . كما نرى بينها ظاهرة بزنية كثيرة الانتشار في زخارف المغرب والأندلس هى العروق المشقوقة الى اثنين أو ثلاثة، ويمتاز بذلك كله عناصر اسلامية صنية هى الورقة الجناحية والعناصر الكأسية الكاملة وأنصافها ثم القاع المجوف .

وتعين لنا زخارف الحجر في جامع الحاكم نقطة البداية في خروج فرع من المجرى الذى كانت تسير فيه زخارف سامرا وسلاسلها واتجه ذلك الفرع نحو المجرى القديم الذى كان يجرى فيه ذلك المزيج السابق من الأساليب البيزنطية والساسانية والهلينستية، واجتذب معه الزخارف السامرية في الجص والخشب. فأخذت الأساليب القديمة تطفو مرة أخرى شيئاً فشيئاً الى أن امتزجت الأساليب القديمة بالعناصر الاسلامية الجديدة المظهر والذوق وأخذت إحدى سميات سامرا الهامة في التكوين وهى تلاصق العناصر بحيث تهم بعضها البعض في الثلاثى، ومشى المزيج من القديم والجديد في خطوات تطور وئيدة منتظمة متصلة الحلقات تتوالى عليها تأثيرات تشدد وتضعيف حسب الظروف بعضها واضح وبعضها محسوس وبعضها مستتر لا يكشف إلا بعد البحث الدقيق، أو بمعنى آخر صرار المجرى الجديد يقترب تدريجياً من المجرى القديم ويتجاذب معه التأثيرات وانتهى الأمر بأن تلاقى الاثنان وكونا مجرى واحداً جديداً جمع بين الاثنين وذلك في جوالى منتصف القرن ٥ هـ / ١١ م.

التطور في الشام

أما في الشام فيتضح من مجموعة الأمثلة التى سردناها أنها قليلة جداً في الشام ولا تساعدنا على تتبع سير التطور هناك. ولكننا بالرغم من ذلك نحيل إلى الظن بأنها لم تكن تلك القوة التى سارت بها في مصر، وأنه قد حدث مزج بينها وبين الأساليب الهلينستية ولكن بعد فترة أقل من الفترة التى تم فيها الامتزاج في مصر.

التطور في العراق وفارس

ويختلف الأمر في العراق وفارس عنه في مصر والشام، إذا انتشرت فيهما الوجات منذ سامرا وانحرف التيار الاسلامي في المجرى الجديد الخاص به هناك ثم أخذ فرع منه — لا المجرى الجديد نفسه كما حدث في مصر — يقترب تدريجياً من المجرى القديم الهلينستى ويقابل معه التيارات والتأثيرات

كما كان الحال في مصر حتى تلاقى الاثنان مرة ثانية في وقت يعاصر الوقت الذي تم فيه ذلك في مصر أي حوالي منتصف القرن ٥ هـ / ١١ م هذا مع الفارق الطبيعي في المزاج والدوق وحسب الجو الفنى المحلى فى كل قطر من الأقطار.

واذن فهناك فرق واضح بين سير التطور في فارس والعراق وسيره في مصر .

فأسلوب سامرا في فارس والعراق لم يخلف بعد امتزاجه بالقديم كما حدث في مصر بل بقي منه مجرى ضيق احتفظ فيه أسلوب سامرا بجزء كبير من مميزات القديمة من عناصر وتكوين مع تطورات خفيفة لم تؤثر على الهيكل ولا على الروح الأصلين بقي سليما حتى القرن ٨ هـ / ١٤ م ، هذا وقد خرجت منه بعض التأثيرات فوصلت الى آسيا الصغرى في القرن ٨٧ هـ / ١٣ م (ص ٦٨) .

سامرا والمغرب الاندلسى

أما علاقة سامرا بفنون الغرب الاسلامى فيمكن شرحها كما يأتي :
وقعت موجة سامرا القوية التي وصلت الى مصر عند تخومها الغربية ولم تعداها إلا في حالات قليلة : منها مثلاً تلك البلاطات الخزفية ذات البريق المادنى في جامع القيروان التي تنسب الى النصف الثاني من القرن ٣ هـ / ٩ م ومنها خزف ذو بريق معدنى وزجاج ذو زخارف بارزة عثر عليهم في خرائب مدينة الزهراء في القرن ٤ هـ / ١٠ م ، وهي أمثلة ومستندات تؤيد المصادر التاريخية أصلها الشرقى ، إذ تحدثنا عن المرة الاولى فتقول : إن بلاطات القيروان قد استوردت من بغداد مع منبر الجامع الذي لا يزال به حتى الآن . وعن المرة الثانية أنه كان من بين صنائع مدينة الزهراء صانعا أصله من الأسكندرية (٦٩) ، ولا يستبعد أن ومن المرجح أن يكون معه صناع غيره . وفي هذه الأدلة التاريخية ما يؤيد وجود صلة فنية بالشرق الاسلامى وبمصر خاصة كان من نتائجها وجود مثل تلك القطع الخزفية والزجاجية في المغرب .

وهما يمكن من الأمر فقد كانت تلك التحف وأمثالها أشبه برذاذ في - بترك أثرا محسوسا في الفنون المحلية .

والتيحت المتناثرة في الغرب الاسلامي والتي يتضح فيها أساليب وجزئيات من سلالات أساليب سامرا ، بعد الثلثين السابقين يمكن جمعها فيما يأتي :

القرن ١٠ هـ (١١ م) الجزائر : قلعة بني حماد ، عناصر زخرفية ذات قاع تجويف (شكل ٢٣) .

حوالي ٤٣٠ هـ (١٠٤٠ م) تونس : القبروان ، عناصر محفورة في خشب المقصورة في المسجد الجامع ^(٧٠) .

٤٣٧ هـ (١٠٤٤ م) تونس : باب تونس بالقبروان (لوحة ١٣) ، زخارف كأسية وأنصافها ذات تجويف وغيرها (أشكال ٢٤ — ٢٧) .



(شكل ٢٥)

القبروان ، باب تونس



(شكل ٢٤)

القبروان ، باب تونس

منتصف ٥ هـ (١١ م) تونس : جامع القبروان ، عناصر كأسية كاملة وأنصافها (أشكال ٢٨ — ٣٠) بها تجويف وحلزون في قاعها وعناصر جناحية أخرى (أشكال ٢٨ — ٣١) .



(شكل ٢٧)

القبروان ، باب تونس



(شكل ٢٦)

القبروان ، باب تونس



(شكل ٢٩)

القبووان

Marcus: Conques. pl. XXXI/994



(شكل ٢٨)

التبرزان

Marcus: Manuel. I. 94/M.



(شكل ٣١)

القبووان

Marcus: Manuel. I. Fig. 94 k.



(شكل ٣٠)

القبووان

Marcus: Manuel. I. Fig. 94 k.



(شكل ٣٣)

الهدية

Marcus: Manuel. I. Fig. 94/L.



(شكل ٣٢)

الهدية

Marcus: Manuel. I. Fig. 94/L.

منتصف ٥٥ (١١ م) المهدية : زاوية العيسوية ، زخارف أنصاف كاسية
مجووفة وكاسية من درجة القاع (أشكال ٣٢ — ٣٣) .

منتصف ٥٥ (١١ م) تونس ، جامع القيروان : تاج عمود بصلي
يصنفه مارسيه بأنه طولوني^(٧١) وهو شكل نعتقد أنه متسلسل من أصول
من سامرا .



(شكل ٣٤)

تونس : شاهد قبر

Marçais : Manuel, I, Fig. 93/3.

منتصف ٥٥ (١١ م) تونس ،
التقبة : تاج عمود بصلي في أحد
الشوازع^(٧٢) .

٥٣٤ (١١٣٩ م) تونس : شاهد
قبر ، عنصر كاسي (شكل ٣٤)^(٧٣) .

وقد نسب مارسيه تلك الظواهر
في جامع القيروان إلى تأثيرات فاطمية
وفدت في ذلك الوقت^(٧٤) . ويعزز
هذا الرأي عدم وجود حلقات صريحة

تسبقها أو تلحقها . فهناك مثلاً قوة زمنية كبيرة تبلغ القرنين بين تاريخ
البلاطات الخزفية حول محراب الجامع وبين هذه الأمثلة . وعلى كل حال فإننا
لن نجد فيها كلها استمراراً أو أثراً في زخارف الغرب الإسلامي . وأغلب الظن
أنها لم تنجد ترحيباً من الفنانين المحليين في تلك الأقطار فلم يحاولوا استعمالها
أو التطوير بها في زخارفهم .

* * *

الطرز الأندلسي في المغرب والأندلس

ويتصل بهذا الموضوع موضوع آخر نرى من الواجب الإشارة إليه
وهو ظهور مميزات في المغرب والأندلس تشبه مميزات من مميزات سامرا
(ص ٦١٦٠) وهما تلاصق العناصر وإتمام بعضها لبعض، ثم تحديق قطعها، وزاد
عليها في المغرب والأندلس ذوق جديد من التجسيم (Modelling) يتجلى في تفاوت
مستويات الزخارف وركوب بعض العناصر فوق البعض الآخر وتضادها

أحيانا مما يعطى القطعة ظللا متفاوتة العمق . ويسمى الأستاذ مارسيه هذا الأسلوب « بالطراز المتراصق » (le décor floral compact)^(٧٥) وهى ميزة مغربية أندلسية لم نرها فى سامرا . وقد بقيت تلك الميزات أو ما يذكرنا بها حتى القرن ١٠ هـ / ١٦ م^(٧٦) فى أقطار الغرب الاسلامى .

وفيا إلى الأمثلة التى نرى فيها تلك الميزات أو بعضها منها :

القرن ٦ هـ / ١٢ م ، رباط : باب قصبة عودايا^(٧٧) .

٥٤٨ / ١١٥٣ م ، تمل : تيجان أعمدة المسجد^(٧٨) .

٥٩٠ / ١١٩٤ — توزر : محراب المسجد وأقريزه^(٧٩) .

حوالى ٥٩٢ / ١١٩٦ ، مراکش : تيجان أعمدة فى مسجد الكتبية^(٨٠) .

حوالى ٥٩٥ / ١٢٠٠ ، طليطلة : تيجان أكتشاف كنيسة القديسة ماريا البيضاء^(٨١) .

القرن ٧ — ٨ هـ / ١٣ — ١٤ م ، تلمسان : تيجان أعمدة فى مدفن سيدي أبي مدين أصلها من المنصورة^(٨٢) .

٦٩٦ / ١٢٩٦ ، تلمسان : تاج عمود فى مسجد أبي الحسن^(٨٣) .

٧٠٢ — ٧٣٦ / ١٣٠٣ ، تلمسان : تاج عمود فى مسجد المنصورة^(٨٤) .

٧٢١ — ٧٢٣ / ١٧٢١ — ١٣٢٣ : فاس : مدرسة الصهرج^(٨٥) .

٧٢٣ — ٧٢٥ / ١٣٢٧ — ١٣٢٥ — فاس : تاج عمود فى مدرسة العطارين^(٨٦) .

٧٢٩ / ١٣٢٩ ، رباط : باب شيلا^(٨٧) .

٧٥١ — ٧٥٦ / ١٣٥٠ — ١٣٥٥ ، فاس : تاج عمود فى مدرسة بنو عثانية^(٨٨) .

منتصف ٨ هـ / ١٤ م ، غرناطة : تيجان أعمدة بقصر الحمراء^(٨٩) .

٧٥٣ — ٧٦٤ / ١٣٥٣ — ١٣٦٤ : اشبيلية : القصر^(٩٠) .

ولكن برغم التشابه بين مميزات هذه الأمثلة ومميزات زخارف سامرا فاننا لا نجعل إلى الظن بأن الأخيرة كان لها أثر ما على الزخارف النغرية الاندلسية المتلاصقة ، وذلك لأن أساليب سامرا (كما رأينا في صفحة ٦٥ وما بعدها) بقيت الى القرن ٨ هـ ١٤ / م في فارس والعراق فقط . أما في مصر — وهي الأقرب الى الغرب الاسلامي ، بل هي القنطرة الموصلة اليه — فكانت قد اخفت منها في أول القرن ٥ هـ ١١ / م . وليس من السهل الظن بأن تأتي موجة من فارس والعراق الى المغرب من غير أن تترك أثرا ولو عابرا في مصر ، أضف الى ذلك أن الزخارف المتلاصقة في المغرب والاندلس كان لها طابع خاص من حيث تفاوت المستويات ومن حيث عناصرها المحلية الأصلية ولا يوجد بينها أى عنصر من أصل سامري .

ويمكننا إذن أن نقول بأن تلك الظاهرة في المغرب والاندلس تعتبر إحدى الظواهر المحلية في تلك البلاد .

أما كيف نشأت تلك الظاهرة في المغرب والاندلس فانه يتقصنا الحلقات التميدية التي أنتجت في تسلسلها تلك الظاهرة . ولا يمكننا لذلك أن ندلى برأى في نشأتها في الوقت الحاضر .

(ملحق)

محراب يحيى الشبيه

يوجد نموذج من الجص لهذا المحراب محفوظ بدار الآثار العربية (لوحه ١٠) وعرف في الدار بأنه « محراب يحيى الشبيه » ولكنه في الأصل لم يكن بمدفن يحيى الشبيه بل كان في مدفن بجواره .

أما المحراب الأصلي نفسه فغير موجود الآن ولكن له صورة وهو على حالته الأصلية منشورة في كتاب Strzykowski : Asiens Bildende Kunst, Abb. 496.

واهتم به الأستاذ فلوري وأفرد له بحثا نشره في مقالة ونسبه فيها الى منتصف القرن العاشر الميلادي أى في العصر الأخشيدي . ويعتبره في مرحلة بين الطرازين الطولوني والفاطمي . ولكنه لا يستبعد نسبه الى العصر الفاطمي (١٢٨).

ووضع الأستاذ كريسول المحراب في العصر الأخشيدي اعتمادا على رأى الأستاذ فلوري (١٢٩).

والأصح في رأينا أن يستبعد وضعه في العصر الأخشيدي إذ أن تحليل زخارفه وعناصره يرجع نسبه الى العصر الفاطمي الى حد كبير وقد تناول الأستاذ فلوري كثيرا من تلك العناصر والزخارف بالبحث إلا أن هناك ظاهرة هامة تنبه اليها الأستاذ فلوري واسكنه لم يستغلها الاستغلال الكافي وفي رأينا أن لها أهمية كبرى في ترجيح التاريخ في العصر الفاطمي .

والظاهرة الهامة هي العروق المزدوجة أو المقسومة (شكل ٣٥) . وهي منتشرة بشكل واسع جداً في الزخارف النباتية في الغرب الاسلامي ومن أمثلتها العديدة ما يوجد في القيروان في زخارف القبّة فوق المحراب



(شكل ٣٥)

عروق مزدوجة ، محراب يحيى الشبيه

(٢٤٨/٥٢٤٨-٨٦٢-٨٦٣ م)^(٩٢) وفي جامع الثلاث ببيان (٢٥٢/٥٨٦٦ م)^(٩٣) تم في مدينة الزهراء في الزخارف الجصية (٣٢٥-٣٥٢/٥٩٣٦-٩٦٣ م)^(٩٤) وفي جامع قرطبة حول المحراب وفي أماكن أخرى متعددة في نفس الجامع (٣٥٠-٣٥٥/٥٩٦١-٩٦٦ م)^(٩٥) وفي زخرفة حول شباك في كنيسة تراجون (٣٤٩/٥٩٦٠ م)^(٩٦) وعلبة من العاج أسطوانية الشكل في كنيسة زامورا (٣٥٣/٥٩٦٤ م)^(٩٧) وفي حوض من الرخام في مدرسة بمر اكش (٣٩٨-١٠٠٠ م)^(٩٨) وعلبة من العاج في مدينة بلنسية (٤٤١/٥١٤٩-١٠٥٠ م)^(٩٩) وغير ذلك من الأمثلة العديدة.

وبظاهرة العروق المزدوجة نادرة نادرة واضحة في زخارف المنتجات الفنية من مصر في العصر الأموي رغم كثرتها في الفنون البيزنطية ولم يصادفنا منها شيء في زخارف المنتجات الفنية في العصر العباسي وما بعده إلى أن نجدها في الزخارف الجصية في الجامع الأزهر في حائط القبلة . وتنسب الزخارف إلى العصر الأول من بناء الجامع (٣٥٩-٣٦١/٥٩٧٠-٩٧٢ م)^(١٠٠) والمثل التالي له ذو تاريخ موثوق به في جامع الحاكم بأمر الله ويوجد في معظم الزخارف النباتية في مثذنته وباب المدخل الرئيسي (٣٩٣/٥١٠٠٣ م)^(١٠١) وكلا الجامعين فيها كثير من الظواهر المغربية .

وبمعنى آخر فإن هذه الظاهرة لم تظهر في مصر في تاريخ مؤكد إلا بعد فتح الفاطميين لها وتزوج كثير من أهالي الغرب الإسلامي إليها . وفي الواقع أنه أخذت من ذلك الوقت تأثيرات مغربية كثيرة تظهر في مصر وخاصة في ناحية الزخارف المعمارية^(١٠٢) .

وبالإضافة إلى ظاهرة العروق المزدوجة نجد ظاهرة أخرى هي العروق الممتدة وقد أشار إليها الأستاذ فلوري أيضا ولكنه لم يستغلها الاستغلال الكافي في مناقشة التاريخ .

وفي رأينا أنها تعزز نسبة المحراب إلى العصر الفاطمي . فطراز سامرا الثالث كان من أهم مميزاته قصر العروق إلى درجة التلاشي فقد أصبح العنصر

في ذلك الطراز يخرج من طرف عنصر آخر مباشرة . واستمرت هذه الظاهرة واضحة في مصر حتى سنة ٩١٤ م^(١٠٣) في زخارف دير السريان ولم تعد الى الامتداد والوضوح إلا في زخارف الجامع الأزهر . وفي رأينا أنها في زخارف محراب يحيى الشبيه أوضح منها في الأزهر وأكثر تطورا .

ولم يكن الأستاذ فلورى متشدداً في التمسك بنسبة محراب يحيى الشبيه الى منتصف القرن العاشر الميلادى فلم يستبعد إمكان نسبته الى أوائل العصر الفاطمى إذ لا تعارض حينيةات بحنه مع التاريخ الأخير . وإذا أضفنا الى ذلك ملاحظاتنا على الطواهر التى ناقشناها فيما سبق لرجحت كفة نسبته نهائيا إلى أوائل العصر الفاطمى. ولذا فإننا نضعه في القرن الأخير من القرن العاشر الميلادى أى بين تاريخ البدء في بناء الجامع الأزهر وتاريخ البدء في بناء جامع الحاكم بأمر الله .

الحواشي

- (١) تنبيه الدكتور كونل ومساعديه — أنظر ذكرى محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر ٧٠ — ٧١ و Herzfeld : Wandschmuck ; Creswell, vol. II, pp. 286-8.
- (٢) لا شك أن عامل الوقت والنفقة كان لهما قيمة لا يستهان بها في انشاء مدينة كسامرا ، فانتاعها المائس وتراى أطرانها — كما يتضح فيها كشف منها الى الآن — والذي تم كاه في فترة لا تزيد على نصف القرن. كل ذلك لا يدع مجالاً للشك في أن المتنازع فيها بلغ عددم من الضخامة فانهم كانوا في أشد الحاجة الى ابتكار كل ما يوفر لهم الوقت . ولا نظن أن العملاء كان لديهم اعتراض على ذلك لما فيه من اعتماد محسوس في النفقة .
- (٣) عثر على قطع معمارية بيزنطية في الأكر و پول بمدينة أنيتا وبها زخارف تتجلى فيها نفس فكرة توزيع العناصر متلامفة ومحدب قطعها كما في الطراز الثالث الساسرى وتؤرخ في وقت معاصر لخوارف سامراء وابن طولون . وأغلب الظن أن تكون هذه القطع البيزنطية قد تأثرت إلى حد كبير بأسلوب سامرا . أنظر : Strzygowsky, Altai Iran, Abh. 68, p. 47 ff.
- (٤) Creswell, vol. II, p. 287, quoting Herzfeld. ويستعمل أحياناً في الوقت الحاضر مادة الطين لعمل الخزاف كتمودج أولى يؤخذ منه قالب سابي ولكن ليس لدينا ما يدل على استعمال هذه الطريقة في سامرا .
- (٥) سجل دار الآثار العربية : ١ — ٥ / ١٤١٤٧ و ١٠٠٦ / ١٤١٤٧ و ٢٢٢٤
- (٦) سجل رقم ١٠٤٦
- (٧) Wandschmuck, Abh. 318, Orn. 284.
- (٨) Creswell : E.M.A. vol. II, Pl. 52.
- (٩) Rice, Ars Islamica, vol. I, Pt. I, pp. 51-3.
- (١٠) Creswell : E.M.A. vol. I, Figs. 49-50.
- (١١) هناك عناصر وناوهر معمارية وغيرها سردها الأستاذ هرتفد وزاد عليها الأستاذ كريدلر تزييد وأيتا هذا : أنظر : Creswell, II, pp. 186-8.
- (١٢) المرجع السابق صنعة ١٨٧ حاتية (٤) إلى (٦)
- (١٣) ذكرى محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر ص ٣١ وحاتية (١)
- (١٤) Creswell, II, p. 186, Figs. 184-5.
- (١٥) المرجع السابق صفحات ٢٦٨ — ٢٧٠ و ٢٨٧
- (١٦) ينسب الأستاذ ديمان هذا النبر والقطع الخشبية الأخرى للشابة له إلى عصر هارون الرشيد (٨٧٦ — ٨٠٨ م) أنظر : Ars Islamica, vol. IV p. 32 ولكنه لم يبين أدلة واضحة على صحة هذا التاريخ ولذا فالتأجيل الظن بأن النبر عمل في وقت قريب جداً من الوقت الذي جلب فيه من بغداد إلى القبروان كما تميل إلى تأريخ القطع الخشبية

الأخرى المشابهة وعثر عليها في تكريت في نفس تاريخ المنبر لاعتقادنا أن المصنع الذي قام
بمعلم واحد أو على الأقل قد عملا في مصنعين يتيان أساليب صناعية واحدة وفي عصر
واحد، وأغلب ظنا أن خطأ الأستاذ ديماند نشأ عن اعتياده على تسمية الأستاذ هرتزفيلد
لطرانز سامرا الذي يضع طرازنا الثالث في عصر هارون الرشيد. ومن يجب أن الأستاذ
ديماند لا يزال متمسكا بهذا الوضع حتى في آخر طبعة لكتابه *Muhammādan*
Decorative Art, 1917

Pauty, B.I.F.A.O., t. XXX, pp. 77-81, 6 Pls. (١٧)

Creswell, II, p. 313, Fig. 234; Marcais: Les Faïences... Pls. (١٨)
22-30.

Wandschmuck; Creswell, II, Pls. 53-58 a-c, 67 b, 74 d-e, 73 a-b. (١٩)

Creswell, II, Pls. 86, 86 A; Marcais: Les Faïences. (٢٠)

(٢١) محمود عكوش: الجامع الطولوني، أشكال ٤ - ٩ ولوحات ٦ - ٩،

زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر لوحات ١٧ - ١٨،

Les Mosquées du Caire, vol. II, Pls. 4, 6, 8; Creswell, II, Pls.
101 a-b, 102-114.

(٢٢) زكي محمد حسن: المرجع السابق لوحة ١٣، Creswell, II, Pl. 123 d

(٢٣) على بهجت وجبريل: حفريات القنطرة شكل ٥٥ ولوحات ٢١ و ٢٥،

زكي محمد حسن: المرجع السابق لوحات ١٤ - ١٦، Creswell, II, Pl. 117 c-d;

Al Hawary, B.I.E. vol XV (1932/3) pp. 79-87, 10 Pls.

Creswell, II, p. 356, ft. n. 5. (٢٤)

Archeologische Reise... , Bd. II, Abb. 322-3, p. 353, and (٢٥)

Bd. IV, Taf. CXL 2-4.

Ars Islamica, vol. IV, p. 323-4. (٢٦)

Creswell, II, p. 356, ft. n. 3; Arch. Reise, II, p. 13, Taf. (٢٧)

LVIII, LIX.

(٢٨) زكي محمد حسن: المرجع السابق لوحة ٣٧

(٢٩) المرجع السابق لوحات ٣١ - ٣٧، Pauty: Bois Sculptés... Pls. B, C,

E, F, XII-XXII.

Creswell, II, p. 356; Flury, Der Islam. VI (1916), pp. 71-78; (٣٠)

White: Monasteries of Wadi En-Natrun, Pls. LXVI A-C, LXVIII

A-B, LXX A-B, LXXI B; Nonneret de Villard: Wadi-n-Natrun,

Pls. 20-21, 23-27; Strzygowsky: Asiens Bildende Kunst. Abb. 463.

Flury: Al-Hakim... Taf. XI/2; Creswell, II, Pl. 123 a-d. (٣١)

Arch. Reise, II, p. 295, III. Taf. CV. (٣٢)

Creswell, II, pp. 345, 396, Pl. 121 c; Wandschmuck, Pl. (٣٣)

LXXVIII, p. 8; Herzfeld, Der Islam, I, pp. 53-56, Taf. IV-V.

Denike, Ars Islāmīca, II, Pt. I, Figs. 1-3, p. 171. (٣٤)

Survey, IV, Pls. 265-269 V, Pl. 511. (٣٥)

Boşco: Medinet az-Zahra, Pls. 51, 55, Fig. 46. (٣٦)

Mosquées, II, Pls. 12, 15; Flury: Al-Hakim, Taf. VIII-XIII, (٣٧)

Abb. 7-8.

- Flury : Ein Stück Mihrab des IV H./X Jh., in Beiträge zur (٢٨)
Kunst des Islam, pp. 106-110. Professor Creswell translated this
article in his new forthcoming book : Muslim Architecture in Egypt,
Vol. I.
- Panty : Bois sculptés, Pls. XXIII-XXV. (٢٩)
Flury : Al-Hakim., Taf. I ; Mosquées, II, Pls. 19, 23. . . . (٣٠)
Survey, vol. VI, Pl. 1462, (٣١)
Ibid; vol. V, Pls. 273 b, 274 c. (٣٢)
Flury : Amida, Abb. 10, Taf. XVI ; Kühnel : Maurische Kunst (٣٣)
Pl. 19.
Survey, vol. IV. Pl 324 B. (٣٤)
Bell : تزوخ جرتوديل مشهد الاربين بأنه يناصر امام نور نظر (٣٥)
Amurath to Amurath, Fig. 130, p. 217 ; Arch. Reise, III, Pl. XXX
وله صورة أخرى في Arch. Reise, III, Pl. XXX تزوخ امام نور
في ١٧٨٠ م (١٠٨٥) م أنظر Der Islam, vol. V, p. 360. بينا يزوخ سبت في
حوالي ١٢٠٠ م — أنظر Smith, Ars Islamica vol. VI, Pt. I, p. 7, ft. n. 45.
Denike, Ars Isl. vol. II, Pt. I, Figs. 5-8, p. 73. (٣٦)
Survey, IV, Pl. 312 B. (٣٧)
Ibid. IV, Pls. 313-316, vol. V, Pls. 512 D, 524. (٣٨)
Ibid. IV, Pls. 311 C, 312 A. (٣٩)
Cohn-Wiener : Turan, Taf. XIII-XIV. (٤٠)
Survey, IV, Pls. 330-332, vol. V, Pl. 513. (٤١)
Ibid., IV, Pl. 391. (٤٢)
Arch. Reise, II, p. 361, Abb. 334, 335, III, Pl. (٤٣)
Ibid. II, Abb. 230-233, III, Taf. CVI 5-7, XC. (٤٤)
Ibid. I, pp. 204-205, Abb. 232 (٤٥)
Ibid. II, Abb. 271, Taf. CVI/8-9. (٤٦)
Survey, IV, Pl. 517. (٤٧)
Herzfeld, Der Islam, V, pp. 358-369. (٤٨)
تأني الرجح . (٤٩)
Sarre : Seld. Kunst, p. 3, Pls. A-B. (٥٠)
Survey, IV, Pls. 387-390. (٥١)
Ibid. V, Pls. 531 B, 532 B. (٥٢)
Ibid. IV, Pl. 353. (٥٣)
Ibid. IV, Pls. 396-397. (٥٤)
Ibid. IV, Pls. 392-395. (٥٥)
Ibid. IV, Pl. 398. (٥٦)
Flury : Al-Hakim. Taf. XIX-XX, XXI/2, XXIV-XXXIV ; (٥٧)
Mosquées, II, Pls. 21-23.
(٥٨) أورد مارسية نصا من ابن تاجي : معالم الايمان به ، هذا الذي ، أنظر :
Marcais : Faïences , p. 10, ft. n. 3 ; Creswell, II, p. 314.

- Marcais: Manuel, I, p. 246, fl. n. I. (٧٩)
 Flury: Amida, Pl. XVI, Abb. 10; Kühnel: Maur. Kunst, Pl. 19 (٧٠)
 Marcais: Manuel, I, Fig. 8. (٧٨)
 Ibid. Fig. 85 B. (٧٦)
 Ibid. Fig. 93. (٧٣)
 Marcais: Coupoles, p. 35. (٧٤)
 Marcais: Manuel, I, p. 408. (٧٥)
 Ibid. vol. II, Fig. 308. (٧٦)
 Ibid. vol. I, Figs. 201, 237; Terrasse: L'Art Hisp., Maur. (٧٧)
 p. 244, Fig. 45.
 Marcais: Manuel, I, Fig. 206; Terrasse. Pl. G) A-B. (٧٨)
 Marcais: I, Figs. 236, 243, pp. 387-388, 404. (٧٩)
 Ibid. Fig. 200. (٨٠)
 عذب بارز وبه الثقب المينة الشكل التي تذكرنا بأشياء لها في الحيرة (أعلام صفحة ٦١
 حاشية ٩) وق سامرا
 Ibid. II, Figs. 326-328. (٨٢)
 Ibid. Fig. 322. (٨٣)
 Ibid. Fig. 325. (٨٤)
 Ibid. Fig. 334. (٨٥)
 Ibid. Fig. 323. (٨٦)
 Ibid. Fig. 335. (٨٧)
 Ibid. Fig. 324. (٨٨)
 Ibid. Fig. 321. (٨٩)
 Ibid. p. 669, Fig. 380. (٩٠)
 Creswell: Muslim Architecture in Egypt, vol. I. (٩١)
 Marcais: Manuel, I, Figs. 32, 38; Creswell, II, Pls. 84-85, (٩٢)
 Figs. 235-237,
 Marcais, I, Figs. 42 'd, 34. (٩٣)
 Bosco: Medinet az-Zahra, Pls. XXVII-XXXIII, Figs. 18 etc.; (٩٤)
 Marcais, I, Figs. 52-53; Terrasse: L'Art H.M., Pls. X-XXII.
 Marcais, I, Figs. 164-5; Terrasse, Pls. XV, XXII, XXVII, (٩٥)
 Figs. 24-25; Kühnel: Maur. Kunst, Pl. 15.
 Marcais, I, Fig. 141; Kühnel: Pl. 18. (٩٦)
 Terrasse, Pl. XXVI. (٩٧)
 Marcais I, Figs. 155 c, 156; Terrasse, Pl. XXX(II). (٩٨)
 Terrasse, Pl. XL. (٩٩)
 Flury: Al-Hakim. Pls. XII-XIII; Creswell: Brief Chrono- (١٠٠)
 logy. pp. 50-51; Mosquées, II. Pl. 15.
 Flury: Al-Hakim. Pls. XIX-XX, XXII/2. XXIV) XXXI, (١٠١)
 XXXIII-XXXIV; Mosquées, II, Pls. 21-22
 سنجمها ونناقشها في مثالة آتية إن شاء الله (١٠٢)
 Creswell, II, p. 356. (١٠٣)

المراجع

الفنون الإسلامية عامة

ذكي محمد حسن . . . : الفن الإسلامي في مصر القاهرة : ١٩٣٥

DIMAND (M.S.): A Handbook of Muhammadan Decorative Arts, 2nd. ed. N.Y., 1944.

HERZFELD (E.): Die Genesis der Islamischen Kunst und das Mischta Problem. (Der Islam. Bd. I, pp. 27-64, 105. 1910).

KÜHNEL (E.): Maurische Kunst. Berlin, 1924.

MARCAIS (G.): Manuel d'art Musulman. 2 vols. Paris. 1926/7.

POPE (A.U.) & ACKERMAN (Ph.): Survey of Persian Art. 6 vols. Oxford, 1938

SARRE (F.): Seldschukische KleinKunst. Leipzig. 1909.

Idem.: Beiträge Zur Kunst des Islam. Leipzig. 1925. (Jahrbuch der Asiatischen Kunst. 1925).

STRZYGOWSKI (J.): Asiens Bildende Kunst, 1930.

Idem.: Altai Iran und Völkerwanderung. Leipzig, 1917..

TERRASSE (E.): L'art Hispano-Mauresque. Paris, 1932.

عمارة وآثار

على بهجت والبير جبريل : حفريات النسطاط (ترجمة) القاهرة ١٩٢٨

محمود عكروش . . . : الجامع الطولوني ، القاهرة ١٩٢٧

مديرية الآثار القديمة ببغداد : حفريات ساسرا ، القاهرة ١٩٤٠

BELL (G.): Amurath to Amurath. London. 1911.

BOSCO (D.R.V.): Medina az-Zahra y Almeriya. Madrid.

COHN-WIENER (E.): Turan. Islamische Baukunst in Mittelasien. Berlin, 1930.

CRESWELL (K.A.C.): A Brief Chronology of Muhammadan Monuments of Egypt. (B.I.F.A.O. t. XVI-1919-p. 93 ff.). Le Caire, 1919.

Idem.: Early Muslim Architecture. 2 Vols. Oxford, 1932 & 1940.

FLURY (S.): Ein Stuckmibrab des IV H/X JH. (In Beiträge pp. 106-110) Leipzig, 1925.

HASAN MUHAMMAD al-HAWARY : L'eglise d'epoque Tulunide. (B.I.E. t. XV/fasc. 1 pp. 79 87, & pls). 1932/3.

HAUTECEUR (L.) & WIET (G.): Les Mosquées du Caire. 2 vols. Paris, 1932.
HERZFELD (E.): Der Wand Schmuck der Bauten von Samarra und seine Ornamentik. Berlin, 1923.

Idem.: Mashhad 'Ali: ein Bau Zingis II. A.H. 569. (Der Islam. V, pp. 358-369). Berlin, 1914.

MARCAIS (G.): Coupole et Plafonds de la Grande Mosquée de Kairawan. Tunis, 1903.

MARCAIS (W. & G.): Les monuments Arabes de Tlemcen. Paris, 1903.

RICE (T.): The Oxford Excavations at Hira, (Ars Islam., I/I, pp. 51-53), 1934.

SARRE (F.) & HERZFELD (E.): Archeologische Reise im Euphrat- und Tigris Gebiet. 4 vols. Berlin, 1911-20.

SMITH (M. B.): Material for a corpus of early Islamic Iranian Architecture. (Ars Islamica. IV/ Art. II, Manar and Masjid Barsian, Isfahan, pp. 6-41. 1937.
IV/I, Art. III, 2 dated Seljuk Monuments at Sin, Isfahan pp. 1-10. 1939.

VILLARD (M. de): Les églises du Monastère de Syriens au Wadi en-Natrun. Milan, 1928.

WHITE (E.): The Monasteries of Wadi-n-Natrun. N.Y. 1932.

الخزف

MARCAIS (G.): Les faïences à reflet métallique de la grande Mosquée de Kairawan. Paris, 1928.

SARRE (F.): Die Keramik von Samarra. Berlin, 1925.

تقوش و كتابات

FLURY (S.): Islamische Schriftbänder, Amida, Diarbakr. Anhang: Kairawan. Mayyafariqin, Tirmith. Basil, Paris, 1920.

زخارف

DIMAND (M.): Some Aspects of Omayyad and Early Abbasid Ornament. (Ars Islamica. IV. pp. 293-337. 62 Figs.). 1937.

FLURY (S.): Die Ornamente der Ilakim- und Ashar Moschee. Heidelberg, 1912.

Idem.: Die Gipsornamente der Deras-Suriani. (Der Islam. VI, pp. 71-87). 1916.

أخشاب

DENIKE (B.): Quelques monuments de bois sculpté au Turkestan Occidental. (Ars Islamica, II/I pp. 69-93, 18 Figs.). 1935.

PAUTY (E.): Sur une porte en bois sculpté, provenant de Bagdad. (B.I.F.A.O. XXX pp. 77-81. 6 Pls.). 1930.

Idem. : Les Bois sculptées jusqu'à l'époque Ayyoubide. Le Caire, 1931.

RUTHEVER (F.) : Some Egyptian Woodcarvings in the Collection of the University of Michigan. (Ars Islamica. IV, pp. 448-455). 1937.

فنون غير اسلامية

ERDMANN : Das Datum des Taqi Bustan. (Ars Islamica. IV,

GOODYEAR : Grammar of the Lotus.

ORBELI (J.) & TREVER (C) : Orfèvrerie Sasanide. Objects en or, argent et bronze. (Musée de l'Hermitage). Moskou, Leningrad, 1935.

SMIRNOW : Argenterie Orientale. St. Petersburg, 1909.

نبات وعلوم

BAILEY : Cyclopedia of Horticulture, 3 vols.

نقط العروس في تواريح الخلفاء لابن حزم

رواية الحميدى

تأليف الدكتور سوقي صيف

مقدمته

هذا نصٌ نفيس سبق أن نشره الأستاذ زَيْبُولد سنة ١٩١١ م في مجلة الدراسات التاريخية لبرناتلة من نسخة عثر عليها في مكتبة ميونخ. غير أن هذه النسخة لم تكن كاملة إذ تنقص من الأصل نحو ثلثه ، وأيضاً بها تحريفات غير قليلة . ويتصادف أن معهد المخطوطات بالجامعة العربية صَوَّر بين ماصور من مكتبة بايزيد عمومية بإستانبول نسخة كاملة من هذا الكتيب برواية أبي عبد الله محمد بن قُتُوح الحميدى المكيوزى المحدث المشهور صاحب كتاب جذوة المفتيس ، وهو أحد تلامذة ابن حزم ، ومن أجل ذلك تكون روايته ذات قيمة حقيقية . ولعل ذلك ما جعلنى أعيد نشر هذا النص ، لأنه من جهة تكامل ، ومن جهة ثانية جاء عن طريق عال من الصحة والتوثق في الرواية ، إذ أجاز ابن حزم الحميدى رواية جميع كتبه . وأيضاً فإن ابن حزم يُعَدُّ في طليعة المفكرين الذين ظهروا في الأندلس ، وكل عمل له جديرٌ بالناية والاهتمام .

وهو على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، وفي الجذوة أن جده كان مولى ليزيد بن أبي سفيان . ومزمَّم قال المؤرخون إنه يرجع إلى أصل فارسي ، غير أن ابن إسام في الذخيرة وابن سعيد في المغرب يردّانه إلى أصل أسباني ،

ويظهر أنه حاول أن يُجنّي هذا الأصل ، أو لعل أباه هو الذى حاول ذلك بعد أن وصل إلى الوزارة فى عهد المنصور بن أبى عامر حتى لا تُخدش كبريائه .

وإذن فإن حزم من أصل مسيحي أسبانى ، وقد رحل عنه سعيد من قرية مذنت ليستم من قرى ولبة فى كورة لبلة إلى قرطبة ، وكان ذلك أيام عبد الرحمن الناصر . وفى قرطبة عنى بتربية ابنه أحمد الذى أظهر تفوقا وامتيازاً على أقرانه ، ولم يلبث أن أصبح شخصية خطيرة فى بلاط المنصور بن أبى عامر رئيس وزراء الخليفة الأموى هشام الملقب بالمؤيد . ولما بنى المنصور مدينة الزاهرة نزل أحمد بالقرب منه فى حى مجاور له ، واستمر يخدمه ويحظى برضاه ، حتى توفى ، فخدم من بعده ابنه المظفر . ومازال فى خدمة هذه الأسرة ، وفى نفس الوقت كان يزيد بقلبه الأمويين ولأهل الجليلهم ، إذ قدموه ، واستوزروه ، وجعلوه شخصية بارزة . ولا نكاد نتقدم فى القرن الخامس للهجرة حتى يهاجم البربر قرطبة ويُتوفى أحمد بعد ذلك بقليل سنة ٤٠٢ هـ .

ورزق أحمد بابنه على سنة ٣٨٤ هـ ، فاهتم بتربيته أشد اهتمام ورصد له مجموعة من العلماء يقومون على تنقيته وتهذيبه ، ونجد علياً يذكر طائفة منهم فى كتابه (طوق الحمامة) من مثل عبد الرحمن بن أبى يزيد الأزدى وأبى انخيار مسعود بن سليمان بن مُنَلِّت وأحمد بن الجصور ، وهو أول من سمع عليه الحديث ، وكان ذلك قبل الأربعمائة .

وكان ابن حزم حتى وفاة أبيه — كما يبدو فى كتاب طوق الحمامة — يعيش فى الحريم وبين الجوارى والنساء ، وكان مثقفاً يتقن الشعر والأدب ، فكان لذلك تأثير على مزاجه . وكان من سوء حظه أن شبَّ فى هذه الفترة التى كانت فيها الخلافة الأموية تهبطاً للاستقوط ، والتى أصبحت فيها قرطبة

مسرحاً لثورات البربر وفقههم (ويمكن الرجوع في الحوادث السياسية حينئذ إلى تاريخ مسلمي أسبانيا لدورزي والمراجع الموجودة به) . وكان ابن حزم مثل أبيه يُظهرُ ولاءه للبيت الأموي ، ولعل ذلك هو الذي اضطره إلى الرحيل عن قرطبة إلى المريّة حيث ظلّ يعمل لإعادة الدرّش الأموي وجمع الأمر له واثق الصفوف حوله ، وتنبّه له خبر أن حاكم المريّة ، فسجنه ثم فناه ، فولى وجهه شطر بلنسية . وهناك التقى بالمرتضى الأموي ، وخرج معه لطلب الخلافة ، واتفق أن يخبران رغب في مساعدة المرتضى ، وكذلك مجاهد العامري حاكم ذاتية . فأعد المرتضى جيشاً يغزو به قرطبة ، غير أنه رأى البدء براوى بن زيري حاكم غرناطة ، وكان في ذلك حنقه ، وتفرّق أنصاره . واستمر ابن حزم فدخل قرطبة سنة ٤٠٩ هـ ورجع يدّرس الحديث وغير الحديث ، حتى إذا ولي صديقه المستظهر الخلافة في رمضان سنة ٤١٤ هـ استوزره وحلّق نجم سعيد في السماء ، إلا أن ذلك لم يستمر أكثر من شهر ونصف ، إذ قُتل المستظهر في ذى القعدة سنة ٤١٤ هـ وسُجن ابن حزم ، ثم خفي عنه ، فخرج من قرطبة إلى شاطبة .

وهنا نراه يبدأ حياة علمية وأدبية نشيطة ، ويترك السياسة وما كان له ولا يه من الرياسة ، وكأنه رأى من المستحيل إعادة الأمر إلى نصابه . ويقول يا قوت إنه وزير هشام المتدّخر خلفاء الأمويين في الأندلس ، وإن كان ذلك يبعدُ في رأينا . على كل حال رافق ابن حزم سقوط الخلافة الأموية ، ولا شك في أن هذا السقوط يرجع إلى عدم الاستعداد الحربي وضعف الجيش ، كما لاحظ ذلك ابن حوقل . ومهما يكن ، فقد انصرف ابن حزم إلى حياة أدبية وعلمية خالصة ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه القمة التي وصلت إليها الآداب والثقافة في عصر الخلفاء والشرط الأول من عصر الملوك الطوائف إذ توفي سنة ٤٥٦ هـ . ويذهب

دوزى إلى تأثيرات ورائية مسيحية فيه جاءت من أصله الأسباني ، وينتقل آسين بلاسيوس من أهمية ذلك وبخاصة أنه يهاجم المسيحية مهاجمة شديدة (راجع كتاب الثمر الأندلسي لنيكل ص ٧٥) كما فى كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للثروة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل . وفى كتاب الفصل آثار واضحة من ذلك .

والحق أن ابن حزم سواء فى شخصيته أو فى ثقافته وأدبه ثمرة قرطبة العربية ، وهى خير ثمرة قدمتها حتى عصره للناس . ولا تتسع هذه المقدمة لتفسير خصائص هذه الثمرة سواء من الوجهة العقلية أو الأدبية فقد كان ابن حزم نشيطاً إلى أبعد حدود النشاط ، فآلف فى مختلف فروع الثقافة وأظهر عبقرية فذة فى كل ما آلف ودوّن فى الفقه (وقد اعتنق مذهب الظاهرية بعد أن كان شافعيًا) وفى الأصول وفى المنطق والكلام وفى التفرق وفى التاريخ . وله فيه كتاب جبهة أنساب العرب الذى نشره الأستاذ بروفنصال حديثاً فى دار المعارف بمصر . وله هذا الكتيب أو هذه الرسالة : قطط العروس فى تزيين الخلفاء ، وقد ألفتها فى حدود العشرين وأربعمائة ، كما يقول الحميدى فى مطلع هذه الرواية التى نشرها .

والرسالة لا تحوى تاريخاً مفصلاً للخلفاء ، وإنما تحوى بعض حقائقهم وأخبارهم الشخصية والسياسية ، وهى لذلك تمد نصّاً نفيساً ، إذ ضمت الخطوط العامة للخلافة الإسلامية والخلفاء حتى عصر ابن حزم سواء ما أتصل بإقامة هذا النظام وانتقاله من عصر إلى عصر ، ومن خليفة إلى خليفة بتأييد أو مغالبة ، أو ما أصاب هذا النظام من تدهور وفساد ، شهد ابن حزم بعينه جواب منه فى بلد .

ونفيض الرسالة في تفاصيل شخصية كثيرة عن الخلفاء وأبنائهم ونسائهم ،
وحتى مَنْ تَسَمَّى بالخلافة من غير قوريش ومنْ أراد أن يتسنى بهائم امتنع من مثل
المنصور بن أبي عامر . كل ذلك يعرض له ابن حزم في تفصيل . وقد عني عناية
خاصة باللقاب سواء ألقاب الخلفاء أو الوزراء والأمراء ، وأرانا كيف نشأت
كل مجموعة منها . وأضاف إلى ذلك إحصاءات بديعة عن أعمار الخلفاء وأخلاقهم
ومن جاهروا منهم بالانتماء في الملمات ومشائهم وعورهم وذوى السعد منهم
وعلمائهم وجهالهم .

وأهمية هذه الرسالة ترجع في الحقيقة إلى أنها خير معين لمن يريد
أن يدرس نظام الخلافة الإسلامية ويطلع على حسناته وعيوبه ، فإن ابن حزم
لم يترك من ذلك شيئاً إلا أحصاه عدداً . وله في ذلك عقلية ممتازة إذ يستطيع
الجمع والإحصاء إلى أقصى طاقة ممكنة .

من أجل ذلك كله رأيت أن أعيد نشر هذه الرسالة كاملة من نسخة
مكتبة بايزيد التي أشرت إليها وهي محفوظة بها تحت رقم ٥٢١٤ هـ بمجلد ، يضم
رسائل أخرى ، وقد كُتِبَ على الورقة الأولى منه أنه لمحمد بن أحمد بن أحمد
ابن عبد الرحيم البيهقي . وواضح أنه من سلالة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي .
والنسخة قديمة ، إذ ترجع إلى القرن السابع الهجري ، وهي بخط نسخ وكتبت
الشُرُحات بخط كبير ، واستغرقت النسخة في المجلد المذكور من الورقة ٤
إلى الورقة ٣١ وطول الصفحة ١٦ سم وعرضها ١٠ سم والمكتوب
منها ١٣ سم طولاً في ٧ سم عرضاً . وخطها واضح إلا في بعض مواضع قليلة .

وقابلت في هذه النشرة بين الأصل الذي أنثره وبين نسخة زيولده
التي سبق أن نشرها ، ورمزت إليها بالحرف م إشارة إلى أنها نسخة ميونيخ .

وانتخدت رمزاً آخر هو الحرف ز للدلالة على أن العبارة التالية زائدة ، وتوجد في نسخة ميونيخ ، ولا توجد في رواية الحميدى . وقد وضعت على الهامش صفحات الأصل في المخطوطة ورمزت بالحرف (و) لوجه الصفحة وبالحرف (ظ) لظرفها .

ويظهر أن نسخة ميونيخ عُيِّلَت في عصر متأخر ، أو بعبارة أصح ترجع من حيث تأليفها إلى عصر متأخر عن رواية الحميدى ، فقد عاش ابن حزم حتى سنة ٤٥٦ هـ ولقى الحميدى بين سنتي ٤٣٠ هـ و ٤٤٠ هـ حين اضطره اضطهاد الفقهاء له أن يذهب إلى ميورقة . ومن أجل ذلك كُنَّا نظن أن ابن حزم أعاد تأليف هذه الرسالة وزاد فيها هذه الزيادات التي نراها في نسخة ميونيخ ، وخاصة أن بها فقرات لم ترد بتاتا في نسخة الحميدى . ولو أن نسخة ميونيخ كاملة لأعدنا نشرها وانتخذناها أصلاً وقارنا بينها وبين رواية الحميدى في الهامش ، ولكن كما قدمت هي ناقصة ، تنقص أكثر من ثلث الإصل ، وأيضاً ففيها اضطراب واختلاط كثير .

والله ولي التوفيق

سُرقي ضيف

قال أبو عبد الله الحميدى : قال الإمام أبو محمد علي بن أحمد
ابن سعيد الحافظ ، وكان تأليفه لهذا الكتاب في حدود العشرين
وأربعمائة ، ولقيناه فيما بعد الثلاثين رحمه الله :

أما بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه محمد والطيبين من أصحابه
والفاضلين من ذريته وأفضل التسليم ^١ .

أول الأسماء التي وقعت على الخلفاء رضى الله عنهم : الصدّيق
سمى به أبو بكر ^٢ . الفاروق عمر بن الخطاب . ذو النورين عثمان بن عفان ^٣ .
ثم لم يسم ^٤ أحد من الخلفاء باسم لازم ^٥ حتى ولي بنو العباس ^٦ . السفاح
أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
أول خلفاء بني العباس ، المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد أخو السفاح ،
وهو أول من تسمى بهذا الاسم ، وتسمى به بعده ^٧ إسماعيل بن أبي القاسم
ابن عبيد الله الشيعي ^٨ ، ثم محمد بن أبي عامر ^٩ ، ثم زاوى ^{١٠} وسابور ^{١١}
والى بطليوس وابن الألفطس / وعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية

(١) هذه الديباجة في النسخة م بخلافه (٢) في م ز : رضى الله عنه (٣) في م ز :
رضى الله عنهما (٤) في م ز : ولا يسمي (هـ) في م ز : له (٦) في م ز : ونحن الآن
ذاكرون أمهاتهم على نسق ونذكر الأسماء التي اشترك فيها اثنان وإن كان الأمر قد رضى
الآن غاية الإزالة في المشرق والمغرب والله المستعان ، فيسمى بأسماء الخلفاء من ليس منهم
(٧) في م ز : أبو طاهر (٨) في م ز : صاحب إفريقية (٩) في م ز : المافرى بالأندلس
(١٠) في م ز : ابن زبرى بن مناد المنهاجى صاحب شرناطه بالأندلس (١١) في م ز :
وسابور وعبد الله بن أمية الألفطس حاجبا بطليوس .

ومنذر بن يحيى بن منذر بن يحيى^١ صاحب سر قسطة . المهدي أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور ، وكان تسمى به قبله محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب القائم^٢ على أبي جعفر بالمدينة ، فلم ينم له أمر ، وكان^٣ تسمى به قبل ذلك كله محمد بن الحنفية ، ثم رجل من بني علي قام باليمن ، ثم عبید الله الشيعي بالتبروان^٤ ، أول قائم بالتبروان منهم ، ثم محمد بن هشام بن عبد الجبار^٥ ، ثم عبد العزيز بن الاصبغ^٦ المعروف بابن المسن - آخر الفقيه ، وكان قام بمليلة من بلاد البربر ، ثم محمد ابن إدريس الحنسي بالقة . الحادي أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور ، ثم رجل من بني علي^٧ قام بصعدة في اليمن . الرشيدي أبو جعفر هرون بن المهدي ابن المنصور^٨ . الأمين أبو عبد الله محمد بن الرشيد ثم سمي به صالح ابن حاجب^٩ المتصد ومولى والده . المأمون أبو العباس عبد الله بن الرشيد ، ثم تسمى به عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر ، ثم القاسم بن حمود^{١٠} ثم يحيى ابن إسماعيل بن ذى النون . المعتصم أبو إسحق محمد بن الرشيد ، ثم محمد^{١١} ابن المظفر بن أبي عامر ، ثم محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر . الواثق أبو جعفر هرون^{١٢} بن المعتصم . المتوكل أبو الفضل جعفر بن المعتصم . المستنصر أبو جعفر محمد بن المتوكل . المستعين أبو العباس أحمد بن محمد ابن المعتصم ، ثم سليمان بن الحكم ، ثم سليمان بن هود الجذامي بسر قسطة .

[٥٠]

(١) في م ز التنجي (٢) في م : إذ قام (١٣) في م : وكانت الشبهة تسمى بهذا الاسم قبل هذا كله محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المعروف بابن الحنفية (٤) في م : بأفريقية (٥) في م ز : ابن الناصر بالأندلس (٦) في م ز : ابن الحكم الرضي (٧) في م : وجن حتى (٨) في م ز : ثم تسمى به هشام بن سليمان بن الناصر حين قيامه (٩) في م : صاحب (١٠) في م ز : الحنسي (١١) في م : ثم تسمى به محمد بن عبد الملك بن محمد بن ذبي عاصم (١٢) زيادة من : م .

المعتز أبو عبد الله محمد بن المتوكل ، ومن غير الخلفاء عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر^١ . المهتدي أبو عبد الله محمد بن الواثق . المعتمد أبو العباس أحمد بن المتوكل ، المعتضد أبو العباس بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل ، ومن غير الخلفاء عباد بن محمد بن عباد اللخمي صاحب إشبيلية^٢ . المستكني أبو محمد علي بن المعتضد . المتقندر أبو الفضل جعفر . ابن المعتضد . القاهر أبو منصور محمد بن المعتضد . الراضي أبو العباس محمد ابن المتقندر . المنتقى أبو إسحق إبراهيم بن المتقندر . المستكني أبو القاسم عبد الله بن المكتفي ثم أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن^٣ ، وكانا رذلي قوصها^٤ . المطيع أبو القاسم الفضل بن المتقندر . الطائع أبو بكر عبد الكريم ابن المطيع . القادر أبو العباس أحمد بن إسحق بن المتقندر . القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر وهو الخليفة اليوم^٥ . ومنهم وإن كان لم يُذكر في الخلفاء وقد ولي الأمر ينفذاد عاما كاملا : المبارك أبو إسحق إبراهيم ابن المهدي .

وأما الخلفاء بعد الحسن^٦ بن علي إلى أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس فالصحيح الذي لا شك فيه أنه لم يقع على واحد منهم لقب معروف إلا أن بعض الرواة قد ذكر أنهم كانت لهم ألقاب واقعة عليهم . ونحن نذكر^٧ :

(١) في م : صاحب شاذبية (٢) في م ز : وغرب الأندلس (٣) في م ز : ابن عبيد الله ابن الناصر المرواني (٤) في م ز : ومن العجب اتفاقهما في الأخلاق الرذيلة وفي غاية من لاخير فيه من النساء عليهما وفي كية العمر ، كلاهما عاشا اثنتي عشرة سنة ، وفي مدة ولايتهما ، فإن كل واحد منهما مك سنة واحدة وخمسة أشهر ، وفي أن كل واحد منهما متقلب عليه ، وفي أن كل واحد منهما خلع ، وفي أن كل واحد منهما تركه أبوه صغيراً . (٥) في م ز : وقد تسمى بهذا الاسم قبله جعفر بن أبي جعفر المودود فلم يبق له أمر ثم أبو القاسم صاحب إفريقية (٦) في م : بعد هتمان رضى الله عنه (٧) في م : نذكرها .

ذلك وإن لم يصحَّ عندنا لنطلع على الألقاب لا غير ، وبالله نستعين .
الناصر لحقَّ الله معاوية بن أبي سفيان . المنتصر ١ على أهل الزينة
 يزيد بن معاوية . الراجع إلى الله معاوية بن يزيد . / المؤتمر بالله مروان
ابن الحكم . الموثق لأمر الله عبد الملك بن مروان . المنتقم لله الوليد .
ابن عبد الملك . بالمهدى بالله والداعى إلى الله سليمان بن عبد الملك .
المعصوم بالله عمر بن عبد العزيز بن مروان . القادر بصنع الله يزيد
ابن عبد الملك . المنصور هشام بن عبد الملك . المكتفى بالله الوليد
ابن يزيد . الشاكر لأنعم الله يزيد بن الوليد . المتعزَّز ٢ بالله إبراهيم
ابن الوليد ٣ . القائم بحق الله مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء
 بني أمية بالشرق .

وأما بنو أمية بالاندلس فإنهم لم يتلقَّبوا ٤ إلا هشام بن عبد الرحمن
 الداخل ، فإنه كان يقال له هشام الرضا ، ولم يتسَّوا ٥ بإمرة المؤمنين .
 إلى ٦ أن كان عبد الرحمن بن محمد ٧ . فأولهم ٨ عبد الرحمن بن معاوية
 ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ثم ابنه ٩ هشام الرضا ،
 ثم الحكم الرِّبْقِي ١٠ بن هشام ١١ ، ثم ١٢ عبد الرحمن بن الحكم ١٣ ،
 ثم ١٤ محمد بن عبد الرحمن ، ثم ١٥ المنذر بن محمد ، ثم عبد الله أخوه ابن محمد ،
 ثم ابن ابنه ١٦ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر ، وهو أول

(١) ق م : المنتصر (٢) ق م : المتز (٣) ق م ز : ابن عبد الله (٤) ق م : يلتقوا
 (٥) ق م : يتسم (٦) ق م : إلا وهو تحريف (٧) ق م ز : إلا أنى رأيت شرّاً لأبى حاصم
 الحنفى بن زيد التيمي يخاطب فيه عبد الرحمن بن معاوية بإمرة المؤمنين (٨) ق م ز :
 أبو الطريف (٩) ق م ز : أبو الوليد (١٠) مكذَّب ق م ، وفي الأصل : المرتضى . هو تحريف
 (١١) ق م ز : عرف بالربقي لقتله أهل الربن (١٢) ق م ز : ابنه (١٣) ق م ز : أبو الطريف
 (١٤) ق م ز : ابنه أبو عبد الله (١٥) ق م ز : أبو محمد (١٦) ق م ز : أبو الطريف .

من تسمى منهم بالخلافة وإمرة أمير المؤمنين الناصر وهو القائم أيضا ^١ .
قبله أبو أحمد بن المتوكل ، ولم يل الخلافة / ثم رجل من بني علي بطبرستان ،
ثم علي بن حمود ^٢ . المستنصر ^٣ أبو العاصي الحكم بن الناصر ، ثم تسمى
بهذا الاسم بعده معتد ^٤ بن علي بن منصور الشيعي بمصر ، وخنس بن يحيى
ابن علي بن حمود الحنسي . المؤيد ^٥ أبو الوليد هشام بن ^٦ المستنصر ،
وقبله أبو إسحق إبراهيم بن ^٧ المتوكل ، ولم يل الخلافة . المهدي قد ذكرنا
المهدي ^٨ . الظاهر وهو المستعين بالله أيضا أبو أيوب سليمان بن الحكم
ابن سليمان بن الناصر . المستظهر ^٩ أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام
بن عبد الجبار بن الناصر أخو المهدي . المستكفي وقد ذكرنا المستكفي .
المعتد ^{١٠} أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ^{١١} .

ومن بنى على رضى الله عنه المعتلي يحيى بن علي بن حمود . أخوه إدريس
ابن علي المتأيد بالله . الحسن بن يحيى بن علي المستنصر بالله وقد تقدم اسمه .
أخوه إدريس بن يحيى ^{١٢} العالی بالله وكان قد تسمى بهذا الاسم قبل إدريس
ابن ليحيى آخر كان اسمه عليا / وكان يحيى قد ولاء عهده ، ثم مات في حياته .

(١) في م ز : إلا أنه لم ينسب على هذه التسمية الثانية . وهكذا أنفذ كتابه
إلى قسطنطين ملك الروم بالقبين جدياً وكان تسمى بالناصر (٢) في م ز : الحنسي
بالأندلس ثم عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي طاهر (٣) هكذا
في م ، وفي الأصل : اللتصر وهو تحريف (٤) في م : سمد وهو تحريف واضح
(٥) في م ز : بالله (٦) ، (٧) في م : ثم وهو تحريف (٨) يريد ابن حمز أنه ذكره
في ألقاب النبائين وذكرته نسخة م هكذا : أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار
الناصر (٩) في م ز : بالله (١٠) في م ز : بالله (١١) في م ز : وهو آخر منكرهم بقرطبة
وكان قد قام قبل ذلك أخوه عبد الرحمن بن محمد وتسمى بالمرتضى فلم يتم اسمه (١٢) في م :
ويسمى الشامي ولم يل . ويلاحظ أن الألقاب في هذه الفقرة تأتي تالية على خلاف
ما في نسخة م .

محمد بن إدريس بن علي المهدى وقد تقدم ذكره . ومن ^١ الادعاء، إليهم
 القائم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله قتله ابن المنصور ولم يل الخلافة ،
 وتسمى بهذا الاسم عبد الرحمن الناصر بالأندلس — قال أبو محمد : وأتارأت
 بمعنى نينا وخسين كتابا كتبها بالزهاء ، وكلها معنونة من عبد الله عبد الرحمن
 الناصر لدين الله القائم لله أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان — ثم أبو جعفر عبد الله
 ابن القادر وقد ذكرناه . المعز ^٢ أبو تميم معد بن إسماعيل . العزيز
 نزار أبو المنصور بن أبي تميم . الحاكم أبو علي منصور بن نزار . الظاهر
 أبو الحسن أو أبو الأشبال علي بن الحاكم . ثم أبو تميم معد بن علي الملقب
 بالمستنصر وهو إليهم الآن .

ومن ^٣ ولي العهد وتسمى أو لم يتسم ولم يتم له أمر ومن ^٤ قام
 يطلب الخلافة وتسمى بها ولم يتم له أمر وقد تسمى ^٥ أو لم يتسم :
 عبد العزيز بن مروان / كان ولي عهد عبد الملك أخيه ولم يتم له أمر ،
 مات في حياة ^٦ عبد الملك . أيوب بن سليمان بن عبد الملك مات في حياة
 أبيه ^٧ وكان ولي عهده ، وقيل ^٨ : قتله سرًا لأنه ارتد إلى النصرانية .
 الحكم وعثمان ابنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك قُتِلَا في السجن وكانا
 وليَّيْنِ ^٩ عهد أبيهما . عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان
 كان ولي عهد ابن عمه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، قُتِل يوم خلع إبراهيم ^{١٠} .

[٧ ظ]

(١) سقطت من م هذه العبارة وما تبعها من الكلام عن عبد الرحمن الناصر
 (٢) العبارة في م : وكان يحضر أبو تميم معد الخ والانتقال هنا في م تأتي تالية للاسماء .
 (٣) في م : من . (٤) هكذا في م ، وفي الأصل : وأقام (٥) في م : ويسمى (٦) في م ز :
 أخيه (٧) في م ز : سليمان بن عبد الملك (٨) في م ز : إن أباه (٩) في م : ولياً
 (١٠) في م ز : وقيل إن عبد العزيز هذا هو أخو أبي العباس السفاح لأمة ، أمها جينة
 . ربيعة الحارثية تزوجها محمد بن علي بعد الحجاج بن عبد الملك .

عبد الله وعبيد الله ابنا مروان بن محمد^١ كانا وليي^٢ عهد أبيهما
 قتل عبيد الله بأرض النوبة^٣ وعاش عبد الله زمانا^٤ ومات بمكة^٥ .
 ومن بنى العباس : عيسى بن موسى^٦ كان ولي عهد المنصور ثم صير^٧
 على العهد بعد ابنه المهدي ، ثم خلفه المهدي^٨ . جعفر بن الحادي^٩
 وولاه أبوه العهد ، لم يتم له أمر^{١٠} . القاسم بن^{١١} الرشيد المؤمن
 وولاه أبوه العهد بعد المأمون ، ثم خلفه المأمون . وثمجي بهذا^{١٢} / الاسم بعد
 ذلك محمد بن ياقوت^{١٣} وسلامة أخو نجيح الطولوني^{١٤} وعبد العزيز بن
 عبد الرحمن^{١٥} بن أبي عامر في بعض^{١٦} الأوقات . منصور بن المهدي
 وولاه^{١٧} إبراهيم عهده ، وتسمى^{١٨} بالمرتضى بالله ، اضحل أمره ، وتسمى بهذا
 الاسم علوي^{١٩} باليمن . علي بن موسى^{٢٠} الرضا ولي عهد المأمون ،
 مات في حياته ، وتسمى بهذا الاسم هشام بن عبد الرحمن بالاندلس والحسن
 بن زيد بطبرستان موسى الناطق بالحق ابن الأمين ولي^{٢١} عهد أبيه ،
 ولم يتم له أمر^{٢٢} . إبراهيم المؤيد ولي^{٢٣} عهد المتوكل بعد المعتز ، خلفه المعتز
 وقتله . الموفق أبو أحمد^{٢٤} بن المتوكل وهو الناصر ولي عهد أخيه

(١) في م ز : ابن مروان (٢) في م : وليا (٣) في م : الروم ولله تحريف وبدء :
 ولا عقب له (٤) في م : دهر (٥) في م ز : وله عقب ومن ولده كان أبو الفرج الأصبهاني
 صاحب كتاب الأغاني (٦) في م ز : ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (٧) في م ز : جلة
 (٨) في م ز : موسى (٩) في م : أمره (١٠) في م ز : هرون (١١) في م : بالمؤمن بدم
 (١٢) في م ز : ثم سمي بدم (١٣) في م ز : ثم تسمى به (١٤) في م ز : أخو محمد
 (١٥) في م : برهة من دهره (١٦) في م ز : أخوه (١٧) في م : موسى (١٨) في م : علي بن
 جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب وولاه المأمون عهده ومات إلى مدينة في حياة المأمون
 وقيل انه سمى وكان سماه الرضا وتسمى به أيضاً الحسن بن زيد (١٩) في م : وولاه أبوه
 عهده (٢٠) في م ز : ومات وله أربع عشرة سنة ولا عقب له (٢١) في م : وولاه أبوه العهد
 بعد المعتز أخيه ولم يتم له أمر ، خلفه الخ (٢٢) في م ز : محمد .

المتعمد ، مات في حياته ^١ . المنفوض إلى الله بن ^٢ المتعمد ولي عهد أبيه المتعمد قبل ^٣ المرقق ، خلعه أبوه ، ثم قتله المتعمد بعد موت أبيه .
الغالب عبد الكريم بن القادر ، ولي عهد أبيه ، مات في حياته ^٤ .

[٨ ظ]

ومن بني أمية بالأندلس : المغيرة بن الحكم / الرضى
ولي عهد أبيه بعد عبد الرحمن أخيه ، خلعه عبد الرحمن أخوه .
محمد بن سليمان بن الحكم ولي عهد أبيه ، قُتِلَ بعد قتل أبيه بذهر ،
وذلك أنه فرغ إلى منذر بن يحيى مستنصرأ به ، فأحياده مدة ، ثم أمر بقتله
رجلا يعرف بالطرسوسى ، فقتله سرا . ومن تسمى منهم بالعهد دون
أن يسميه به خليفة ولم يتم له شيء : سليمان بن هشام بن سليمان
ابن الناصر تسمى بالعهد في أيام محمد بن هشام المهدي ، ثم قُتِلَ حين قيام
أبيه ^٥ على المهدي وقتل معه أبوه ، ومن بني عمه ^٦ . سليمان
ابن هشام بن عبيد الله بن الناصر تسمى بالعهد في أيام ^٧ المستكفي
ابن عمه . محمد بن الحكم بن محمد بن عبد الملك بن الناصر
تسمى بالعهد دون أن يسميه عمه هشام المتعمد ^٨ . وكان هشام بن الحكم
قد وليَّ بعده عبد الرحمن بن أبي عامر الملقب بالناصر وهو من معافره ، وكانت
فيلة خارجية ، قُتِلَ ^٩ في حياته ولم يتم له أمر .

(١) في م : حياة أخيه (٢) في م : جعفر بن المتعمد (٣) في م : مقدما على (٤) في م :
حياة أبيه (٥) في م : ابنه وهو مخربف (٦) في م : وقتل مبهما عدد (٧) في م : ولاية
(٨) في الأصل في م : المتعمد ، (٩) في م : قُتِلَ إلى شهر ولم يتم أمره .

[٩ و] ومن بنى على : على العالى بن يحيى المعتلى / مات فى حياته ١ ،
فناولى الأمر أخوه إدريس بن يحيى بن القاسم بن حمود اضطل أمره بخلع أبيه .
الحسن بن إدريس بن على بن حمود الملقب بالشامى ولده أخوه
عبد ، ثم نفاه إلى المدونة . ويمن ٢ تسمى منهم بالمهدون أن يسمى به : إدريس
ابن على ادعى العهد يسمى . ومن الأديعاء إليهم : قاسم بن أبى
القاسم بن عبيد الله الشيعى مات فى حياة أبيه ، وكان ولى عهده .
تميم ٣ بن أبى تميم كان ولى عهد أبيه فخلعه فى حياته . عبد الرحيم
ابن إلياس بن أحمد بن عبيد الله الشيعى كان ٤ ولى عهد الحاكم ،
فلما قُتل الحاكم قُبِض عليه وقُتل .

ومن ولى الخلافة بعهد : اختلف الناس فى أبى بكر ٥
رضى الله عنه . والذى أعهد ٥ أنه إنما ولى ٦ بمهد من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ٧ ونَص منه عليه ، لإجماع المسلمين ٨ على تسميته خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩ ، وللحديث ١٠ الوارد فى ذلك ، رواه البخارى
وغیره ، وهو قصة المرأة التى قالت يا رسول الله : فإن رجعت ولم أجدك كأنها

(١) فى م : حياة أبيه . وبعد ذلك : وقد رأيت بمنى من يعانى علم التواريخ يشكر
هذا وهو خطأ منه ولم أكتبه إلا موقناً بالقبضة ، وليس من لم يعلم حجة على من يعلم .
حمود بن القاسم بن حمود اضطل أمره بخلع أبيه ثم تسمى بالخلافة ثم مات .
(٢) البشارة المتأخرة فى م : مضطربة (٣) فى م ز : ومن ولاية مصر تميم (٤) فى م :
ولاه المهد ابن عمه منصور بن نزار بن معد بن اسماعيل بن أبى القاسم بن عبيد الله
خامساً قتل الحاكم منصور بن نزار قتل هو (٤) فى م ز : الصديق (هـ) فى م : أدب
الله به (٦) فى م ز : الخلافة (٧) فى م ز : إني (٨) فى م : أهل الإسلام (٩) فى م ز :
وَمَ عِمْ يَهْدِ الْإِسْمَ أَحَدٌ غَيْرُهُ وَلَا مِمَّنْ اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي أَسْفَارِهِ
وَلَا مِمَّنْ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الصُّلُوحَاتِ فِي غَزَوَاتِهِ وَحُجَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٠) فى م : ولقبحه التاب
الذى يرويه من طرق متباينة .

[٩ ظ]

تريد الموت / هكذا في نص الحديث ، فقال : عليه السلام فأني أبا بكر ،
وكذلك الحديث من قوله عليه السلام في مرضه الذي مات فيه : لقد همت
أن أكتب كتابا أو أعهد عهداً لثلاثين متناً ويقول قائل : أنا أولى
وبأي الله والمسلمون إلا أبا بكر ، أو كلاماً هذا معناه . وهو لا يهتم عليه السلام
إلا بالحق^١ . عمر ، يزيد بن معاوية ، معاوية بن يزيد ،
عبد الملك ، ابنه الوليد ، سليمان ، عمر ، يزيد ، هشام ، الوليد ،
إبراهيم ، المنصور ، المهدي ، الهادي ، الرشيد ، الأمين ، المأمون
بعهد أبيه ، الواثق ، المنتصر ، المعتضد ، المستنصر ، المعتز ، الطائع ،
القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، الآن ببغداد ، ولي عهد أبيه . ومن بني
أمية بالأندلس : هشام الرضا ، الحكم الرضي ، عبد الرحمن ،
ابنه محمد ، المنذر ، عبد الله ، المستنصر ، المؤيد .

[١٠ و]

من ولها يتشاور : عثمان ، الحسن ، مروان بن الحكم ، المنوكل :
المستعين ، المعتز ، المهدي ، المعتمد / القاهر ، الراضي ، المتقي ،
المطيع ، القادر . ومن بني أمية بالأندلس : الناصر ، المعتد .

ومن^٢ ولها مغالبة : علي ، معاوية ، ابن الزبير ، يزيد بن الوليد ،
مروان بن محمد ، السفاح ، إبراهيم بن المهدي ، المعتصم^٣ ،
عبد الرحمن ، الداخل ، المهدي ، سليمان ، المستظهر ، المستنصر .
من طلبها^٤ . ولم يتم أمره وتسمى بالخلافة من قریش ،
وأما الخوارج فشأنهم^٥ غير هذا : عمرو بن سعيد بن العاص

(١) في م ذ : ولغير هذا إنما ذكرته في كتاب التتبع وفتح الحد (٢) يريد ابن حزم :
من ولي الخلافة (٣) في م : ومن بني أمية بالأندلس (٤) في م ذ : ابن معاوية (٥) في م :
طلب الخلافة وتسمى بها ولم يتم أمره من قریش (٦) في م : فأمرم

خرج على عبد الملك بن مروان بدمشق وتسمى بالخلافة ، ثم انخلع ، وسلم الأمر لعبد الملك ، وقتله عبد الملك . وقيل إن سليمان بن هشام بن عبد الملك تسمى بالخلافة في بعض قيامه ^١ على مروان بن محمد ، وأخوه مسلمة حينئذ حتى وهو أسن منه ، ثم انخلع ^٢ ودخل في طاعة الضحاك ^٣ الخارجي ، ثم في طاعة السفاح ، ثم قتله السفاح . دحية بن المصعب بن سهيل بن عبد العزيز ابن مروان قام بمصر على المهدي وقتل . / علي بن عبد الله النخيلي من ولد خالد ابن يزيد بن معاوية قام على المأمون بدمشق ثم انخل أمره .

[١٠ ط]

وقام غير من ذكرنا منهم ولم يتسم بالخلافة : عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر ^٦ . قام على مروان بن محمد بفارس وتسمى بالخلافة ، ثم ظفر ^٧ به أبو مسلم ، وقتله ^٨ . ومن بنى العباس : عبد الله بن علي ^٩ . قام على أبي جعفر المنصور بالثام وسليمان أخوه حتى ، وهو أسن منه ، وتسمى بالخلافة ^{١٠} ، وظفر به وقتله . عبد الله بن المعتز قام على المعتذر وتسمى بالمنتصف ، ظفر به وقتله ، قُتل في صهرج ماء ^{١١} .

ومن بنى علي : محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ^{١٢} قام على أبي جعفر المنصور بالمدينة وأبوه عبد الله حتى ^{١٣} ، وقتله . محمد بن جعفر بن محمد قام على المأمون بمكة فظفر به ، فلم يكلف

(١) في م : خروجه (٢) في م : ترك ذلك (٣) في م : ابن قويس الشيباني الخارجي الصنبري . (٤) في م ز : وسلم عليه بالخلافة (٥) في م ز : دخل (٦) في م : ابن أبي طالب (٧) في م : أسره (٨) في م ز : وكان عبد الله بن معاوية هذا فاسد الدين مذكورا بالاحاد والتعطيل . وقد ذكر بعض الناس أن صاحب الرنج تسمى بالخلافة ولم يصح هذا إنمّا كان يسمى بالامام وكان أيضاً من عبد القيس لم يكن من قريش أصلاً (٩) في م ز : ابن عبد الله بن النباس (١٠) في م ز : وبني خصة أشبه قط (١١) في م ز : بارد وقتل أبوه في حمام (١٢) في م : الحسين بن علي بن أبي طالب (١٣) في م ز : في حبس أبي جعفر المنصور ، فقتل رحمه الله بمكة شرفها الله .

[١١ و]

أكثر من أن يصعد المنبر ويشهد على نفسه بالكذب في حديثه ،
وكان قبل ذلك محدثاً ١ . أبو الفتح ٢ الحسيني قام بمكة وتسمى ٣ بالراشد ،
ثم رجع إلى طاعة الحاكم . ولم يتسم أحد من نوار / بنى على ٤ بالخلافة
على كثرة القائميين منهم حاشا ٥ محمد بن جعفر ٦ هذا ومحمد بن عبد الله الذي ٧
ذكرنا قبل ، وحسبك بعلي بن حمود لم يتسم في قيامه على سليمان بالخلافة .
إلا بعد استيلائه على دار الملكة بقرطبة ، وقتل سليمان ، إلا ما ذكر لي
بعض أهل الأخبار من أن رجلاً منهم بويج بالخلافة بنيابور من ولد محمد
بن زيد الداعي ٨ واضحل أمره ٩ ، وقيل لي إنه مات بوادي الحجازة ١٠
في جملة خيلاس الجند عند ابن باق وألله أعلم . وكذلك المنتمون إليهم كصاحب
الزنج الذي قام بالبصرة وغيره . ولم يتسم عبيد الله بالخلافة إلا بعد استيلاء
جنده على إفريقية . وذهاب بني الأغلب .

ومن بني أمينة بالأندلس : هشام بن سليمان بن الناصر
قام على المهدي وأخوه الحكم حي ، وهو أسن منه وتسمى بالمصوم ،
ظفر به وقتل ثاني ١١ قيامه . عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك
ابن الناصر قام على علي والقاسم ابني حمود ١٢ وتسمى بالمرتضى ١٣ ،
قتل غدراً سرّاً ، وخفي أمره وكان قيامه وأخواه الحكم ١٤ وفشام المعتد
حيان . وما أسن منه بسنتين . عبيد الله بن المهدي قام على المستكني

[ظ]

(١) في م ز : وكان ابنه علي من أنفق الناس وأندم إعلناً بالتبائع (٢) في م :
أبو الفتح الحسن بن جعفر الحسيني (٣) في م : وتسمى بالخلافة وتلقب بالراشد
(٤) في م ز : رضي الله عنه (٥) في م : إلا (٦) في م ز : والحسن بن جعفر
(٧) في م : المذكورون آنفاً (٨) في م ز : القائم بطبرستان (٩) في م ز : ودخل
في غمار الناس (١٠) في م ز : من الأندلس (١١) في م ز : يوم (١٢) في م ز : الحسينيين
(١٣) في م ز : وكان رجلاً فاضلاً (١٤) في م ز : المكشوف .

يمحيط وثوب به وقتل . قال أبو محمد : صحَّ عندنا أنه لم يكن
عبيد الله بن المهدي وإنما كان غلام^١ العطار المعروف بالنصيح
وادعى أنه عبيد الله بن المهدي . عبد^٢ العزيز بن الاصبغ قام بمليلة^٣
وتسعى بالخلافة ثم اضطل أمره^٤ ، وقام وأخواه عبد الملك^٥ وهشام حيان
أسن^٦ منه بسنين كثيرة . وتسعى محمد بن زيد^٧ بطبرستان بالداعي
دون أن يتسنى بالخلافة .

تسمية من ولي الخلافة في حياة أبيه :

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ورثه أبوه أبو قحافة^٨ . سليمان بن الحكم
ابن سليمان بن الناصر ورثه أبوه الحكم وقتل بعده بساعة ، قتله
علي بن حنود . عبد الرحمن بن الحكم الأوسط يورث له بالخلافة وأبوه
مريض^٩ ، وعلم بذلك ولم يشاور فيه إلا أنه قد كان ولاه عهده قبل ذلك
وعاش ثلاثة أيام ثم مات متبرما بالحياة . عبد الكريم الطائع الخلع له أبوه
المطيع^{١٠} وعاش بعد الخلافة أربعين يوماً ومات . / وأخبرني خبهر ، وليس
عندي بالصحيح^{١١} ، أن أحمد القادر ولي الخلافة وأبوه إسحق^{١٢} حي .

من ولي وأخوه أسن منه حي :

علي بن أبي طالب كان أخوه عقيل أسن منه ومات^{١٣} بعده بزمان
يزيد بن معاوية كان أخوه عبد الله أسن منه ، وكان يضعف وكان يوم

(١) في م : مملوكا لامطار (٢) في م : عبد العزيز بن احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الاصبغ
ابن الحكم الرضي (٣) في الأصل بـليل والتصحیح من م (٤) في م ز : وطاش في غمار
الناسنتين (هـ) في م ز : اللقيبه (٦) في م : بسنتين وعاش بعده دهرا (٧) في م ز : القاتم
(٨) في م ر : عثمان بن طاهر وجه الله (٩) في م : حتى قد يئس منه (١٠) في م ز : باختياره
(١١) في م : ولم يصح عندي (١٢) في م ز : ابن المعتدر (١٣) في م : وطاش بعد أخيه
على دهرا .

مرج راعط مع الضحاك بن قيس ، فلما هزم أهل دمشق أدركه عبيد الله
 ابن زياد فأردفه ، وتخلّصه ، وأراد عمرو بن سعيد بن العاص قتله ، فسبّه عبيد الله
 ومنعه من ذلك ^١ . هشام بن عبد الملك ولى الخلافة وسلمة أخوه
 وهو أسنّ منه ، حى . الوليد بن يزيد ولى الخلافة وله أخ أسنّ منه .
يزيد بن الوليد وإبراهيم أخوه وليا ^٢ الخلافة ، والعباس أخوهما وغيره
 من إخوتها ^٣ أسنّ منهما . وبالأندلس : عبد الرحمن بن معاوية الداخل
 ولى وله إخوة ^٤ أسنّ منه ، منهم الوليد بن معاوية ، وأتهم ^٥ عبد الرحمن
 ابن أخيه هذا المغيرة بن الوليد بن معاوية ، فقتله ، ونفى أخاه الوليد ، وجمع
 ولده وأخرجهم عن الأندلس ، / ومن ولده أبو المطرف المغيرة إمام مسجد
 ظالوت بمدينة قرطبة . هشام الرضا ولى الخلافة وأخوه سليمان
 أسنّ ^٦ منه ونازعه ^٧ . طول حياته وقد أخبرت أن غيره من إخوته كان
 أسنّ منه أيضاً . الحكم بن هشام ولى الخلافة وأخوه عبد الملك أسنّ منه
حى فى المطبق وبقى فيه سبعة عشر عاما إلى أن مات فيه فى حياة أخيه .
عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ولى الأمر وأخوه هشام بن الحكم ^٨
 أسنّ منه ، سخط ^٩ عليه أبوه إذ بلغه أنه يتعنّى موته .

[١٢ ظ]

ومن بنى العباس : أبو العباس السفاح ولى وأخوه أبو جعفر المنصور
حى أسنّ منه بسنين ^{١٠} وأعتل ^{١١} ، وولى بعده الرشد ولى وأخوه على
 ابن المهدي حى وهو أسنّ منه ، وأمه ^{١٢} راططة ^{١٣} بنت أبي العباس السفاح .

(١) ق م ز : ولا عقب لعبد الله (٢) ق م : كلاما ولى (٣) ق م ز : أحياء
 (٤) ق م ز : أحياء (٥) العبارة مضطربة هنا ق م (٦) ق م ز : بأربعة عشر عاماً
 (٧) ق م : ولم يزل يحارب له (٨) ق م ز : حى (٩) ق م : وكان أبرما قد سخط
 على هشام المذكور (١٠) ق م : بستين (١١) ق م ز : منه (١٢) ق م : وأم على هذا
 (١٣) ق م : ربيعة .

الأميرين ولى وأخوه المأمون حتى، أسن منه بستة أشهر وأعتل ولى بعده ،
ورأيت في بعض الأخبار أن الواثق ولى، وأخوه محمد والد المستعين ، وهو أسن منه ،
حتى / وأن المتوكل ولى وأخوه أحمد ^١ أسن منه وأعتل ^٢ حتى ^٣ ، ولم يتحقق [١٣ و]
عندي كلا الخبرين ، وما أبعدهما ، وهما عندي إلى الحق أقرب والله أعلم .
المعتز ولى الخلافة وأكثر ^٤ إخوته أسن منه ، وهم أحياء ، منهم المزيد المعقود
له بالامر ^٥ بعده كان أسن منه بلا ^٦ شك في ذلك لأن ^٧ المزيد شقيق الموفق
لأمه وأسن منه ، ومولد الموفق يقيناً سنة تسع وعشرين ومائتين ، ومولد المعتز
سنة إحدى وثلاثين ومائتين . وذكر ^٨ في بعض الأخبار أن الموفق كان أسن
من المعتد ، ولم يصح ذلك ، بل الأصح أن المعتد كان أسن منه بستة أشهر ،
وأظن أبا عيسى أو غيره من ولد المتوكل كان أسن من المعتد ^٩ . وأظن
القاهر ولى الخلافة وأخوه هرون أسن منه وهو حتى ، وكذلك الفضل المطيع
مع إخوته الباس وعبد الواحد وعلى والمتقى ^{١٠} كلهم أسن منه بسنين ^{١١} .
وأما الطائع فولى الخلافة وأخوه عبد العزيز حتى وهو أسن منه إلا أنه ^{١٢}
كان دهره هاربا عن أبيه المطيع مع أمه ^{١٣} . ومن بنى على : على بن حمود

(١) في م : محمد (٢) في م ز : منه (٣) في م ز : يومئذ (٤) في م : وجاعة من إخوته
أسن منه منهم الأحدث موسى شقيق المنتصر ومنهم إبراهيم الكزيد الخ (٥) في م : بالمرء
(٦) في م : بنحو أربع سنين (٧) البارة في م : ومنهم الموفق شقيق المزيد (٨) البارة
في م : ومنهم المعتد كان مولده سنة تسع وعشرين قبل الموفق بستة أشهر .
ومنهم أبو عيسى وكان مولد المعتز سنة إحدى وثلاثين في أولها وإنما مال إليه بسبب
أمه قبيصة وكان المتوكل في آخر أمره قد بنى على خلع المنتصر وإقرار المعتز بالأمير فجاهله
المنتصر فدمر عليه من قتله (٩) في م ز : وقول المعتد وأبي عيسى حتى ولم يكن في ولد
المتوكل أعف ولا أحسن شيئا من أبي عيسى هذا (١٠) في م : والمتقى (١١) في م ز :
وم كلهم أحياء (١٢) في م : وكان عهد العزيز هذا (١٣) في م ز : غير أبيه .

[١٣ ظ]

ولى الخلافة ^١ وأخوه القاسم أسن منه / بسنتين ^٢ أو نحوها وولى بعده ^٣ .
ومن المستعين إليهم : زرار ^٤ ولى الخلافة وأخوه تميم أسن منه وهو حى .

أربعة أخوة ولوا الخلافة : لا يعرفون إلا الوليد وسليمان وبزید
وهشاما بنى عبد الملك ^٦ . وأما ثلاثة إخوة فالأمين والمأمون والمعتصم
بنو الرشيد ، والمتنصر والمعتز والمعتد بنو المتوكل ، والمكتفى والمتنذر
والقاهر بنو المعتضد ^٧ ، والراضى والمتقى والمطيع بنو المتتدر . وأما أخوان
قيزيد وإبراهيم ابنا الوليد ، والمنذر وعبد الله ابنا محمد ، ومحمد المهدي
وعبد الرحمن المستظهر ابنا هشام بن عبد الجبار بن الناصر . ومن بنى العباس :
السفاح والمنصور ابنا محمد ، الهادى والرشيد ابنا المهدي ، الواثق والمتوكل
ابنا المعتصم ، ومن بنى على : على والقاسم ابنا حمود .

من كان له اسمان ^٨ من الخلفاء : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الناصر ^٩ القائم بدين الله ، وسليمان بن الحكم المستعين بالله الظافر بجول الله .
ومن ولادة العهد : الموفق بالله / الناصر لدين الله أبو أحمد [بن] المتوكل .

[١٤ و]

أكثر ما اجتمع فى عصر واحد من سبق لهم فى علم الله عز وجل
أن يلوا الخلافة :

كان ذلك فى ثلاثة أوقات : أحدها آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ^{١٠} ،

(١) فى م : الأسر (٢) فى م : بشر سنين (٣) فى م ز : وحسن بن يحيى بن على
ابن حمود ولى وأخوه إدريس حى وهو أسن منه وولى بعده . مروان بن محمد
ابن مروان ولى بعده ابنه عبد الله ثم عبيد الله وابنه عبد الملك أسن منهما . ولم يوله
(٤) فى م ز : ابن أبي تميم (٥) فى م ز : كلهم (٦) فى م ز : ابن مروان (٧) فى م ز :
ودعى أخوهم عمرو بن المعتضد إلى الخلافة فامتنع ولم يكن للمعتضد ابن ذكر غيرم
أولئهم (٨) فى م : لقبان (٩) فى م : الناصر لدين الله القائم بأمر الله ثم اقتصر
على الناصر فقط (١٠) فى م ز : اجتمع فى ذلك أحياء .

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية وعبد الله بن الزبير ومروان ابن الحكم^١. والوقت الثاني آخر أيام الوليد بن عبد الملك ، فإنه اجتمع فيها^٢ أحياء موجودين الوليد وسليمان ويزيد وهشام وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد وإبراهيم بن الوليد ومروان بن محمد وأبو جعفر المنصور وكل هؤلاء ولوا^٣ الخلافة . والوقت الثالث آخر أيام هشام المؤيد بن الحكم فإنه^٤ اجتمع فيها أحياء موجودين هشام والمهدي والمستظهر وسليمان والمستكني والمعتد وعلي والقاسم وبجي وإدريس ومحمد بن القاسم والمرضى ، وكل هؤلاء ولوا الخلافة .

ومن^٦ ولي منهم صبيا :

جعفر المقتدر ولي ولم يستكمل أربع^٧ عشرة سنة . هشام المؤيد ولي لم يستكمل إحدى عشرة سنة . وولي^٨ معاوية بن يزيد وله تسع عشرة سنة ، ولم يَلْ / أحد الخلافة دون العشرين إلا^٩ هؤلاء^{١٠} . قال ابن حبان : ذكر فظويه في كتابه أنه لم يَلْ الخلافة قبل المعتز بالله أحد كان أصغر سنًا منه ، مولده في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين قبل خلافة والده المتوكل بمائة يوم محصاة ، وبزيع بالخلافة بسُرٍّ مَنْ رأى صدر الحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، قال : وسنه ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر .

(١) في م ز : نعم وكان منهم يومئذ حياً عبد الله بن وهب الراسبي ، وكان قد باينه الخوارج بالخلافة وسلموا بأسرة أمير المؤمنين (٢) في م : فيه (٣) في م : ولي (٤) في م ز : كان (٥) في م : وكانهم سلم عليه بأسرة أمير المؤمنين (٦) ابتداء من هنا يختلف ترتيب التسعينين : الأصل م (٧) في م : إحدى (٨) عبارة م : وأما معاوية بن يزيد فإنه ولي (٩) في م : غير (١٠) في م : مكتوبة مضطربة على هذا النحو : وقد غلط قوم فأدخلوا المعتز في هذه الجملة ، وهذا باطل ، ما ولي (ولد) المعتز إلا أول سنة إحدى وثلاثين وبلغ الحكم (الحكم) في رأس عين في سفرة أبيه إلى الشام وولد له الهبتند في أولها ، هذا كله لادك فيه .

وقال ابن كامل : قُتِلَ المعتز وله عشرون سنة كاملة بعد خلعهم بأيام أربعة .
 ويلحق بهؤلاء المقلدين في الصغر منصور بن نزار الملقب بالخاكم بأمر الله
 صاحب مصر ، فهو يلي - هشاماً صاحب الاندلس في هذه الخصلة ، مولده
 في عقب ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وتقليده بعد والده نزار
 في عقب رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وكانت سنة إحدى عشرة سنة
 وستة أشهر غير عشرة أيام . ومن الغرائب أن يتناسق بعدهم ولده على الظاهر
 وولد ولده المستنصر في مثل هذه الولاية في الصغر . على أني / لم أُنْصِفْ أمدّها
 من مواليدها ، واعترفت ، للإجماع على تقليدها في حد الأبناء ، ولا سيما أحدها
 معد بن علي المستنصر الباقي في هذا الوقت ، وكان أقرب للطفولة منه إلى الصبا ،
 وفي هذا الباب بقية .

[١٥ و]

من ولى منهم مستأً قد تجاوز الستين :

أبو بكر الصديق^١ إحدى وستون سنة . عبد الله بن الزبير^٢
 أربع وستون سنة . مروان بن الحُكم^٣ إحدى وستون سنة . مروان
 ابن محمد^٤ إحدى وستون سنة . ومن بنى على : القاسم بن حمود^٥ ولى^٥
 وقد دخل في إحدى وستين سنة . واختلف^٦ في عثمان رضي الله عنه ، ف قيل
 إنه ولى وله ما بين ثمان وستين إلى إحدى وخمسين سنة ، وقيل أقل من ذلك ،
 لا أشك^٧ فيه أنه لم يكن له ، إذ ولى^٨ ، ستون سنة .

(١) في م ز : رضي الله عنه ولى الخلافة وله (٢) في م ز : ولى الخلافة وله (٣) في م ز :
 بربيع له ، وله (٤) في م ز : ولى الخلافة وله (٥) في م ز : ولى الخلافة وله إحدى وستون
 سنة (٦) في م : واختلف في عثمان بن عفان رضي الله عنه من إحدى وخمسين إلى ثمان
 وسبعين سنة (٧) في م : والذي لا أمتري فيه (٨) في م : إلا أقل من ستين سنة .

ومن ولى وله خمسون سنة إلى أقل من الستين : عمر ، وعثمان ،
وعلى ، ومعاوية ! ، وهشام ، [و] المعتمد ، وأحمد القادر .

ومن ولى منهم وله ما بين الأربعين سنة إلى الخمسين ٢ :
[١٥ ظ] أبو جعفر المنصور / المعتمد ولى وهو فى الأربعين وعبد الله المستكفى المنذر ،
عبد الله أخوه ، الحكم المستنصر ، سليمان الظافر ، محمد المستكفى ٣ .

ومن ولى منهم وله ما بين الثلاثين إلى أقل ٤ من الأربعين :
الحسن بن على ٥ ، عبد الملك بن مروان ، الوليد ٦ ، سليمان ،
عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك ، هشام أخوه ، الوليد
ابن يزيد ، يزيد بن الوليد ، إبراهيم أخوه . هشام الرضا ، عبد الرحمن
ابن الحكم ، محمد ابنه ، محمد بن هشام المهدى . ومن بنى العباس :
السفاح ، المهدى ، الواثق ، المهدى ، المعتمد ، القاهر ، المتقى ،
المطيع ، الطائع . ومن بنى على : يحيى بن على ، وسائر ٧ الخلفاء
إنما وليها دون الثلاثين وفوق العشرين سوى من ذكرنا .

أكثر ٨ الخلفاء عمرا :

القادر بلغ ثلاثا وتسعين سنة ولم ٩ يصح عن خليفة غيره أنه بلغ
الثمانين ، ولا يجاوز السبعين ، ولا بلغها منهم أحد إلا عثمان ومعاوية وعبد الله
ابن الزبير / وعبد ١٠ الله بن محمد وعبد الرحمن الناصر والطائع والتاسم .

[١٦ و]

(١) فى م ز : رضى الله عنهم (٢) فى م ز : ولم يتمها (٣) فى م ز : على بن حود
(٤) فى م : ما دون (٥) فى م ز : رضى الله عنهما يزيد بن معاوية (٦) فى م : الوليد
ابن سليمان وهو تحريف (٧) فى م : وأما سائر الخلفاء فأنما بلغها كل منهم دون الثلاثين
وفوق العشرين (٨) فى م : أطول (٩) عبارة م : وذكر عن عثمان بن عفان رضى الله
عنه أنه تجاوز سبعين وتجاوزها معاوية الخ (١٠) فى م : وبلغها عبد الله بن محمد وتجاوزها
الطائع وعبد الله بن محمد الناصر والتاسم بن حود .

أقصر الخلفاء عمرا :

معاوية بن يزيد لم يبلغ العشرين سنة . والذين ^١ تجاوزوا العشرين . ولم يبلغوا خمسة وعشرين عاما موسى الحادي لم يستكمل أربعين سنة . محمد المنتصر نقصه ^٢ من خمسة وعشرين عاما شهران أو نحوهما . المعتز لم يستكمل خمسة وعشرين عاما ^٣ . المستظهر لم يستكمل ثلاثا وعشرين سنة . ومن ^٤ تجاوز الحسة والعشرين ولم يستكمل الثلاثين : الأمين بن زبيدة . والذين ^٥ لم يبلغوا الأربعين منهم وتجاوزوا الثلاثين سليمان بن عبد الملك ، عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك ، الوليد ابنه ، - يزيد بن الوليد ^٦ ، وأظن أخاه إبراهيم كذلك ، أبو العباس السفاح ، الواثق ، المستعين ، المهتدي ، المكتفي ، المقتدر ^٧ ، هشام الرضا ، محمد المهدي بن هشام ^٨ .

ذكر من خلع من الخلفاء وسلم :

الحسن بن علي ^٩ ، معاوية بن يزيد ^{١٠} ، إبراهيم بن الوليد ، إبراهيم بن المهدي ، محمد المستكفي ^{١١} ، ومات إلى أيام من خله حنف أنه المطيع ^{١٢} ومات إلى أربعين يوما من خله حنف أنه .

(١) في م : ومن لم يستكمل خسا وعشرين عاما (٢) في م : لم يكمل خسا وعشرين سنة . (٣) في م : سنة (٤) عبارة م : الذين تجاوزوا خسا وعشرين ولم يستكملوا ثلاثين (٥) في م : الذين تجاوزوا الثلاثين ولم يبلغوا الأربعين (٦) في م ز : إبراهيم بن الوليد . (٧) في م ز : الرازي (٨) في م ز : ابن عبد الجبار (٩) في م ز : رضى الله عنهما أنخلع مختارا (١٠) في م ز : أنخلع مختارا ثم يضطر وأخذ منهما إلى الخلع (١١) في م ز : اضطررا إلى الخلع كلهم وماتوا حتى (حنف) أنوفهم إلا أن إبراهيم غرق في الهزيمة مع مروان ، وقيل إن المستكفي سمه يمش من كان معه (١٢) في م ز : أنخلع لابنه بين الطوع والكراهة .

/ من خُلع وسَلِم^١ وبقى معتملاً :

هشام المؤيد إذ خله المهدي ، القاسم إذ خله ابن أخيه^٢ ، المقندر ،
إذ خله أخوه^٣ أول مرة ، القاهر إذ خله المقندر .

من خُلع وسُملت عيَّته :

القاهر إذ خله الراضي ، المنقبي ، المستكفي^٤ ، المستعين ببنداد ،
نُشام إذ خله سليمان .

من^٥ خُلع وقُتل إثر خلعه :

الأمين ، المعتز . ومن بنى أمة سليمان^٦ إذ خله علي بن حمود .

ومن لم يجب إلى الخلع وصبر حتى قتل أو قاتل حتى أُخِن ،
ثم أُجِد وقُتل : عثمان صبر حتى قتل ، عبد الله بن الزبير قاتل حتى قتل^٧
مروان بن محمد . كذلك^٨ ، المهتدي قاتل ثم^٩ جرح وسلم^{١٠} ، فتر وظفر
به فقتل ولم يجب إلى الخلع .

من قِيمَ عليه نُخلع^{١١} دون أن يطالب بخُلع ولم يدافع : الوليد
ابن يزيد ، المقندر ، المهدي ، محمد بن هشام ، المستظهر أخوه .

من ولى أياماً من الخلفاء أو شهوراً^{١٢} ما دون السنة :

الحسن بن علي^{١٣} ولى ستة أشهر . معاوية بن يزيد ولى أربعين يوماً .

(١) ق م : واعتزل (٢) ق م ز : يحيى (٣) ق م : المهدي والعبادة مضطربة في م
(٤) ق م ز : الطائع (٥) ق م : من خلع ثم قتل إلى مدة المستعين من بني العباس
(٦) ق م ز : ابن الحكم (٧) ق م ز : متبلاً غير مدبر (٨) ق م : قاتل حتى قتل متبلاً
غير مدبر (٩) ق م : حجة (١٠) ق م : ثم ولى فأدرك وقتل ولم يجب إلى الخلع
(١١) ق م : قتل (١٢) سنة (١٣) ق م ز : رضى الله عنهما .

/ مروان بن الحكم ولى عشرة أشهر . يزيد بن الوليد ولى ستة أشهر .
 أخره إبراهيم ولى ثلاثة أشهر . محمد^١ بن هشام المهدي ولى أحد عشر
 شهراً فى خلافته ما . المستظهر ولى سبعة وأربعين يوماً . محمد المهدي^٢
 ولى أحد عشر شهراً . المنتصر ولى ستة أشهر .

من طال عمره ٣ فولى عشرين سنة فصاعداً :

معاوية بن أبي سفيان^٤ ولى الخلافة عشرين سنة بعد علي^٥ .
 عبد الملك بن مروان^٦ ملك عليه بها عشرين سنة . المعتمد^٦ ولها
 عشرين سنة . المنصور أبو جعفر^٦ ولها إحدى وعشرين سنة . الرشيد
 ولها ثلاثاً وعشرين سنة . المعتذر^٦ ولها خمساً وعشرين سنة . الحكم^٦ الرضى
 ولها ستاً وعشرين سنة . عبد الرحمن ابنه^٦ ولها ثمانياً وعشرين سنة .
 عبد الله^٦ ولها خمساً وعشرين سنة . المطيع^٦ ولها ثلاثين سنة^٧ عبد الرحمن
 ابن معاوية^٦ ولها أربعاً وثلاثين سنة . محمد بن عبد الرحمن بن الحكم^٦
 ولها خمساً وثلاثين سنة . هشام المؤيد^٦ ولها ستاً وثلاثين سنة . القادر
 ولها ثلاثاً وأربعين سنة . عبد الرحمن الناصر^٦ ولها خمسين سنة^٨ .

/ المعرفات فى الخلافة من النساء :

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة علي وأُم الحسن .

(١) فى م : وقد عد فيهم محمد بن هشام بن عبد الجبار وليس كذاك لأنه قام إلى أن
 قتل ، خطب له بالخلافة وسلم عليه بها سبعة أشهر منها ستة أشهر بالثغر خاصة قطعت
 بين دولتيه بقرطبة (٢) فى م ز : رحمه الله (٣) فى م ز : منهم (٤) فى م ز : رضى الله
 عنه (٥) فى م ز : عليه السلام (٦) فى م ز : الأُمون ولها عشرين سنة (٧) فى م ز :
 أبو جعفر القائم ابنه له منذ ولى ثلاثين سنة ، وأما ما ولى لأنه آمن فأكرم مع أكثر
 من عشرين سنة ومن ثلاثين سنة (٨) فى م ز : وستة أشهر متصلة (٩) فى م : وابنها
 الحسن رضى الله عنهم .

أم كشوم بنت علي^١ زوجة عمر^٢ وأخت الحسن، وبنت لهلي أخرى نحت^٣
عبد الملك. عائشة بنت الواثق^٤ أخت المهدي زوجة^٥ المستعين. عائكة
بنت يزيد بن معاوية جدها خليفة وأبوها خليفة وزوجها خليفة^٦ وابنها خليفة
وابن ابنها خليفة وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك. فاطمة بنت عبد الملك
ابن مروان جدها خليفة وأبوها خليفة وإخوتها الأربع^٧ خلفاء وبنو إخوتها
ثلاثة خلفاء وابن عمها وزوجها خليفة وهو عمر بن عبد العزيز^٨. ودون هؤلاء
عائشة بنت عثمان^٩ زوجة عبد الله بن الزبير^{١٠}. أم عاصم بنت عاصم
ابن عمر بن الخطاب^{١١} جدها خليفة وابنها خليفة وهو عمر بن عبد العزيز،
ولذلك قال فيه الشاعر : بين أبي العاص وآل الخطاب . زبيدة بنت
جعفر^{١٢} بن أبي جعفر المنصور جدها خليفة وزوجها^{١٣} خليفة الرشيد
وابنها خليفة وهو الأمين . رائطة^{١٤} بنت السفاح زوجة^{١٥} المهدي .
فاطمة بنت المنذر زوجة^{١٦} الناصر . أم الحكم بنت سليمان الظاهر
زوجة^{١٧} المستظير / وهي التي يقول فيها :

[١٨ و]

وماذا على أم الحبيبة إذ رأت^{١٨} جلاله قدرى أن أكون لها صهرا
حامة بين النبسيين خلقت فطرت إليهم من سراتهم^{١٩} صقرا

(١) في م ز : ابن أبي طالب (٢) في م ز : ابن الخطاب وأبوها علي وأخوها الحسن
رضي الله عنهم وجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) في م : تزوجها (٤) في م ز :
ابن المتصم (٥) في م : وتزوجها (٦) في م ز : وأخوه خليفة (٧) في م : أربعة
(٨) في م ز : ولم يختلف عبد الملك ابنه غيرها وخلف أربعة عشر ذكراً (٩) في م ز :
رضي الله عنه (١٠) في م ز : رضي الله عنهما (١١) في م ز : رضي الله عنه
(١٢) في م ز : الملك جعفر (١٣) في م ز : ابن عمها (١٤) في م : ربيعة (١٥) في م :
زوجها (١٦) في م : زوجها (١٧) في م : زوجها (١٨) في م : إذا رأت وهو محريف
(١٩) في م : سراتها .

فاطمة بنت القاسم^١ زوجة يحيى^٢ . وأما من تزوجها خيفة وولدت خيفة فكثير جدا لا معنى لذكر ذلك والمراد بهذا من أعتق خادمة وتزوجها وولدت خليفة كرجان وصبح والخيزران وغيرهن .

امراة ولدت خليفتين : ولادة بنت العباس^٣ البسية ، ولدت الوليد وسليمان ، والخيزران ولدت موسى^٤ وهرون ، أم القاسم وعلى^٥ .
امراة ولدت ولئي عهد^٦ : أندلسية ولدت ولئي عهد : إبراهيم المؤيد وأبا أحمد الموفق^٧ . أم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها أم خالد بنت هشام^٨ بن عتبة^٩ أم معاوية بن يزيد تزوجت بعد موت ابنها^{١٠} مروان بن الحكم . امراة^{١١} أخرى اسمها عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية تزوجها ثلاثة خلفاء ، الوليد وهشام ومروان بن محمد . ويقول قائلون إن أم هشام المؤيد استحلها ابن أبي عامر بنكلح سر ، والله أعلم . وحكى أن عريب / المأمونية، قيل إنها كانت بنت جعفر بن يحيى ابن برمك ، كانت تقول : دخل^{١٢} لى سبعة خلفاء ، فإن كان^{١٣} هذا حقاً ، فقد كان منهم الوالد^{١٤} والولد والله أعلم . أسماء بنت هشام أخت خليفتين :

[٢٨ ظ]

(١) في م ز : ابن حمود (٢) في م : تزوجها يحيى بن على . بنت إدريس بن على تزوجها حسين بن يحيى بن على بن حمود وأخوها محمد بن إدريس ولما قتل زوجها أخاها يحيى بن إدريس المروفي يحيون ست زوجها فقتلته ، فهذه امرأة سلم على أبيها وجدها وعمها وأخوها وزوجها بالخلافة . بنت على بن حمود تزوجها محمد بن القاسم وسلم على أبيها وعمها وزوجها وأخوها وبني أخوها بالخلافة (٣) في م ز : ابن جزء بن الخوارث ابن زهير بن حذيفة (٤) في م : الهادي (٥) في م ز : ابن حمود سلم عنهما بالخلافة ، لبونة بنت محمد المرزلي بن حسن بن القاسم فتون ولدت يحيى وإدريس ابني على سلم عنهما بالخلافة (٦) في م ز : إسحق (٧) في م ز : لم يتم لها أمر (٨) في م ز : هاشم (٩) في م ز : ابن ربيعة (١٠) في م ز : معاوية (١١) في م ز : من غرائب الناصب امرأة تزوجها ثلاثة خلفاء الخ . أخرى تزوج عبد الملك بن مروان بن عثمان (مكذبا) بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية الخ . والنس هنا في م : مختلط (١٢) في م : ركني (١٣) في م : صدقت (١٤) في م : فيهم الأب والابن .

المهدي والمستظهر تزوجها أحمد بن رشتيق الكاتب مولى بنى شهيد .
المرزبانة بنت قديد بن منيع السعدى بن سعد بن زيد مائة بن تميم
 تزوجها نصر بن سيار أمير خراسان ، ثم مات ^١ ، ثم تزوجها أبو مسلم ^٢
 والى خراسان ، ثم قتل ، فتزوجها أبو داود خالد بن إبراهيم التهملي ^٣ والى خراسان
 بعده ، فنجرت هذه المرأة مجرى ولاية خراسان ، من ^٤ ولى خراسان تزوجها ^٥ .
منيرة العربية تزوجها يعقوب بن الليث ثم أخوه عمرو بن الليث .

ثلاثة ٦ رشحوا للخلافة ماتوا فى أربعين يوماً :

عبد الرحمن بن هشام المستظهر وسليمان بن المرتضى ومحمد
ابن عبد الرحمن المروفي بابن العراقى ^٧ . قتل عبد الرحمن ^٨ ثلاث خلون
 من ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ومات سليمان بن المرتضى بعده
 بنحو من عشرة أيام حتف أفقه ، ومات ^٩ محمد بن عبد الرحمن حتف أفقه
 ثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من العلم المؤرخ .

/ نوكتى الخلفاء : [١٩ و]

من بنى العباس : الأمين بن زبيدة : المعتمد ، القاهر ،
المستكنى . ومن بنى أمية : المستكنى إلا أن القاهر من بين هؤلاء
 كان نوكة بمروجاً بسلطة . وما كان هشام المؤيد بدونهم إلا أنه كان

(١) فى م : فلما خرج عن خراسان ومات (٢) فى م ز : السراج (٣) فى م : الدهلي
 (٤) فى م : كل من (٥) فى م ز : هند بنت أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر
 النزاريه تزوجها عبيد الله بن زياد أمير المراقين ثم تزوجها الحجاج بن يوسف أمير المراقين
 (٦) فى م : ترشحوا (٧) فى م ز : ابن هشام بن سليمان بن الناصر (٨) فى م ز : المستظهر
 يوم السبت (٩) فى م : وقتل المراقى بعده ختناً .

متأسفاً لا يورث أحداً ، ولا يمنع أحداً من أن يُؤدَّى . كان أبندهم
من كل خير وأجمعهم لكل خلة سوء المبتكفي والمستكفي .

حزمتهم ١ بعد الصحابة رضى الله عنهم :

مروان بن محمد ، مروان بن الحكم ، عبد الملك بن مروان ،
هشام ابنه ، عبد الرحمن بن معاوية ، أبو جعفر المنصور وما كان
المعتصم والمعتضد ببيدين من ذكرنا .

ذوو الفتوح منهم :

أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم معاوية ٢ والوليد وسليمان فإن خيله
كانت ٣ . بآخر الأندلس وبأوائل الهند وفي بلاد الترك وعلى القسطنطينية .
ولقد كانت للمعتصم فتوح كثيرة . فيهمهم : المستكفي ٤ بقرطبة .
أقام سبعة عشر شهراً لا تتجاوز طاعته فرسخاً .

عالمهم بعد الصدر الأول : المأمون وكان أخوه المعتصم أمياً
لا يقرأ ولا يكتب ٥ .

(١) في م : خريم وهو تحريف (٢) في م ز : رضى الله عنهم (٣) في م : كانت
محارب الفرنج في فنور الأندلس وعسكر له آخر محارب النوبة في عقر ديارم وعسكر له
آخر محارب القسطنطينية قد أشرف على فتحها وبسكنها المأمون لولاموته وجيوشه ومحارب
الترك والحزر والهند وهو ساكن في قريته ابن سبع وثلاثين وحمل إليه رأس عبد العزيز
بن موسى بن نصير صاحب الأندلس ورأس تنبية بن مسلم صاحب خراسان إذ هما مغالغان .
هشام أخوه بلغت خيله أقصى أرض السودان خلف فرسانه إلى مدائن الذهب وذهبت
مقلية وإثريطى . أسلم ملك ذابى أبا المأمون . ثم عبارة مضطربة (٤) في م : محمد عبد الرحمن
المستكفي (٥) في م ز : وكان الحكم المستنصر من أئمة الناس صابة بالدم لاسياً بالأخبار
والانالات .

[١٩ ظ] عدولهم بعد الصحابة رضى الله عنهم : معاوية بن يزيد ،
عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن الوليد ، هشام الرضا ، المهدي ١ .
مسرفوهم ٢ : يزيد بن معاوية ، الوليد بن عبد الملك ٣ ، أبو جعفر
المنصور ، موسى الهادي ٤ ، الحكم الربضي ، عبد الرحمن
الناصر ، سليمان ٥ الظافر إلا أنه كان من بينهم إسرافه وجوره ممزوجين
بضعف وخساسة نفيس وقلة سياسة .

أدباؤهم وشعراؤهم : الوليد بن يزيد ، إبراهيم بن المهدي ،
الرازي ، سليمان ٦ الظافر .

مجاهروهم بالإنهماك في المعاصي ٧ :

يزيد بن عبد الملك ، ابنه الوليد ، الأمين ، المتوكل إلا أن إظهاره
السنة وسبده ٨ سترأ عليه ، المقتدر ، المستكفي ، القاهر ، الحكم
الربضي ، وكان يخفي من اشتهر بالجمال من أبناء أهل بلده ، منهم طرفة
ابن لقيط أخو عبد الله بن لقيط ، نصرّف أبوه وإخوته وآله في الولايات الرفيعة ،
ومنهم نصر صاحب منية نصر ، كان أبوه من أسائلة أهل الذمة من أهل
قرمونة ، ومات قبل موت ابنه نصر بأيام ، / ومنهم شريح صاحب مسجد
شريح ، عبد الرحمن الناصر وله تمليق أولاد السودان في الناعورة وركوب
رسيس بقلنسوة وسيف في موكبه . قال أبو محمد : ورسيس هذه كانت امرأة
من دار الجراح رفيعة مبيبة اتصلت بالناصر وخفت عليه حتى حمله ذلك
علي أن أركبها مكشوفة في موكبه بقلنسوة وسيف تقلدته ، على إنل خلقه ،

(١) في م : محمد بن الهدي (٢) في م : مرديم وهو تحريف (٣) في م ز :
إسفاخ (٤) في م ز : المنشد (٥) في م : سليمان بن الحكم (٦) سليمان بن الحكم
(٧) في م ز : والذات (٨) في م : وسادته .

بينه وبين الأولاد ، في يوم مرور ، وثنى هكذا قوطبة على باب المطارين
الربض العربي كله إلى الزهراء . حدثني بذلك الوزير أبو عبدة
رحمه الله وأبو عبد الله بن النليظ كلاهما عن مالك بن الحسن والد أبي عبدة
أنه سلم على الناصر في جملة الموالى في ذلك النهار ورأى هذه الحال .

ذو ١ السعد منهم :

أريد بذلك من أسعد بلا استحقاق ولا تعب ولا عناء : التفاح ، الثوكل .

مشائيمهم على قومهم وعلى الناس : سليمان ^٢ الظافر ، نحمد المستكنى ^٣ .

العوز منهم : المهدي بن المنصور ، الوائق ، عبد الرحمن بن معاوية .

خليفة أبجر ^٤ : عبد الملك بن مروان . خليفة ألتغ : المستعين ^٥

كانت لنته ^٦ في السين بجعلها ثاء . / خليفة ممرور : عبد الرحمن بن الحكم . [٢ : ظ]

من لم يكن ^٧ بيده من الخلافة إلا الرسم :

هشام بن الحكم المؤيد ، ومحمد المستكنى . ومن بنى العباس : المطيع

والقادر والمعتد في آخر أيامه والمستكنى في أولها .

من غاب عن موضع خلافته : المأمون بويغ له ببغداد ولم يدخلها

إلى ^٨ نحو من عشرين شهرا . المعتد بويغ له بقرطبة ولم يدخلها نحو ^٩ ثلاثة أعوام .

(١) ق م : من سعد منهم بغير استحقاق الخ (٢) ق م : سليمان بن الحكم (٣) ق م ز :
ومن بنى العباس الراضى فانه أبطل جند الخلافة جلة فضعت الخلافة حينئذ وبطل رسمها
ولم يبق منها إلا اسمها (٤) ق م : أسخر وهو تحريف واضح (٥) ق م ز : ابن محمد
ابن المتعم (٦) ق م : بجعل السين ثاء (٧) ق م : المنقلب عليهم : للطبيع القادر القائم
أبو جعفر الراضى في آخر أيامه المتق المعتد في آخر أيامه القاهر في أول أيامه المستكنى ،
ومن بنى أمية : المؤيد المستكنى المعتد (٨) ق م : إلا عشرين شهرا وهو تحريف
(٩) ق م : إلا وهو تحريف .

من ولى مرتين : المأمون بولع^١ ببغداد ثم خلع منها^٢ ثم بولع الأمين .
 من بولع ثم خلع ثم رد : المتنصر ، القاهر . ومن بنى أمية : هشام المؤيد ،
المهدي ، سليمان . ومن بنى علي : القاسم وبجى^٣ .

ومن ولى منهم بعد عمه : الوليد^٤ بعد هشام ، المتنصر بعد المعتد ،
بجى بعد القاسم . ومن ولى بعد جده : عبد الرحمن الناصر بعد عبد الله .
 وسائرهم إنما ولى بعد أب أو أخ أو ابن عم قريباً أو من بعيد .

أكثر^٥ ٧ الخلفاء ولداً : عبد الرحمن بن الحكم كان له^٨ خسون ذكراً
 وخسون أنثى . / من لم يكن له منهم ولد : معاوية بن يزيد ، هشام
ابن الحكم . من انقرض عقبه منهم : الحكم المستنصر^٩ ، محمد المهدي^{١٠} ،
عبد الرحمن المستظهر^{١١} ، محمد المستكفي^{١٢} . وقد انقرض عقب المتنصر .
 ومن بنى العباس : أبو العباس السفاح .

من خطب لبنى العباس أو لبني علي بالأندلس :

عبد الرحمن بن معاوية خطب لأبي جعفر المنصور أعواماً . العلاء بن مغيث
البنصري خطب لأبي جعفر المنصور بباجة وأكثونية . عمر بن حفصون
خطب يبيكشترا لإبراهيم بن القاسم بن إدريس صاحب البصرة^{١٣} .

(١) في م ز : له (٢) في م : بها (٣) في م ز : ابن علي (٤) في م : الوليد بن يزيد
 بعد عمه هشام (٥) في م ز : عمه (٦) في م ز : جده (٧) في م : أكثرهم (٨) في م ز : مائة ولد
 (٩) في م ز : بالله (١٠) في م : المهدي (١١) في م ز : ابنا هشام بن عبد الجبار
 (١٢) في م ز : المتنصر ابن محمد (١٣) إلى هنا تنتهي المقالة بين الأصل والنسخة م . وقد
 بقيت فقر قليلة في النسخة م لم ترد في رواية الحميدي ، وهي : أعرق الناس في الخلافة م ١١
 ومن تزوج من السكراء والعلية منكها سائطاً م ١٢ ومن تزوج من نحر الناس في الخلفاء
 م ١٤ ومن كان يظهر التمدد والخشوع وهو من الطنائة م ١٤ وأول من اتخذ
 من الخلفاء قاعدة م ١٤ وأول من ذكر من الخلفاء ذكراً قائماً ينسب الخمر م ١٥ .
 وبقيت رواية الحميدي من هنا حتى نهاية الكتاب ليست في النسخة م إذ هي ناقصة
 كما ذكرنا في المقدمة .

من قام بدعوة خلفاء بنى أمية بالأندلس فى المشرق :

تمام بن تميم التميمى بالقيروان أيام الرشيد . وافع بن الليث بن نصر
ابن ميار بسرقتند من خراسان أيام الرشيد ، وكان عجيف بن عنبسة و طاهر
ابن الحسين من قواده .

من تسمى بالخلافة من غير قریش وهو غير خارجى :

يزيد بن المهلب حين قيامه على يزيد بن عبد الملك . محمد بن الفتح المعروف
بالأمير ابن مدرار صاحب سِجْلَمَاسة وكان فى غاية إظهار العدل وتسمى بالشاكر لله ،
وإليه تُنسَبُ الماتقيل الشاكرية ، وذلك سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ،
أسره جوهر / قائد أبى تميم وحمله إلى المهديّة ، ومات بها ، وكان آباؤه كلهم
صُفْرِيَّة حاشاه وحده ، فإنه أظهر السنة وخالف آباءه فى المذهب ، ولم يكن خارجيا .
عبد الرحمن بن أبى عامر تسمى بها يوما واحدا فى غزاته الشتوية ، وخرق ثيابه
طوبا ، إذ سمع النداء بذلك ، ثم بدله ، فترك ذلك . وما هذا عندى من الفعل الجيد .

[٢١ ظ]

من أراد أن يتسمى بها من هؤلاء ثم منعه مانع :

فناخسرو بن الحسن متولى الأمور ببغداد وأعمالها . أخبرنى أبو الفتح
ثابت بن محمد الجرجاني قال : أراد فناخسرو أن يتسمى بالخلافة وأوصى إلى الجمل
الحسن بن على البصرى أن يؤلف له كتابا فى تحوّل هذا الأمر فى غير قریش
واستكثره ذلك جدا ، فأثب الجمل هذا الكتاب ودفع نسخة منه إلى تلميذ له
كان يشق به ، فانتشر الأمر من قبيل ذلك التلميذ . إلى أن بلغ الخبر
إلى خراسان ، فصاحوا صيحة واحدة فى مجالس التجمّع وإسلاماه و أمجداه ،
فبلغ ذلك فناخسرو فقامت عليه الفتن وخشى إجلاب أهل خراسان كلهم عليه ،

فكان هذا سبباً لأن سمَّ الجمل ، وقنع الناس ، بموت الجمل وسكن الأمر .

والمقصود محمد بن أبي عامر أراد ذلك وجمع للشورة فيه قوماً من خواصه

[٢٢ و]

فيهم ابن عياش وابن فطيس وأبي رحمه الله ، / ومن الفقهاء محمد بن يبي

ابن زرب وأبو عمر بن المكوى والأصلي . فأما ابن عياش وابن فطيس

فصوّيا ذلك له ، وأما أبي رحمه الله فقال له : إني أخاف من هذا تحريك ساكن ،

والأمور كلها بيدك ، ومثلك لا ينافس في هذا المعنى . وأما محمد بن يبي بن زرب

فإنه قال له : وصاحب الأمر ما شأنه ؟ فقال له : لا يصلح لهذا ، فقال له :

يُرى ويجرب ، فقال له : أفي مسائل الفقه ؟ يريد أن يسأله ، قال : لا ،

ولكن في مسائل السياسة وتدبير المملكة ، قال : فإن لم يبق ، قال : يُنظر

في قریش . فأعرض عنه مضطرباً ونظر إلى الأصلي وإلى ابن المكوى ،

فقال له الأصلي : يا مولاي عرفت ضابط خبير من قرشي مضطرب ، قال ، فنظر

إلى ابن المكوى ، فجعل يضحك له ، ويقول : يا مولاي ومثلك يفتكر في هذا

وأنت الكل وكل شيء بيدك ، وإنما يرغب في الأسماء من لا يحقق ، والمدار

على الحقيقة ، وهي بيدك . فسكت ابن أبي عامر ، وقاموا واحداً واحداً .

فلما قام القاضي وسلم عليه قال : أخرجوا بين يدي الفقيه ، فدعّم ذلك

على ابن زرب ، وقال : لا بأس هذا ما لا تقدر على عزله عنه ، ونهض

إلى منزله ، فمات بعد أيام يسيرة جداً . وأبو تميم المعز بن باديس صاحب

القيروان أراد ذلك فكره إليه الفقيه أبو عمران الغامي ذلك ، وبينه أن النص

[٢٢ ظ]

لم يجوز الخلافة إلا في قریش ، فقال : إنك إنما تريد بهذا / الشقاق

والارتفاع عن المسألة ، وهذا لا يتم لك ، لأنك إذا فتحت هذا الباب تسمى بها

كل من أردت التفوق عليه من مصائبك وغيرهم ، فطل ما اختصت به ،

وهان هذا الأمر ولم تعد شيئاً ، فسمع المنزله ، وترك ما أراد .

من قتل أباه من الخلفاء المغليين :

المنتصر قتل المتوكل أباه . زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب .
أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء بن حمدان
خلع أباه وأدخله الحمام ، ثم أغلق الباب عليه وخلاه حتى مات . ولد محمد
بن يعفر صاحب الثمين قتل والده وعنه أبا الحسن وابن عمه عبد الواحد
ابن أبي الحسن وجدته أم أبيه . قال ابن حيان . يولد ابن يعفر هذا صاحب
البنين اسمه إبراهيم بن محمد لم يسمع في الملوك أجراً منه على القتل ، قتل أباه محمد
ابن يعفر وعنه المسكني بأبي الحسن وابن أبي الحسن الذين كانوا رضوه
للأمر بمكانه في شبيخة معهم من جماعة قومه في المسجد بصنعاء رافضة .
وهذا باب في الأمراء من غير قریش يتسع ، لأن قتلهم الأتارب كثير .
منوشهر بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير صاحب خراسان
/ صعد أبره في قلعة له كانت عادته أن يصعد فيها ، وقد كان تقدم ولده
منوشهر في أن ترتق أبوابها ، فلما صار فيها أغلق الباب عليه حتى مات ،
ففتّح الباب بعد أيام ، فوجد قد أكل يده ، وقد مات . اذ كوتكين
ابن أساتكين صاحب الري وقزوين وما هنالك ، خلع أباه واعتقله حتى مات ،
[وقيل إن] اذ كوتكين ولي ابنه مطهرًا موت جده ، وقيل إنه قتل نفسه .
محمد بن عيسى بن محمد بن مزين بثلب الآن اعتقل جده بعد موت
أبيه بجين ، مات في سقته .

[٢٣ د]

من قتل ابنه :

سليمان بن عبد الملك قتل ابنه أيوب سرًا . عبد الله بن محمد قتل
ابنيه المطرف ومحمدا . عبد الرحمن الناصر قتل ابنه عبد الله . إبراهيم

ابن الأُغلب قتل ابنه رجلا . نصر بن أحمد صاحب خراسان قتل ابنه إسماعيل . خلف صاحب سجستان قتل ابنه ولم يكن له غيره . محمد بن أبي عامر قتل ابنه عبد الله وابن أخيه عبد الله بن يحيى وابن عمه عسلاجه وأخاه . عمر بن حفصون قتل ابنه أيوب .

من قام على أبيه وحاربه :

سليمان بن عمر بن حفصون قتل على أبيه بأبنة ، وحاربه ، وصدده ، وضرب أباه عمر بالسيف ، وجرحه ، فأعجب عمر بذلك ، ونحبه . إبراهيم بن إسماعيل [٢٣ ظ] ابن ذى النون حارب أباه بسوته .

من قتل أخاه :

المأمون قتل الأمين أخاه وخلعه . المعتز قتل أخاه المؤيد وخلعه عن العهد . عبد الله بن محمد قتل أخوه هشام بالسيف والقلم بالسهم . أبو الجليس [بن] أحمد بن طولون قتل أخاه العباس قيل إنه حقه بماء مغلي حتى مات . أبو تغلب بن حمدان قتل أخاه حمدان . عبد الله ابن زيادة قتل جميع إخوته . نصر بن أحمد صاحب خراسان قتل أخاه صالحا بعصر خضاه ، وقتل أخاه أبا زكريا بالسهم . أبو عبد الله بن البريدي قتل أخاه أبا يوسف . إبراهيم بن الجراح قتل أخاه سليمان . يحيى بن بكر قتل أخوه خلف . عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد قتل أخاه عبد الله .

ومن قتل عمه أو خله :

أبو نجعفر المنصور قتل عمه عبد الله بن علي . المعتضد غرق عمه أبا عيسى وقتل عمه المشد ، قيل مته ، وقيل إنه كان إذا رقد ففتح فاه ، فأفرغ في حلقه .

رصاصاً مذاباً، وقيل غير ذلك . عبد الواحد بن الموفق قُتل إثر بيعة ابن أخيه .
المبكتي بن المعتضد . الحكم الربضي قتل عمه : سليمان بن عبد الرحمن
وسلمة / وابنة عمه أيضاً . عبد الرحمن الناصر قتل عمه العاصي بن عبد الله . [٢٤ و]
الغيرة بن الناصر قُتل يوم بيعة ابن أخيه هشام المؤيد . يحيى بن علي خلع
عمه القاسم فلما ولي أخوه إدريس قُتل . زيادة الله بن عبد الله قتل جميع
أعمامه . جيش بن أبي الجليش قتل عمه مضر . هرون بن أبي الجليش قُتل
عمه زبيعة بالباط . نصر بن أحمد قتل عم أبيه إسحاق بن أحمد ، خاطه
في غرارة ، قيل إنه ناطه بكلب ، ودفنه في الرمل حياً . ناصر الدولة بن حمدان
قتل عمه أبا العلاء . تاج الدولة أبو محمد جعفر بن يوسف قتل عمه
علي بن عبد الله . حماد بن بلقين قتل عمه ما كس أطعمه الكلاب حياً .
من قتل ابن أخيه :

أبو جعفر المنصور قتل محمد بن السفاح بالسيم المعتصم قتل العباس
ابن المأمون بالزراق . القاهر قتل ابن أخيه أبا أحمد بن المبكتي بعصر خُصيه
عبد الرحمن بن معاوية قتل ابن أخيه الغيرة بن الوليد بن معاوية .
شليان بن أحمد بن طولون قتل ابن أخيه هرون .
خليفان تصالحا : وهذا أمر لم يُسمع في الدنيا بأشنع منه ولا بأذل
على إدبار الأمور : يحيى بن رطبة والقاسم ياثبيلية .
/ من قُتل عبيده :

المتوكل . علي بن حمود قُتل ثلاثة صقالبة في الحمام دفاعاً عن أنفسهم .
أبو سعيد الجثاني صاحب الترامطة قُتل صقالبته في الحمام ، وما أعلم أحداً
أعظم بدا عند المسلمين منهم ، رضى الله عنهم . مرداويج قُتل أيضاً عبيده

في الحماة . عبد الله بن إبراهيم قتله فتيان كان يثق بهما . احمد بن اسماعيل
 قتله أيضا عبدة خاصة كانوا له . أبو الجليش بن أحمد بن طوار بن ذبيح فتي
 حجام في حين تفصيصة إياه ، حل موسى على أوداجه . رافع بن هرثمة قتله
 عبده غدرا . أبو عبد الرحمن العمرى القائم في أعمال النوبة قتله عبدان
 كانا له خاصين به . عبد الملك بن عبد الرحمن بن منبوه صاحب طليطلة
 وبغيرها قتله صلبى له ذباً عن نفسه .

«رجل أنته منيته في الحرب فمات وهو على ظهر دابته دون
 أن يصاب بشئ : غالب يوم حربه مع ابن أبي عامر وقد أشقى على الظفر .
قال أبو محمد : فحدثني وهزني الوزير والدي نصر الله وجهه قال : كان المنصور
 ابن أبي عامر في القلاب وجعفر بن علي المعروف بالزباني في الميمنة
 / قال : وأبوك [و] أبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي والحسن
 ابن عبد الودود الساسي في الميسرة . قال : وكأني أنظر إلى غالب وهو شيخ كبير
 قد قارب الثمانين عاما وهو على فرسه وفي رأسه طرطور عال ، وقد عصب حاجبيه
 بعصابة ، قال : ثم قال لمن حواليه ، وكان قد جمع جموعا عظيمة من المسلمين
 والنصارى : من هؤلاء ؟ وأشار إلى الميمنة ، فقتل له جعفر بن علي وأخوه
 يحيى والبربر ، قال : فحمل عليهم حملة قصصهم فيها قصفا ، لم يثبت منهم أحد
 على صاحبه واصطكت الحزيمة على الميمنة ، قال : ثم انصرف ، فقال : من هؤلاء ؟
 وأشار إلى الميسرة ، فقتل له : أحمد بن حزم وحسن بن عبد الودود ومعن
 ابن عبد العزيز ، قال : فحمل علينا حملة فانفلقنا بين يديه ولم يُلر أحد منا
 على صاحبه ، قال : وابن أبي عامر في القلب يصنق بيديه ، وتضطرب رجلاه
 في حركاته ، وقد أيقن بالهلاك ، قال : فانصرف غالب إلى أصحابه ، فقال لهم :

[٢٥ و]

قد هزسا الميمنة والميسرة ، وإنما بقي لنا القلب وحده ، وزيد هذا الأجر .
 الملعبين يريد ابن أبي عامر فالآن نحمل عليه ، ونهلكه ، وكان في أول الحرب .
 قد دعا ، وقال : اللهم إن كنت أصلح للمسلمين من ابن أبي عامر فانصرني
 / وإن كان هو أصلح لهم مني فانصره ، قال : ثم هزم فرسه ، وترك جبهة القتال ،
 وأخذ ناحية إلى خندق كان في جانب عسكره ، فظن أصحابه أنه يريد الخلاء ،
 فلم يتبعه أحد ، فلما أبطأ عليهم ركبت طائفة منهم نحوه ، فوجدوه قد سقط
 إلى الأرض ميتا ، وقد فارق الدنيا بلاضربة ولاطئنة ولارمية ولا أثر ، وفرسه
 واقف بناحية يعلك لجأه ، ولا يعلم أحد بسبب موته ، إلا أن الناس ظنوا ظنا
 وهو أن القربوس ضرب صدر هذا الذي قد رز [ي] من قدر . فلما رأى ذلك
 أصحابه سقط في أيديهم وطلبوا حظ أنفسهم ، فبادر مبادر منهم بالبشرى .
 إلى ابن أبي عامر ، فلم يصدق حتى وافى مواف بنجاحيه ، ووافاه أخريبيه ، ووافاه آخر
 برأسه ، ووقعت المزيمة على النصاري ، وكان غالب قد استمد للموكم فقتلوا
 أشنع قتل ، وقُتل في جملتهم رزمير بن شاذجة ملك البشاكس المعروف برأى قرجه ،
 وسلخ جلد غالب وحشى قطنا وُصِّل على باب القصر بقرطبة ، وصلب
 رأسه على باب الزاهرة . قال أبو [محمد] : فأننا أذكرته بها إلى أن هبط / يوم
 هدم الزاهرة ، وكانت هذه الحرب التي هلك فيها غالب سنة إحدى وسبعين .

[٢٥ ظ]

[٢٦ و]

ومن غرائب الدهر :

أن زاوي بن زيري رئيس البرابر كان في الدنيا أزيد من ألف امرأة
 لا تحل له منهن واحدة ، كلهن من نسل إخوته ، وكذلك مثل هذا العدد من الرجال .

(١) هكذا في أعمال الأعلام لسان الدين بن الخطيب نشر برونصال من ٧٢
 وفي الأصل قريب .

من نسل إخوته . اجتمع في عصر واحد : الفضل بن جعفر بن العباس بن موسى
ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي وعبد الصمد بن علي . اجتمع أيضاً
في عصر واحد عبد الرحمن بن الزبير بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن محمد وسليمان بن محمد . ومن مליح ما ذكره أصحاب الخبر في هذا الباب
قالوا : سلم على الرشيد بالخلافة يوم بيعته سليمان بن المنصور وعمر بن [أبي] العباس
ابن محمد وعم جده عبد الصمد بن علي . واتفق مثل هذا بيعته يوم بيعة نزار
ابن معد بمصر ، سلم عليه بالخلافة عمه حيدرة بن المنصور وعم أبيه أبو القرات
ابن القائم بأمر الله وعم جده أبو علي بن المهدي بالله ، فهذا هذا . وممن توافر
أهلهم يوم بيعته جعفر المتوكل على الله سلم عليه بالخلافة ثمانية من أولاد الخلفاء :
محمد بن الواثق ، وأحمد بن المعتصم ، وموسى بن المأمون وعبد الله بن الأمين
وأبو أحمد بن الرشيد والعباس بن المهدي ، ومنصور بن المهدي وثلاثتهم
محمد بن المتوكل ابنه ، وفي الباب زيادة . بايع عمرو بن الأمير عبد الرحمن
ابن الحكم عبد الرحمن الناصر وهو عم جده . وبايع منصور بن المهدي المعتز
بالله وقبّل يده .

أخوة لم يقع في الدهر مثلها :

ظهر رجل حصري بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم
الزيد ، وادّعى أنه هو ، فويل له ، وخطب له على جميع منابر الأندلس
في أوقات شتى وسفكت الدماء ، وتصادمت الجيوش في أمره .

فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلها :

أربعة رجال في مسافة ثلاثة . شملهم كلهم يتسمى بإمرة أمير المؤمنين ،
ويُخطَبُ لهم بها في زمن واحد . : خلف الحصري بإشبيلية على أنه

هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حوّد بالجزيرة ، ومحمد بن إدريس
 بن علي بن حوّد بمالقة ، وإدريس بن يحيى بن علي بن حوّد ببجستر .
امرأة قعدت للظالم : مثل القهرمانة أيام المفتدر وحضر مجلسها
 القضاة والفقهاء .

الأسماء التي تصلح للخلفاء ولم تستعمل بعد :

المول على الله ، المول لله ، الراغب إلى الله / الساعي لله ، المحيى لدين الله ،
 الفاضل بالله ، المستجيش بالله ، المؤثر للحق في الله ، المرتقب في الله ، المراقب لله
 المستعد بالله ، المتأيّد بالله ، المسترشد بالله ، المدد بالله ، السديد ، الشديد
 في الله ، المستهدى ، المستعصم بالله ، القاصد للحق ، السامى بالله ، المستعلى بالله ،
 الممانى بالله ، الكافي في الله ، المظهر لدين الله ، الحامى في الله ، المحجّبي في الله ،
 الرّاجى لله ، المرتجى لله ، المتقى بالله ، المكفى بالله ، الرضى لأمر الله ، المسلم لله ،
 المستسلم لله ، المؤتمر لله ، الحامى في الله ، المرشد إلى الله ، الحافظ لدين الله ،
 الحافظ في الله ، المحفوظ بالله ، الفائز بالله ، العائد بالله ، المستعيد بالله ،
 اللائد بالله ، الصادع بلحق ، المسند إلى الله ، الذاب عن دين الله ، المخلص لله ،
 الخالص لله ، المخلص لله ، المصطفى لله ، الصافي لله ، الصفي لله ، المعنى بأمر الله ،
 المنتقى لدين الله ، / المستولى بالله ، التولى لأمر الله ، المفتتح بالله ،
 الفاتح بالله ، المستفتح بالله ، المتفتح لأمر الله ، الأمر بأمر الله ، القاصد إلى الله ،
 الموفى بأمر الله ، المعلى لدين الله ، المرتقى بالله ، الراقى بالله ، المجتهد لله ،
 المدرك بالله ، الناجى بالله ، الساعي لله ، المتعلق بالله ، الناصر لدين الله ،
 السائق بأمر الله ، المنقضى لأمر الله ، المفتدى بأمر الله ، الطيب بالله ،
 الظاهر لله ، الزاكي بالله ، المستعدي بالله ، المبتهل بأمر الله ، المستفيد لله ،

[٢٧ و]

[٢٧ ط]

المختار لدين الله ، المحتسب لله ، القاضي بأمر الله ، المعتضد لله ، المستند بالله ،
المتضلع بأمر الله ، المتقدم بالله .

أول من سمي بالأذواء :

المأمون سمي الفضل بن سهل ذا الرياستين ثم تسمى بهذا الاسم منذر
ابن يحيى . وسمى المأمون هزيمة ذا الحكيمين ، وسمى علي بن سعيد ذا القلمين
وسمي طاهر بن الحسين ذا اليمينين . وسمى عندنا بالاندلس عبد العزيز
ابن أبي عامر ذا السابقتين وإبراهيم بن الطيب ذا المجلسين . / وَرَدَّ لِلْأَمْرِ
بِالْمَشْرِقِ الْآنَ وَكَثُرَ ، حَتَّى كَادَتْ الْأَسْمَاءُ تَعْدَمُ ، وَتُسَمَّى بِهَا كُلُّ مَنْ لَا وَجْهَ
لِلْإِسْتِغَالِ بِذِكْرِهِ .

وأول من تسمى باسم مضاف إلى الدولة :

الوزير القاسم بن عبيد الله ، سُمِّيَ وَلِيَّ الدَّوْلَةِ أيام المكتفي ، ثم سمي
ابنه المقتول على الزندقة الحسن بن القاسم المعروف بأبي الحمد أيام وزارته للمقتدر
عميد الدولة . فلما ولي المتقي سمي الإخوة الثلاثة الدبيلة وهم علي والحسن وأحمد :
علياً عماد الدولة والحسن ركن الدولة وأحمد معز الدولة ، ثم سُمِّيَ الحسن
ابن عبد الله أبا الهيجاء بن حمدان ناصر الدولة وأخاه علياً سيف الدولة .
ثم كان بعد ذلك فناخسرو عضد الدولة وبويه أخوه مؤيد الدولة وعلي
أخوه نضر الدولة ، وبختيار عز الدولة بن معز الدولة وإبراهيم أخوه
عدة الدولة والمرزبان إعزاز الدولة بن بختيار ، وشمس الدولة ومجد الدولة
ابنا خز الدولة ، والمرزبان صمصام الدولة بن فناخسرو ، وأبى الفوارس
شيزر شرف الدولة ، وأبى نصر خسرو قيروز أخوه بهاء الدولة وغيث

(١) - في ابن الأثير وفي الأصل : خير ديلم . (٢) في النجوم الزاهرة :
(تميم : ر انكتب القرية) ٤ / ٢٣٢ : وقيل اسمه طناد .

الأمة / وسيف الملة . وثابوس بن وشمكير صاحب طبرستان شمس المعالي ومولى الموالي وزين الأيام والليالي ، ومحمود بن سبكتكين نصير الدولة وأبو تغلب عمدة الدولة وعمران معين الدولة صاحب البطائح . قال أبو محمد : عمران هذا ، كان نبطيا يدعى أنه عربي سُلي ، وكان لعنه الله رافضيا غاليا ، ولي البطائح ، وهى قرى فى نجدات بين البصرة وبنداد ، اثنتين وأربعين سنة ، وعظمت المساجد فى أيامه لشدة كفره . والناصح محمد بن بقية وزير بختيار بن أحمد بن بويه . وبلغين بن زبرى ظهير الدولة . وسعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان . والمظفر مؤنس وهو أول من تسمى بهذا الاسم ثم توزون التركى أبو الوفا ، ثم عبد الملك بن أبى عامر . ثم انحرف الأمر واتسع ، ثم رذل الأمر بالشرق والمغرب جدا ، حتى تسمى هذه الأسماء الباسرة وذاللات الناس يُرى الله عز وجل عباده هوانا ما تنافسوا عليه ، وغالوا به . وضح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . حقيقا على الله أن لا يرفع الناس شيئا إلا وضعه الله أو كلاما هذا معناه . / واستبان أن الحقيقة هى العمل لله عز وجل والعدل فى البلاد والعمل بمكارم الأخلاق وحمل الناس على الكتاب والسنة . فذلك الذى لا يقدر عليه سخييف ، ولا يطيعه ضعیف . وبهذا يتبين فضل القوى على الساقط الميهم ، لا بأسماء يقدر على التسعى بها كل خبيس واهن ، والله الأمر من قبل ومن بعد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولقد كانت دولة عبد الملك وسليمان والوليد وعمر وهشام لا عِصْدَ لها ولا عماد ولا لقب إلا أسماؤهم ، وكانت قد طُبِّقت الدنيا طاعة واستغفانة ، والدولة الآن أكثر ما كانت أعضاءا وعدا وقد طُبِّقت الدنيا ضعفا ومهانة والله المستعان .

من مات من الخلفاء مقتولا وأنواع قتلهم :

عمر رضى الله عنه طعن بخنجر . عثمان رضى الله عنه قُتل بالسيف .
علي رضى الله عنه قتل بالسيف . عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قتل
بالسيف وعلب منكبا . مروان قتل غتته امرأته أم خالد بمخدة . عمر
ابن عبد العزيز رضى الله عنه ، قيل إنه سُم . الوليد بن يزيد قتل بالسيف
/ إبراهيم بن الوليد مات غرقا . مروان بن محمد قتل بالسيف . السفاح
قيل : سُمّه المنصور ، وقيل مات بالجدرى . المهدي أراد أن يحدى حظيته
طلّة وحسنة أن تسم الأخرى فى حلواء ، فأكلها هوفات ، فكانت تقول
فى يكلمها إياه : أردتُ الافراد بك فأوحشتُ نفسى منك أو كلاما نحو هذا .
الحادي دفع جليسا له من جَرَف على أصول قصب فارصى قد قطع ، فتملق
الجليسين به فوقما جيعا ودخلت فى مخرجه ، فمات منها . الرشيد أخطأ عليه
الطبيب جبريل فى العلاج من دُبيلة كانت به فكانت سبب منيته . الأمين
قتل بالسيف . المنوكل قتل بالسيف . المنتصر قتل سُم فى كثرى ، وقيل
فى مبضع فصد به ، وقيل رمى الزئبق فى أذنه وهو يقتل العلة . المستعين قتل
بالسيف . المعتز أدخل فى حمام وأغلق عليه حتى مات . والعجب أن ابنه رُمى
به فى صهرىج ماء فى شدة البرد فمات فيه . المهدي قتل بخنجر . المتعمد
قتل سُم ، وقيل رمى فى حلقة رصاص مذاب ، وقيل : ملكت له خفيرة
من ريش ومشى عليها فسقط فيها فمات غما . / المتندر قتل بالسيف .
المنذر قتل سمه أخوه فى مبضع فصد به . هشام المؤيد قتل خنقا .
المهدي قتل بالسيف . سليمان الظافر قتل بالسيف . المستظهر قتل
بالسيف . علي بن حمود قتل باخذ .

[٢٩ ظ

[٣٠ و

لم يَلِ الخلافة في الصدر الأول من أمه أم ولد : حاشا يزيد
 وإبراهيم ابني الوليد . ولأولها من بني العباس من أمه حرة حاشا السفاح
 والمهدي والأمين . ولا وأياها بالأندلس من بني أمية من أمه حرة أصلاً .
 وأبو علي والقاسم ويحيى بنو حرة .

خليفة استجدي بعد الخلافة : القاهر في خلافة المطيع ابن أخيه .
 وقد قيل إن المستكني خاطب برقعة مستجدياً ، وقيل ذلك عن المتقي ولم يصح ،
 نعوذ بالله من البلاء .

ومن استجدي قبل الخلافة : علي بن حمود وقد أخبرني الكاتب
 الشيخ الحسن [بن] عبد العزيز [بن] بقي أنه رآه يستجدي عبد العزيز بن المنذر
 ابن الناصر ، ثم ولى الخلافة وأزال دولة بني أمية / وأبو جعفر المنصور
 استجدي الأمراء فقط قبل خلافته ، وكان في شرط خالد بن عبد الله القسري
 ثمان وستين درهماً في الشهر ، وولى بعض المحال بالأهواز لسليمان بن حبيب
 ابن المهلب .

[٣٠ ظ]

من جلد قبل الخلافة :

أبو جعفر المنصور ضربه سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ،
 لأنه استعمله على بعض كور فارس ، فاحتجج المال لنفسه ، فضربه سليمان
 بالسياط ضرباً شديداً وأغرمه المال ، فلما ولى الخلافة ضرب عنقه .
 وكان المنصور يقول : ثلاث كن في صدري شقي الله منها : كتاب أبي مسلم
 إلى وأنا خليفة : عاقنا الله وإياك من سوء ، ودخول رسونه علينا وقوله : أيكم
 ابن الحارثية ، وضرب سليمان بن حبيب ظهرى بالسياط . المأمون جلده أبيه .

الرشيد الخد في الزنا بعض حُرْمِهِ ، وفي ذلك يقول الشاعر مادحا لآخيه الامين
ومعْرُضا بالنامون :

لَمْ تَلِدْهُ أُمَّةٌ تَهْتَفُ فِي السُّوقِ التَّجَارَا
لَا وَلَا خَانَ وَلَا حُسَّدَ وَلَا فِي الْحُكْمِ جَارَا .
و.ن. الغرائب :

[٣١ و] أن موسى بن محمد بن حديد كان من أخص الناس بالمطرف بن الأمير
عبد الله ، والمطرف / هذا هو قاتل أخيه محمد بن الأمير عبد الله ، ثم لما صارت
الخلافة إلى عبد الله بن محمد المتتول المذكور كان موسى بن محمد بن حديد
من أخص الناس به وولاه حجابته وأمره كلها بيده حياة موسى . وقد شاهدنا
مثل ذلك وهو أن محمد بن سعيد التناكُرُني كان أحد الثائمين مع محمد
ابن هشام بن عبد الجبار على عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر ، ومن المشاهدين
لقتل عبد الرحمن وصلبه والساعين في القيام عليه ، ثم لما ولي عبد العزيز
ابن عبد الرحمن المذكور بلنسية كان محمد بن سعيد المذكور أخص الناس به
ومتولى تدبير أموره إلى أن مات .

آخر كتاب نَقَطَ العروس

والحمد لله والصلاة على

سيدنا محمد النبي

وآله وسلم

تحف جديدة

من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني

للكنوز زكي محمد حسني بك

كانت الأواني الخزفية ذات البريق المعدني أعظم ما تجلت فيه عبقرية الفنانين المسلمين في صناعة الخزف ، فقد استطاع هؤلاء الفنانين — فيما بين القرنين الثالث والحادي عشر بعد الهجرة (٩ — ١٧م) أن يكسبوا الخزف بريقاً معدنياً تنوعت درجات ألوانه من الأصفر الليموني الشاحب والأصفر الضارب للخضرة إلى اللون الأحمر النحاسي .

وانتشر هذا النوع من الخزف في أنحاء العالم الاسلامي من إيران إلى الأندلس . وقد فسر بعض مؤرخي الفنون إقبال المسلمين على هذا الخزف بأنهم اتخذوه عوضاً عن الأواني الذهبية والفضية التي كان الفقهاء في الاسلام يكرهون استعمالها فيه من ترف وإسراف .

ولستنا نريد أن نعرض هنا لما بين مؤرخي الفنون من خلاف في تحديد الموطن الأول لصناعة الخزف ذي البريق المعدني في ديار الاسلام^(١) . وحسبنا أن نذكر أن أقدم ما نعرفه من الخزف ذي البريق المعدني في مصر إنما يرجع إلى بداية العصر العباسي الثاني ، وإن كان من الصعب أن نمسح تماماً التاريخ الذي بدأت فيه هذه الصناعة بمصر . وذلك أن أقدم الخزف ذي البريق المعدني في وادي النيل لا يختلف كثيراً عن الخزف ذي البريق المعدني الذي عثر عليه في سامرا وفي الري وفي السوس وفي قلعة بني حماد وفي مدينة الزهراء . بل إننا في كثير من الأحيان لا نستطيع التمييز بين المنتجات العباسية "عراقية

(١) راجع زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٥٩ — ٢٦٠

والمنتجات العباسية المصرية في هذا الميدان ، إلا بما بينهما من خلاف في « العجينة » . فبينما الطين الخزفي العراقي منحول نخلًا جيدًا وشديد التلاحك والاندماج وأحمر وردي أو مائل إلى الصفرة ، نرى الطين الخزفي المصري رمليًا وأقل تلاحكًا ونعومة . ومهما يكن من الأمر فإن الخزف ذا البريق المعدني الذي عثر عليه في مصر من بينه خزف مستورد من العراق كما أن من بينه خزفًا صنع في مصر ولكنه متأثر في أساليبه الصناعية والزخرفية بالخزف العراقي أشد التأثير^(١) .

والمعروف أن الخزف ذا البريق المعدني الذي وجد في سامرا والمدائن لا يضم في زخارفه رسوما آدمية وحيوانية ، وإنما نرى هذه الرسوم فيما عثر عليه في مصر وإيران .

وقد تطورت صناعة الخزف ذي البريق المعدني في مصر تطوراً طبيعياً حتى بلغت أوج ارتفاعها في العصر الفاطمي . والغريب أن هذه الصناعة أقل نجدها في العراق منذ القرن الرابع الهجري (١٠ م) وحدث أن بدأ تطورها في سبيل الازدهار بمصر وإيران منذ ذلك التاريخ ، حتى تساءل بعض مؤرخي الفنون عما إذا كان لهذا الازدهار من ناحية وإيران من ناحية أخرى صلة بهجرة فناني الخزفيين العراقيين إلى مصر وإيران . ولأحظ بعضهم أن أوجه الشبه كبيرة بين المنتجات الخزفية المصرية في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة (١٠ و ١١ م) وبين المنتجات العراقية في الخزف ذي البريق المعدني . وفي اعتقادنا أن تفسير هذه الظاهرة لا يتطلب نسبتها إلى هجرة الفنانين ، وإنما الصحيح أن أوجه الشبه طبيعية لأن الخزف الفاطمي كان في أساليبه الصناعية والزخرفية تطوراً طبيعياً للخزف العباسي الذي كان الشبه كبيراً بين منتجاته في العراق ومصر وإيران .

والذي يعني هنا أن الخزف الفاطمي ذا البريق المعدني قد وجدت منه كميات هائلة في حفائر الفسطاط ، نقل بعضها إلى دار الآثار العربية وتسرب

(١) راجع زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ج ١ ص ١٠١ — ١٠٨

القليلى إلى تجار العاديات ومنهم إلى متاحف أوروبا ، ولكن أكثره لا يزال محفوظاً في المخازن التي أعدتها دار الآثار لهذا الغرض في مدينة القسطنطينية . ولا ريب في أن هذه الكميات الهائلة تزيد عن المعروف من الخزف الإيراني ذي البريق المعدني . ومع ذلك فإن الخزف الأخير يمثل أحسن تمثيل في متاحف العالم المختلفة ، بينما التحف الفاطمية من الخزف ذي البريق المعدني في تلك المتاحف كانت لا تزال قليلة إلى السنوات الأخيرة . ويرجع ذلك إلى أمور ، أهمها طبيعة الحفائر في إيران ومصر ، فقد أتيج ليران أن تغيد من عدد من الحفائر المنظمة وساعدت على ذلك طبيعة مواقعها الأثرية ، فكان يعثر في معظم الأحيان على التحف الخزفية سليمة إلى حد كبير أو يعثر عليها مكسورة قطعاً يمكن جمعها ولصقها وإصلاح التحفة لتبدو كاملة كما كانت .

وفضلاً عن ذلك فقد حدث كثيراً أن كانت التحف الخزفية الثينة في إيران تدفن في أزيار ضخمة كأنها تحفاً عمداً ، وظلت محفوظة سليمة كاملة حتى كشفت عنها بعض أعمال الحفر الحديثة ^(١) .

أما في مصر فإن طبيعة تلال القسطنطينية جعل من العسير على دار الآثار العربية أن تقوم فيها بحفائر علمية منظمة ، إذ أن هذه التلال لا تمثل طبقات متتالية خلفها العدم وإنما الحقيقة أنها أكوام من مخلفات مدينة القاهرة في العصور الوسطى ألقيت فيها ، بعد خراب مدينة القسطنطينية ، وتراكمت في غير نظام أو تتابع ، وقد نجد في أسفل طبقات بعض التلال تحفاً أحدث عهداً من تحف في أعلى الطبقات في تلال مجاورة ^(٢) . وفضلاً عن ذلك فإن التحف التي يعثر عليها تكاد تكون كلها مكسورة ونكاد لا نوفق إلى العثور على أجزائها كلها ليتمكن لصقها وإصلاحها .

ومما يؤسف له أن مصر لم تظفر بطائفة من العلماء والهواة وتجار العاديات تنفق الوقت والمال في جمع أجزاء التحف المكسورة وخصها بالتأليف بينها للوصول إلى إصلاح التحف واعطائها المظهر الكامل .

(١) أنظر Mehdi Bahrani : Gurgan Faïences p. 16

(٢) أنظر على بك بهجت والبير جيزيل : كتاب حفريات القسطنطينية ، ص ١ — هـ

وهكذا ظلت التحف المصرية الكاملة من الخزف المصري نادرة جداً في المتاحف والمجموعات الفنية الخاصة . وكان زوار دار الآثار العربية في القاهرة لا يرون من آثار صناعة الخزف في مصر إلا بضع مئات من أجزاء صغيرة من الأواني الخزفية رتبها أولو الأمر في الدار بحسب أساليبها الصناعية أو عناصرها الزخرفية . وكانت هذه الأجزاء عظيمة الشأن للاختصاصيين الذين ينشدون البحث والدراسة ، ولكنها كانت أبعد الأشياء عن الدلالة — لغیر الاختصاصيين — على ما وصلت إليه صناعة الخزف من إتقان وازدهار على يد المسلمين .

ومن حسن الحظ أن عناية التجار والهواة بالتحف الخزفية الفاطمية زادت في السنين الأخيرة زيادة ملحوظة وأن حفائر القسطنطينية كشفت عن عدد كبير من القطع الخزفية ذات البريق المعدني أمكن أن تؤلف منها تحف كاملة واستطاعت دار الآثار العربية أن تعرض منها نجحة طيبة ، كما وفق أصحاب المجموعات الفنية في مصر والخارج إلى اقتناء بعضها .

والمعروف أن أشكال الأواني الخزفية بمصر في العصر الفاطمي كانت أقل تنوعاً من أشكال الأواني المعاصرة لها في إيران . ولكننا نستطيع أن نقرر في ثقة واطمئنان أن الخزف الفاطمي ذا البريق المعدني امتاز في كثير من النواحي على الخزف الإيراني الذي كان يعاصره . وكان هذا الامتياز واضحاً في رسوم الكائنات الحية وفي إتقان الزخارف النباتية والكتاتبية . وقد وصل الخزفيون الفاطميون في دقة التعبير في الرسوم الآدمية إلى حد قد يبعث على الظن بأنهم تأثروا في بعض الأحيان برسوم هلينستية أو بيزنطية^(١) ، وهي الرسوم التي تأملت — كما نعرف — على الأسس الاغريقية التي تحترم الطبيعة وتتقن تمثيلها وتصل إلى تصوير المشاعر والأحاسيس المختلفة والتعبير عنها ، فضلاً عن إدراكها لتفاصيل التشريح في أجسام الكائنات الحية .

(١) أنظر Alf Baheet et F. Nassoul : La Céramique Musulmane de l'Égypte pls. 24 et 32 وذكر محمد حسن : في الفنون الإسلامية ص ٣٠ شكل ٩ وأحمد تيمور باشا وذكر محمد حسن : التصوير عند العرب ص ١٦٣ (شكل ٥) .

وقد وصلت إلينا أمضاءات طائفة من الخزف من الفاطميين على تحف من الخزف ذى البريق المعدنى ، وعلى رأسهم سعد ومسلم وإبراهيم المصرى وطبيب على وأبو القرج وسامى والدهان وابن نظيف ويوسف ولطفى الحسينى ، ولكننا لم نعثر فى المراجع التاريخية على ما يكشف عن شيء من سيرة أولئك الفنانين^(١) . ومهما يكن من شيء فإن مسلما وسعدا كان لهما نشاط ملحوظ واشتغل بأشغالهما ونسج على منوالها عدد كبير من الخزف من الخزف من الخزف ، فكان لكل منهما مدرسة فى صناعة الخزف لها ذاتيتها وميزاتها . والراجح أن مسلما عاش فى بداية العصر الفاطمى ، فإن منتجاته أشد شبا وتأثرا بمنتجات العصر الطولونى وعليها طابع البساطة والقوة والجرية فى الزخرفة . أما سعد فى طرازه شيء من الرقة والرشاقة والناستق ، والراجح أنه عاش بعد مسلم بقليل . ومع ذلك فالتا لا نستطيع أن نجزم بشيء فى هذا الشأن . والواقع أن من الصعب أن نصل الى ترتيب تاريخى لأنواع التحف الخزفية ذات البريق المعدنى فى العصر الفاطمى . ولا فائدة فى هذا الميدان من تلمس أوجه الشبه بين المنتجات الفاطمية فى الخزف ومنتجاتهم فى سائر الفنون كالنسيج والحفر فى الخشب . فالتا لا تكاد تخرج من مثل هذه الموازنة بنتائج علمية دقيقة .

ومما يؤسف له أن الذى وصل إلينا من التحف الخزفية الفاطمية ليس من بينه ما يمكن تأريخه على وجه التحقيق ، اللهم إلا أجزاء من إناء كبير عليها كتابة بالخط الكوفى باسم الخليفة الحاكم بأمر الله^(٢) (٣٦٦ — ٤١١ هـ ٩٩٦ — ١٠٢٠ م)

والتحف الجديدة التى نشرها فى هذا المقال غنية بدلاتها على ما وصل إليه الخزفيون الفاطميون من إتقان فى الصناعة وإبداع فى الزخرفة وتوفير فى الذوق والتعبير الفنى . وقد أصبحت دار الآثار العربية فى القاهرة بفضل هذه التحف أغنى متاحف العالم بالخزف الفاطمى . وإذا كنا لا نستطيع

(١) أنظر زكى محمد حسن : فنون : بلا م س ٦٧٣ — ٦٧٤

(٢) راجع G. Wiet : Deux Pièces de Céramique Egyptienne (Ars Islamica vol. III part 2 page 179, fig. 4).

أن ترتبها ترتيباً تاريخياً فلا بأس من أن تؤلف منها مجموعات بحسب رسومها ليسهل أن نتحدث عنها الواحدة بعد الأخرى .

أما المجموعة الأولى فذات الرسوم الآدمية . وليس غريباً أن تكثر الرسوم الآدمية على الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني ، فقد عرف الطراز الفاطمي عامة بشدة إقباله على رسوم الكائنات الحية ، كما يبدو ذلك واضحاً مما جاء في المراجع التاريخية والأدبية^(١) . ومن زخارف التشف الخشبية التي وصلت إلينا من العصر الفاطمي^(٢) .

في الشكل رقم ١ صورة سلطانية من الخزف ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٥٥٠١) عليها رسم شخص جالس القرفصاء يمسك بيده اليمنى كأساً وفي يده اليسرى فرع نباتي ، وأراد الفنان أن يملأ الفراغ فزاد رسوم بضعة فروع نباتية أخرى ورسم إبريقاً على يمين الشخص الجالس^(٣) . والملاحظ في رسوم هذه السلطانية أن الرأس يبدو صغيراً بالنسبة لباقي الجسم وأن زخارف الملابس قوامها مناطق بيضاء شبه مستديرة أو بيضوية وتتوسطها نقط سوداء . مما ألفتناه في زخارف الخزف العباسي ذي البريق المعدني . ويبدو من الوجه ثلاثة أرباعه ، أما الجسم فمرسوم من الأمام . والزخرفة في مجموعها شديدة الشبه بزخرفة جزء من صحن خزفي ذي بريق معدني محفوظ الآن في دار الآثار العربية أيضاً ، وقد سبق أن نشرناه في كتابنا « كنوز الفاطميين » (الملوحة رقم ٣٢) . وفضلاً عن ذلك فإنها تشبه الرسوم التي وجدت منقوشة على الجص في أطلال الخيام الفاطمية الذي كشفتته حفائر دار الآثار العربية في منطقة أبي السعود جنوب شرق القاهرة^(٤) . والمعروف أن هذه الرسوم نقلت إلى دار الآثار

(١) راجع ذكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٩٠ — ٩٥

(٢) المرجع نفسه ص ١٩٨ وما بعدها .

(٣) أنظر صورة ١٢٠ زيراني فيه رسم إبريق ملء الفراغ في الزخرفة وكان محفوظاً

في مجموعة كسكيان ١٢، ١٠١ - The Kelekian Collection of Persian and Analogous Pottery

(٤) أنظر ذكي حسن : التصوير في الإسلام ص ٢١ واللوحة رقم ١

العربية وقد عرضت حديثاً في قاعة الطراز الفاطمي . ومما يستحق الذكر أن زخرفة السلطانية التي نحن بصدها تذكر بزخارف سلطانيات أخرى من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني وجدت مثبتة في الجدران الخارجية ببعض كنائس إيطاليا وفي دار المحافظة (hotel de ville) بمدينة سانت أنطونان (Saint Antonin) من أعمال جنوب فرنسا ، وترجع هذه الدار إلى القرن الثاني عشر الميلادي ^(١) . والراجح أن هذه السلطانيات قد نقلت إلى أوروبا على يد الصليبيين أو الحجاج المسيحيين الذين حصلوا عليها في الشام أو مصر . ولم يكن الخزف الفاطمي ذو البريق المعدني نادراً بالشام في ذلك الحين ، فقد كان ينقل إليها من مصر ، كما كان الخزفيون ينتجون فيها متأثرين بالأساليب الصناعية والزخرفية السائدة في مصر ^(٢) .

وفي الشكل رقم ٢ صورة صحن من الخزف ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٣٤٧٧) عليه رسم فارس على جواد وفوق يده اليسرى طائر من الطيور الجارحة التي تستخدم في الصيد ^(٣) . وليس هذا الرسم غريباً في الفن الفاطمي فأنا نراه مكرراً في حجاب الهيكل الخشبي الذي نقل من كنيسة الست بربرة إلى المتحف القبطي بمصر القديمة ^(٤) ، ونراه في التحف الخشبية الفاطمية التي عثر عليها في مارستان قلاوون والمحافظة الآن بدار الآثار العربية ^(٥) . كما أن رسوم الصيد بالباز معروفة في التصوير الإسلامي ، ولا سيما في المدرسة الهندية المغولية ^(٦) . وقد انتشرت هذه الرسوم من الفن

A Lane: Early Islamic Pottery p. 22 and plate 27 A. (١)

(٢) عثر في مدينة المرة بالشام على صحن من الخزف ذي البريق المعدني عليه رسم أرنب وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس .

أنظر G. Migeon : Manuel d'art Musulman vol. 2 page 187, fig. 336

(٣) أنظر Zakī M. Hassan : Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages, pl. 3

(٤) أنظر زكي محمد حسن : كنوز المصنعين ص ٢٠٤ و ٢٠٥ و E. Pauty: Bois Sculptés jusqu'à l'ère Byzantine pl. 56. (٥) أنظر E. Pauty: Les Bois Sculptés jusqu'à l'ère Byzantine pl. 56. (٦) أنظر Leveau: Les Arabes p. 96 et fig. 4

E. Pauty: Les Bois Sculptés jusqu'à l'ère Byzantine

أنظر Leveau: Les Arabes p. 96 et fig. 4

L. Mercier: La Chasse et les

Leveau: Les Arabes p. 96 et fig. 4

الفاطمي إلى الفنون التي تأثرت به أو كانت، إذ لا له كما يتبين من الرسوم المائية التي نراها في سقف الكابلا بالانتينا بمدينة بلرمو^(١) وهي التي أمر بها الملك النورمندی رجار (دوجر) الثاني في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي^(٢) والتي يبدو من طرازها ووجود بعض الكلمات العربية في صورها ومن الكلمات العربية الدعائية التي اتخذت إطاراً لبعض المناطق الزخرفية فيها. أن الذين رسموها ثنائون متأثرون بالأساليب الفنية الفاطمية، على الرغم من أن نفوذ الفاطميين السياسي كان قد زال عن صقلية منذ مدة^(٣).

وقد وصل إلينا رسم الفارس حاملاً الباز في يده على تحف خزفية مملوكية^(٤) وعلى تحف أخرى من الخزف الإيراني^(٥).

وفي الشكين رقمي ٣ و ٤ صورتنا صحنين من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (برقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٣ و ١٤٩٣٥) على كل منها رسم شخص جالس بعزف على عود وحوله رسوم فروع ووريقات نباتية ودوائر في وسطها تقط داكنته. وهي الزخارف التي ألفتها رئيسية في الخزف العباسي ذي البريق المعدني وألفنا وجودها لماء الفراغ حول الرسوم الرئيسية في الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني. ورسم العازف على العود أو ما إليه من الآلات الموسيقية انتشر انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي فيما بين القرنين الثالث والسادس بعد الهجرة^(٦) (٩ - ١٢ م)، وقد عرفناه مكرراً في نقوش الألواح الخشبية الفاطمية التي عثر عليها بضرخ السلطان الناصر

(١) أنظر Ugo Monneret de Villard : Le Pitture Musulmane al Soffito della Capella Palatina in Palermo p. 40 fig 247-248

(٢) راجع زكي محمد حسن : فنون الإسلام ص ٦٨ و ٤٥٠

(٣) راجع بين الشكل رقم ١ في هذا المالك والشكل رقم ٢٢٩ في كتاب الأستاذ مونريه دي فيلار عن نقوش الكابلا بالانتينا.

(٤) أنظر Aly Bahgat et Massoul : La Céramique Musulmane de l'Egypte pl. 51

(٥) أنظر M. Riefstahl : The Parish-Watson Collection of Mohammedan Art,

fig 2. 58.

(٦) أنظر زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، شكل ٧٩

A Survey of Persian Art. vol. v pl. 633 و

محمد بن قلاوون وبمارستان قلاوون والمحفوظة الآن بدار الآثار العربية بالقاهرة^(١)، كما نراه أيضاً في نقوش سقف الكابلا بالانينا^(٢).

وفي الشكل رقم ٥ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٣٤٧٨) عليه رسم سيدة جالسة القرفصاء وعلى رأسها شبه تاج وقد انحدرت ضفيريها على كشيها وفي يدها كأسان، وحول هذا الرسم الزخرفة العباسية المألوفة على الخزف ذي البريق المعدني وقوامها الدوائر البيضاء التي تتوسطها نقاط داكنة. ومما بلغت النظر في رسوم هذا الصحن أن زخارف الرداء الذي ترتديه السيدة تتألف من بضعة فروع نباتية تضم بينها نحو عشر وريقات ومراوح نجيلية كبيرة مما امتاز به الطراز الفاطمي. ويندر أن نرى في الزخارف الإسلامية رسم شخص يسك بكل يد كأساً. ومن الأمثلة القليلة التي نعرفها من هذه الزخرفة رسم آخر في سقف الكابلا بالانينا^(٣). ومما يمتاز به رسوم الصحن الذي نحن بصدد أن حافته مزينة بسلسلة من قطاعات صغيرة من دوائر، على النحو المألوف في الأواني المصنوعة من الخزف ذي البريق المعدني فيما بين القرنين الثالث والسادس بعد الهجرة^(٤). كما أن على هذا الصحن إقصاء الصانع جعفر ولكننا لا نعرف من سيرته شيئاً.

وفي الشكل رقم ٦ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٥١٦) عليه رسم رجلين متواجهين ويرقصان رقصاً لا نكتين نوعه. ولكنه على كل حال لبس الرقص الذي ألفتاه على التحف الفاطمية الخشبية والعاجية^(٥) وإنما هو أشبه شيء برقص

(١) راجع زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين من ٢٠٩ — ٣١٤ والروحت ٤٤

و ٤٦ و ٤٧

(٢) Ugo Monneret de Villard : op. cit. fig 200-206, 238, 240

(٣) U. Monneret de Villard: op. cit. fig. 199.

(٤) R. Kœchlin und G. Migeon: Islamische Kunstwerke, Tafel 1. 6, 8, 18

(٥) Georges Marçais: Les Figures d'Hommes et de Bêtes dans les Bois Sculptés d'Époque Fatimite Conservés au Musée Arabe du Caire (Mémoire de l'Institut Français. t. 68 Mélanges Maspero. Vol. 3) pp 249-252.

حزبي قوامه المبارزة بالعصى^(١) . والملاحظ أن كلا الشخصين يبدو عاري الرأس وإن أحدهما قد رسم رسماً جانبياً بينما يبدو الآخر في وضعة ثلاثية الأرباع أما الفراغ في زخرفة هذا للصحف فمشتغل برسوم فروع نباتية ومراوح نخيلية . ومما يستحق الذكر أن في دار الآثار العربية بالقاهرة جزءاً من إناء من الخزف ذي البريق المعدني صوره على بك بهجت وماسول في كتابهما عن الخزف الاسلامي في مصر (اللوحة ٢٤ رقم ٣) ويحتمل من تصور زخرفته كاملة أنها كانت تتألف من رسوم رجال يرقصون .

وفي الشكل رقم ٧ صورة صحف من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٨٨) قوام زخرفته رسم طائر ذي رأس آدمي على مهاد من الوريقات النباتية والرسوم العباسية المؤلفة من الدوائر البيضاء تتوسطها نقط سوداء ، فضلاً عن أن حافة للصحف مزينة بستة قطاعات من دوائر . ورسوم الطيور بالرؤوس الآدمية (harpie) معروفة على تحف أخرى فاطمية الطراز ، فراها على آنية خزفية أخرى^(٢) ، ونراها على قطعة من النسيج الفاطمي محفوظة في متحف بناكبي بمدينة أثينا^(٣) وعلى التحف الخشبية التي عثر عليها في مارستان قلاوون والمحفوظة بدار الآثار العربية^(٤) ، كما نراها بين الرسوم المنقوشة في سقف الكابلا بالآتين في طرمو^(٥) . ونراها على خزف مصري من عصر المماليك ذي زخارف مرسومة تحت الدهان^(٦) ، وفضلاً عن ذلك فهي معروفة في طرز أخرى من الطرز الفنية الاسلامية^(٧) .

(١) L. Mercier : La Chasse et les Sports chez les Arabes pp 163-165

(٢) أنظر ٣ : Aly Bahgat et La Céramique Egyptienne de l'Epoque Mulsulmane, pl 13

A. J. Butler: Islamic Pottery pl. 36 et F. Massoul: op. cit. pl. XI.

(٣) The. Maeridy: Le Musée Benaki d'Athènes (dans *Mou-eion*, XI, 1937) p. 147

(٤) أنظر زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، الصفحة ٤٤

(٥) A. Monneret de Villard : op. cit. p. 44, figs. 241- 244

(٦) Aly Bahgat et La Céramique Egyptienne de l'Epoque Mulsulmane pl. 122

Massoul: op. cit. pl. 38.

(٧) F. Sarre: Seldachukische Kleinkunst pp 15, 17 figs. 18, 21; J. Sirzygowski & van Berchem: Amida p 99; A. Gabriel: Monuments Turcs d'Anatolie, I, p. 147 fig. 100 et pl. L; Mehdi Bahgat: op. cit. p. 103 fig. 22; Hobson: Islamic Pottery of the Near East plates 5, 14; Armeniag Sakisian: Thèmes et Motifs d'Enluminures (Ars Islamica, vol. VI, part I) p. 82 fig. 27,28.

وفي الشكل رقم ٨ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٦٧) تتألف زخرفته من رسم طائرين متظاهرين (ولي كل واحد منها ظهره للأخر) ولكل منهما رأس آدمي وبينهما شجرة^(١) وينتهي ذيل كل منهما بعقد كأنه ذنب الضف ويلتقي الذيلان ويبتذان في وضع زخرفي جميل .

وفي الشكل رقم ٩ صورة قدر من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار ١٥٧١٢) تتألف زخرفته من ثلاث مناطق رئيسية وعريضة وتفصل كل منهما عن التالية منطقة ضيقة فيها رسوم أنصاف مراوح نخيلية (بالت). أما المناطق الرئيسية الثلاثة فتتواءم الزخرفة في كل منها رسم حيوان ينقض على أرنب ليفترسه وتحيط بهذا الرسم زخارف نباتية ثانوية من فروع ووريقات . ورسم الحيوان أو الطائر الجارح ينقض على فريسته موضوع زخرفي أقبل عليه الفنانون للمسلمون في العصور المختلفة^(٢) ولاسيما في العصر الفاطمي^(٣) ، كما نراه أيضاً في الرسوم المنقوشة في سقف الكابلا بالانينا^(٤) .

وفي الشكل رقم ١٠ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٤٢) وفي وسطها رسم أرنب حوله خمسة رسوم نباتية متحددة من رسوم الطراز الثالث في زخارف سامرا ويتدلى أحدها من فمه . وعلى حافة الاناء رسوم خمسة أرانب أخرى تتدلى من فم كل منها فروع نباتية ممائلة . ورسوم الأرنب على هذا الاناء فيها كثير من الجلال والروعة على الرغم من بعدها عن الطبيعة إلى حد قد يجعل

(١) راجع البحث الذي كتبه عن شجرة الحياة الأستاذ جورج لشلر

George Lechler: The Tree of life in Indo-European and Islamic Cultures (Ars Islamica vol. IV pp. 369-420.

(٢) أنظر بش الأمثلة في زكي محمد حسن : فنون الإسلام ص ٥٣ و ٣٥٥ و ٣٥٦

و ٢٧١ و ٣٦١ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٥٩٦

(٣) أنظر زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، المجلدات ١٧ و ٣٨ و ٥٧

(٤) Monneret Villard : op. cit. fig. 246. (٤)

من الصعب تمييزها إلا لم تكن قد ألفتا رسم الأرنب على مثل، هذا النحو في كثير من التحف الإسلامية المصرية في عصرى الفاطميين والمماليك^(١) . وفي دار الآثار العربية صحن آخر من الخزف ذي البريق المعدنى ، كان قبل ذلك في مجموعة المرحوم الدكتور على إبراهيم باشا ، وقوام زخرفته رسوم أربعة أرنب لا تختلف كثيراً عن الرسوم في السلطانية التى نحن بصددنا^(٢) . ولكن هذا الصحن الأخير يمتاز بأنه يجمع بين الزخرفة بالبريق المعدنى والزخرفة باللون الأخضر العادى على النحو المعروف في الخزف الإسلامى الذى ينسب إلى إقليم الفيوم في العصور الوسطى والذى عرفناه كذلك في إقليم التركستان وما وراء النهر .

ونرى رسم الأرنب في زخرفة أربعة صحون أخرى من المجموعة التى نتحدث عنها في هذا المقال^(٣) . ففي الصحن المرسوم في الشكل رقم ١١ (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٤) نجد أن قوام الزخرفة رسم أرنب يتدلى من فمه فرع نباتي قصير ويحيط به شريط دائري يتألف من رسوم وريقة نباتية تتكرر وتتصل فتبدو كأنها جدلية . وحول هذا الشريط زخرفة على هيئة أسنان المنشار .

وفي الصحن المرسوم في الشكل رقم ١٢ (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٧) نرى رسم الأرنب في منطقة شبه نجمية ويتدلى من فمه فرع نباتي . وفي الشكل رقم ١٣ نرى صحننا آخر (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٨٠٦) عليه رسم الأرنب في وسط الاناء وتتدلى من فمه ورقة نباتية وحوله شريط

(١) أنظر زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين المروعة رقم ٢٩ و Cleves Stead : Fantastic

Fauna pls. 117, 119, 128, 134..

(٢) أنظر زكى محمد حسن : فنون الإسلام ص ٣١٦ شكل ٢٤٧

(٣) وأذن بين رسم الأرنب في الخزف الناطلى ذى البريق المعدنى ورسمه على نجمة من النشائى الأيراني ذى البريق المعدنى بمنوطة المتروبوليتان في نيويورك A Survey of Persian Art II p. 1556, fig. 543. وعلى سلطانية من الخزف الأيراني ذى الدمان الأبيض والخاراف القليلة التى تبدو كأنها رسوم تخطيطية مختصرة ، وهذه السلطانية بمنوطة في المتحف البريطانى A Survey of Persian Art II. p. 1618. fig. 563

دائري من حروف بالخط الكوفي المزهر على مهاد من الوردقات والفروع النباتية. وفي دار الآثار العربية صحن آخر من الخزف ذي البريق المعدني عليه مثل هذا الشريط الدائري من الزخرفة الكتابية^(١١).

وفي الشكل رقم ١٤ صورة صحن رابع من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٤١) قوام زخرفته ثلاث مناطق مستديرة في كل منها رسم أرنب يتدلى من فمه فرع نباتي. وهي تذكر إلى حد كبير بزخارف صحن آخر في دار الآثار العربية^(١٢). كما نذكر أيضاً بزخارف صحن من الخزف العباسي ذي البريق المعدني كان محفوظاً في القسم الاسلامي من متاحف الدولة في برلين^(١٣).

وفي المجموعة التي نحن بصدددها اليوم خمس تحف قوام الزخرفة فيها حيوان خرافي مجنح وهو موضوع زخرفي عرفته الفنون القديمة ومنها الفن الساساني^(١٤)، ورأيناه في قصر الماشي^(١٥)، كما نعرف أن الفنانين المسلمين أقبلوا على استعماله في العصور التالية^(١٦).

وفي الشكل ١٥ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٧) قوام الزخرفة فيها رسم رئيسي

(١١) ذكي محمد حسن: كنوز الفاطميين الاوحة رقم ٢٤

(١٢) المرجع نفسه، الاوحة رقم ٢٣

(١٣) انظر Ernst Kühnel: Islamische Kleinkunst p. 77.

(١٤) انظر A Survey of Persian Art. I, p. 720.

(١٥) انظر K.A.C Creswell: Early Muslim Architecture. I pls 57, 66, 68, 71.

(١٦) Cleves Stead: op. cit. plates 172-177; Glück und Diez: Die kunst des (١٦)

Islam. Tafel 314 fig. 454; Heinrich Kohlhaussen: Islamische Kleinkunst, abb. 6; M. Dimand: Handbook of Muhammadan Art, figs. 64, 113:

E Knhnel: Maurische Kunst. Tafel 145; W.Péard: Le Céramique Archaique de l'Islam, pl.99; M. Riefstahl: The Parish Watson Collection of Mohammedan Art, fig. 74, 84

R. Ettinghausen: Kashan Pottery (Ars Islamica. III, part II fig 35; F. Sarre: Eine Seltene Lusterschale der Rayy-keramik (Ars Islamica vol IV p. 193 fig 4; C. J. Lamm: Cotton in Medieval Textiles of the Near East p. 125 fig. 61; R. Ettinghausen: The Unicorn pls. 1, 2, 5; Aly Bahgat et Massoul: op. cit. pl. 9 No. 2; Holson: Islamic Pottery of the Near East p. 34 fig. 41.

بتوسطها ويمثل حيوانا خرافياً له جناح يقف على زخرفة نباتية على هيئة نصفي مروحة تخيلية ويتدلى من فم الحيوان فرع نباتي تمتد منه وريقات تنثنى نحو اليمين فيبدو ذيل الحيوان والزخرفة النباتية كأنها تحيط بالرسم الرئيسي فتكسبه رونقاً وتناسقاً ملحوظين . أما العنصر الزخرفي الآخر في هذه السلطانية فيتألف من شريط فيه حروف كوفية متكررة ، ويمتد هذا الشريط وينثنى بحيث يدور حول حافة الاناء ويؤلف أربع جامات صغيرة في كل منها وريقة نباتية وتفصل كل جامعة عن الأخرى منطقة فيها رسم يشبه الزخارف المشتقة من قشر السمك .

وفي الشكل رقم ١٦ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٨) عليها رسم حيوان خرافي مجنح تحيط به فروع نباتية ووريقات وفي حافة الاناء زخرفة على هيئة أسنان المنشار .

وفي الشكل رقم ١٧ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٨) عليها رسم حيوان خرافي مجنح ففرقه فدت أنيابه . ويقوم هذا الرسم الرئيسي على مهاد من الزخرفة العباسية التي تتألف من الدوائر البيضاء ذات النقط السوداء وبينها وريقات نباتية . وفي حافة الاناء زخرفة على هيئة أسنان المنشار .

وفي الشكل رقم ١٨ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٠) قوام زخرفتها رسم في قاعها يمثل حيواناً مجنحاً يتدلى من فمه فرع نباتي . وفي حافة الاناء شريط عريض من رسوم نباتية مشتقة من رسوم الطراز الثالث في زخارف سامرا تؤلف أربع جامات بيضيه الشكل ويفصل كلا منها عن الأخرى رسم مكرر . وبين إحدى الجامات وهذا الرسم كتابة نصها « عمل مسلم بن الدهان »^(١) .

(١) في دار الآثار العربية قلعة خزفية عليها امضاء بهذا النص كما أن فيها سلطانية كانت في مجموعة المرحوم علي ابراهيم باننا وعينها مثل هذا الامضاء . انظر جلال محمد حمزة : الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني في مجموعة علي ابراهيم باننا (مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد . المجلد ٧ يوليو سنة ١٩٤٤) ص ١٦ .

وقد مر بنا أن مسلماً كان من أعلام الخزفيين في العصر الفاطمي . والمعروف أنه وتلاميذه استعملوا في منتجاتهم الخزاف الحيوانية والآدمية والنباتية فضلاً عن الحروف الكوفية ، ولكنهم كانوا يفضلون رسم الحيوان أو الطائر . يتصدر الموضوع الخزفي ونحيط به أو تنفرع منه خطوط متداخلة . ومتشابكة وفروع نباتية تزين المهاد الذي يقوم عليها . وقد وصلت الينا تحف خزفية كثيرة عليها اسم مسلم ، وأكثر ما نرى هذا الاسم إنما على قاعدة الأواني وبخط كوفي بسيط . ويندر أن نراه مكتوباً على وجه الاناء كما هو الحال في الاناء الذي نحن بصددده الآن . ولا يفوتنا أن نذكر أن قطعاً خزفية تالفة في القرن قد وجدت في حفائر النسطاط ، ويرجح أنها من صناعة هذا الخزفي الممتاز ، مما يثبت أن مصنعه كان في مدينة النسطاط نفسها ^(١) .

وفي الشكل رقم ١٩ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٣) . وقوام زخرفته حيوان مجنح وله رأس طائر ، ويقوم على مهاد من الزخارف العباسية التي تتألف من الدوائر البيضاء ذات النقط السوداء وبينها وريقات نباتية ، وحافة الصحن ليست تامة الدوران وإنما تزينها فصوص تعرج محيطها .

وفي المجموعة التي نحن بصدددها اليوم ثلاث تحف قوام الزخرفة فيها رسم طائر يتدلى من منقاره فرع نباتي على النحو الذي عرفه الفن الساساني ^(٢) وأقبل عليه الخزفيون المسلمون أيضاً إقبالاً .

ففي الشكل رقم ٢٠ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني ^(٣) (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣١) وقوام زخرفتها رسم عصفور بين فروع وريقات نباتية في منطقة تحدها نجمة سدسة

(١) انظر : Aly Bahgat et Massoul : op. cit. p. 59.

(٢) انظر : A Survey of Islamic Art. IV, pls. 202, 215, 216.

(٣) وازن : M. Pézard : La Céramique Archaique de l'Islam pl. 84; Evans : Lustre :

Pottery pl. I. كنوز الفاطميين ، الاوحة ٢٤

الأركان وحولها زخارف عباسية الطراز ثم شريط عريض في حافة الأناة. تتألف زخرفته من كتابة بالخط الكوفي على مهاد من الفروع والورقات النباتية. وفي الكتابة بعض أخطاء ولكن يمكن أن تقرأ من عبارتها الكلمات الآتية: « نعمة شاملة له وغبطة لصاحبه كاملة ».

وفي الشكل رقم ٢١ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٩) تتألف زخرفتها من رسم طاووس رافع ذيله إلى أعلى ويتدلى من منقاره فرع نباتي ويحيط بهذا الرسم شريط عريض في حافة الأناة يضم حروفاً بالخط الكوفي في منطقتين تفصلهما ورتان نباتيتان من النوع المألوف في الطراز الفاطمي. وتقوم هذه الحروف على مهاد من الفروع والورقات النباتية. ورسم الطاووس ليس نادراً في الخزاف الإسلامية، فأننا نراه على قطع خزفية أخرى من البريق المعدني^(١) كما نراه في زخرفة مشهورة على شبك قلبه في دار الآثار العربية^(٢)، وعلى تحف من الخزف الإيراني في العصور الوسطى^(٣). والواقع أنه معروف في إيران منذ العصر الساساني^(٤) وأنه ظل مستعملاً في الزخرفة حتى رأيناه على صحن من خزف كوبيج في القرن السابع عشر الميلادي محفوظ بمتحف الارميتاج في لينينغراد^(٥).

وفي الشكل رقم ٢٢ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٠١) قوام زخرفتها رسم طائر يتدلى من منقاره فرع نباتي ويحيط بهذا الرسم شريط عريض على حافة الأناة يجرى فيه فرع نباتي يدور وينثنى وتخرج منه ورقات نباتية. وحول رقبة الطاووس عبارة فيها اسم الصانع « عمل الحسين بن نظيف الامري »

(١) Aly Bahgat et Masson: op. cit. pls. 10, 18. Butler: op. cit. pl. 10

(٢) زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ص ١٧٢ واللوحة ٣٦

(٣) زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي من ١٩٦ واللوحة ٧٢

A Survey of Persian Art. V. pl. 635 A.

(٤) أنظر A Survey of Persian Art. I. p. 741

(٥) المرجع نفسه ج ٢ ص ١٦٥٤ شكل ٥٧٤

(أو الامين ؟) « والمعروف أن ابن نظيف كان من تلاميذ الخرفي المشهور مسلم أو الناسحين على منواله ^(١) .

وفي الشكل رقم ٢٣ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٣٢٠٥) قوام زخرفته رسم ثور كبير يعدو إلى اليسار وحول هذا الرسم فروع نباتية وورقات تملأ الفراغ . ويمتاز الرسم بمظهر العنف والقوة ودقة تصوير الطبيعة في معظم أجزاء الحيوان . على الرغم من أن بعض الأجزاء الأخرى من عيوب في الرسم ^(٢) . وهو في ذلك كله يكاد يمتاز عن رسم ثور على سلطانية من الخزف الإيراني في القرن العاشر أو الحادي عشر محفوظة في متحف اللوفر ^(٣) .

وفي الشكل رقم ٢٤ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٢٦) وهو آية من آيات الانقار في الصناعة والزخرفة ويشهد بما استطاع الخزفيون الفاطميون تحقيقه في هذا الميدان . وقوام الزخرفة في هذا الاناء رسم غزال على مهاد من القروع والورقات النباتية ^(٤) ، وفي حافة الاناء ثلاث مناطق صغيرة تضم زخرفة من فروع نباتية وبين هذه المناطق محور فيها زخرفة من خطوط متوازية وتنتهي بنقط تشبه رأس الديوس . وأبين ما في زخرفة هذا الاناء أن رسم الغزال قد وصل إلى درجة من الانقار والتحديد جعلته يبدو أقرب إلى الناظر وكأنه فوق مستوى الرسوم النباتية التي اتخذت مهاداً له ، كما أن ذلك كله أكسبه من قوة التعبير ما جعله يبدو كأنه يولي حارباً مدعوراً من شيء يطارده .

(١) أنظر : Aly Bahgat et Massoul : op. cit. p. 60

(٢) في متحف الآثار الإسلامية بجامعة فزاد الأول صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني عليه مثل هذه الزخرفة . أنظر : Zaky M. Hassan : Moslem Art. in :

The Found I University Museum I pl 42

(٣) أنظر : A Survey of Persian Art. II, p. 1534 fig. 539

(٤) Cleves Stead : op. cit. pls. 144-154, A Survey of Persian Art. V pl. ٦٧٧, (٤) Mehdi Bahrani : Gurgan Faïences p. 110-111. pls. 50, 55, 56, Zaky Hassan : Some Persian Lustre Ceramics in Dr. Ali Pasha Ibrahim's Collection, pl. 3.

وفي الشكل رقم ٢٥ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٠٢) تتألف زخرفتها من أربع مناطق ، في اثنتين منهما رسم طائر من ورقتين نباتيتين وبدلي من منقاره فرع نباتي وفي اثنتين أخريين رسم ورقة نباتية ، وبين هذه المناطق رسم طائرين متقابلين وفوقهما إناء على هيئة مشكاة ^(١) . ويذكر ما في زخرفة هذا الاناء من تماثيل وتراصف وتوازن بما نراه في رسوم إناء آخر من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني كان في إحدى المجموعات الخاصة ^(٢) .

وفي الشكل رقم ٢٦ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٩٣٦) قوام زخرفته رسم نر ناسر جناخيه وحول رأسه هالة ^(٣) . ويقوم هذا الرسم على مهاد من التروع النباتية والزخرفة العباسية المؤلفة من خطوط حلزونية رفيعة ودوائر بيضاء ذات نقط سوداء . وفي حافة الاناء زخرفة على شكل أستان المنشار .

أما باقي التحف في المجموعة التي نتحدث عنها في هذا المقال فليس فيها رسوم آدمية أو حيوانية ، وإنما قوام الزخرفة فيها عناصر نباتية وكتابات زخرفية .

وفي الشكل رقم ٢٧ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٣٨) وتتألف زخرفتها من منطقتين فصلهما خيطان على شكل أستان المنشار ، وفي كل منطقة رسم ورقة نباتية كبيرة من المألوفة في العناصر الزخرفية الفاطمية ^(٤) ، وتحف بها رسوم فروع ووربقات نباتية دقيقة وعلى حافة الاناء زخرفة أخرى على هيئة أستان المنشار .

(١) أنظر رسم مثل هذه المشكاة على جزء من تحفة من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني منقوشة في دار الآثار العربية أيضا ومعمورة في Aly Bahgat et Massoul: op. cit. pl. 26 no 6.

(٢) أنظر ذكر محمد حسن : كنوز الفاطميين اللوحة رقم ٣٣ و 38 Lane: op. cit. pl.

(٣) أنظر A Survey of Persian Art, V, pls 611-612: Evans: Lustre Pottery pl. 17; M. Pezard; op. cit. pl. 54; A. Butler; op. cit. pl. 75; U. Monneret de Villard: op. cit. fig 245; Cleves Stead: op. cit. pls. 110, 111, 114.: La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane pls. 38, 106.

(٤) أنظر ذكر محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣١٧ و La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane, pls. 5-7.

وفي الشكل رقم ٢٨ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٣٧) . ولهذا الصحن حافة متموجة وتتألف زخرفته من ساحة يقسمها شريطان إلى أربع مناطق ربع دائرية تضم كل منها وريقة فاطمية الطراز تخرج من فرع نباتي يلتف حولها في أسلوب زخرفي جميل . وعلى حافة الاناء شريط من حروف كوفية زخرفية مكررة .

وفي الشكل رقم ٢٩ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٤٠) قوام زخرفتها ساحة تشبه في رسومها التحفة التي رأيناها في شكل ٢٨ ، ولكن تمتاز هذه السلطانية بأن على جدارها شريطاً عريضاً من كتابة كوفية زخرفية على مهاد من القروع والوريقات النباتية .

وفي الشكل رقم ٣٠ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٤٦٦) وقوام زخرفته عناصر نباتية محوورة عن الطبيعة ومشتقة من زخارف الطراز الثالث في سامرا ومرتبعة في أوضاع هندسية جميلة ^(١) ، وحولها شريط في حافة الاناء يجري فيه فرع نباتي من طراز الزخرفة في ساحة الاناء ^(٢) .

وفي الشكل رقم ٣١ صورة صحن من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٦٤٣٩) تتألف زخرفته من ثلاث مناطق لوزية الشكل تفصلها ثلاث مناطق أخرى على هيئة شرفات . وتضم كل من هذه المناطق الستة شريطاً من كتابة كوفية على مهاد من القروع والوريقات النباتية ^(٣) .

(١) نرى إحدى وحدات هذه الزخرفة على جزء من تحفة من الخزف ذي البريق المعدني بدار الآثار العربية في القاهرة ومصورة في Aly Bahgat et Massoul : op. cit. pl. VI. No. 7
ونرى وحدة أخرى في المرجع نفسه ، الاوحة رقم ١٧ والقطعة رقم ٣ ، كما نرى وحدة ثالثة على قطعة مصورة في La Céramique Egyptienne de l'Epoque Musulmane pl. 31
(٢) أنظر أيضا Lane : op cit. pl. 75 A. و A-Survey of Persian Art pl. 559, 697

و Pezard : op. cit. pl. 95.

(٣) أنظر La Céramique Egyptienne de l'Epo. و A Survey of Persian Art, V, pl. 566 que Musulmane. pl. 27.

وفي الشكل رقم ٣٢ صورة سلطانية من الخزف الفاطمي ذى البريق المعدني (رقم السجل بدار الآثار العربية ١٤٥٢٣) معارة الآن من دار الآثار إلى متحف الحضارة بالقاهرة . وتتألف زخرفتها من شريط من شبه كتابة كوفية يدور وينثنى في جديلة طويلة تكون شبه نجمة سداسية الأركان وخطوطها غير مستقيمة وبين أركانها زخارف نباتية فاطمية الطراز وفي مناطق الفراغ الداخلية بين خطوطها زخرفة من تظليلات وتشيريات تشبه قشر السمك .

وإلى هنا تنتهى من عرض هذه المجموعة الطيبة من الخزف ذى البريق المعدني ، بعد أن رأينا أنها تضيف جديداً إلى ما كنا نعرفه عن صناعة هذا الخزف الفاطمي في العصر الفاطمي ، وتشهد بأن الخزفيين الفاطميين بلغوا شأواً بعيداً وتجعل دار الآثار العربية في القاهرة أعظم مركز لدراسة هذا الميدان في الفنون الإسلامية .

علم ما قبل التاريخ

نشأته ومنهجه

للدكتور إبراهيم الصمد رزفان

تفسير تعبير ما قبل التاريخ

دلت هياكل الانسان القديم ومخلفاته الأثرية على أنه وجد منذ أوائل عصر البليستوسين الجيولوجي أى منذ حوالى مليون سنة . ولم يكن وجوده فى هذا العصر قاصراً على قارة معينة وإنما كان ينتشر فى كل قارات العالم القديم . والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها إنسانى جارة والصين بالقارة الآسيوية ، وإنسانى بلتدون ونياندرتال بالقارة الأوروبية ، وإنسانى رودسيا وطنجة بالقارة الأفريقية .

وقد كانت أدوات الانسان خلال هذه الفترة الطويلة من العظم والخشب والحجارة ، فأما أدوات العظم والخشب فقد بلى معظمها بمرور الزمن ولم تبق إلا الأدوات الحجرية . ولذلك أطلق على هذه للميون سنة من حياة الانسان إسم العصور الحجرية .

ثم عرف الانسان النحاس حوالى سنة ٥٠٠٠ ق . م . وعرف البرنز حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . وعرف الحديد حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م .

ثم وصل الانسان إلى كشف هام ألا وهو التعبير عما يدور بذهنه بواسطة رموز يخطها بيده وهو ما نسميه الكتابة . وقد عرفت الكتابة فى بعض بلاد الشرق الأدنى والأوسط مثل مصر والعراق نبيل سنة ٣٠٠٠ ق . م ولكن لم يعرفها فى أوروبا إلا فى وقت متأخر ، فعرفها فى إيطاليا حوالى

سنة ٦٠٠ ق. م ، ولم يعرفها في فرنسا وبريطانيا إلا مع النتج الرومانى لتلك البلاد .

وقد اصطاح الباحثون على وضع حضارات الانسان السابقة لمعرفة الكتابة فى مرحلة حضارية خاصة يطلقون عليها « عصر ما قبل التاريخ » سواء استخدم فى هذه المرحلة الحجر أو النحاس أو البرتر أو الحديد ، وأما مرحلة ما بعد الكتابة فيطلقون عليها العصر التاريخى . وواضح من هذا أمران : الأمر الأول أن نهاية عصر ما قبل التاريخ وبداية العصر التاريخى لا ترتبطان بتغير معين فى معالم حضارة الانسان فيما عدا معرفة الكتابة ، والأمر الثانى أنه بينما يتناول علم التاريخ دراسة حضارات الانسان فى مرحلة طولها خمسة آلاف سنة على أكثر تقدير نجد أن علم ما قبل التاريخ يتناول حضارات الانسان فى مرحلة طولها مليون سنة على وجه التقريب .

على أن بعض الباحثين لا يعجبه تعبير « ما قبل التاريخ » ويقول إن دراسة حضارات الانسان فى العصور الحجرية ما هى إلا تاريخ أيضاً ، وأن تاريخ الانسان وحدة متصلة لا فرق فى ذلك بين المرحلة السابقة لمعرفة الكتابة وبين المرحلة اللاحقة لها . وأن الاختلاف بين المرحلتين قاصر على وسيلة جمع المادة التاريخية ، ففى المرحلة الأولى يستمد المؤرخون معلوماتهم عن طريق استقراء آثار الانسان وحدها ، وأما فى المرحلة الثانية فيستمدون معلوماتهم عن طريق استقراء آثار الانسان بالإضافة إلى قراءة وثائقه المدونة على الأوراق واللوحات والمعابد والمقابر . وهذا فرق طفيف لا يبنى أن تاريخ الانسان وحدة لا تتجزأ وأن الكتابة لا تعدو كونها إحدى المظاهر التى جنت فى تاريخ الانسان ، فلا ينبغي أن نتخذى نفسها بدءاً لهذا التاريخ .

وفى الحق أن الكتابة لم تكن على الإطلاق فاصلاً بين عهدين لأن الفائدة المستمدة من معرفتها لم تتم دفعة واحدة ، بل اقترنت بها وتبعها عدة اختراعات لولاها لكانت معرفة الكتابة فى حد ذاتها أمراً قليل القيمة ، من ذلك معرفة المصريين للثائف أوراق البردى سنة ٣٠٠٠ ق. م ، ومعرفة الهنود للثائف

سعف النخل ، ثم تبع ذلك اتخاذ جلود الحيوان كصحائف للكتابة .
سنة ١٤٠٠ ق . م .

ولقد كانت صحائف الكتابة ثمينة للغاية مما جعل استخدامها قاصراً على طبقة خاصة وفي نطاق ضيق . وظل الأمر كذلك إلى أن عرفت صناعة الورق ، فانتج بذلك المجال أمام نشر المادة التاريخية وجعلها في متناول عدد كبير من الناس . ولم تعرف صناعة الورق إلا في القرن الثاني الميلادي ، ويرجع الفضل في ذلك إلى الصينيين ، إذ تمكن تساي لون (Tsai Lun) من صناعة الورق بطبخ عدة مواد كقشر الشجر وخرق القماش وعيدان القنب . ثم انتقلت هذه الصناعة إلى تركستان في القرن الثامن الميلادي على يد أسرى الحرب من الصينيين . ثم عنت الحكومة في بغداد بهذه الصناعة في سنة ٧٩٤ ميلادية وزرعت نباتات خاصة لهذا الغرض . ثم انتقلت هذه الخبرة بصناعة الورق إلى القارة الأوروبية بواسطة العرب ، وأسس أول مصنع للورق في أوروبا في بلدة فايزانو بإيطاليا سنة ١٣٤٠ ميلادية . ثم عرفت الطباعة بعد هذا التاريخ بحوالى قرن من الزمان فوجدت وسيلة أخرى من أعظم الوسائل للتعريف بالتاريخ ، إذ وجد الكتاب وأصبح يحتل منزلة كبيرة في تاريخ الانسان . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وجدت الصحف وكان ظهورها لأول مرة سنة ١٦٠٩ ميلادية في أوجسبورج (Augsburg) وستراسبورج (Strassbourg) . وبذلك تمت القائمة من الكتابة كوسيلة من وسائل التعريف بتاريخ الانسان .

ومعنى هذا أن تدرج قيمة الكتابة منذ معرفتها قبيل سنة ٣٠٠٠ ق . م حتى تمام القائمة منها في القرن السابع عشر الميلادي استغرق العصر التاريخي كله . فكيف نتخذ الكتابة إذا بدءاً للعصر التاريخي ؟

أراد الباحثون الألمان تلافى هذا العيب فأطلقوا على مرحلة ما قبل التاريخ - وهي الـ (Prehistoire) عند الفرنسيين والـ (Prehistory) عند الانجليز تعبير - فجر التاريخ (Urgeschichte) .

ولكن رغم هذا العيب الخطير في تقسيم الحضارة البشرية إلى تاريخ وما قبل التاريخ، فإن لكل من هذين التعبيرين في أذهان الباحثين معنى محدداً من حيث الزمن ومظهر الحضارة .

نساء علم ما قبل التاريخ

لفت النظر الى آثار ما قبل التاريخ وجود قطع من الصوان مشكلة بطرق خاصة يستحيل أن تكون من عمل الطبيعة لأن أثر العقل والارادة واضحان في أشكالها . فأخذ هواة الآثار في جمع هذه القطع وأخذ الباحثون في التفكير في العصر الذي صنعت فيه . وفي القرن السادس عشر كلف ميشيل ميراكوس (Michel Meractus) طبيب البابا كلمنت السابع (Clement VII) بترتيب المجموعة الأثرية في الفاتيكان فوصف القووس والأسهم الحجرية في هذه المجموعة . ثم في سنة ١٧٢٣ قدم برنارد دى جوسيو (Bernard de Jussieu) بحثاً الى المجمع العلمي بفرنسا على أثر عودته من رحلات طويلة بين بعض الشعوب البدائية قارن فيه بين أسلحة هذه الشعوب الحديثة وبين الآلات التي جمعت من جهات كثيرة في القارة الأوروبية . ومنذ ذلك الوقت والأبحاث تتتابع في هذا الموضوع حتى اذا كانت أوائل القرن التاسع عشر كانت أذهان الباحثين قد استعدت لمولد « علم ما قبل التاريخ » . غير أن مكتشفات هؤلاء الباحثين وآراءهم لم تستلقت أنظار الجمهور كثيراً ، فلم يكن عجيباً أن يقال للناس أن الإنسان كان يصنع آلاته من الحجارة قبل أن يعرف استخدام المعادن . غير أن باحثين من هؤلاء لم يتهمافثور الناس عن متابعة البحث وبمحاولة جذب الأنظار الى آثار عصر ما قبل التاريخ وبذلك استحق لقب مؤسس « علم ما قبل التاريخ » . أما الأول فهو فرنسوا جوانيت (Francois Jouannet) الذي عثر على منطقة أثرية من العصر الحجري الحديث بفرنسا وأعلن للناس أن هذه المنطقة كانت محلة لانسان ما قبل التاريخ . وأما الثاني فهو بوشيه دى برث (Boucher de Pertbes) الذي اسنموتة اللقطع الصوانية التي جمعها العمال من محاجر الرمل في بلدة ابينيل (Abbeville) بفرنسا فعمكف على دراستها ،

ثم قام بالبحث في زواصب نهر السوم فعثر على قطع أخرى وانتهى به الأمر إلى الاعتقاد عن يقين تام بأن هذه القطع الصوانية ما هي إلا أدوات وأسلحة صنعها الإنسان في عصر سابق للتاريخ ، ثم نشر آراءه ونتائج أبحاثه بين سننى

١٨٤٧ و ١٨٦٤

وبطبيعة الحال قوبل الأوائل من مؤسسى هذه الدراسة بالسخرية والتهكم ، سخر منهم الجمهور وتهكم بهم زملاؤهم العلماء ، ولولا المثابرة والجلد لتأخر مولد هذا العلم فترة أخرى من الوقت .

جاء بعد فرنسوا جوانيت وبوشيه دى برتالدكتور ريجولوت (Rigollot) الذى عنى بالبحث عن هذه الأدوات والأسلحة وكون منها مجموعة كبيرة وعضد الرأى القائل بأنها من صناعة انسان قديم . ووقف الى جانبه الباحثان الانجليزيان جون ايثارز (John Evans) وجوزيف برسوتش (Joseph Preswich) فكان هذا نهاية عهد الشك في حقيقة علم ما قبل التاريخ . وبعد عن هذا أحد الكتاب الفرنسيين بقوله « إنه بمجرد أن تكلمت انجلترا قبل العلماء الفرنسيون بلا تردد النظريات التى أعلنها مواطنوهم من قبل والتي كانوا يحرقونها ويستخرون منها » .

بهذا تم مولد علم ما قبل التاريخ وكان مولده في فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر واعترف به الناس جميعا ، وأصبح ميدانا خصباً للبحث يستهوى عدداً كبيراً من الباحثين ، وقد صاحب هذا اعتراف الناس بوجود الانسان منذ أوائل عصر البلستوسين أى منذ حوالى مليون سنة .

ولم يولد علم ما قبل التاريخ في فرنسا لحسب بل ظل بعد مولده يعبش في حضنة الفرنسيين حتى بلغ مرحلة الشباب . ومن أجل هذا نجد أسماء حضارات هذا العصر التى يستخدمها العالم أجمع أسماء فرنسية صرفة . وأول تصنيف للمراحل الحضارية بالعصر الحجري القديم هو من عمل العالم الفرنسى دى مورتيليه (De Mortillet) . وما زلنا نتبع هذا التصنيف مع بعض

التدليل ، ثم با من بيده جوزيف ديشيليت (Joseph Diehellele) ،
فأخرج للناس دراسة علمية منظمة لعصور الحجر والبرنز والحديد .
بعد هذا أصبح علم ما قبل التاريخ من العلوم المحبوبة لدى الجمهور الأوروبي ،
وأصبحت آثاره تستهوي الناس من كل الطبقات ، وأدخلت دراسته
في الجامعات الأوروبية ، وأخذت تلقى فيه المحاضرات العامة .

وتبدأ العناية بهذا العلم في مصر في أواخر القرن الماضي ويرجع الفضل
في ذلك إلى فلندرز پترى الأنجليزى و جاك دى مورجان الفرنسى ، فهما اللذان
افتتحا هذه الدراسات في مصر . وكان بحمهما منصبا على الصعيد وعلى منطقة
قنا بصفة خاصة وإليهما يرجع الفضل في الكشف عن حضارة نقادة المشهورة .

وقد أخرج پترى كتابه عن نقادة وبلاص سنة ١٨٩٥

(Petrie, Nagada & Ballas, 1895)

وأخرج دى مورجان في سنة ١٨٩٦ كتابه عن عصر الحجر والمعدن
في مصر (De Morgan, Recherches sur les Origines de L'Egypte,
l'age de la pierre et les metaux 1896.)

ثم أتبعه في السنة التالية بكتابه عن مقابر نقادة (Ethnographie
prehistorique et tombeau royales de Negadah, 1897.)

فلما بدأ القرن الحالى يظهر شفيغفرت الألمانى في الميدان ويجمع
من الصحارى المصرية عدداً كبيراً من أدوات الانسان في العصر الحجرى
التقديم ويفتح في سنة ١٩٠٣ سلسلة أبحاثه بمقال عن العصر الحجرى
في مصر العليا (Schweinfurth, Steinzeitliche Forschungen in Ober-
Aegypten.) ثم يبحث فنيار منطقة كوم امبو ويخرج لنا كتابه عن الحضارة
السبيلية سنة ١٩٢٣ ، ثم يبحث بوفيه لايير منطقى حلوان والعباسية ويخرج
نتائج أبحاثه في سنة ١٩٠٦ ، وهكذا أصبح علم ما قبل التاريخ الشغل الشاغل
لكثير من العلماء والهواة فيكشف برنتون عن حضارة البدارى و كيتن
تمسون عن حضارة التيوم وينكر عن حضارة مرمرة ، ويقوم ساندفورد

وآركل بدراسة عملية جامعة للقطر المصري وقد نشرها أبحاثهما في سلسلة من المجلدات .

أما جهود المصريين في هذا الميدان فيفتتحها أمين العمري الذي ساهم مع بوفيه لابيير في بحث منطقة حلوان قبل سنة ١٩٢٥ ، ثم يأتي بعد ذلك مصطفى عامر فيكشف عن حضارة المعادي يساعده في السنوات الأولى من العمل العالم النساوي أزوالد منجيين . ثم يظهر في الميدان سليمان حزين ويساهم في دراسة مناطق أرمنت والفيوم وسبنا ويخرج لنا كتابه الجامع (The Place of Egypt in Prehistory) . وقد عنيت الجامعة المصرية منذ سنة ١٩٣٠ بهذا العلم فأدخلته في برامج دراستها وتولت الاتفاق على حفائر المعادي . ثم في سنة ١٩٥٠ يقوم معهد فؤاد الأول للصحراء بالحفر في منطقة هليوبوليس فيكشف عن حضارة جديدة من حضارات عصر ما قبل التاريخ .

منهج البحث في علم ما قبل التاريخ

يجمع الباحث في هذا العصر معلوماته من مصدرين : المصدر الأول بقايا هياكل الانسان ، فمنها يستطيع تحديد سلالة الجنسية ويعرف هل هو أصيل في هذه الجهة أو وافد إليها من مكان آخر . والمصدر الثاني صناعة هذا الانسان ومخلفات طعامه وبقايا مساكنه ومواقده . ثم بعد أن يجمع الباحث معلوماته من هذين المصوتين يعتمد على أربع أسس في إبراز الصورة النهائية للحضارة من حيث عصرها ودرجة رقيها وصلتها بغيرها من الحضارات المحلية أو الخارجية .

أما هذه الأسس الأربعة فهي :

أولاً — موضع الأثر في الطبقات .

ثانياً — شكل الأثر وطريقة صناعته .

ثالثاً — علاقة هذا الأثر بالآثار الأخرى التي وجدت معه .

رابعاً — درجة احتفاظ الأثر بجودته .

أما الأسس الأول وهو موضع الأثر في الطبقات فمبنى على القانون الجيولوجي المعروف باسم قانون الارساب . فإذا تكوّن طبقات بفعل الارساب أو التراكم ولم تتعرض لاضطرابات تالية فإن الطبقات السفلى تكون أقدم من التي تعلوها . فإذا وجدت مخلفات بشرية في هذه الطبقات يمكن ترتيبها ترتيباً طباقياً من أسفل إلى أعلى واتخاذ هذا الترتيب الطباقى مقياساً زمنياً ، فيكون الأسفل هو الأقدم ويكون الأعلى هو الأحدث . ومن أجل هذا وجب على الحفار في عصر ما قبل التاريخ أن يزيل الطبقات الأثرية طبقة طبقة بمقياس منتظم يتخذ لنفسه . والمقياس الذي اتبع في حفائر جامعة فؤاد الأول بالعداى وفي حفائر معهد فؤاد الأول للصحراء بمصر الجديدة هو ٢٠ سنتيمتراً ، فترال العشرين سنتيمترا العليا وتسجل محتوياتها الأثرية ثم العشرين سنتيمترا التالية وتسجل محتوياتها كذلك ، وهكذا حتى يصل الحفار الى التربة الأصلية التي سكنها الإنسان لأول مرة ، وبذلك نحصل على ترتيب طباقى لمخلفات الانسان . ثم تقارن محتويات الطبقات ببعضها . ولكن ينبغي أن يلاحظ أن ترتيب الطبقات في المنطقة الواحدة لا يدلنا وحده على تتابع الحضارات ، بل لابد لذلك من دراسة عدة حفائر وعقد مقارنة بين ترتيب الطبقات في كل منها .

وبعد أن ينتهى عالم ما قبل التاريخ من ترتيب الطبقات يلجأ إلى الأساس الثانى من منهجه وهو دراسة المكتشفات من أدوات وأسلحة وغير ذلك ، ويصنفها إلى عائلات حسب الشكل العام وطريقة الصناعة وحسب الغرض الذى يعتقد أنها صنعت من أجله . فإذا كان يتناول بالتصنيف الآلات الحجرية مثلاً ، يضع الآلات المصنوعة من النواة في ناحية والمصنوعة من الشظايا في ناحية أخرى ، ثم يضع الآلات المثلثة الشكل في مجموعة والآلات المستطيلة في مجموعة ثانية ، ثم يضع الآلات المصقولة في ناحية وغير المصقولة في ناحية أخرى ، ثم يضع النؤيس في مجموعة والمثاقب في مجموعة ثانية والسهام في مجموعة ثالثة ... وهكذا ، وسيجد نفسه في النهاية قد حصل على عدد من المجموعات أو العائلات متشابهة في شكلها ووظيفتها وطريقة صنعها . ثم بطول المران

يجد أن الأمر أصبح آلياً بمجرد أن يلتقط الأداة يستطيع أن يضعها في عائلتها على الفور ، وقد وجدنا بالتجربة أن أدوات الانسان القديم محدودة العائلات . أما الأساس الثالث وهو الأشياء المرافقة فوظيفته مراجعة النتائج التي وصل اليها الأثرى بمقتضى الأساسين الأولين للتأكد من صحتها . فهو لا يعطى لعالم ما قبل التاريخ نتائج جديدة وإنما يجعله يطمئن إلى صحة النتائج التي وصل اليها ، ويصبح هذا العامل عظيم الفائدة في حالة الشك ، ثم هو عديم الفائدة في حالة الآثار التي توجد على السطح : لأن معظم آثار هذا العصر قابلة للنقل إما بفعل العوامل الطبيعية أو بفعل الانسان ، ولهذا قد نجد أشياء عظيمة القدم بجوار أشياء عظيمة الحدأة . وأما في الآثار غير السطحية كالتي توجد في الكهوف والرواسب النهرية والطبقات الأثرية التي لم يعثر بها غائب فأننا نستطيع أن نطمئن إلى قيمة الأشياء المرافقة في تحديد عمر الأثر ونوع المناخ في عهده وغير ذلك . ولعل من أحسن الأمثلة على ذلك أنه وجدت في كهوف أوروبا هياكل انسان نياندرتال ومعها أسلحة موسمية . وقد تكررت هذه الظاهرة في عدة كهوف ، مما أكد ارتباط هذه الهياكل البشرية بهذا النوع المعين من الآلات ، فإذا وجدنا بعد ذلك عظاما بشرية لم نستطع تحديد شكلها لأنها مهشمة ووجدنا معها آلات من النوع السابق فأننا من شكل هذه الآلات نستطيع أن نحدد نوع الانسان المرافق لها ، ونحن مطمئنون تمام الاطمئنان إلى صحة النتيجة التي وصلنا اليها .

وترداد قيمة هذا الأساس في دراسة العصر الحجري الحديث وما بعده . إذ ابتداء من هذا العصر وجد التبادل التجارى والتبادل الثقافى بين الجماعات . وقد استطعنا بمقتضى هذا العامل تحديد عصر الهياكل البشرية التي كشفنا عنها في حفائر مصر الجديدة في العام الماضى . وذلك أننا عثرنا في هذه الحفائر على الجبانة ولم نعثر على محل السكنى حتى الآن . فكيف نحدد عصر هذه الجبانة ؟ وكيف نحدد المرتبة الحضارية لأصحابها ؟

وجدنا من بين الأواني الفخارية العديدة المدفونة مع الهياكل البشرية من النوع السائد في حفائر المعادى ، والذي لا يوجد في أى مكان آخر ،

فاستطاعنا أن نقول ونحن مطمئنون أطمئنا نأنا إلى صحة ما نقول إن سكان مصر الجديدة الذين كشفنا عن حياتهم كانوا معاصرين لسكان المعادى وأنهم عاشوا في مرتبة حضارية قريبة من مرتبة أهل المعادى الذين عرفت حضارتهم من مدينة الأحياء ومدينة الموتى على حد سواء (أنظر شكل ١) .

وأخيراً تنتقل إلى الأساس الرابع في منهج عالم ما قبل التاريخ وهو درجة احتفاظ الأثر بجدته فيجد أن آثار هذا العصر لقدمها قد تعرضت لعوامل التعرية من رياح ومياه جارية ، ويدل درجة تآكل الآلة أو الأداة على مدى تعرضها لهذه العوامل ولكنه لا يدل على مدى قدمها بصفة قاطعة ، ومن أجل هذا ينبغي ألا يتخذ الأثرى بمظهرها . فكثيرا ما يحدث في آثار ما قبل التاريخ أن الآلات التي تبدو جديدة في مظهرها تكون هي القديمة فعلا ، وأن الآلات التي تبدو بالية في مظهرها تكون هي الحديثة فعلا . والسبب في هذا أن الآلات الأولى ورغم قدمها لم تتعرض لعوامل التعرية فبذبت جديدة ، وأن الآلات الثانية ورغم حداثة تعرضت لعوامل التعرية فبذبت قديمة .

على أن تأكل الآلات بفعل المياه الجارية يتخذ الأثرى دليلا على أن هذه الآلات لا تتبع المكان الذي وجدت فيه ، وإنما هي مجروفة مع المياه الجارية من مكان آخر . ثم بناء على درجة تآكل هذه الآلات يستطيع الأثرى أن يقدر موضع المكان الأصلي لها هل هو قريب أو بعيد من المكان الذي وجدت فيه . ومن أمثلة ذلك الآلات التي وجدت في طبقات العباسية فقد تبين من درجة تآكلها أن بعضها منقول بواسطة النهر من أماكن بعيدة في الجنوب . وأن بعضها منقول بواسطة السيول المحلية من سطح الهضبة القريبة من العباسية .

تطبيق هذا المنهج على الحضارات المصرية

دلت الأبحاث على أن الحضارات المصرية في عصر ما قبل التاريخ تسير في مبدأ الأم ، في نفس خط التطور الذي تسير فيه الحضارات في جهات العالم الأخرى مثل غرب أوروبا . ومن ثم أمكن تقسيم حضارات المرحلة الأثرية إلى نفس أدوارها في غرب أوروبا وعلى الأخص فرنسا ، بل أطلق الباحثون

على الأدوار المصرية في هذه المرحلة نفس الأسماء الفرنسية التي أطلقت على حضارات غرب أوروبا .

ولكن ابتداء من العصر الحجري القديم الأوسط تسير الحضارات المصرية في خط من التطور خاص بها هو الخط الذي انتهى بها الى العصر التاريخي .
حوالى سنة ٣٢٠٠ ق م بينما ظلت أوروبا ومعظم جهات العالم في عصر ما قبل التاريخ الى قبيل الميلاد .

ونستطيع أن نقسم الحضارات المصرية في عصر ما قبل التاريخ الى الأقسام الرئيسية الآتية :

أولاً — العصر الحجري القديم (Palaeolithic)

ثانياً — العصر الحجري الحديث (Neolithic)

ثالثاً — عصر النحاس (Chaleolithic)

أولاً — العصر الحجري القديم

يقسم هذا العصر في مصر ، كما في أوروبا الى ثلاث مراحل ، أسفل ، وأوسط وأعلى ، فأما الأسفل فيشمل الحضارتين السيلية والاشولية ، وأما الاوسط فيشمل الحضارة المستيرية المصرية (الليفلوازية) ، وأما الأعلى فيشمل الحضارة السيلية . وواضح من أسماء هذه الحضارات أن تطور الصناعات الحجرية في مصر يسير جنباً الى جنب مع تطورها في أوروبا حتى بداية العصر الحجري القديم الاوسط ، ولذلك أطلقت على الحضارات المصرية حتى هذه المرحلة نفس الاسماء الأوروبية ولكن ابتداء من العصر الحجري القديم الأوسط تتطور الصناعات الحجرية المصرية في طريق مختلف . ولذلك أخذت حضارتها ابتداء من هذا العصر أسماء خاصة .

وستتبع فيما يلي خط تطور هذه الحضارات مبينين المرحلة التي اشتركت فيها مصر مع أوروبا في المعالم الحضارية . ثم نقطة التحول ثم المرحلة التي ظهرت فيها مصر بظاهرها الحضارى الخاص (انظر الجدول في شكل ٢) .

جدول يبين العلاقة بين العصور الجيولوجية والعصور البشرية

العصر الجيولوجي	العصر البشري	تواريخ تقريبية
(العصر الحديث)	العصر التاريخي	من ٣٢٠٠ إلى الوقت الحاضر
	عصر ما قبل الأسرات	من ٤٥٠٠ إلى ٣٢٠٠ ق. م
	الحجري الحديث	من ٨٠٠٠ إلى ٤٥٠٠ ق. م
	" القديم الأعلى (البيلي)	من ٢٠٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ ق. م
(الليوسين)	الحجري القديم	من ٥٠٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ ق. م
	الأوسط (الموسمي)	
	الحجري القديم الأسفل (الثيلي والأشولي)	انتهى ٥٠٠٠٠ ق. م
	عصر ما قبل الإنسان	في مصر

(شكل ٢)

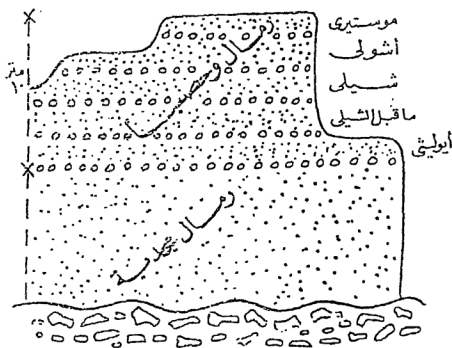
(١) العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط :

يمكن تتبع الروايب إلى كان يلتقيها نهر الزمان الرابع على جوانب التلال الممتدة على طول نهر النيل الحالي . ولقد بلغ عرض مجرى النهر في الزمن الرابع عدة كيلومترات وبذلك كان ينشر ما يحمله من حصى ورمل وطين في مساحات واسعة وعلى مسافة كبيرة من المجرى الحالي فكون ما نسميه بالدرجات النهرية . وقد بلغ سمك مدرجات الحصباء هذه من عشرة أمتار إلى خمسة عشر مترا ومما يستلفت النظر أن مدرجات النيل تشبه مدرجات السوم والتيمس — التي تضم أقدم الآثار البشرية — في سمكها وأشكال آلائها .

ويجدر السطح من الهضبة البليوسينية على ارتفاع مائة متر إلى أعلى هذه المدرجات على مستوى ٤٥ متراً فوق مستوى ماء النهر الحالي . وقد درس ساندفورد وآركل مجموعة المدرجات القريبة من الأقصر وتلك الواقعة بينها وبين أسبوط فلم يعثر على آلات في مدرج الخمسة وأربعين متراً . ثم يستمر انحدار السطح إلى مدرج الثلاثين متراً حيث توجد آلات مصنوعة بالطريقة الشيلية ، ثم إلى مدرج الخمسة عشر متراً حيث الآلات الأشولية الدقيقة الصنع ثم إلى مدرج الثلاثة أمتار حيث الآلات الموستيرية .

وكذلك بالقرب من قمة الدلتا — في محاجر العباسية — تظهر رواسب نهر الزمن الرابع في شكل مدرجات أو شطوط ضخمة وقد درس هذه المنطقة بوفيه لا بيير فتحقق من وجود إرساب موستيري فوق إرساب شيلي وأشولي (انظر القطاع في شكل ٣) .

تتابع الطبقات والحضارات في رواسب سهل العباسية



(شكل ٣)

جدول يبين تنابع الظروف الطبيعية والمخاضات البشرية
في منطقة اراحة الحارحة خلال البليستوسين

ترتيب الدور	حالة السطح	حالة المناخ	المخاضة البشرية
الماسر	تمرية في نطاق متيق أضالها تكون مدرج الحمة أمتار .	ذبذبة أكثر بساطة في الرطوبة تلتها فترة جفاف تامة هي التي استمرت حتى الوقت الحاضر .	حضارة الحارحة (٣) مع بعض تأثيرات من المخاضة الماطرية .
التاسع	تمرية في نطاق متيق تلاها تكون مدرج السبعة أمتار .	ذبذبة بسيطة في الرطوبة تلتها فترة جفاف .	خليط بين المخاضة اليفلوازية وحضارة الحارحة (٢)
الثامن	أوساب طمي غشن وحصباء يتلو أوساب طرقا .	مطر قليل .	المخاضة اليفلوازية الحديثة (٢)
السابع	تمرية .	مطر متزايد . النهاية العظمى الثانية لحظ المطر البياقي .	
السادس	أوساب طمي غشن وحصباء يتلو أوساب طرقا .	مطر أقل .	
الحامس	تمرية شديدة .	النهاية القصوى للظروف الرطبة في عصور ما قبل التاريخ .	المخاضة الأثولية اليفلوازية (١)
الرابع	أوساب طرقا وحصباء وطمي غشن فوق البرشيا	بعض المطر والتزايد النباتي .	المخاضة الأثولية الديا .
الثالث	تكوينات برشيا .	مطر نادر أو معدوم .	لاحضارة .
الثاني	تمرية شديدة .	مطر كبير .	لاحضارة .
الأول	أوساب طرقا على الغضبة	مطر قليل .	لاحضارة .

(١) المخاضة الأثولية في مصر كما هي في أوروبا تمثل آخر حضارات العصر الحجري القديم الأسفل وأما المخاضة اليفلوازية في مصر فتتمثل العصر الحجري القديم الأوسط الذي تمثله المخاضة الوستيرية في أوروبا .

(٢) أطلت الباحثان على المخاضة اليفلوازية الحديثة وعلى حضارة الحارحة اسم ما قبل السيلية في مبدأ الأمر ثم عدلتا أخيراً عن هذه التسمية .

(٣) توجد بعض وجوه شبه بين حضارة الحارحة في مراحلها الأخيرة وبين حضارة العصر الحجري القديم الأعلى في شمال أفريقيا (المخاضة القفصية) وفي شمال غرب أوروبا (المخاضة التردنوازية) .

وكذلك في الواحة الخارجة استطاعت الآنسان كيتون تومسون وجاردر أن تصنفا التغيرات التي تعاقبت على هذه المنطقة خلال سنمر الپلستوسين سواء في السطح أو المناخ أو الحضارة البشرية على النحو المبين بالجدول .

ويستخلص زوينر من هذا الجدول أنه وجدت خمسة أدوار رطبة بالواحة الخارجة هي الأدوار ٢ و ٥ و ٧ و ٩ و ١٠ وأن هذه الأدوار الخمسة تنقسم الى مجموعتين يمثل الدور الثاني منها مجموعة قائمة بنفسها وتمثل الأدوار ٥ و ٧ و ٩ و ١٠ مجموعة أخرى ويفصل بين المجموعتين فترة جفاف طويلة يمثلها الدور الثالث .

كما يجادل زوينر أن يربط بين الأدوار المناخية بالخارجة وبين الأدوار الجليدية بأوروبا فيقول إن الدور الثاني (وهو دور رطب) يقابل أحد الأدوار الجليدية الأوروبية الأولى (جزر أومندل أورس) وأن الدور الثالث (وهو دور جاف) يقابل في أوروبا الفترة الدفيئة الأخيرة (فترة رس — ثرم) وأن الأدوار من الخامس الى العاشر تقابل الدور الجليدي الأخير (دور ثرم) .

فإذا صح هذا الربط بين الأدوار المصرية والأدوار الأوروبية يكون الدور الجليدي الأوروبي الأخير ممثلا في مصر في هذا الجزء الصحراوي الواقع على خط عرض ٢٥ شمالا بأربعة أدوار رطبة تتدرج نحو القلة بينما لا يمثلها في إقليم البحر الأبيض المتوسط إلا ثلاثة أدوار فقط :

(ب) العصر الحجري القديم الأعلى :

لأنكاد توجد في مصر حضارة من العصر الحجري القديم الأعلى تقابل الحضارة الأورينياسية الأوروبية . ولقد وجد ثنيار في قرية السبيل . بالقرب من كوم امبو صناعة اعتبرها معادلة للأورينياسية الوسطى والعليا في أوروبا . ولكن لا يمكن الجزم بهذه المعادلة بين السبيلية المصرية والأورينياسية الأوروبية لأن وجوه الشبه بين آلات الحضارتين لا تقطع بهذه المعادلة ، يضاهي الى هذا أنه لم تكتشف مع الآلات انصرية بقايا حيوانات يمكن أن تتخذ مفتاحا لتحديد عصر هذه الحضارة على وجه التحقيق .

على أن ثنيار تمكن من تتبع صناعة الشظايا في مصر وتطورها من العصر الحجري القديم الأوسط (الموستيري) الى أواخر العصر الحجري القديم الأعلى (الصناعة الحجرية القزمية) . ولا شك أن هذا التطور واضح في شكل الآلات فتجد في مبدأ الأمر شظايا موستيرية قطعت من القاعدة قطعاً مستقيماً يزيل منطقة البصلة ثم نجد شظايا قطعت قاعدتها بنفس الطريقة السابقة ولكن من جانب واحد فقط وبذلك اتخذت شكل شبه المنحرف ، وتقابل هذه المرحلة في أوروبا من حيث شكل الآلات الحضارة التردنوازية (أواخر الحجري القديم الأعلى) حيث الآلات ذات الأشكال الهندسية فمنها المستدير ومنها المثلث ومنها شبه المنحرف .

وقد حازل ثنيار أن يثبت أن هذا التطور الشكلي تطور زمني في نفس الوقت . وذلك لأنه وجد هذه الآلات في شواطئ بحيرة قديمة كانت تجف بالتدريج حتى تم جفافها .

ويرى ثنيار أن الانسان كان يسكن هذه الشواطئ بحيث كان ينحدر نحو قلب البحيرة كلما ازداد جفافها وانخفض مستواها لكي يظل قريباً من الماء . ومعنى هذا أن الآلات التي في الشواطئ العليا أقدم زمناً من التي في الشواطئ السفلى . وهذا هو ما استند إليه ثنيار في محاولته تأريخ هذه الشطوط والآلات التي وجدت فيها ، وفعلاً قسمها الى ثلاثة مستويات يضم المستوى الأخير منها في معظمه آلات قزمية بها كثير من المحتات . وترجع هذه المحتات القزمية الى أصل محلي فهي مأخوذة عن الآلات التي أزيلت منطقة البصلة منها .

ولكن مما يشكك في هذا لتقسيم الزماني الذي وضعه ثنيار أن الفرق بين أعلى مستوى للبحيرة وبين أقل مستوى لها لا يتعدى بضعة أقدام ، كما أن الخطوط الكثورية لشواطئ البحيرة شديدة التقارب أي أن المسافة الرأسية لهذه الشطوط كانت صغيرة مما يرجح القول بأن الانسان حينما سكن الشطوط السفلى كان في نفس الوقت مازال يسكن الشطوط العليا لقرب المسافة

بين هذه وتلك . وهذا من شأنه أن يقلل من جدلية الآلات كتمياس زمني ،
ومن ثم لا يمكن اتخاذ مستويات ثنائيات الأثرية مراحل زمنية متعاقبة .

ولكن الحضارة السيلبية ككل لا شك في نسبتها إلى العصر الحجري
القديم الأعلى . فأشكال آلاتها وطرق صناعتها تؤكد أنها تقع بعد الحجري
القديم الأوسط . ثم أنها خالية من الآنية الفخارية والحجارة المصقولة مما يحتم
وضعها قبل العصر الحجري الحديث . فالحضارة السيلبية إذاً تمثل حضارة
مصر في العصر الحجري القديم الأعلى .

ثانياً — العصر الحجري الحديث

لا تتضح في مصر الصلة بين العصر الحجري الحديث وبين العصر السابق له .
رغم كثرة ما كشف من آثار العصر الحجري الحديث . ومنذ أن ظهرت
مكتشفات دى مورجان وبتري في القرن الماضي والمحاولات تبذل لتأريخ
هذا العصر والتعرف على مراحل المختلفة ، تلك المراحل التي دخل المدن
في أواخرها بالتدريج والتي انتهت أخيراً بقيام عصر الأسرات . ولم تنجح
هذه المحاولات إلا نجاحاً جزئياً أحياناً ومحلياً أحياناً أخرى . وسبب ذلك
عدة أمور ، الأمر الأول أن الصلة بين آثار العصر الحجري الحديث
وبين آثار العصر الحجري القديم ليست صلبة طباقية لاختلاف المناطق
التي كان يسكنها إنسان كل منهما ، فأنسان العصر الحجري القديم كان يعيش
صياداً متجولاً فوق الهضبة الممتدة بمحذاً التهر حيث كانت وفرة المطر
تسمح بذلك ، وأما إنسان العصر الحجري الحديث فقد هجر هذه الهضبة
بسبب موجة الجفاف التي كانت آخذة في الشدة واقترب من مجرى النيل
يعيش بقرية في قرى ثابتة معيشة استقرار . والأمر الثاني أن مواطن إنسان
العصر الحجري القديم الأعلى لم تقصد على نطاق واسع بل إن محلات العصر
الحجري الحديث نفسه لم يكشف معظمها بعد ، والأمر الثالث أن تطور
المظاهر العامة للصناعات ليس واضحاً ، إذ مازالت هناك حلقات كثيرة :

مفقودة في سلسلة تطور الصناعات بين العصر الحجري القديم وبين العصر الحجري الحديث .

وبشكل بعض علماء . أقل التاريخ في وجود حضارات مصرية من العصر الحجري الحديث بصرف أى ليس فيها أدوات نحاسية ولا أدلة على استخدام النحاس ولكن هذا الشك ليس له ما يبرره فقد وجدت في جهات كثيرة من مصر حفريات ليس هناك شك في نسبتها للعصر الحجري الحديث الصرف . ومثال ذلك مرمدة بني سلامة في غرب الدلتا ثم شاطي* العشرة* أمتار باليوم ثم منطقة مستجدة بمصر العليا . وقد قام بالحفر في هذه الجهات علماء ممتازون انبعوا أحدث الطرق العلمية مما يجعلنا نطمئن إلى النتائج التي وصلوا إليها .

ويظهر أن حضارة العصر الحجري الحديث بدأت تستقر في وادي النيل في دور الارساب الثاني^(١) حينما أخذ النهر يملأ واديه بالطمي الناعم الذي بلغ منذ العصر الحجري الحديث حداً كبيراً استحال معه الوصول إلى قاعدته في كثير من الحفر والآبار ، وأساساً خارج النوادي فقد وجدت آثار هذا العصر فوق الهضبة الليبية ، وكذلك وجدت محلاته في المعصرة ووادي الشيخ . ولكن الخفائر لم تجر في هذه الجهات بطريقة منظمة . ففي المعصرة الواقعة جنوب القاهرة بقليل لم تجر حفائر منظمة بقصد الكشف عن حضارة هذا العصر ، وإنما عثر على آثاره عرضاً في عمليات استخراج الرمال والحجارة اللازمة لأعمال البناء من هذه المنطقة . وكذلك في وادي الشيخ وراي سبور المجاور له — وهما واديان يمتدان في الجانب الأيمن للنيل بين الفتى ومغاغة — وجد شقيق كار مناجم من النمران في الحجارة الأيوسينية فيها آلات كثيرة غير تامة الصنع معظمها من النمران تستعمل في الأغراض الزراعية . وتوجد بعض وجوه الشبه بين هذه الحضارة وبين الصناعة الكينية في أوروبا . وكذلك وجدت كينتم* على طول الخط الحديدي بين أيدوس والواحة

(١) كان دور الارساب : العصر الحجري القديم حينما أخذ النهر يملأ واديه بالطمي الخشن .

الخارجة آلات من العصر الحجري الحديث مصنوعة من الصوان ومختلطة بقشر بيض النعام الذى يزداد كثرة كلما اقتربنا من الواحة ، ثم بالقرب من الواحة وجدت مناجم من حجر الصوان استغلت فى العصر الحجري الحديث . وكذلك فى منطقة الواحة الخارجة وجد الأمير كمال الدين حسين عدة محطّات من هذا العصر تزداد اتساعا وتزداد آلاتها اتقاناً كلما اقتربنا من منخفض الواحة . ويوجد تشابه بين هذه الآلات وبين آلات التيومم التى من نفس العصر .

ومنطقة التيومم من المناطق التى بحث بالتفصيل والتى يمثّل فيها منهج علم ما قبل التاريخ أحسن تمثيل . فالتيومم منخفض فى الهضبة الليبية مفصول عن وادى النيل بخط من التلال الواطئة ، ويشغل قاع هذا المنخفض بحيرة فارون التى كانت تسمى قديماً بحيرة موريس . وتصل مياه النيل إلى التيومم بواسطة أحد فروعه المسمى بحر يوسف وتنفذ إلى المنخفض من خلال ممر ضيق منحوت فى الحافة الليبية وهو الخائق المحصور بين اللاهون وقناة الهوارة . وقد وجد ساندفورد وآركل على ضفاف قناة الهوارة شاطئاً من الحصباء ارتفاعه ٣٦ متراً فوق مستوى سطح البحر عند طرفه القريب من النيل بينما يبلغ ارتفاعه عند الطرف الآخر ٣٤ متراً . وقد عثرا فى هذه الحصباء على آلات موسيرية مما يدل على أنه فى فترة الحضارة الموسيرية كانت قناة الهوارة تجرى بالماء ، فتغذى بحيرة فارون .

والبحيرة حالياً على مستوى ٤٥ متراً تحت سطح البحر ، ولكن الرواسب البحرية المنتشرة فوق سفوح المنخفض تدل على أن مستوى البحيرة كان قديماً أعلى منه فى الوقت الحاضر . وتنظم هذه الرواسب البحرية فى سلسلة من الشواطئ متدرجة فوق الشاطئ الحالى . وأعلى هذه الشواطئ ما وجدته ليشل على مستوى ٤٣ متراً فوق مستوى سطح البحر ، ويقابل هذا من الناحية الطبوغرافية مدرج ١٦ متراً من مدرجات النيل وهو مدرج الحضارة الأشولية^(١) . ومعنى هذا أن مستوى البحيرة انخفض من عهد

(١) يلاحظ أن شواطئ التيومم تقاس بالنسبة لمستوى سطح البحر وأن مدرجات النيل تقاس بالنسبة لمستوى السهل الفيضى .

الحضارة الأسولية حتي الوقت الحاضر ٨٨ متراً . ونجد بين أعلى هذه الشواطئ (٤٣ — ٤٠) وبين مستوى بركة فارون الحالي (٤٥ — ٤٠) بقايا حوالي ٣٠ شاطئاً أهمها الشواطئ ٤٠، ٣٤، ٢٨، ٢٣، ١٨، ١٠، ٤ من الأمتار فوق سطح البحر ثم الشاطئ ٢ متر تحت سطح البحر . وقد تعرف ساندفورد وآر كل على بقايا الشاطئين ٣٤ ، ٢٨ في جنوب شرق البحيرة ، كما تعرفت الآنستان تومسون وجاردنر على بقايا سائر الشواطئ في شمال البحيرة (انظر شكل ٤) .

وقد أمكن تحديد عمر هذه الشواطئ بما تضمه من حفريات وصناعة بشرية . فبقايا مختص بالصناعة البشرية أخرج الشاطئ ٤٠ صناعة للثلازية ، والشاطئ ٣٤ صناعة موسستيرية ، كما أخرج الشاطئان ٢٨ ، ٢٣ آلات من أواخر العصر الحجري القديم الأعلى ، وأخرج الشاطئان ١٠ ، ٤ آلات من العصر الحجري الحديث ، وأخرج الشاطئ ٢ آثاراً من أواخر العصر الحجري الحديث وكذلك أخرجت من نفس الشاطئ آثار من عصر ما قبل الأسرات بل وجدت فيه آثار من الأسرة الرابعة الفرعونية . ولا تفسير لهذا إلا بأن هذا الشاطئ يمثل فترة طويلة من فترات استقرار البحيرة على هذا المستوى ، ثم بعد الأسرة الرابعة أخذ مستوى البحيرة في الانخفاض سريعاً حتى وصل إلى المستوى الحالي وهو — ٤٥

هذا التدرج السلبي بالقيوم يمكن أن يتخذ مفتاحاً لمعرفة تدرج الحضارات بوادي النيل إذا ما قورنت آثار الوادي بآثار المنخفض . كما يمكن أن يتخذ هذا التدرج السلبي مقياساً زمنياً تحدد بمقتضاه أعمار الحضارات بالنسبة لبعضها في الوادي والمنخفض .

والقيوم غنية بآثار العصر الحجري الحديث ، وقد جمع كثيراً من هذه الآثار كل من دى مورجان وشيفنرت وستون كار ويدنل ، ولكن أحداً منهم إيهـر بحفائر منظمة في هذا المكان ، كما أنهم لم يكتبوا عنه إلا قليلاً ، إلى أن جاءت الآنستان كيتن تيمسون وجاردنر فقامتا بحفائر منظمة ونشرتتا نتائج أبحاثهما بالتفصيل .

والحلات التي كشفنا عنها تقع شمال بركة فارون فوق الشواطئ البحرية
١٠، ٤، ٢ — من الأمار. وقد أطلقنا على حضارة الشاطئ ١٠ اسم حضارة
القيوم ١ وعلى حضارة الشاطئ ٤ اسم حضارة القيوم ١ وأما الشاطئ
٢ — فيتبعه فرع من حضارة القيوم ١ أحدث في الزمن من الحضارة الأصلية.

وفي الحق أن حضارة قيوم (ب) — أصلها وفرعها — ليست بحضارة
متميزة عن قيوم (أ) وما هي إلا مرحلة تدهور حضاري من قيوم (أ). ويظهر
أن شاطئ البحرية لم يستمر كثيرا على مستوى ٤ متر مما لم يساعد على الاستقرار
الطويل على هذا الشاطئ، وهذا بدوره لم يساعد على الازدهار الحضاري بحيث
نشأ عليه حضارة متميزة عن الشاطئ ١٠ متر. ويؤكد هذه الحقيقة فحص
الآلات الحجرية فقد دل ذلك على أن آلات القيوم ب أقل انقانا في تشييدها
وصقلها وتنوعها من آلات القيوم (أ) الأقدم منها، كما لا نجد في القيوم (ب)
من الآلات الجديدة ما يبرر اعتبارها حضارة قائمة بذاتها ومن أجل هذا حق
عليها القول بأنها ما هي إلا حضارة متدهورة من القيوم (أ).

وأما الشاطئ (٢) حيث تستقر حضارة القيوم (ب) الحديثة فترجع أهميته
إلى دلالة على استقرار سطح البحيرة عند مستواه فترة طويلة من الوقت تمتد
من هذا العصر حتى الدولة القديمة. وأما من الناحية الأثرية فليس هناك مبرر
إلى اعتبار هذا الشاطئ وحدة حضارية قائمة بذاتها. ومما يضعف كيان
القيوم (ب) — أصلها وفرعها — كحضارة مستقلة أنه لم يعثر بها على بقايا
المساكن أو على آثار ثابتة من أي نوع، كما لم يعثر بها على أواني فخارية، بل إن
القول بوجود هذه الحضارة لا يعتمد إلا على الآلات الحجرية وهي من الآثار
القابلة للنقل التي لا يعتمد عليها وحدها في إقامة حضارة من حضارات العصر
الحجري الحديث ذي الحياة المستقرة والقرى الثابتة التي يعتمد أهلها على بعض
الزراعة واستئناس الحيوان.

إذا تركنا القيوم وانتقلنا إلى مناطق أخرى من مناطق العصر الحجري
الحديث التي أجريت فيها حفريات منظمة مثل ديرناسا والعمرى ومرمدا بني سلامة

تجد تشديد عصر هذه الحضارات لا يقوم على البضع الطباق: لا آثارها ولا على موقع المنطقة بالنسبة للمناطق المجاورة لها ، وإنما يحدد عصر هذه الحضارات بناء على نوع آثارها . ومثال ذلك أن حضارة ديرتاسا عُرفت من جبانة تشتمل محتويات مقابرها على أحجار لطحن الغلال وعلى فؤوس حجرية مصقولة وعلى ألواح حجرية لإعداد مواد الصباغة وعلى أواني فخارية ، وكل هذه الآثار من علامات العصر الحجري الحديث . ومع أن حضارة ديرتاسا لم تعرف إلا من المقابر بينما عرفت حضارة التفيوم (١) من المساكن إلا أنه أمكن القول بأن الحضارتين ترجعان لعصر واحد وأنهما متشابهتان في مظاهرها الحضارية ومتقاربتان في المستوى الحضارى ، ومن ثم يمكن إكمال احدهما بالأخرى أو ضم مساكن هذه إلى مقابر تلك لتكوين صورة تامة عن حضارة مصر في العصر الحجري الحديث .

وكذلك تقع حضارة مرمدة بنى سلامة في مستوى حضارتي ديرتاسا والتفيوم . وقد عرفت المميزات الحضارية لمرددة من المساكن والمقابر معا لأن أهل مرمدة كانوا يدفنون موتاهم داخل المساكن . وطريقة الدفن واحدة في كل من ديرتاسا ومرمدة والعمرى ، ويبدل شكل الجمجم على أنهم من أصحاب الرؤوس الطويلة

وهذه الحضارات المصرية في العصر الحجري الحديث التي لا يمكن تتبع جذورها في العصر الحجري القديم الأعلى تتشابه في كثير من المظاهر الرئيسية مع حضارة روبنهاوزيان (Robenhausian) في أوروبا ، قبل كانت الحضارة المصرية في العصر الحجري الحديث أصلا للحضارة الأوروبية في هذا العصر ؟ أو أن كليهما يرجع الى أصل مشترك في مكان ما بغرب آسيا أو شمال إفريقيا ؟

ويدل موقع قرى العصر الحجري الحديث بعيداً عن النهر على أن ظروف حياة الناحية كانت أقل صحراوية مما هي عليه الآن ، وبما يعزز ذلك بقايا جذور الأنجار بهذه المناطق ثم عظام الحيوانات المختلفة التي تدل على وفرة الطوبى قديماً في هذه الجهات الواقعة على حافة الصحراء في الوقت الحاضر .

ثالثاً — عصر النحاس

عرف النحاس لأول مرة في مصر في حضارة البدائي حوالى سنة ٥٠٠٠ ق م واستمر استخدامه غير مخلوط بغيره من المعادن حتى الأسرة الثانية عشرة حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م. إذ عرف البرز ابتداء من هذه الفترة. فكان عصر النحاس استمر قائماً بمصر مدة ثلاثة آلاف عام فاشتمل على المرحلة الأخيرة من عصر ما قبل التاريخ وعلى المرحلة الأولى من العصر التاريخي ولا يعني هنا إلا مرحلة الواقعة في عصر ما قبل التاريخ.

ومحلات عصر النحاس التي ترجع لما قبل التاريخ في مصر كثيرة العدد واسعة الانتشار في أجزاء القطر المختلفة نمردها فيما يلي :

١ — الكوم الأحمر (هيراكونبوليس) حيث حفر كويل وجرين فكشفا عن آثار القرية والجبانة .

٢ — أرمنت وحفر فيها روبرت موند ومايرز فكشفا عن القرية والجبانة .

٣ — نقادة وبلاص حيث حفر بترى وكويل فكشفا عن قريتين شمالية وجنوبية ثم عدة جبانات تضم حوالى ثلاثة آلاف مقبرة .

٤ — هو والأبهديّة وسماينة في إقليم ديوسبوليس بارفاً حيث حفر بترى فكشف عن خمس جبانات تضم ألفى مقبرة .

٥ — العمرة وحفر فيها مورجان وأميلينو حفراً غير منظم ثم حفر فيها مالك أثير وميس حفراً منظماً فكشفوا عن جبانتين تضم كل منهما حوالى ٤٠٠ مقبرة .

٦ — أيدوس وحفر فيها مالك أثير وميس ثم ناثيل وبِت فكشفوا عن أربع جبانات تضم حوالى ٢٥٠ مقبرة .

٧ — الخاسنة وحفر فيها جارسناج فكشف عن القرية وعن جبانة تضم حوالى ٢٥٠ مقبرة ، كما حفر فيها أيرتون ولوت فكشفا عن جبانة تضم حوالى ٦٠٠ مقبرة .

٨ — نجع الديرو وحفر فيها ليشجو فكشف عن جبانة تضم ٧٠٠٠ مقبرة .

٩ — البدارى وقار الكبير وهمامية ومستجدة حيث توجد عدة قرى من هذا العصر وعدة جبانات تضم حوالى ألف مقبرة، وقد حفرها جميعا برنتون فيما غدا قرية واحدة شمال الهمامية حفرتها كيتون تمسون .

١٠ — حراقة حيث توجد جبانتان صغيرتان تضم حوالى ٣٠ مقبرة وقد حفرها انجلباخ .

١١ — أبوصير الملق حيث توجد جبانة تضم حوالى ألف مقبرة وقد حفرها مولر ونشر أبحاثها شارف .

١٢ — جرزة حيث توجد جبانة تضم حوالى ٣٠٠ مقبرة وقد حفرها ويثريت .

١٣ — واطقة بالقيوم (فيلوتيرس) حيث توجد قرية حفرتها كيتون تمسون .

١٤ — المعادى حيث توجد قرية وجبانان وأول من عرف بها بوفيه لا يبير ثم حفر فيها بطريقة علمية منظمة مصطفى عامر وأزوالد منجني وابراهيم رزقانه ومازالت الحفائر قائمة حتى الآن فى القرية والجبانتين .

١٥ — جلوان ب (أو العمرى ب) حيث توجد قرية وجبانة وحفر فيها دى بونو ولم يتم حفرها حتى الآن .

١٦ — هليوبوليس حيث توجد جبانة وقد أخرج بعض هياكلها زكى نور ودى بونو ثم حفر فيها بطريقة علمية منظمة مصطفى عامر وابراهيم رزقانه ومحمد متولى .

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أن هذه القرى والجبانات تتجمع فى مجموعتين ، مجموعة جنوبية تنحصر بين الجندل الأول وبين مركز البدارى ومجموعة شمالية تنحصر بين عرض القيوم وبين قة الدلتا . ويفصل بين المجموعتين مسافة ٢٥٠ كيلو متراً لم تكشف فيها أية آثار من فترة عصر

النحاس السابقة للتاريخ فيما عدا زاوية الميتين التي كشفها فيل ولم تنشر النتائج الكاملة لحفائرهما بعد (أنظر الخريطة في شكل ٥) .

وقد اصطلح علماء الآثار المصرية على وضع حضارات عصر النحاس السابقة للتاريخ في مرحلة حضارية خاصة أطلقوا عليها اسم عصر ما قبل الأسرات ، غير أنهم يختلفون في تقسيم عصر ما قبل الأسرات نفسه ، فالبعض يقسمه تقسيماً زمنياً إلى قديم ومتوسط وحديث ، وقد قسمه بترى في بادئ الأمر إلى مرحلتين سماها الحضارة الأولى والحضارة الثانية ، ثم عاد وقسمه إلى ثلاث مراحل سماها العمرة وجرزة وسمانية .

وقد أطلق شارف على عصر ما قبل الأسرات اسم عصر نقادة وقسمه تقسيماً ثنائياً إلى نقادة الأولى وتشمل حضارة العمرة عند بترى وإلى نقادة الثانية وتشمل حضارتى جرزة وسمانية عند بترى ، أى أن شارف انبع تقسيم بترى الثانى مع اختلاف فى التسمية .

وأما ما برز فبأخذ بالتقسيم الزمنى لهذا العصر فيقسمه إلى قديم ومتوسط وحديث ، غير أن مدلول هذه الألفاظ يختلف عنده عن غيره من الكتاب . فهو يجعل عصر ما قبل الأسرات القديم شاملاً لمرحلة طويلة ويقسمه إلى اقسام فرعية يعطيها الأرقام ١ و ٢ و ٣ و ٤ . فأما رقم ١ فقد تركه بلا حضارة تقابله انتظاراً لما عساه أن يكتشف من آثار أقدم من ديرتاسا . وأما رقم ٢ فقد جعله ممثلاً لحضارة ديرتاسا ، وأما ٣ و ٤ فقد جعلهما ممثليين للبدارى والعمره على الترتيب . ولكن لا يأخذ أحد من الكتاب بتقسيم ما برز . وفيما يلي جدول يبين تقسيمات هذا العصر عند الكتاب المختلفين :

بترى	بترى	شارف	ما برز
السمانية	السمانية	عصر ما قبل الأسرات الحديث	عصر ما قبل الأسرات الحديث
جرزة	جرزة	عصر ما قبل الأسرات المتوسط	عصر ما قبل الأسرات المتوسط
العمره	العمره	عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٤	عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٤
		عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٣	عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٣
		عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٢	عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ٢
		عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ١	عصر ما قبل الأسرات القديم رقم ١

والتقسيم الشائع لحضارات هذا العصر هو ما أثبتناه في الجدول المبين في شكل ٦ مع اختلاف يسير هو أن معظم الكتاب في الوقت الحاضر لا يعترفون بأن حضارة سمانية حضارة قائمة بنفسها وذات مقومات خاصة وإنما يرون أنها ما هي إلا مرحلة متدهورة من حضارة جرزة . ولذلك يفضلون إلحاقها بحضارة جرزة وبذلك يعودون للتقسيم الثنائي لعصر ما قبل الاسرات وهو :

١ — عصر ما قبل الاسرات الأول أو نقادة الأولى أو العبرة .

٢ — عصر ما قبل الاسرات الثاني أو نقادة الثانية أو جرزة .

جدول يبين تسلسل الحضارات في مصر منذ العصر الحجري الحديث حتى الأسرة الأولى

الوجه القبلي	الوجه البحري والفيوم	التاريخ
الأسرة الفرعونية الأولى حصارة لجانة (ما قبل ب)	الأسرة المردونية الأولى	٣٢٠٠ قبل الميلاد
حصارة جرزة	حصارة المعادي	٤٠٠٠ قبل الميلاد
	مصر الجديدة	
	حلوان الثانية	
حصارة العبرة	(حلوان ب)	
حصارة البداري	حصارة الفيوم الثانية (فيوم ب)	٥٠٠٠ قبل الميلاد
	مرحلة سيلا	
	الفيوم الأولى (فيوم أ)	
حصارة دير تاسا	حلوان الأولى	٦٠٠٠ قبل الميلاد
	(العمرى أو حلوان أ)	

(شكل ٦)

نظام التأريخ التتابعى

ابتدع بترى نظاماً لتأريخ حضارات عصر ما قبل الأسرات يقوم على أشكال القطع الأثرية . وحاول أن يحدد التاريخ النسبى لحوالى ٩٠٠ مقبرة كُشفها فى نقادة وهو والأبعدية . ولما كانت الأوانى الفخارية هى أكثر القطع الأثرية شيوعاً فى المقابر ، هذا الى كثرة تنوع أشكالها فقد وجد بترى فى هذه الأوانى أحسن مقياس لتأريخها التتابعى . فآخذ فى تصنيف هذه الأوانى الى مجموعات أو الى عائلات بلغ عددها تسعا ورمز لكل مجموعة بحرف هجائى يمثل أول حرف فى اسم المجموعة باللغة الانجليزية فيما عدا المجموعة الخامسة وذلك على النحو الآتى :

B	عائلة الأوانى ذات القمة السوداء .	(black topped)
P	عائلة الأوانى المصقولة	(polished - red)
F	عائلة الأوانى ذات الاشكال التعرية	(fancy black)
C	عائلة الأوانى ذات الخطوط المتقاطعة	(cross-lined white)
N	عائلة الأوانى ذات الخطوط المنقورة	(incised black)
W	عائلة الأوانى ذات المقابض المموجة	(wavy handled)
D	عائلة الأوانى المزودة برسوم	(decorated)
R	عائلة الأوانى الخشنه (طينة رديئة	
	واحترق ردى)	(rough)
L	عائلة الأوانى الحديثة	(Late)

وتضم كل عائلة من هذه العائلات عدداً كبيراً من الاشكال ، فقام بترى بوضع الحرف الذى يمثل العائلة على كل آنية وبجانبه رقم لكل شكل لكي تعرف به داخل عائلتها ، وبذلك حصل على سجل وافى بأوانى عصر ما قبل الأسرات . ثم وزع محتويات التسعة مقبرة بين العائلات التسع فبين له من أول وهلة أنه لا توجد مقبرة من المقابر تجمع بين عائلة C وعائلة W ومعنى هذا أن هاتين العائلتين لم تكونا معاصرتين لبعضهما . ولما كانت العائلة W توجد أيضاً بمقابر الأسرات الاولى بينما لا توجد العائلة C بمقابر هذه الأسرات اطلاقاً

فقد استنتج بترى من هذا أن المقابر المحتوية على العائلة C أقدم وجودا من المقابر المحتوية على العائلة W .

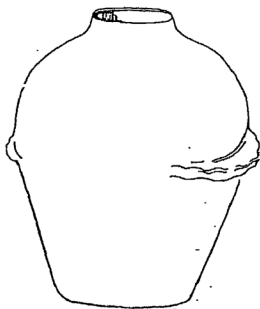
كما لاحظ بترى أن العائلة W تضم عدداً كبيراً من الأشكال التي يظهر أنها كلها ترجع إلى أصل واحد ثم تسلسلت عن هذا الأصل بالتغير التدريجي وبذلك تعددت أشكالها . وقد أعطى بترى للشكل الأصلي الرقم ١ وبذلك يكون رمزها الكامل W1 ويعتبره بترى أكل أشكال العائلة W وأقدمها في نفس الوقت ، ثم أخذت تتسلسل منه أشكال أخرى اعتبرها أحدث زمناً وأقل اتقاناً ووصل في تعداده لهذه الأشكال المتسلسلة إلى الرقم ٩٠ . ومعنى هذا أنه بينا الآتية W1 أقدم وأواني هذه المجموعة زمناً وأنها شكلاً نجد الآتية W 90 أحدث وأوانها زمناً وأحطها شكلاً ثم تتدرج بينهما سائر الأرقام . (أنظر شكل ٧) .

ثم عمد بترى إلى عائلات الأواني B و P و R فرتبها ترتيباً زمنياً حسب وجودها مع أرقام العائلة W . كما اعتبر بترى العائلة L أحدث عائلات الأواني لأنها تشترك في الشكل مع أواني عصر الأسرات . وأما العائلة D فقد رتبها بترى حسب الرسوم التي عليها وقسمها إلى مجموعات بحيث توضع الأواني ذات الرسوم المتشابهة في مجموعة واحدة .

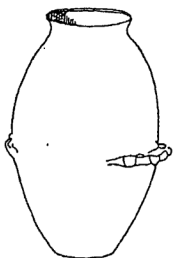
وبعد أن انتهى بترى من ترتيب العائلات C و W و B و P و R و L و D على النحو السابق بقيت لديه بضع مئات من الأواني لم يستطع تحديد تاريخها بالنسبة للعائلة W ولا بالنسبة للعائلة L لأنها لم توجد مختلطة مع هذين النوعين . فعمد بترى إلى ترتيبها بحسب رقم أشكال العائلات B و P و R التي سبق أن حدد تاريخها بالنسبة للعائلة W فحصل بذلك على مجموعة من البطاقات تضم صفر ١٤٢٣٤٥٦٧٨٩١٠ من هذه الأشكال . فإذا عملت نسبة أواني العائلة C التي تحتويها كل مجموعة من هذه المجموعات لوجدناها تكون 1/١٠ المجموعة صفر و 1/١٠ من المجموعة ١ و 1/١٠ من المجموعة ٢ ثم تختفي الأواني C في المجموعات ٣ و ٤ و ٥ و ٦ فخرج بترى من ذلك بنتيجة هي أنه مضت مدة بين اختفاء الأواني C وبين ظهور الأواني W وأن أشكال العائلات B و P و R المراقبة للعائلة C هي أكثرها قدماً .



٤٢



١



٤



٥٢

(شكل ٧)

يبين تدهور المفاتيح الموجة بين الرقم W 1 والرقم 90 AV



تابع (شكل ٧)

يبين تدهور المقاييس الموجبة بين الرقم ٧١ والرقم ٩٠

وفي البطاقات السابقة المحتوية على الأرقام صفر و١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦
من أشكال الاواني B و P و R المختلطة بالشكل W وجد أن نسبة الاواني
P و B المختلطة بالواني C بالترتيب الآتي ١,٢ و ١,٦٧ و ٢,٥ و ٣,١ و ٤,٠
وصفر، وفي حين أن الاشكال B و P و R المختلطة بالواني C يقل عددها
تدريجياً، نجد أن هذه الاشكال المختلطة بالشكل W يزداد عددها تدريجياً.
فتمكن بترى من ذلك من ترتيب تتابع هذه الاشكال الثلاثة B و P و R
السابقة لظهور الشكل W وبطبيعة الحال سابقة لجميع الاشكال المرتبطة بها.
وأخيراً قسم بترى أوانٍ مقابره التسعائة إلى خمسين مجموعة بـ ب
المقياس السابق وأعطاها أرقاماً تبدأ برقم ٣٠ وتنتهي برقم ٧٩

وهذه الأرقام هي ما سماها بترى بالتأريخ التتابعى (Sequence Dating). فالرقم ٣٠ يمثل أقدم المقابر بين التسعمائة مقبرة التى فحصها بترى وبني عليها تأريخه ، وأما الأرقام من ١ إلى ٢٩ فقد تركها بترى لما عساه أن يظهر من مقابر أقدم من مقابر التسعمائة المشار إليها . ولقد كان هذا الاحتياط من بترى عظيم الفائدة فقد كشف برنتون بعد ذلك حضارة البدارى التى دلت دراستها على أن مقابرها أقدم من أية مقبرة فى مجموعة بترى أى أقدم من الرقم ٣٠ . وأما الرقم ٧٩ فقد جعله بترى معاصراً للحكم الملك مينا أى لسنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، وهذه هى الصلة الوحيدة بين تأريخ بترى التتابعى وبين التأريخ العام . وقد لاحظ بترى بحق أنه من الصعب أن يربط أرقامه — فيما عدا الرقم ٧٩ — بالسنوات ، فالزمن ليس واحداً بين كل رقم ورقم ، وكل ما فى تأريخه التتابعى أنه عبارة عن ترتيب ، فهذا يسبق ذاك وهذا يأتى بعد ذاك ولكن لا يمكن إعطاء سنوات ولو تقريبية لهذا وذاك .

وقد أخرج بترى فى ١٩٠١ كتابه (Diospolis Parva) الذى يضم سجلاً بأشكال الأواني الفخارية فى عصر ما قبل الأسرات وأتبعه بسجل آخر فى سنة ١٩٢١ (Corpus of Prehistoric Pottery) أعطانا فيه شكل كل آنية معروفة حينذاك وبيان موقعها من التأريخ التتابعى ، ونستطيع بفضل هذا السجل أن نضيف إليه ما كشف من أواني بعد نشره ، كما نستطيع أن نحدد بمقتضاه تأريخ المقابر التى كشفت من بعده .

والنظرية التى قام عليها تأريخ بترى التتابعى مقبولة لأنها تنبنى على أن تقليد الشيء أقل كمالاً من الأصل ، ثم إن تقليد التقليد أكثر بعداً عن الأصل ، وهكذا كلما تدرجتنا فى الحداثة ابعدنا عن الأصل . ولكن وجد أن هذه النظرية التى انطبقت على الأواني الفخارية لم تنطبق على الأشياء الأثرية الأخرى كاللوحات الحجرية المشكّلة على هيئة حيوانات ، فإن اللوحات الأحدث تكون أكل تصويراً لشكل الحيوان من اللوحات الأقدم بسبب رقى الفن ،

ومن ثم كانت أكل اللوحات الحجرية موجودة في المقابر مغطاة بأحط
 الاواني الفخارية . ومع أن هذا الارتباط ليس مضطرباً في جميع الاحوال
 إلا أنه يدل على أن المقابر لوربتت بحسب هذه اللوحات الحجرية لكان
 ترتيبها مغايراً لترتيبها حسب الاواني الفخارية . ومعنى هذا أن المقياس الذى
 اتخذته بترى لتأريخه التتابعى ليس بلا عيوب ، يضاف إلى هذا أن العمليات
 التى قام بها للوصول الى هذا التأريخ معقدة وكثيرة العدد . ويبلغ عددهذه العمليات
 ثمانية عشرة على الأقل ، منها العملية السادسة عشرة التى تقوم على المراجعة
 الموضوعية والفنية للاواني الفخارية . والمراجعة الموضوعية والفنية
 تقديرية تختلف نتيجتها باختلاف ذوق الاثرى ووجهة نظره . فلو قام أثرى
 آخر بعمل التأريخ التتابعى معتمداً على نفس التواعد التى وضعها بترى فانه
 سيصل حتماً الى نتائج مختلفة عن النتائج التى وصل إليها بترى ، إذ من المستحيل
 أن نجد اثنين يتفقان مع بعضهما اتفاقاً تاماً في النظرة الموضوعية والتقدير
 الفني للآثار .

ولقد قبل معظم الأثريين تأريخ بترى التتابعى ولكن بعضهم لم يقبله إلا
 بحفظ ، فقالوا إنه من الجائز أنه ينطبق على الإقليم الذى خصه بترى وهو
 الصعيد الجنوبي ولكنه لا ينطبق على جهات القطر الاخرى سواء في الصعيد
 الشمالى أو الدلتا أو النوبة . ولقد قال كل من ريزنر وفيرث وينكر وشارف
 بأنهم لا يستطيعون استخدام تأريخ بترى التتابعى لتأريخ الجبانات التى كشفوها
 في شمال مصر وبلاد النوبة إذ وجد أنه لا ينطبق عليها .

وقد رتب بترى ومدرسته حضارات عصر ما قبل الأسرات تبعاً للتأريخ
 التتابعى على النحو الآتى :

حضارة البدارى تمتد من ٢١ الى ٢٩

حضارة العمرة تمتد من ٣٠ الى ٣٧

حضارة جرزة تمتد من ٣٨ الى ٦٠

حضارة سمينة تمتد من ٦١ الى ٧٨

وقد وجد أن هذا التوزيع العددي بين الحضارات لا يتفق مع الترتيب الطباقى فى الهامية، إذ وجد بين طبقة البدارى وبين طبقة العمرة ثم بين طبقة العمرة وبين طبقة جزرة طبقة متوسطة تختلط فيها آثار أقدم الحضارات بآثار أحدثها، وهذا أمر طبيعى لأن الانتقال الحضارى يكون متدرجا فى العادة ولا يتم فجأة كما نفرض الأرقام التى وضعها بترى. فنحن لا نستطيع إطلاقا أن نقول هنا تنهى حضارة كذا وتبدأ حضارة كذا. يضاف الى هذا أمر هام هو أن بترى لم يراع التوزيع الجغرافى لحضارات العصر الذى أراد تأريخه. فمن الثابت أن حضارة جزرة لا تتمثل بوضوح فى الصعيد الجنوبى إلا ابتداء من الفترة الوسطى من عصر ما قبل الأسرات فى حين أنها وجدت فى مصر الشمالية قبل هذه الفترة، فبينما كان الشمال فى دور حضارة جزرة كان الجنوب مازال فى دور حضارة العمرة.

ونستطيع أن نستخلص من هذا كله أن جدول الحضارات كما رتبته بترى لا ينطبق إلا على الصعيد الجنوبى.

غير أن أخطر نقد وجه الى نظام التأريخ التتابعى ما قالت به باوم جارتل إذ لوصح نقدها لوجبت إعادة النظر فى هذا النظام وفى ترتيب الحضارات الذى قام عليه. فالدكتورة باوم جارتل تقول إن بعض أوائى المجموعة ١٧ — وهى المجموعة ذات المقابض المموجة — مشكوك فى تاريخها وضربت مثلا لذلك بالآنية رقم ١ فى هذه المجموعة فقالت أنها مشتراه ولا تعرف المقبرة التى أخرجت منها. ولما كان تأريخ بترى التتابعى يقوم على تطور هذه المجموعة فإن أى شك يحوم حول أحداها يقوض أساس التأريخ كله. ونحن مضطرون الى أن ننظر الى كلام باوم جارتل بعين الاعتبار فهى من أكثر الناس دراية بمجموعة بترى الأثرية لأنها كانت مكلفة من قبل جامعة لندن بعمل كتالوج لهذه المجموعة.

على أن باوم جارتل لا تنكر على بترى عبقرية فى استنباط فكرة التأريخ التتابعى ووضع نظام له مبني على بلوغ من عيوبه، فانه يساعد على تقسيم عصر ما قبل الأسرات الى مرحلتين الرئيسيتين ولكنها تشك فى التواريخ النسبية المعطاة للآثار

في داخل كل مرحلة ، وهي من أجل هذا ترى أن التاريخ التابع في حاجة إلى مراجعة دقيقة وإلى تجديد كبير بحيث يدخل الآثريون في حسابهم نتائج الحفائر التي عملت بعد عهد بترى .

الربط بين الحضارات المصرية وبين حضارات بلاد النهرين

لما كانت حضارات بلاد النهرين تعتبر منافسة للحضارات المصرية في عصر ما قبل الأسرات فقد حاول الآثريون الربط بينهما ربطاً تقافياً وزمنياً .

ففي العراق أمكن التمييز بين ثلاث مراحل حضارية تعتبر من أجل زمنية في نفس الوقت هي العبيد والوركاء وجمدة نصر ، وبقي بعد الحضارة الأخيرة عصر الأسرات . ويرى شارف أن حضارة العبيد تقابل النصف الأول من المرحلة الأولى لعصر ما قبل الأسرات المصري ، وأن حضارة الوركاء تقابل النصف الثاني من هذه المرحلة الأولى ثم النصف الأول من المرحلة الثانية . وأما حضارة جمدة نصر فتقابل النصف الثاني من المرحلة الثانية لعصر ما قبل الأسرات المصري ثم المرحلة الثالثة كلها ، ثم مرحلة ما قبل طينة ، أي المرحلة التمهيدية لقيام الأسرة الفرعونية الأولى ، أي أن الاسرتين المصريتين الأولى والثانية — وهما الأسرتان الطينيتان — تقابلان الأسرات العراقية الأولى . ولكن ديلاپورت يرى رأياً مخالفاً لهذا فهو يقول إن حضارة العبيد تقابل كل عصر ما قبل الأسرات المصري بمراحله المختلفة . ثم تأتي حضارة الوركاء فتقابل مرحلة ما قبل طينة ثم تأتي جمدة نصر فتقابل المرحلة الطينية نفسها أي الاسرتان الفرعونيتان الأولى والثانية .

وأما في إيران فينبغي التقسيم التاريخي على الترتيب الطبق بمنطقة صوصة . ويحقق كل من شارف وديلاپورت على أن حضارة صوصة الأولى معاصرة لحضارة العبيد ، ومرحلة الانتقال معاصرة لحضارة الوركاء ، وصوصة الثانية معاصرة لحضارة جمدة نصر والاسرات الأولى في العراق ، وأما في مصر فتعاصر أواخر عصر ما قبل الأسرات وأوائل عصر الأسرات .

ونستطيع أن نلخص ترتيب الحضارات في عصر ما قبل الاسرات في كل من مصر والعراق وإيران ووضع كل منهما بالنسبة للأخرى في الجدول الآتي :

مصر	العراق	ايران
الأسرة الأولى (طينة) ما قبل طينة	الأسرة الأولى	مصرسة الثانية
جرزة	جدة نصر	
المادى	أوركا	مرحلة انتقال
هليوبوليس		
حلوان		
المعرة	الميد	مصرسة الأولى
البدارى		

بعض المراجع

1. Burkitt (M.C.) The Old Stone Age, Cambridge 1949.
2. Goury (G.) Origine et Evolution de L'Homme, Paris 1948.
3. Lips (J.E.) The Origin of Things, London 1949.
4. Massoulard (E.) Prehistoire et Protohistoire d'Egypte, Paris 1949.
5. Petrie (F.) Corpus of Prehistoric Pottery and Palettes, London 1921.
6. Caton Thompson (G.) & Gardner (E.W.) The Desert Fayum Gloucester, Britain 1934.
7. Caton Thompson (G.) The Prehistoric Geography of Kharga Oasis, The Geographical Journal. Vol. 80, 1932.
8. De Pradenne (A.V.) Prehistory, London 1940.
9. Baumgartel (E.J.) The Cultures of Prehistoric Egypt, London 1947.
10. Zeuner (F.E.) Dating The Past, London 1950.

سكان مديرية البحيرة في خمسين عاما

(١٨٩٧ - ١٩٤٧)

القسم الثاني

بقلم

الركنور محمد محمود الصياد

(٣)

توزيع كثافة السكان

النيل وكثافة السطوح

تختلف درجة كثافة السكان من منطقة الى أخرى ويرجع السبب الأول في هذا إلى اختلاف الظواهر الطبيعية كالمسطح والتربة والمناخ ^(١) . ولكن بجانب هذه الظواهر توجد عوامل بشرية يجب ألا تغفلها، وإلا استعصى علينا تعليل اختلاف درجة تراحم السكان في البيئة الواحدة في أوقات مختلفة .

وبين الجدول الثاني عشر الخاص بكثافة السكان في مديريات الوجه البحرى أن هناك علاقة وثيقة بين كثافة السكان وموقع المديرية بالنسبة للنيل فالنوعية التي تقع عند انفراج الدلتا مباشرة ، وبهذا تفوق المديريات الأخرى تمتعا بالنيل طميا وماء ، كانت دائما أولى مديريات الوجه البحرى كثافة سكان ثم تليها مديرية القليوبية التي لا تشعب بعيداً عن النيل ، فالدقهلية التي وإن لم تكن حدودها تسير شوطاً طويلاً مع فرع دمياط إلا أنها تتسع نحو الشرق كلما اتجهنا نحو الشمال فتصبح بها مراكز لا تشرف على النيل ولا تصل إليها المياه

(١) راجع الفصل الذي كتبه هوش (٣٦ :٠ من الانسان والبيئة ص ٧٥ - ١٠٥

الجدول الثاني عشر

كثافة السكان في مديريات الوجه البحري في السنة تعدادات
(١٨٨٢ — ١٩٣٧)

عدد السكان لكل كيلو متر مربع					
١٩٣٧	١٩٢٧	١٩١٧	١٩٠٧	١٨٩٧	١٨٨٢
٢٣٦	٢١٧	١٩٨	١٧٠	١٤٠	٨٨
٤٦٣	٤١٠	٣٧٥	٣٣٣	٢٨٢	٢٢٥
٢٢٢	٢٠١	١٨٩	١٦٩	١٤٤	٨٨
٢٨٠	٢٥٥	٢٣٦	٢١١	١٨٤	١٢١
٦٥٠	٥٩٦	٥٦٤	٤٩٥	٤٢٣	٢٨٩
٧٢٨	٦٩٣	٦٧٣	٦٠٩	٥٤١	٤١١

إلا بعد أن تكون قد مرت على مساحات واسعة استنفدت الجزء الأكبر من مياهها ، ويشبه الدقهلية في تشعبها بعيداً عن النيل مديرية الشرقية ، وإن تكن تختلف عنها بل عن مديريات الوجه البحري جميعاً في أنها المديرية الوحيدة التي لا يكون نهر النيل أى جزء من حدودها . ومن ثم أدت طبيعتها شبه الصحراوية إلى انخفاض كثافة السكان فيها فأصبحت أقل منها في أى مديرية أخرى .

أما الغربية فهي وإن تكن واقعة بين فرعي النيل إلا أن الفرعين يتعدان كلما اتجهنا شمالاً ثم إن الترع تصل إلى المديرية بيد أن تسير في مديرية المنوفية غالباً لمسافة طويلة تفقد فيها قدراً كبيراً من مياهها . ولهذا كانت كثافة السكان في الغربية أقل دائماً من نصف كثافتهم في المنوفية .

والى الغرب من فرع رشيد تمتد مديرية البحيرة فتشمل كل أراضي الدلتا الواقعة على الضفة اليسرى للنهر وتمتد متوغلة نحو الشمال الغربي في صحراء ليبيا ، فيشرف بعض مراكزها على النيل ويشرف البعض الآخر على الصحراء ، وقد يشرف المركز الواحد على النيل والصحراء معا أو يشرف على النيل

والبحر والبحيرات . ويضاف إلى هذا أن المديرية كما يقول السير ويليام ويلكو كس : « أكثر المديريات صعوبة فيما يختص بالرى^(١) » . ومن ثم كانت غير متكاثفة السكان بالنسبة للمديريات باستثناء مديرية الشرقية التي تقل عنها ازدحاماً .

من هذا العرض السريع لمديريات الوجه البحري نخرج بالحقيقة التالية وهي « أن أكثر المديريات ازدحاماً بالسكان هي أقربها إلى النيل ، ذلك لأن عوامل العمران الزراعى أكثر توافراً فيها ، فهي أخصب المديريات أرضاً ، وأوفرها ماء ، وأسهلها مواصلات ، وأن أقل المديريات ازدحاماً بالسكان هي أبعداها عن فرعي النيل لأنها أضعفها أرضاً وأكثرها بوراً وأشدّها حاجة إلى ماء الرى وإلى طرق المواصلات » .

كثافة السكان في مديرية البحيرة

هذه العلاقة بين النيل وكثافة السكان تظهر واضحة في مديرية البحيرة التي يقع بعض مراكزها على النيل ويتشعب البعض الآخر بعيداً عنه ولذا كانت الأولى في مجموعها أكثر سكاناً من الأخرى وكانت نسبة الأراضي البور الى مجموع زمامها أقل منها في المراكز المتشعبة بعيداً عن النيل ، كما يوضح ذلك الجدول الثالث عشر ، وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن نقسم مراكز البحيرة الى مجموعتين :

١ — مراكز تشرف على النيل ، وهذه تزيد نسبة الكثافة فيها عن متوسط كثافة المديرية (٢٣٦) وتشمل المحمودية (٥٢٠) وكوم حمادة (٤٣٨) وإبناى البارود (٤٠٣) وشبراخيت (٣٨٨) . ثم مراكز رشيد وبشذ عن المراكز السابقة في أن كثافة سكانه أقل من متوسط الكثافة في المديرية (١٦٥) ولكن السبب في ذلك هو أن مساحته الجغرافية تزيد كثيراً عن زمامه الزراعى إذ تشمل مسطحات « بحيرة ادكو » ومنطقة الكبشان الرملية المحصورة بينها وبين ساحل البحر الأبيض المتوسط .

(١) ويلكو كس (١٨٩٩) ص ٩٨ . Egyptian Irrigation. 2nd. Ed.

الجدول الثالث عشر

كثافة السكان ومساحة البور في مراكز مديرية البحيرة

كثافة السكان في كل م. ١٩٣٧	١٩٤٥ — ١٩٤٤			١٩٣٧ — ١٩٣٦			المركز
	نسبة ٢ الى ١ ٪	٢ مساحة البور	١ الاراضي الزراعية	نسبة ٢ الى ١ ٪	٢ مساحة البور	١ الاراضي الزراعية	
٧٧	٧٠ر٠	١٧٢٤٧٠	٢٤٤٨٣٤	٥٨ر٢	١٢٤٢٥٥	٢١٢٣٦٦	أبو المطامير .
١٨٩	٣٥ر٢	٤٩٠٣٤	١٣٩٠٣٢	٤٤ر٢	٦١٤٩٤	١٣٩١٢٦	أبو حص .
١٩١	٣٢ر٤	٣٠٤١٩	٩٣٦٣١ ^(١)	٤٢ر٦	٣٩٧٨٩	٩٣٤٢٥	الدلتحات .
٩٤	٣٨ر٨	٨٧٩٣٧	٢٠٢٨٨	٣٩ر٠	٦٧١٨٩	١٧٢٢٨٠	كفر الدوار
٢٣٢	١٢ر٤	١٣٨٢٢	١١١٣٣٧	١٧ر٠	١٨٩٩٦	١١١٢٠١	مركز دمنهور
١٦٥	٧٦ر٨	٧٨٤٣٣ ^(٢)	١٠٢١٠١	٣٤ر١	٣٧٧٧٩	١١٠٦٧٩	رشيد .
٤٣٨	٣٣ر٣	٢٩٧٣٣ ^(٣)	٨٩٢٠٩	٨ر٩	٦٢٠٥	٦٨٥٩٥	كوم حاد .
٥٢٠	١٥ر٥	٤٨٨٤	٢٤٩٨٩	٩ر٤	١٨٦٨	١٩٨٧١	المحمودية .
٣٨٨	٦ر٢	٣٨٠٥	٦٠٤٤٢	١٠ر٥	٦٦٣٧	٦٣٢٠٤	شبراخيت .
٤٠٣	٧ر٢	٥٣١٨	٧٣٦٣٢	١١ر٤	٧٣٥٦	٧٧٥٩٠	إيتاي البارود

٣ — مراكز تشعب بعيداً عن النيل وهذه تقل نسبة الكثافة فيها
عن متوسط كثافة المديرية وتشمل دمنهور (٢٣٢) وكفر الدوار (١٩٤)
والدلتحات (١٩١) وأبو حص (١٨٩) وأبو المطامير (٧٧) .

هذا التقسيم العام لا يعطى فكرة صادقة عن كثافة السكان في جهات
المديرية المختلفة ، إذ أن أساسه المركز ، وقد يكون المركز من الاتساع
واختلاف الظروف المحلية بحيث يختلف شماله عن جنوبه وشرقه عن غربه
ولهذا كان لا بد من دراسة الكثافة في أصغر الوحدات الادارية وهي القرية

(١) تشمل عشور الاسكندرية ومريوط والبلدية .

(٢) تشمل أراضي بحيرة ادكو .

(٣) تشمل الاراضي الصحراوية في المركز .

الجدول الرابع عشر

المساحة الحالية لمراكز مديرية البحيرة وكثافة السكان في كل منها
في السنة تعدادات (١٨٨٢ — ١٩٣٧) ^(١)

المركز	المساحة الحالية ك. م ^٢	عدد السكان بكل كيلو متر مربع					
		١٨٨٢	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧
أبو حمس . .	٥٨٤١	٤٣	٩٣	١٢٠	١٤٤	١٦٥	١٨٩
أبو المطاير .	٨٩٧٠	٦	٢٣	٤٣	٤٩	٦٧	٧٧
إيتاي البارود	٣٠٩١	٢٠٤	٣١١	٣٣٣	٣٨٢	٤٠١	٤٠٣
الدكنجات . .	٣٩٢٧	٧٨	١٥٨	١٧٦	١٩٥	١٨٧	١٩١
بندر دمنهور .	٦٠	٣٧٨٤	٥١٦٣	٥٦٩٠	٦٧٧٧	٨٦١٨	١٠٣٣٧
مركز دمنهور	٤٥٦٨	٧٧	١٣٥	١٦٤	١٩٣	٢٢٠	٢٣٢
رشيد . . .	٤٥٠٥	٧٢	٨٢	٩٤	١١٥	١٣٧	١٦٥
شبراخيت . .	٢٥٤١	٢٣٥	٢٧٨	٣١٩	٣٤٨	٣٦٢	٣٨٨
كفر الدوار .	٦٨٢٠	٢٤	٦٣	١١٢	١٥٤	١٧٦	١٥٤
كوم حمادة .	٣٧٨٠	٢١٩	٣٣٣	٣٨١	٤٢٠	٤٢٧	٤٣٨
المحمودية .	٨٥٠٩	٣٣٧	٣٠٧	٣٨١	٤٢٣	٤٢٣	٥٢٠
البحيرة . .	٤٤٩٦٢	٨٨	١٤٠	١٧٠	١٩٨	٢١٧	٢٣٦
القطر المعري	٣٤١٨٣٨	١٩٥	٢٨١	٣٢٦	٣٧١	٤١٢	٤٦٣

ولقد وضعت لهذا الغرض خريطة كثافة السكان المرفقة بهذا البحث وكان
أساسها الأرقام الواردة في تعداد سنة ١٩٣٧ ^(٢) .

بناء على هذه الخريطة نستطيع أن نقسم مديرية البحيرة من حيث كثافة
السكان فيها إلى المناطق الآتية :

١ — مناطق أقل من ١٠٠ نفس في الكيلو متر المربع وتشمل كل
الأراضي الواقعة إلى جنوب ترعة الخارج في مركز أبو المطاير وبعض

(١) راجع كتاب التعداد لسنة ١٩٣٧ ج ٢ الجدول السابع .

(٢) تعداد السكان لسنة ١٩٣٧ الكراسة رقم ١٢ الخاصة بمديرية البحيرة .

أراضي المركز الواقعة في شمال تلك التربة في الجهات الشرقية من المركز نفسه (منطقة حرارة) حيث توجد التربة الرملية . وفي جنوب مركز دمنهور (منطقة البرنوجي) حيث التربة الملحية . كما تشمل مناطق واسعة تحيط ببحيرة إدكو من الشرق والجنوب ، وهي في الشرق أضيق منها في الجنوب إذ يبدأ أمر الاقتراب من النيل يظهر واضحاً في تراحم السكان .

٢ — مناطق من ١٠٠ إلى ١٩٩ نفساً في ك . م . وتشمل بقية مركز أبو المطامير . وكل مركز كفر الدوار ماعدا الجهات الشمالية الشرقية منه . والمنطقة المحصورة بين مصرف العموم ومصرف شريشة في مركز أبو حصص . وأقصى الشمال الغربي من مركز الدلنجات (منطقة أبو الشفاف والحجر المحروق) . والمناطق الساحلية الممتدة بين البحر الأبيض المتوسط وبحيرة إدكو . ثم قطعاً متفرقة في مركز كوم حمادة في الشريط الضيق من الأراضي الزراعية الممتد على طول رياح البحيرة وكذلك بعض جهات مراكز دمنهور وشبراخيت وإتاي البارود التي تسود فيها المسكيات الكبيرة وأبلاك الاوقاف بصغة خاصة .

٣ — مناطق من ٢٠٠ إلى ٣٩٩ نفساً في ك . م . وتشمل أكثر من نصف المدينة فتضم معظم مراكز إتاي البارود وشبراخيت ودمنهور والمحمودية . وتمتد في شريط ضيق على طول نهر النيل حتى مدينة رشيد .

٤ — مناطق من ٤٠٠ إلى ٥٩٩ نفساً في ك . م . وتمثل في معظم مراكز كوم حمادة وفي مناطق متفرقة على طول فرع رشيد وعلى ضفاف ترعة المحمودية .

٥ — مناطق من ٦٠٠ إلى ٧٩٩ نفساً في ك . م . : في مركز كوم حمادة (منطقة زاوية البحر وكفر بولن) حيث يبدأ تفرع الترع الرئيسية في أندرية (النوبارية وأبودياب وامتداد رياح البصرة) وفي المناطق الزراعية حول البناذر الكبرى كدمنهور وكفر الدوار وكوم حمادة .

٦ — مناطق من ٨٠٠ الى ٩٩٩ نفساً في ك. م^٢ وتمثل في بعض القرى القديمة في مركزى شراخيت وكوم حمادة .

٧ — مناطق أكثر من ألف نفس في الكيلو متر المربع وتمثل في البنادر الكبرى (دمهور — كفر الدوار — رشيد — المحمودية — أبو حصص) ولكن من الأصوب أن نعتبر هذه البنادر منفصلة عن تقسيمنا وأن نقيم كثافة السكان فيها على ضوء العوامل العامة التي تحدد نمو المراكز الحضرية .

وأهم ما يلاحظ على هذا التقسيم (راجع خريطة الكثافة) هو التدرج من المناطق الكثيفة السكان في الشرق والجنوب الشرق الى المناطق المخلطة الكثافة في الغرب والشمال الغربى . هذا التدرج يرتبط بتدرج العوامل الطبيعية والاقتصادية في المديرية . أى يرتبط بالسطح والتربة من جهة ، وتوفر الماء الرى وسهولة الصرف من جهة أخرى . فإذا ألقينا نظرة على الخريطة الكتتورية لمديرية البحيرة نجد أن الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية ترتفع الى (٨-٤ متر) ثم يأخذ السطح في الانخفاض التدريجى كلما اتجهنا شمالاً وأغرباً حتى يصبح الجزء الأكبر من مركزى أبو المطامير وكفر الدوار واقعا تحت مستوى سطح البحر . وهذا يساعد على سهولة صرف الجهات الجنوبية الشرقية من المديرية بينما يجعل الأجزاء الشمالية والغربية رديئة الصرف كثيرة الاملاح . ولهذا كان إقليم البرارى قليل الخصب محدود الانتاج منتشر السكان على حين كانت جهات الجنوب والشرق وفيرة الخصب موفورة الانتاج مزدهرة بالسكان .

ولكن التربة ومبلغ خصوبتها وإن كانت قد أثرت كثيراً في توزيع سكان المديرية إلا أن هناك عاملاً آخر يجانبها يجب ألا تغفله وهو مياه الرى وكيفية الحصول عليها . فالمديرية كلها خاضعة لنظام الرى الدائم ولكن معظم ترعها سيئ التخطيط ولذا كانت الاجزاء الواقعة عند نهايات الترع وخاصة في الغرب لا تحصل دائماً على كفايتها من الماء خصوصاً وأنهم كثيراً ما يساء استعمال المياه في الأحباس الأولى من تلك الترع . ولما كان إيراد مياه النيل في الصيف

لا يبقى في معظم السنين لسد حاجة الأراضى المزرعة في الوقت الحاضر^(١) فقد أصبح العمل على جعل موارد الماء كافية لحاجات الزراعة المتزايدة هو المشكلة الأولى التي تواجه المشرفين على شئون الري . والواقع أن عدم توفر مياه الري في الصيف هو أكبر عقبة تقف في سبيل إصلاح الأراضى البور الواسعة في غرب المديرية وشمالها إذ أن هذه الأراضى المالحة تتطلب غسلا مستمرا وغمرا متكررا بالمال . و يفوق الارز في أغراض الاستصلاح أى محصول آخر ، ولكن مساحة الأراضى التي يصرح بزراعتها أرزا تختلف من عام الى آخر ويحددها كمية المياه الصيفية الواردة إلى المديرية . وبين الجدول الثالث عشر مساحة الأراضى المزروعة وغير المزروعة في مراكز المديرية المختلفة . وتلقى دراسة هذا الجدول ضوءا على التوزيع الحالي للكثافة ومدى التغيير الذى يمكن أن يطرأ عليها إذا ما أمكن التوسع في زراعة الأراضى البور في المديرية .

مستقبل توزيع السكان في المديرية

على ضوء الدراسة السابقة يتضح أن مستقبل توزيع كثافة السكان في مديرية البحيرة إنما يتوقف بصفة خاصة : على مدى توفر المياه اللازمة لإصلاح الأراضى البور والتوسع الزراعى المترتب على إصلاحها . ولعل أهم المناطق التي يذخر نمو السكان فيها فترتفع تبعاً لذلك درجة تراجيحها المناطق التالية ؛ نذكرها بحسب أهميتها من حيث كثافة السكان في المستقبل :

١ — منطقة تفتيش الخاصة المسكية بادفينا :

وتبلغ مساحة التفتيش نحو ١٦,٦٠٠ فدانا أقطع معظمها من بطائح بحيرة اذكور ومنافقها واستخدام الجبس الزراعى في إصلاحها وتخليصها من الاملاح . وتروى هذه الأراضى بالراحة في مدة الفيضان من النيل مباشرة أو من ترعة الرشيدية ، أما في بقية السنة فالري بالآلات التي يبلغ متوسط إدارتها نحو ١٥٠ يوما في السنة . وتصرف أراضى التفتيش بالراحة في مصرفين

(١) سرديوخ ماكديونالد (١٩٢٠) « منبذ النيل » ص ١

عموميين ها مصرف الشامسة ومصرف المحيط اللذين ينتهيان إلى مصرف البوصيلي حيث تقوم محطة طلمبات صرف البوصيلي .

من هذا يتبين أن حالة الري والصرف في التفتيش جيدة . هذا فضلاً عن العناية التامة المبذولة في إصلاح الأراضي وإنشاء العزب الجديدة الأمر التي يبشر بان هذه المنطقة سيتكاثف بها السكان في القريب العاجل .

٢ — منطقة شمال مركز أبو حمص :

وتربة هذه المنطقة كثيرة الأملاح يتطلب إصلاحها مشروعات كثيرة للري والصرف معاً . ولما كانت المنطقة منخفضة السطح كان لابد من إنشاء الطلمبات للصرف بها . وقد أنشئت فعلاً لهذا الغرض محطة « حلق الجمل » « وزرقون » ولكن مازالت مياه الري غير متوفرة خصوصاً وأن ترعة المحمودية يعمل دائماً على حفظ منسوبها عالياً لتغذية الاسكندرية بمياه الشرب ولتسهيل الملاحة فيها .

٣ — منطقة غرب كفر الدوار وأبو المطاير :

والتربة في هذه المنطقة بصفة عامة ميسورة الإصلاح ، ولكن وقوعها في نهايات الترع يجعل من الصعب مدها بالماء اللازم . ويتوقف تقدم هذه المنطقة من المديرية على توفير الماء اللازم لأراضيها ، وخاصة في فصل الصيف . وحتى يتوفر هذا الماء يمكن البدء في علاجات دقيقة منها حفر الآبار الارتوازية والمحافظة على مياه الترع في أحباسها الدنيا والوسطى بمنع الفلاحين من التبذير في استخدام الماء ، إذ أن الفلاح المصري ميال دائماً إلى إعطاء أرضه أكبر كمية من المياه — دون الاهتمام بمصالح جيرانه — حتى ولو كانت حاجة النبات في أرضه لا تتطلب هذه المياه .

٤ — منطقة البحيرات الشمالية :

تبلغ مساحة الأراضي التي تشغلها بحيرات اداكو ومربوط نحو ١٠٥ ألف فدان غير أن هذه المساحة تتغير كثيراً تبعاً لتغير مستوى الماء ارتفاعاً وانخفاضاً ويمكن تحويل هذه المساحة الواسعة إلى اراضي زراعية تصرف

مياها إلى البحر بواسطة الطلمبات ، خصوصاً وقد نجحت تجربة صرف مياه
ثلاثة هذه البحيرات الشمالية ونغنى بها بحيرة أبو قير التي تخلف عنها نحو ٣٠ ألف
فداناً من الأراضي الزراعية .

من هذا العرض يتضح لنا أن مستقبل توزيع الكثافة إنما يتوقف أولاً
على السياسة المائية للبلاد . وقد عنت الحكومة بهذه الناحية منذ سنة ١٩٢٠
فدرست مشاكل الري والصرف . ووضعت الخطط وبنيت عليها الآمال ^(١)
ولكن هذه الآمال كانت أوسع مما تحمل موارد الخزينة العامة . ومع هذا
فقد سارت الحكومة شوطاً بعيداً في تحقيق خططها .

غير أنه يلاحظ أن توفير ماء الري وحده لن يستطع أن يحل مشكلة
السكان في مصر حلاً تاماً بل إن هناك عوامل أخرى يجب أن ندخلها
في حسابنا . . . هناك النواحي الاجتماعية والتقليدية لتلك المشكلة : ثم هناك
الجانب العلمى لاستغلال موارد البيئة الزراعية المصرية التي لم تستغل الاستغلال
الكافى إلى الآن . وحتى في المناطق التي تم إصلاحها لا بد أن تستغرق هجرة
السكان من جهات المديرية المزدحمة إلى المناطق المستجدة وقتاً غير قصير . وتمثل
قلة الأيدي العاملة إحدى المشاكل الرئيسية في مناطق الإصلاح ، وتجدها الشركات
الزراعية صعوبة في الحصول على ما تتطلبه أعمال الإصلاح من عمال ،
كما نجد انصرافاً من الفلاحين عن الهجرة إلى الأراضي المستصلحة ، الأمر
الذى وإن كان تماسك الأسرة المصرية وتربطها مسؤولاً عنه إلى حد ما
إلا أن هناك بجانبه عوامل أخرى يجب ألا تغفلها . فالفلاح ليس مستعداً
لتغيير محل إقامته بمجرد الرغبة في التغيير بل لابد وأن تكون البيئة الجديدة
أكثر جاذبية ، وهذه ناحية تغفلها الشركات وأصحاب الأملاك في حين
أن المصلحة تدعو إلى توفير كل وسائل الراحة للمهاجرين الجدد . والعمل
على مساعدتهم في بيئتهم الجديدة حتى يطمثوا إليها ويقبلوا على استغلال مواردها .
يجب على المالك أن يهيئ لهم المسكن اللائق وأن يوفر ماء الشرب
الصالح وأن يمدمهم بالماشية والتقاوى . وفي حالة الاتجار بالمشركة يجب أن يعطى

(١) راجع ماكدونالد (١٩٢٠) .

الفلاح نصيبه كاملا وأن براعي عند قلة المحصول أن يعطى المستأجر نصيبا يكفيه وعائلته، حتى ولو كان في ذلك الغبن على المالك حتى لا يضطر المستأجر الى الحرب تحت ضغط الحاجة الملحة . كذلك يحسن أن يعمل المالك على إيجاد عمل للأولاد الصغار حتى لا يضطروا الى العمل في جهة أخرى تخلف فيهم الرغبة في الزواج إليها وأن يشجع المصاهرة بين المستأجرين الجدد والقداماء، وأن يختلط بالمستأجرين ويشعرهم بعطفه، فإن ذلك مما يترك أطياب الأثر في نفس الفلاح المصري ويدفعه الى التوطن في مهجره والاستقرار فيه .

أُنسب السلام وبربرية البحيرة

لا تعطي درجة كثافة السكان المطلقة فكرة حقيقية عن وجود مشكلة سكانية أو عدم وجودها ، ذلك لأن درجة تحمل الأرض للسكان تختلف باختلاف الظروف المحيطة بها ، ولهذا كان من الضروري تطبيق نظرية أنسب السكان^(١) (Optimum Population) ، ويقصد بهذا الاصطلاح « الحال التي يكون فيها السكان بقدر ما تحتاجه وتتنسج له البلاد فيصبحوا على أحسن ما يكون من رغد العيش في الظروف الطبيعية التي يعيشون فيها والموارد التي في متناول أيديهم^(٢) . ولستنا محتاجين في هذا البحث الى تناول الآراء المختلفة حول هذه النظرية التي مازالت مثار نقاش بين أصحاب العلوم الاجتماعية^(٣) ، ولكن ما نريد أن نشير إليه هو الاجتماع على صعوبة وضع

(١) راجع في هذا الموضوع : عوض (١٩٣٦) الفصل الثامن « السكان في حالة كمال » من ص ١٤٠ — ١٦٧

(٢) المصدر السابق ص ١٥٨

(٣) يربط بعض الكتاب أنسب السكان بظواهر اجتماعية خاصة فيتحذرون مثلا انتشار الفقر والمخاطاة مستوى المعيشة وكثرة الماطين دليل على ازدهار البلاد بسكانها ، ويرى الآخرون أن هذه الظواهر كما ترجع إلى ازدهار السكان قد ترجع إلى عوامل أخرى معتقدة كسوء نظام الحكومة أو سوء النظام الاقتصادي ... الخ ، راجع محمود الدرويشي (١٩١٠ م ص ٩٣ — ٩٤) . كذلك لا يقبل بعض الكتاب ربط أنسب السكان بالرأى الاقتصادية وحدها ، بل يبنى أيضاً بالاجبة الروحية وينتقل بالموضوع إلى ناحية فلسفية واسعة الحدود . وهناك فريق آخر لا يقيس أنسب السكان بالمقياس الفردي وإنما يتناول مجموع الأمة كوحدة .

مقياس دقيق نتهدي به الى حالة السكان وتحديد الخط الفاصل بين حالة فقر الالافيم في السكان (Under population) واكتظاظهم (Over population) الأمر الذى يجعل تطبيق النظرية صعباً من الناحية العملية . ويزيد في هذه الصعوبة أن العوامل^(١) التى يقوم عليها هذا المقياس ليست ثابتة، ومن ثم أصبح أنسب السكان ليس بالأمر الثابت ولا تختلف في ذلك المجتمعات الزراعية عن الصناعية .

وزيما كان من أحسن المقاييس لمعرفة أن السكان قد وصلوا إلى درجة الكمال أو تجاوزوها المقياس الذى يقترحه الأستاذ كار سوندرس (Carr Saunders) لتطبيقه على المجتمعات الصناعية ويتلخص في مراقبة دخل الفرد ، فإذا كان هذا المتوسط آخذاً في الزيادة عد هذا دليلاً على أن البلاد في حالة حسنة من حيث عدد السكان وأن هناك محلاً للزيادة في عددهم . فإذا وصل المتوسط إلى حالة استقرار ثم أخذ بعد ذلك في الهبوط التدرجى كان هذا دليلاً على أن البلاد قد بلغت أقصى ما تستطيع تحمله من السكان وأن ليس في مصلحتها أن تتجاوزوه ، فإذا نقص بعد ذلك متوسط دخل الفرد نقصاً فاحشاً كان هذا دليلاً على أن البلاد قد غصت بالسكان ولا بد من التنفيس عنها بطريقة من الطرق^(٢) .

وقد كان من الممكن تطبيق هذا المقياس — مع التجاوز — على مجتمع زراعى كديرية البحيرة ، غير أنه مع الأسف لا توجد لدينا إحصائيات عن متوسط دخل الفرد في المديرية . ومن ثم كان من غير اليسور دراسة أنسب السكان في البحيرة ولو بصورة عامة على أساس هذا المقياس . وإذن لم يعد لدينا إلا دراسة المظاهر العامة لمشكلة السكان لعل فيها ما ينير السبيل .

(١) هذه العوامل أهمها : (١) الموارد الطبيعية . (ب) النظام القانونية ، واستعداد السكان الفطرى والكتسب ، ومهارتهم وخبرتهم . . . الخ . (ج) الظروف الخارجية والداخلية للملائة فتنشط الاقتصادى . [راجع عمار : (١٩٤٢) ص ٦٢]
(٢) راجع كار سوندرس (١٩٣٦) ص ٢٣٠ ، عوض (١٩٣٦) ص ١٥٤

يشير تقرير « روبرتسن » عن « السكان والزراعة » ^(١) . الذى قدم إلى مؤتمر الحياة الريفية فى أوربا ، إلى أن أهم مظاهر اكتظاظ السكان فى المناطق الزراعية هى : صغر الملكية الزراعية ؛ وزيادة نسبة الأراضى المزروعة بالجبوب والعلات الغذائية الأخرى ؛ وسوء التغذية ؛ والجمود الزراعى . غير أن هذه المظاهر لا بد من استبعاد بعضها عند تطبيقها على مديرية البحيرة ، فالظروف المحلية فى أجزاء المديرية المختلفة ، ثم السياسة الاقتصادية عامة فى مصر قد حثمت أنواعاً خاصة من الدورة الزراعية وبالتالي حددت مساحة العلات المختلفة ، ثم إن اختلاف التربة واختلاف وفرة المياه الصيفية بصفة خاصة وهما أمران لهما أهمية فى مديرية البحيرة ، ثم موقع بعض المناطق من المراكز الحضرية أو من السوق الرئيسية ... كل هذه أمور يجب أن يحسب حسابها فى دراسة نسبة الأراضى المزروعة بالمواد الغذائية . وبذلك يصبح من الأسير الاعتماد على هذه الظاهرة فى معالجة موضوع أنسب السكان .

وإلّا أهم المظاهر التى تبين حاجة السكان والتى يمكن تطبيقها على مديرية البحيرة هى « توزيع الملكية » إذ أنها المظهر الوحيد الذى توجد لدينا الإحصائيات الكافية إلى حد ما . ويزيد فى أهمية هذا المظهر أن معظم السكان يعتمدون بطريق مباشر أو غير مباشر على الزراعة . وفى تعداد سنة ١٩٣٧ كانت جملة المشتغلين ^(٢) ٥٢١,٣١٩ نفساً يشتغل بالزراعة منهم ٣٢٣,٩٧١ نفساً موزعين على النحو الآتى :

٧١١٤٠	صاحب أطيان ومزارع فى أرض يملكها
١٦٢٠٧	مزارع يشتغل فى أرض يستأجرها
١٢٤١٤٩	قريب مزارع يساعده فى الزراعة
١١٢١٩٨	مزارع أجير
٢٧٧	جنائين وحطاب
٣٢٣٩٧١	المجموع

(١) روبرتسن (١٩٣٩) ص ٥٢ — ٦١

(٢) يكرر تعداد سنة ١٩٣٧ أن عدد المشتغلين بالزراعة من الإناث هو ٥٣ و٣١٤ ومن الذكور ٢٧٠ و٦٥٧ نفساً . ولما كان عدد الإناث أكثر من عدد الذكور فمن المرجح أن يكون عدد المشتغلين بالزراعة منهم لا يقل كثيراً عن عدد الذكور إن لم يكن أكثر منه .

أى أن نسبة المشتغلين بالزراعة إلى مجموع المشتغلين هي ٦٤١ في الألف . وهذه النسبة قليلة في الواقع في منطقة زراعية كديرية البحيرة ، ولكن السبب في ذلك يرجع إلى عدم احتساب نساء اللّاحين من المشتغلين مع العلم بأنهن يساعدن أزواجهن في كثير من أعمال الحقل ^(١) . ولذلك فلو أضفنا عدد النساء المشتغلات بالزراعة واللاتي يعدن التعداد من « غير المشتغلين » ^(٢) وتقدر هذا العدد بنحو ٢١٧ ألفا فإن النسبة ترتفع إلى ٧١٣ في الألف . وحتى هذه النسبة الأخيرة لا تزال بعيدة عن الحقيقة ، اللهم إلا إذا ذكرنا إلى جانبها أن المشتغلين بغير الزراعة إنما يتخدمون بأعمالهم النشاط الزراعي ويعتمدون عليه كل الاعتماد . فالتجار يشتغل أغلبهم بالتجار في غلات الأراضي . والمشتغلون بالصناعات التحويلية يقوم أكثرهم بصناعات متصلة بالغلات الزراعية اتصالاً وثيقاً ، وكذلك أصحاب النقل وغير ذلك من الصناعات . ولهذا كان من الممكن أن نعتد في دراسة حالة السكان على نسبة ما يخص هؤلاء السكان من المساحة المزروعة كخطوة أولى لمعرفة مستويات الاقتصادى .

بين الجدول الخامس عشر توزيع ملكية الاراضى في المديرية في سنة ١٩٤٥ ، ولكن يقلل من أهمية هذا الجدول أن الاحصائيات التى بنى عليها بها كثير من نواحى الضعف ، فهى مثلاً تعطى توزيع ثلث الملكية في المديرية بصفة عامة ، ومن ثم فليس من الممكن معرفة الاختلافات الإقليمية وهى ناحية هامة في البحيرة التى يختلف جنوبها وشرقها عن شمالها وغربها اختلافاً بينا . ثم عى تجعل من الذين يملكون أقل من نصف فدان فئة واحدة فهذا يحول دون معرفة مدى تجزؤ الملكية في الجهات الزراعية القديمة . وهى ظاهرة ليستا ولكن لم استطع دراستها عن طريق الارقام .

(١) هذه الظاهرة أقل ظهوراً عند اشتغاليين بالمرف الاخرى لأن نساءم في الغالب من غير الشغلين . والمشتغلات منهم يذكرن في التعداد .

(٢) راجع تباد ١٩٣٧ ص ٩١ ، ويلاحظ أن جملة المشتغلين لا تشمل الاعمال دون - الخامسة .

الجدول الخامس عشر

توزيع ملكية الأطنان في مديرية البحيرة سنة ١٩٤٥ (١)

نئة الملكية	عدد الملاك	المساحة المملوكة	متوسط مملوكة الفرد	الملاك (٪) إلى مجموعهم	المساحة (٪) إلى جملة المساحة
أقل من ١/٢ فدان	٧٠٤٩١	٢٣٦٠٥	٠.٣٣	٦٢.٢	٣.١
من ١/٢ إلى ١ فدان	٢٩٧٠٠	٢٣٦٧٧	٠.٧٩	١٨.٦	٣.١
١ —	٢٤٤٦٨	٢٧٤٨٨	١.٠٨	١٥.١	٤.٨
٢ —	٢٠٤٧٣	٤٩٢٣١	٣.٣٨	١٢.٢	١٢.٧
٣ —	٨١٠٥٨	٥٧٨٧٩	٧.٠٩	٥.١	٧.٦
٤ —	٢٠٧٧٢	٣٤٧٨٠	١٢.٥٤	١.٨	٦.٦
٥ —	١٤٦٤	٢٦٣١٩	١٧.٩٧	٠.٩	٣.٤
٦ —	١٠٣٣١	٣١٤٢٠	٣٠.٥٣	٠.٨	٨.١
٧ —	١٠٠٦٣	٤٢٨١٢	٤٠.٢٧	٠.٧	٥.٥
٨ —	٩١٦	٦٦٦٨٠	١٣.٠١	٠.٦	٨.٦
٩ —	٤٨٠	٧١٨١٢	١٤.٩٦		
١٠ —	٧٣	٢٢٧٠٣	٣١١.٠		
١١ —	٢٠٢	١٠٧٦٣٦	٥٣٣.٨٥		
١٢ —	٧٣	٤٥٥٥٧	٦٢٤.٠٦	٠.٦	٤٣.٥
١٣ —	٢٠	١٦٨٨٥	٨٤٤.٢٥		
١٤ —	٨٠	٩٢٠٥٥	١١٥٠.٦٨		
١٥ —	٢٠٠٠	—	—		
١٦ —	٢	٥٧١٦	٢٧٢.٠٩٥		
جملة البحيرة	١٦١٦٦٦	٧٦٦٢٤٣	٤.٧٣	١٠٠	١٠٠

(١) الإحصاء السنوي العام سنة ١٩٤٥ (تحت الطبع).

(٢) أوقاف فقط.

(٣) أجانب فقط.

يتبين من الجدول أن نسبة ما يخص المالك الواحد بصفة عامة هو ٤٧٣ ف وهي نسبة عالية دون شك ولكنها لا تعطي الفكرة الصحيحة عن توزيع الملكية نظرا لما تتمتاز به مديرية البحيرة من انتشار الملكيات الكبيرة حتى أن ٠.٦٠٪ من مجموع الملاك يمتلكون نحو ٤٣٥ ٪ من مساحة الملكيات . ومن بطالع التعداد الزراعي لسنة ١٩٣٩ يرى هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح ، إذ نجد أن قرى كثيرة زمامها يصل إلى آلاف الأفدنة يملكها عدد قليل جداً من الملاك . مثال ذلك صفط خالد مركز إجاى البارود مساحة زمامها ٢٤٨٧ فداناً يملكه شخصان ومنشأة رزافة مركز شبراخيت يمتلك شخص واحد زمامها البالغ ١٦٢٥ فداناً . والأمثلة الأخرى كثيرة وخاصة في الجهات الشمالية والغربية من المديرية . غير أن تفاصيل الجدول تنمذ كثيرا في دراسة مشكلة السكان . ولعل أهم ما يستدعى النظر فيها انتشار الملكية التفرية إذ نجد أن ٠.٦٢٢٪ من الملاك يمتلكون ٠.٦٢٪ من الأراضى المزروعة من بينهم ٤٣٠ ٪ يقل ما يملكه الفرد الواحد منهم عن نصف فدان ، ثم الملكية الصغيرة إذ نجد ٢٧٢٪ من الملاك يمتلكون ١٢٥ ٪ من جملة الأراضى المزروعة ، أى أن ٨٩٤ ٪ يمتلكون ١٨٧٪ من الأراضى والباقي وقدره ١٠.٦ ٪ يمتلك ٨١٣٪ من الأراضى . وهذا يوضح سوء حالة غالبية السكان خصوصا إذا تذكرنا أن الأراضى ليست مورد رزق للملاك وحدهم بل لهم وإنسانهم وأطفالهم ومن يعولون من غير هؤلاء . وطبيعى أن يترتب على ذلك سوء حالة الفلاح فى مديرية البحيرة فهو بالرغم من عمله المتهل لا يحصل على عيشه الضرورى إلا بشق الأنفس .

ولقد يقال إن مديرية البحيرة مازالت بها مساحات واسعة فى حاجة الى الإصلاح فلم لا يهاجر إليها هؤلاء السكان المزدحمون ؟ ولقد يقال إن إنتاج أراضى المديرية مازال أضعف منه فى المديرىات الأخرى فلم لا يعدل الفلاح على تحسين إنتاج أرضه ليزيد فى ربحه ويحسن من مستوى معيشته ؟ وفوق ذلك كله مازالت المديرية تعنى بإنتاج الغلات التقليدية عن الحبوب والقطن فلم لا تعمل على تنويع إنتاجها وفى هذا ربح لها عظيم ؟

هذا كله صحيح . ولكن من التمسف أن نعد الفلاح هو المسئول عن كل نواحيه . فالأراضي البور يحتاج إصلاحها الى مشروعات الري والصرف وهي أمور لا دخل لقدرة الفلاح فيها . وما زالت الحكومة تعمل على إتمامها ، كما يحتاج الإصلاح أيضا إلى رأس المال الذي لا يستطيع الفلاح بدخله المحدود أن يوفره ، ومن ثم كان إصلاح الأراضي مما يقوم به كبار الملاك لا صغارهم وهذا يزيد في تعقيد المشكلة . ولكن الحكومة قد عمدت أخيرا الى تشجيع الملاكيات الصغيرة .

أما العمل على زيادة الإنتاج فلا يمكن الجزم بأنه ممكن في كل أراضي المديرية الزراعية مع زيادة مناسبة في المصروفات بحسب ما يقرره قانون « الغلة المتناقصة » Law of Diminishing returns فهناك مناطق كثيرة لا يمكن أن يزيد الفلاح من ربحه فيها بزيادة الاتفاق على الزراعة . وكل ما يمكن عمله في هذه المناطق التي بلغ فيها الإنتاج أقصاه المربح هو العمل على الاقتصاد في المصروفات .

أما مطالبة الفلاح بتنويع إنتاجه ، أو استخدام الطرق العلمية الحديثة في زيادة محصوله ، أو استبدال المحصولات التي ألتها بأخرى جديدة بحمل طريقة زراعتها فذلك أمر فوق طاقته ، خصوصا وأن مستواه المادي يحتم عليه أن يتحاشى المجازفة بماله المحدود في مثل هذه المشروعات .

وإذا كان لنا أن نلوم الفلاح على شيء ، فهو حبه للاستقرار في قريته وكرهه للهجرة إلى أراضي الاستصلاح وما أوفرها في المديرية ، وإن يكن له شيء غير قليل من العذر في ذلك نظراً لما تتطلبه الهجرة من رأس مال ونظراً لعدم تهيئة كبار الملاك — في معظم الظروف — وسائل الحياة المريحة في تلك البيئات الجديدة .

بعض المظاهر الديموجرافية لمديرية البحيرة

الزكور والامثات

فى تعداد سنة ١٩٤٧ بلغ عدد الذكور فى مديرية البحيرة ٥٩٨,٥٢٧ نفساً يقابلهم ٦٤٧,١١٦ نفساً من الإناث . فتكون زيادة الاناث عن الذكور ٤٨,٥٨٩ نفساً أى بنسبة ١٠,٨٢ من الاناث لكل ألف من الذكور . وإذا رجعنا إلى الجدول السادس عشر نجد أن هذه الظاهرة — ظاهرة زيادة الاناث على الذكور واضحة فى كل التعدادات باستثناء تعداد سنة ١٨٩٧ يوم كان التكم شديداً فى ذكر عدد الاناث عند الفقراء وخاصة فى الأرياف^(١) كذلك نلاحظ أن هناك زيادة مضطربة فى نسبة عدد الاناث إلى الذكور إلا فى تعداد سنة ١٩٣٧ حيث انخفضت النسبة من ١٠,٦٤ فى سنة ١٩٢٧ إلى ١٠,٥٨ فى سنة ١٩٣٧، ثم عادت إلى الارتفاع مرة أخرى فى سنة ١٩٤٧ وليس من السهل أن نعرف بالتأكيد السبب فى هذه الزيادة النسبية لعدد الاناث عن عدد الذكور . ولقد يذهب البعض إلى أن هذه الزيادة ربما ترجع إلى زيادة فى نسبة المواليد من الاناث . ونحن — وإن كانت لا توجد لدينا لسوء الحظ إحصائيات للمواليد فى هذه الفترة كلها — إلا أن الموجود منها يثبت دائماً زيادة مواليد الذكور .

وإذن فما هو السبب فى زيادة عدد الاناث التى تسجلها التعدادات ؟

شوهدت ظاهرة زيادة الاناث عن الذكور فى أغلب الدول الغربية منذ القدم^(٢) . ويرجع بها فى العادة إلى زيادة عدد وفيات الذكور ، إما لأن الاناث أكثر مناعة من الرجال وإما لأن الرجال أكثر تعرضاً

(١) راجع ماكس مائة لويس فى تعداد ١٩٠٧ ص ٩١ (انجليزى) ص ١١٥ (عربى) .

(٢) مبرى (١٩٣٥) ص ١٢، عمار (١٩٤٢) ص ٢٠

الجدول السادس عشر

توزيع الذكور والاناث في مديرية البحيرة في السنة تعدادات الأخيرة

(١١) (١٨٩٧ — ١٩٤٧)

تاريخ التعداد	عدد الذكور	عدد الاناث	زيادة أو نقص الذكور عن الاناث	نسبة الاناث لكل ألف من الذكور
١٨٩٧	٣١٧٧٠٣	٣١١١٨١	٦٥٢٢ +	٩٧٩
١٩٠٧	٣٨٠٦٠٠	٣٨٤٤٨٧	٢٨٨٧ —	١٠١٠
١٩١٧	٤٤٣٠١٤	٤٤٩٣٣٢	٦٣١٨ —	١٠١٤
١٩٢٧	٤٧٣٢٠٨	٥٠٣٧٥٧	٣٠٥٤٩ —	١٠٦٤
١٩٣٧	٥١٥٧٤٨	٥٤٥٨٤٨	٣٠١٠٠ —	١٠٥٨
١٩٤٧	٥٩٨٥٢٧	٦٤٧١١٦	٤٨٥٨٩ —	١٠٨١

للحوادث والأخطار بسبب طبيعة عملهم . وقد وضع الجدول السابع عشر للمقارنة بين مديرية البحيرة والمحافظات من جهة ، وبينها وبين القطر عامة من جهة أخرى . ومنه يتبين أن نسبة الاناث في المحافظات وإن تكن في زيادة مستمرة إلا أنها مازالت أقل من نسبة الذكور . وهذا يرجع دون شك إلى أن المحافظات يقيم فيها مؤقتا جماعات من الجند والطلبة . ثم إنها في العادة قبله المهاجرين من الريف أو الخارج وهؤلاء معظمهم من الذكور .

وبين الجدول الثامن عشر والرسم البياني رقم ٥ نسبة الاناث إلى الذكور في مراكز المديرية المختلفة . ومنه يتضح أن هناك اختلافات في النسب في المراكز المختلفة ترجع إلى العوامل الاقتصادية والبشرية في كل منها . فمثلا أقل النسب تظهر في مراكز أبو المطامير ورشيد وكفر الدوار وهذا راجع إلى أن أراضي هذه المراكز من الأراضي المستصلحة حديثا . وما زالت

(١١) الأرقام، أخوذة من تعداد سنة ١٩٣٧ ج ٢ الجدول التاسع . أما الفرق والنسب

فن حساب الباحث .

الجدول السابع عشر

نسبة الجنسين في البحيرة والمحافظات والقطر المصري

في السنة تعدادات الأخيرة (١٨٩٧-١٩٤٧)

عدد الاناث لكل ١٠٠٠ من الذكور						السكان
١٩٤٧	١٩٣٧	١٩٢٧	١٩١٧	١٩٠٧	١٨٩٧	
١٠٨١	١٠٥٨	١٠٦٤	١٠١٤	١٠١٠	٩٧٩	البحيرة . . .
٩٦٥	٩٥٦	٩٠٦	٩٣٨	٨٨٩	٨٨٣	المحافظات . . .
١٠٢١	١٠٠١	١٠٠٩	٩٩٧	٩٩٢	٩٦٩	التنطر للمرى . .

تجذب الفلاحين الذين يهاجرون إليها دون نسايم في كثير من الأحيان وهذا يؤدي إلى زيادة عدد الذكور وبالتالي انخفاض نسبة الاناث . ويساعد علي زيادة نسبة الذكور في مركز أبو المطامير بالذات استقرار كثير من البدو وتحولهم إلى زرايع وهؤلاء معروف عنهم أن عدد الاناث فيهم أقل من عدد الذكور^(١) . ولكن أخذت أرقام هذا المركز تتمشى مع الاتجاه العام لأرقام مراكز المديرية الأخرى في تعداد سنة ١٩٤٧ (الرسم البياني رقم ٦) . ولقد كان من المنتظر أن يكون عدد الذكور في مدينة دمهور أكثر من عدد الاناث ، ولكن الواقع عكس ذلك . وربما كان هذا راجعا إلى أن هذه المدينة وإن تكن عاصمة المديرية إلا أن التزعة الريفية هي الغالبة عليها . حتى لا يمكن أن تميز حتى « شبرا الدمهورية » وهو من أكبر أحياء المدينة عن أى قرية أخرى مجاورة .

وهناك حقيقة أخرى يوضحها الجدول الثامن عشر . وهى أن نسبة الاناث إلى الذكور في معظم مراكز المديرية انخفضت في سنة ١٩٣٧ عنها

(١) لاحظ هذه الظاهرة نفسها الدكتور عمار في دراسته لمديرية الشرقية :

عمار (١٩٤٢) ص ٢٤

الجدول الثامن عشر

نسبة الجنسين في مراكز المديرية في السنة تعدادات الأخيرة

(١٩٩٧ — ١٩٤٧) (١)

المركز	الاناث لكل ألف من الذكور					
	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧	١٩٤٧
أبو حمس . . .	٩٥٢	١٠٠٦	١٠٣٩	١٠٧٨	١٠٥٩	١٠٨٧
أبو المطاير . . .	٩٠٠	٩٣٩	٩٥١	٩٩٥	٩٩٥	١٠٧٢
إيتاي البارود . .	٩٧٥	١٠١٠	١٠٠٧	١٠٦٥	١٠٧٤	١٠٩٨
الدلتجات . . .	٩٨٢	١٠٠٥	١٠٠٦	١١٠٣	١٠٨٥	١١١٢
بندر دمنهور . . .	١٠٢٢	١٠٥٢	١٠١١	١٠١٥	١٠٨٥	١٠٤٩
مركز دمنهور . . .	٩٦٠	١٠٢٩	١٠٥٠	١١١٢	١٠٩٨	١١٠٦
رشيد . . .	٩٥٩	١٠١٥	١٠١٩	١٠٠١	٩٨٤	١٠٣١
شبراخيت . . .	١٠٣٤	١٠٤٦	١٠٥٤	١١٣٥	١١٠٩	١١١١
كفر الدوار . . .	٩٥٠	٩٧٥	٩٩١	١٠٤٣	١٠٤٥	١٠٤٦
كوم حمادة . . .	٩٨٥	١٠٠٩	٩٩١	١٠٤٥	١٠٥٨	١٠٩٠
الحمودية . . .	١٠٤٩	١٠٤٠	١٠٨٤	١١١٢	١١٠٧	١٠٨١
البحيرة . . .	٩٧٩	١٠١٠	١٠١٤	١٠٦٤	١٠٥٨	١٠٨١

في سنة ١٩٢٧ وقد لاحظ نفس هذه الظاهرة الدكتور عمار في مديرية الشرقية (٢). وأرجعها — شاكا — إلى نقص وفيات الأطفال في السنوات الأخيرة، إذ أنه لما كانت زيادة نسبة الاناث ترجع إلى ارتفاع نسبة الوفيات في الذكور فإن من المحتمل أن يكون الذكور أكثر ربحاً من كل انخفاض يحدث في نسبة الوفيات .

وفي سنة ١٩٤٧ عادت النسبة إلى الارتفاع في كل مراكز المديرية باستثناء بندر دمنهور الذي انخفضت فيه نسبة الاناث من ١٠٨٥ إلى ١٠٤٩ لكل ألف

(١) هذه النسب كلها من حساب الباحث اعتماداً على الارقام الواردة في التعدادات السنة

(٢) عمار (١٩٤٢) ص ٢٤

من المذكور . وربما كان هذا راجعا إلى ظروف الحرب التي اجتذبت كثيرا من الأيدي العاملة ومعظمها من المذكور إلى مدينة دمنهور عاصمة المديرية والمركز الرئيسي للحركة التجارية فيها .

السن

ليانات السن في الدراسة الديموجرافية أهمية خاصة لها من أثر كبير في دراسة الناحية الانتاجية ، وهذا ما دعانا إلى الاهتمام بها . غير أن بيانات السن في التعدادات التي بين أيدينا أقل البيانات تمثيلا للحقيقة ، ذلك لأن الكثيرين من السكان وخاصة سكان الريف يجهلون تاريخ ميلادهم . ولا شك أن رب الأسرة الذي يجهل تاريخ ميلاده يكون أكثر جهلا بتاريخ ميلاد من يعطى عنهم بيانات السن من أفراد منزله . ثم إن هناك سبب آخر لا يقتصر على مصر بل يوجد في كل بلاد العالم وهو سبب نفساني يتلخص في أن الذين تخطوا دور الكهولة يميلون إلى إعطاء انفسهم سنا أكبر ليظهروا بمظهر الشيوخ المحنكين ، وعلى العكس من ذلك متوسطو السن الذين يميلون دائما إلى إعطاء سن أقل من سنهم ليبدوا في فتوة الشباب ويظهر هذا بصفة خاصة في الاناث . ولذلك ليس غريبا أن نجد في بعض الحالات فرقا يصل إلى عشرين سنة بين العمر الحقيقي والعمر الذي يسجله التعداد لبعض الافراد (١) .

ومما يدل على اضطراب بيانات السن ما لا حظه الدكتور كيلاند (٢) من أن عدد إناث القطر المصري البالغ سنهن من ٢٠ إلى ٢٩ سنة في تعداد سنة ١٩٢٧ أكثر من عدد الإناث البالغ سنهن من ١٠ إلى ١٩ سنة في تعداد سنة ١٩١٧ ، وكذلك لاحظ أن عدد الذكور من ٣٠ إلى ٣٩ سنة في تعداد ١٩٢٧ يزيد عن ٤٩٠٥٣ نفساً عن عدد الذكور من ٢٠ إلى ٢٩ سنة في تعداد ١٩١٧ ، غير أن هذه الملاحظة لا تنطبق على مديرية البحيرة ، كما يدل على ذلك الأرقام التالية :

(١) أشار إلى هذا تعداد سنة ١١٠٧ م ١١٥ .

(٢) كيلاند (١٩٢٦) م ١٦ — ١٧ .

النطقة	تاريخ	تاريخ	المنطقة	تاريخ	تاريخ
البحيرة . .	١٩١٧-١٠	١٩١٣-١٩	البحيرة . .	١٩٢٧-٢٠	١٩٢٧-٢٩
القنطرة المصرية	١٩١٧-١٠	١١٧٨٧٩٠-١٩	القنطرة المصرية	١٩٢٧-٢٠	٢٠٩٨٩١-٢٩
البحيرة . .	١٩١٧-٢٠	٦٥٨٣٨-٢٩	البحيرة . .	١٩٢٧-٣٠	٦٢٥٧٢٣٩-٢٩
القنطرة المصرية	١٩١٧-٢٠	٩٣٨٦٤٨-٢٩	القنطرة المصرية	١٩٢٧-٣٠	٩٨٧٧٠١٢٩-٢٩

ولعل أكبر دليل على عدم معرفة السن معرفة تامة تركيز الأعمار حول الرقم خمسة ومضاعفاته حتى لقد بلغت نسبة الذكور الذين تنتهي سنهم بالصف ٢٨٠ في الألف في تعداد ١٩٢٧ والذين تنتهي سنهم بالخمسة ٢٢٨ في الألف وكذلك الحال في الإناث كانت نسبة اللاتي تنتهي أعمارهن بالصف ٣٣٥ في الألف وبالخمسة ٢٣٠ في الألف ^(١) وكل هذه نسب لا يمكن قبولها إطلاقاً.

وإزاء هذه العوامل يجب أن تعادل أرقام السن في التعدادات المختلفة بشيء كثير من الحذر وإن كان ذلك لا يحول دون تحليلنا لتلك البيانات فبشيء مع عيوبها نحتوي على حقائق يمكن استخلاصها إذا جعلنا أساس دراستنا المقارنة بين فئات واسعة من السن فتناول فئات السن بالخمسة السنوات أقرب إلى الحقيقة من تناولها سنة بسنة ، وتناولها بالعشر سنوات أكثر بعداً عن الخطأ من تناولها بالخمسة سنين . ولذلك جعلنا أساس المقارنة في هذه الدراسة تقسيم السكان إلى ثلاث مجموعات : الصغار أقل من ١٥ سنة ، ومتوسطى السن وتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٤٩ سنة ثم الكبار وتزيد سنهم على الخمسين . ويميل البعض ومنهم الدكتور عمار ^(٢) إلى اعتبار الأفراد الأقل من ٢٠ سنة صغار السن ولكننا نرى أن هذا الرأي لا يتفق مع البيئة الريفية المصرية التي يبدأ الفرد فيها يزاول الأعمال الزراعية بعد سن الخامسة عشرة .

(١) مبرى (١٩٣٥) ص ٧٩

(٢) عمار (١٩١٢) ص ٢٦

الجدول التاسع عشر

توزيع فئات السن الرئيسية في تعدادى ١٩٢٧ و ١٩٣٧
(لكل ألف من السكان)

السنين	أقل من ١٥ سنة		١٥ — ٤٩		فوق ٥٠ سنة	
	ذكور	إناث	جدة	ذكور	إناث	جدة
١٩٢٧	٤٣٥	٤٠٠	٤٦٠	٤٧٢	٤٨٢	٩٣
١٩٢٧	٤٢٠	٣٩٣	٤١٣	٤٨٦	٤٨٣	٩٤
						١١٢

ويبين الجدول التاسع عشر توزيع السكان على أساس المجموعات التي أخذناها وقد اكتفيينا بعدادى ١٩٢٧ و ١٩٣٧ إذ أن أرقام تعدادى ١٩١٧ و ١٩٠٧ لا يمكن أن يستخرج منها بيان مماثل لاختلاف تقسيم فئات السن ثم إن نتائج تعداد سنة ١٩٤٧ لم تظهر حتى الآن .

وأهم ما يستلفت النظر في هذا الجدول :

١ — زيادة نسبة الكبار بصفة خاصة ومتوسطى السن على حساب الصغار وسبب هذه الظاهرة في مصر يرجع إلى زيادة نسبة الوفيات في الأطفال وخاصة الرضع ^(١) . ويؤكد هذه الحقيقة مقارنة نسب الأطفال الأقل من ٤ سنوات في التعدادين فيينا تصل نسبتهم في تعداد سنة ١٩٢٧ إلى ١٤٦ في الألف إذا بها تنخفض إلى ١٢٤ في الألف في تعداد سنة ١٩٣٧ غير أن هذه الزيادة في نسبة الوفيات لا ترجع إلى كثرة حقيقية في الوفيات ، بل ترجع إلى التحسن الظاهر في تسجيل الوفيات ، الأمر الذى لم يكن يتم به الأهالى وخاصة فيما يتصل بالأطفال ، ولكن موضوع التسجيل أخذ يتحسن في السنوات الأخيرة كما تدل على ذلك تقارير وزارة الصحة .

(١) صحى (١٩٣٥) ص ٩١ — ٩٤

٢ — يتفوق الذكور على الإناث حتى سن الخامسة عشرة، ثم يتفوق الإناث بعد ذلك باستمرار. وهذه ظاهرة طبيعية تتفق فيها مديرية البحيرة مع ما هو مسلم به في جهات العالم الأخرى من تفوق الإناث على الذكور بعد سن معين^(١). وسبب هذه الظاهرة هو ما سبقت الإشارة إليه مما هو معروف عن زيادة المواليد الذكور عن المواليد الإناث. ولكن لما كانت وفيات الذكور تزيد على وفيات الإناث في الصغار وتزيد بنسبة أعلى عند متوسطى الأعمار، فإن من الطبيعي أن يتعادل النوعان عند سن معينة يتفوق بعدها الإناث باستمرار.

٣ — إذا طبقنا طريقة صنبرج^(٢) (Sunburg's Age Categories) على مديرية البحيرة فإنه يمكن القول بأن حالة السن فيها على درجة عظيمة من التقدم.

الواحدة المرتبة (السرورمبة)

في دراسة الارتام الخاصة بالحالة المدنية يجب أن نخرج من حسابنا من هم دون السادسة عشرة حيث لا يفترض الزواج قبل هذه السن. ولقد كانت التعدادات كلها تغفل هذه الناحية ولم يهتم بها إلا في تعداد سنة ١٩٣٧

(١) صبرى (١٩٣٥) ص ٦١

(٢) يرى صنبرج أن نصف السكان يكون دائماً في السن ما بين ١٥، ١٩ بينما تقرأ التغيرات على فئات السن الأخرى. وهذه التغيرات هي التي تدل على تقدم السكان أو تأخرهم ويضم لذلك الجدول الآتى:

الحالة	نسبة ألف من السكان في فئات السن المختلفة		
	٠ — ١٤	١٥ — ٤٩	٥٠ +
تقدم	٤٠٠	٥٠٠	١٠٠
ثبات	٣٣٠	٥٠٠	١٧٠
تأخر	٢٠٠	٥٠٠	٣٠٠

الجدول العشرون

الحالة المدنية في مديرية البحيرة في سنة ١٩٣٧ (١)

السنة	جملة الذكور والإناث	جملة النسبة	لم يتزوجوا أبداً	متزوجون ومتزوجات	مطلقون ومطلقات	أرامل	غير مبين
١٩٢٧	٥٤٣٥١٠	١٠٠٠	٢٠١	٦٥٢	١٧	١٢٧	٣
١٩٣٧	٦٠٠٣٩٢	٢٠٠٠	٢٣٦	٦٢١	١١	١٣١	١

وقد وضع على هذا الاساس الجدول العشرون لبيان الحالة المدنية في مديرية البحيرة بصفة عامة .

ونظراً لاختلاف تقسيم فئات السن في التعدادات السابقة اكتفى بتعدادى ١٩٢٧، ١٩٣٧، ومن هذا الجدول يتبين زيادة في نسبة عدد الذين لم يتزوجوا أبداً بنحو ٣٥ في الألف يقابله انخفاض في نسبة عدد المتزوجين بنحو ٣١ في الألف . ولعل السبب في هذا يرجع الى الأزمة المالية التي اجتازتها البلاد في بداية الثلاثينات من هذا القرن . كما أن هذه الأزمة نفسها هي المسؤولة عن انخفاض عدد المطلقين من ١٧ في الألف الى ١١ في الألف .

وبالرجوع الى التفاصيل الخاصة بالذكور والإناث كل على حدة في تعداد سنة ١٩٣٧ نجد أن الحياة الزوجية لكل منهما في الألف كما في الجدول الحادى والأربعين .

ويتبين من هذا الجدول أن عدد الذكور الذين لم يسبق لهم زواج إطلافاً يزيد جداً عن عدد الإناث اللاتي لم يتزوجن (٣٢٠ في الألف للذكور و ١٦٢ في الألف للإناث) . ومعنى هذا أن عدد النساء اللاتي تزوجن (سواء بقين زوجات أم لا) يزيد كثيراً على عدد الرجال الذين سبق لهم أن تزوجوا

(١) هذه الأرقام من حساب الباحث اعتماداً على أرقام تعداد سنة ١٩٣٧ السكينة

الجدول الحادى والعشرون
الحالة المدنية فى المدينة عامة حسب النوع
لكل ألف من السكان ^(١) سنة ١٩٣٧

النوع	جدة الذكور والإناث	المترجوا أبداً	مترجون ومتزوجات ومطلقات	أرامل	غير مبين
ذكور .	٢٨٢٠٢٠	٣٢٠	٦٤٥	٢٥	٢
إناث . .	٣١٨٣٧٢	١٦٢	٥٩٩	٢٢٥	١

وتبلغ هذه الزيادة ٣٨٩٢٣ أى نحو ٦ ٪ من عدد السكان الذين تزيد سنهم على السادسة عشرة . وتعلل هذه الزيادة بعدة أسباب مجتمعة منها :

١ — تعدد الزوجات فى تعداد سنة ١٩٣٧ كان هناك من المترجيين فى مديرية البحيرة ٩٢٦٨ لهم زوجتان ، ٦٤٠ لهم ثلاث زوجات ، ٦٢ لهم أربع زوجات ، وينشأ عن هذه الحالة زيادة فى عدد الزوجات مقدارها ١٠٧٣٤

٢ — قد يطلق الرجل المرأة وتكون فى عصمته أخرى وفى هذه الحالة لا يعتبر فى كشوف التعداد من المطلقين ، وهذا لا ينطبق على المرأة .

٣ — ميل المطلقين والأرامل من الرجال الى تكرار الزواج من الأبنكار ويؤيد ذلك نسب حالى الطلاق والتمل فى مجموع من سبق لهم الزواج إذ تبلغ هذه النسبة فى الإناث ٢٥٠ فى الألف بينما لا تتعدى ٦٠ فى الألف فى حالة الذكور .

وقد وضع الجدول الثانى والعشرون لبيان الحالة المدنية للإناث بالنسبة للذكور فى كل الحالات .

وأهم ما يستلفت النظر فى هذا الجدول أمران : أولهما النسبة العالية للأرامل من النساء وهذه ترجع الى عدم الإقبال على الزواج منهن وتفضيل

(١) هذه النسب كلها من حساب الباحث .

الرجال للابكار، والأمر الآخر هو نسبة المتزوجات إلى المتزوجين حيث أن لكل ١٠٠ زوج ١٠٤٠ زوجة والسبب في هذا هو تعدد الزوجات دون شك . غير أننا أخرجنا الزيادة الناشئة عن هذه الحالة والتي سبق أن ذكرنا أنها تؤدي إلى زيادة ١٠٧٣٤ من الزوجات على عدد الأزواج فإن نسبة المتزوجات تنخفض إلى ٩٩٠ لكل ألف من المتزوجين . وبالرغم من أن الفرق يصبح أقل كثيراً منه في الحالة الأولى إلا أن وجوده على العموم يدعو إلى الاستغراب . ولعل السبب في وجوده هو عدم الدقة في الادلاء بالبيانات الخاصة بالحالة الزوجية من جهة وإلى وجود أقار « التراخيل » الذين يشغلون في أراضى الإصلاح دون زوجاتهم من جهة أخرى .

ولقد كان من المفيد أن ندرس توزيع الحالة الزوجية في فئات السن المختلفة ولكن الاحصائيات لا تساعد على مثل هذه الدراسة . لذلك فليس في الامكان أن نحدد اتجاهات الزواج حتى في السنين الأخيرة، إذ أن هذا يتطلب دراسة العلاقة بين فئات السن المختلفة ومعدل ازواج كذلك ليس من الممكن دراسة اتجاهات سن الزواج . وكل ما يمكن أن يقال في هذه الناحية إنما هو من باب الملاحظات فقط . فمثلاً نلاحظ أن سكان الريف أكثر تبكيراً بالزواج من سكان المدن لخص المهور ولمساعدة المرأة ومن تنجب من الأطفال للرجل في أعمال الزراعة، وأن المسلمين أكثر تبكيراً بالزواج من المسيحيين إذ يعتبر الزواج عندهم نصف الدين كما أن الأسرة تتدخل فيه وتدفع إلى التبكير به . ولقد حدد القانون منذ سنة ١٩٢٣ من الزواج لجعله ١٦ سنة للإناث و ١٨ سنة للذكور، ولكن هذا القانون غير منفذ في الريف حيث شهدت الميلاد غير معتنى بها .

ولكن مع هذا النقص المشار إليه آنفاً وضع الجدول الثالث والعشرون والرسم البياني رقم ٧ لبيان الحالة المدنية حسب فئات السن المختلفة في المديرية بصفة عامة .

ومن هذا الجدول يتضح :

١ — أن أهم فترات الزواج عند الجنسين بصفة عامة هي الفترة من ٢٠ إلى ٢٤ سنة .

الجدول الثاني والعشرون

الحالة المدنية (نسبة الإناث لكل ألف من الذكور)^(١)

الحالة المدنية	جملة	ذكور	إناث	نسبة الاناث لكل ألف من الذكور
لم يتزوجوا أبداً	١٤١٧٩٧	٩٠٣٦٠	٥١٤٣٧	٥٦٩
متزوجون . . .	٣٧٣٥٥٦	١٨١٨١٣	١٩٠٧٤٣	١٠٤٠
مطلقون . . .	٦٤٢٤	٣١٨٨	٤٢٣٦	١٩٣٥
أرامل . . .	٧٨٨٣٦	٧١٧٢	٧١٦٦٤	٩٩٩٢
حالات غير مبنية	٧٧٩	٤٨٧	٢٩٢	٥٩٩
جملة	٦٠٠٣٩٢	٢٨٢٠٢٠	٣١٨٣٧٢	١١٠٧

٢ — أن سن الزواج الشائع للاناث هو الفترة من ١٥ إلى ٢٤ سنة حيث تبلغ نسبة المتزوجات فيها ٧١٠ في الألف من المجموع الكلى . وأن الشائع للذكور هو الفترة من ٢٠ إلى ٢٩ سنة حيث تبلغ نسبة المتزوجين ٦٤٢ في الألف .

٣ — بالرغم من أن نسبة الزواج عند الذكور تقل كثيراً جداً عنها عند الاناث قبل سن العشرين إلا أنها بعد سن ٣٤ تزداد وتستمر زيارتها في كل فئات السن .

أما الطلاق فأكثر شيوعاً في القرى عنه في المدن . وقد وضع الجدول الرابع والعشرون لتوضيح حالات الطلاق في مديرية البحيرة وفي مدينة الاسكندرية التي تجاورها ومنه يتضح :

١ — أن عدد حالات الطلاق في الاسكندرية أكثر منها في البحيرة على أن عدد سكان الأولى يقل عن نسبة عدد سكان الأخرى .

(١) هذه النسب كلها من حساب الباحث .

الجدول الثالث والعشرون

حالة الزواج حسب فئات السن المختلفة في المديرية بصفة عامة
لكل ألف من السكان (١)

السن	١٠-١٤	١٥-١٩	٢٠-٢٤	٢٥-٢٩	٣٠-٣٤	٣٥-٣٩	٤٠-٤٤	٤٥-٤٩	٥٠-٥٤	٥٥-٥٩	٦٠-٦٤	٦٥-٦٩	٧٠-٧٤	٧٥-٧٩	٨٠-٨٤	٨٥-٨٩	٩٠-٩٤	٩٥-٩٩	١٠٠+
ذكور	٢٣	٤٤٢	٣٠٠	١٣١	٨٩	٧٧	٢٩	٧	٢										
إناث	٢٢٨	٤٢٢	١٤٨	٧٤	٣٨	٢٤	٤	١											

الجدول الرابع والعشرون

حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية بحسب مصدرها (٢)

سبب الطلاق	البحيرة	الاسكندرية
من الزوج	١٥٩٣	٣٠٥
من الزوجة	٤٧٢	٨٠٢
من الزوجين	٢٩١	٢١٠٧
الجملة	٢٣٥٩	٣٢١٤

٢ - معظم الطلاق في البحيرة من الزوج في حين أن الزوجة في الاسكندرية هي المسؤولة عن جزء كبير من حالاته . وهذا يرجع إلى ما تمتاز به الريفية من الطاعة لزوجها وتعمل سرًا الحياة وضراؤها فعه .

(١) هذا الجدول من وضع الباحثة اعتمادًا على الأرقام الواردة في التقرير السنوي العام لوزارة الصحة سنة ١٩٣٥ من ١٦ ، ١٧

(٢) عن تقرير وزارة الصحة لسنة ١٩٣٥ من ١٦ - ١٧

وإلى اعتبار الطلاق في الريف عيباً إذا ما جاء من طرف المرأة . كما يرجع إلى أن الزواج في المدن لا يكون عن المعرفة الحقيقية . وقد يتدخل فيه عامل الحب الذي لا يقوم على أساس متين .

وأهم أسباب الطلاق ، كما يتضح من الجدول الخامس والعشرين ، هي الكراهية وترجع إلى أن الزواج يتم بمعرفة الآباء في كثير من الحالات وخاصة في الريف ، ويلاحظ أن الأسباب في المدن تتعدد وتبدأ آثار النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي تمتاز بها المدن في الظهور ويؤيد هذا مقارنة الحالة في مديرية البحيرة بالحالة في مدينة الاسكندرية .

وبين الجدول السادس والعشرون حالات الطلاق عند مسامى البحيرة والاسكندرية حسب مدة الزوجية وعدد الأولاد . ومنه يتضح أن الطلاق أكثر في السنوات الأولى من الحياة الزوجية وأنه يقل كلما ازداد عدد الأولاد الذين يربطون عادة بين الزوجين . كذلك يلاحظ أن نسبة الطلاق في الستة شهور الأولى في الاسكندرية أعلى منها في مديرية البحيرة فيينا تصل في الأولى ٣٣٣ في الألف تنخفض عن الأخرى إلى ١١١ في الألف . ويرجع هذا إلى أن الزواج العاطفي في المدن أكثر منه في الأرياف .

الجدول السادس والعشرون

حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية حسب مدة الحياة الزوجية وعدد الأولاد

(١) مدة الحياة الزوجية

المدة	من أقل من ٦ شهور إلى سنة ٤	من سنة ٤ إلى ٦ شهور	من سنة ٦ إلى ٩ شهور	من سنة ٩ إلى ١٢ شهور	من سنة ١٢ إلى ١٥ شهور	من سنة ١٥ إلى ١٩ شهور	من سنة ١٩ إلى ٢٠ شهور	حالات الطلاق المطلقين	نسبة
البحيرة	٢٦٢	٢٥٤	١٠٣٥	٤٣٣	٢٣٢	٧٥	٦	٢٣٥٦	٤٠٣
الاسكندرية	٧٤٩	٥٨٥	١٢٠٦	٤٨٥	١٩١	٨٥	١١٣	٢٣٣٤	١٢٥٥

(ب) عدد الأولاد الأحياء المولودين أثناء الزواج

الجهة	الأولاد	واحد	ولدين	٣ أولاد	٤ أولاد	٥ أولاد	٦ أولاد	٧ أولاد	٨ أولاد	٩ أولاد	١٠ أولاد	أكثر
البحيرة	١٦٧٠	٤٤	١٣٨	٦٣	٢٢	٨	١٣					
الاسكندرية	٢٢١١	٥١٥	٢٢٣	١٢٧	٧٥	٣١	٧٧					

التقرير السنوى العام لوزارة الصحة سنة ١٩٣٥ ص ١٨ — ١٩

مراجع البحث

- ١ — وزارة الزراعة : « قسم الإحصاء » .
« التعداد الزراعى العام لى ١٩٢٩ ، ١٩٣٩ » .
- ٢ — وزارة الصحة :
« التقرير السنوى العام » .
- ٣ — وزارة المالية : « مصلحة عمرم الإحصاء والتعداد » .
« تعداد سكان القطر المصرى » يصدر كل عشر سنوات
منذ ١٨٩٧
« الاحصاء السنوى العام » يصدر سنويا منذ ١٩٠٩ .
« الاحصائيات المعجية » تصدر سنويا .
- ٤ — السيد صبرى : (١٩٣٥) .
« تحليل نتائج التعداد فى مصر » .
- ٥ — محمد عوض محمد : (١٩٣٦) .
« سكان هذا السكوكب » .
- ٦ — محمود الدرويش : (١٩٤٠) .
« سكان القطر المصرى » الجميع المصرى لثقافة العامة .
الكتاب السنوى الحادى عشر عام ١٩٤٠

7. AMICI, F. : (1879)
"Essai de Statistique generale de l'Egypte." Années 1873-77.
8. AMICI, F. : (1884)
"L'Egypte Ancienne et moderne et son dernier recensement."
9. ANMAR, A. M. : (1942)
"A demographic Study of an Egyptian Province. (Sharqiya).
10. CARR-SAUNDERS, A. N. : (1936)
"World Population".
11. CALELAND, WILLIAM : (1936)
"The Population Problem in Egypt".
12. KAMAL, A. M. : (1930)
"A Statistical Review of Births and Deaths of child in the 19 Princial towns of Egypt Since 1886".
13. NEWSHOLME, Sir ARTHUR : (1923)
"The Elements of vital Statistics".
41. ROBERTSON, C. J. : (1939)
"Population and Agriculture, with Special Reference to Agricultural over-population". Inter. Inst. of Agric., Rome, 1939.

فهرس الجداول

- الجدول الأول : جملة عدد السكان في مديرية البحيرة في التعدادات المختلفة بين (١٨٤٦ — ١٩٤٧) مع بيان زيادتهم ونسبة الزيادة .
- » الثاني : عدد الاجانب في مديرية البحيرة (١٨٨٢ — ١٩٣٧) .
- » الثالث : حركة تبادل السكان في مديرية البحيرة (١٩١٧ — ١٩٣٧) .
- » الرابع : النسبة المئوية لعدد زيادة السكان (في السنة) في مراكز مديرية البحيرة بين ١٨٨٢ ، ١٨٩٧
- » الخامس : النسبة المئوية لعدد زيادة السكان (في السنة) في مديرية البحيرة وفي القطر المصري في المدة من ١٨٩٧ الى ١٩٤٧
- » السادس : النسبة المئوية لعدد زيادة السكان (في السنة) في مديريات الوجه البحري (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
- » السابع : (ا) نسبة المواليد والوفيات في مديرية البحيرة لكل الف نفس من السكان في المدة بين ١٩١٧ و ١٩٤٥
- (ب) معدل المواليد والوفيات في مراكز مديرية البحيرة لكل الف نفس من السكان في سنوات ١٩٢٠ ، ١٩٣٠ ، ١٩٤٠
- » الثامن : حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة ومديريات الوجه البحري (١٩٠٧ — ١٩٣٧) .
- » التاسع : حركة تبادل السكان بين مديرية البحيرة والاسكندرية (١٩١٧ — ١٩٣٧) .
- » العاشر : جملة عدد السكان في كل مركز في السبعة تعدادات الأخيرة (١٨٨٢ — ١٩٤٧) مع بيان الزيادة أو النقص ونسبتها .
- » الحادي عشر : نمو السكان في مختلف مراكز المديرية (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
- » الثاني عشر : كثافة السكان في مديريات الوجه البحري (١٨٨٢ — ١٩٣٧) .
- » الثالث عشر : كثافة السكان ومساحة البور في مراكز المديرية المختلفة لسنة ١٩٣٦ (١٩٤٧ —) .
- » الرابع عشر : كثافة لمراكز المديرية وكثافة السكان في كل منها (١٩٣٧ —) .
- » الخامس عشر : الكثافة السكان في مديرية البحيرة سنة ١٩٤٥

- الجدول السادس عشر : توزيع الذكور والإناث في مديرية البحيرة (١٨٩٧—١٩٤٧) .
- » السابع عشر : نسبة الجنسين في البحيرة والمحافظات والقطر المصري (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
- » الثامن عشر : نسبة الجنسين في مراكز المديرية في السنة تعدادات الأخيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
- » التاسع عشر : توزيع ثقات السن الرئيسية في تعدادى ١٩٢٧ ، ١٩٢٧ لكل ألف من السكان .
- » العشرون : الحالة المدنية (الزوجية) في مديرية البحيرة سنة ١٩٢٧ .
- » الحادى والعشرون : الحالة المدنية (الزوجية) في مديرية البحيرة سنة ١٩٢٧ لكل ألف من السكان .
- » الثانى والعشرون : الحالة المدنية (نسبة الإناث لكل ألف من الذكور) .
- » الثالث والعشرون : حالة الزواج حسب ثقات السن في المديرية لكل ألف من السكان .
- » الرابع والعشرون : حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية بحسب مصدرها .
- » الخامس والعشرون : عدد وأسباب حالات الطلاق في مديرية البحيرة وفي مدينة الاسكندرية .
- » السادس والعشرون : حالات الطلاق في البحيرة والاسكندرية حسب :
(أ) مدة الحياة الزوجية .
(ب) عدد الأولاد الأحياء المولودين أثناء الزواج .

الرسوم البيانية^(١)

- ١ — جلة عدد السكان لكل مركز في كل تعداد من السبعة تعدادات الأخيرة (١٨٨٢ — ١٩٤٧) .
 - ٢ — نسبة المواليد والوفيات ومعدل الزيادة لكل ألف من السكان (١٩١٧ — ١٩٤٥) .
 - ٣ — المعدل السنوي لزيادة السكان أو نقصهم لكل مركز (%) في المدة بين (١٨٨٢ — ١٩٤٧) .
 - ٤ — كثافة السكان في مراكز مديرية البحيرة في تعدادات (١٨٨٢ — ١٩٣٧) .
 - ٥ — نسبة الاناث لكل ألف من الذكور في مراكز المديرية المختلطة في التعدادات الستة الأخيرة (١٨٩٧ — ١٩٤٧) .
 - ٦ — نسبة الاناث لكل ألف من الذكور في مراكز المديرية المختلفة في سنة ١٩٤٧ .
- خريطة كثافة السكان في مديرية البحيرة (تعداد ١٩٣٧) .

(١) راجع مجلة كمية الآداب المجلد الثالث عشر ، الجزء الأول مايو ١٩٥١

وحدة وادى النيل

عظة التاريخ القديم

للكنور سامى فبره بك

التاريخ يشهد بحب المصريين فى عهد الفراعنة لوادى النيل وقد أسرفوا فى جهم لهذا الوادى كما يحب الشباب ويسرف فى التدليل عن مشاعر حبه وآماله . وكثيرا ماغنى المصريون ورتلوا أناشيد هذا الحب العميق على ضفتى النيل فى أعيادهم ، وارتفعت أصواتهم بالتلهيل والتكبير بين عمد معابدهم الخالدة وكلم شادوا بحسنات النيل وولائه لمصر ذكروا الصحراء ورمالها المحرقة وشكروا السماء والنيل على أرض مصر كيمى (Kemit) وهى التربة السوداء الغنية بالماء والخيرات .

مصر عروس النيل يغمرها بحبه ويفيض على جنباتها بمائه « ماء الحياة » كلمة عميقة المعنى وردت فى أقدم أناشيد النيل فليس بعجيب ولا إسراف أن يركع المصري خاشعاً ووجهته جنوب الوادى نحو مصب النيل .

ماء الحياة يأتى من السماء ماء الحياة يفيض على الأرض
السماء يلهب بوميض النيرق والصخور تنفجر فى أعماقها المياه
يستولى النيل على الأرض :

سلام عليك أيها النيل الذى يحى بمائه أرض مصر وما عليها من مخلوق ونبات .

سلام عليك يارب الخيرات ويامن يروى الصحراء بنداه .

إن تباطئت فى انجى . اضطربت القلوب ودلكت الأرواح وإن أسرست
طابت النفوس وفتحت الزهور أن ماءك يشبه خمز الكروم .

أجمع علماء فقه اللغة المصرية على أن كلمة النيل مأخوذة من كلمتين مصريتين مع بعض التحريف (نا) أداة تعريف للجمع (les) وبالنهر أنهر وقد استعملت أداة الجمع هنا للتكبير ولتفرفة نهر النيل عن الأنهر الصغيرة وما زال فلاح مصر يستعمل كلمة البحر الكبير تفضيلاً لنهر النيل .

ف نجد من ضمن مرادفات النيل كلمة أخرى لها مدلول طريف وهي كلمة حابي مشتقة من الفعل حب (Hep) ركض ويجرى من الجنوب الى الشمال أما الأماكن التي تجاور ضفاف النيل جنوباً فقد اعتبرها كهنة القرعنة موطن الآلهة وهم الذين حكموا مصر في القصر المصري القديم ، وأغدقوا عليها من فائض نعمهم وبركاتهم في العصور الأولى التي سبقت الملوك خلفائهم على الأرض فلدينا هنا الدليل لحب برىء واسخ لوادى النيل عبر عنه المصري باسمى المعانى وأحسنها وهو في خبر حياته السياسية .

حب يعبر عن علاقة الروح بالجسد وعلاقة خلقها الطبيعة ووجهتها بسلطانها الظافر نحو وحدة الوادى ، وتضامن شعوب من يتولى لاء النيل ماء الحياة يسير في شرايين الوديان والمناطق التي ينساب إليها .

مبدأ وحدة الوادى أوجدته الطبيعة وخلفته ولم يؤخذه ويعمل بمقتضاء في بدء هذه العصور البعيدة لأن عناصر التفرقة والجهل بين القبائل العديدة حالت دون الخوض لهذا المبدأ الكريم والتاريخ يسجل ما قدمته الشعوب من التضحية الغالية كلما حادت عن رسالة الوحدة والتضامن فكلنا نعلم مدى الحروب الطاحنة التي استمرت أكثر من خمسة قرون في أرض مصر بذاتها قبل أن توحيد أقاليم الصعيد والدلتا تحت إدارة سلطة مركزية ولكن هذه المتاعب لم تمنع المصري الذى عاش في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد أن يحبب مناطق الوادى في بلاد النوبة المنخفضة والمنفعة إلى حدود بلاد كوش أو الحبشة وأن يتعرف على هذه القبائل ويتعلم لغاتها ويقبل أن يعيش هناك لخدمتهم وخدمة بلاده قبائل يام ، وارنت ، والكنوز ، والنحسين (Irtet-iam-Nehai) قبائن ذكرها القواد المصريين للأسرة الخامسة في رحلاتهم الاستكشافية .

ثم وصلت مصر بعد هذه الرحلات الاستكشافية والتأديبية أحيانا الى فتح أبواب هذه المناطق لقوافل التجارة على ظهور الجمير أو بالسفن النيلية وللهجرة أيضاً ، فكان سكان المناطق في الأسرة الخامسة من جنوب أصوان إلى مدينة حلفا خليط من المصريين والليبيين أما جنوباً الى دنقلة فكانت توجد قبائل سوداء البشرة ، وكان حاكم أصوان يشرف على هذه المناطق وعلى البعثات التي ترسلها مصر لهذه البلاد ، وهنا يأخذ مبدأ الوحدة لوادي النيل مجراه الطبيعي رغم بعض الحوادث المقلقة فكانت مصر تعمل لهذه البلاد نسيج الكتان والعطور وأسلحة من النحاس والزيوت والتسائم وترجع بقوافلها وسفنها محملة بنحشب الأبنوس والجلود والصمغ وريش النعام والبخور .

وكان في بلدة أصوان وحلفا أسواق عامة عدة ترسو فيها القوافل ، ويتبادل رئيس القافلة المصرية ، وهو عادة مندوب من حكومة فرعون ، أطيب النجيات مع رؤساء القبائل ، ثم يتبادل السلع بينهم ، وكان نتيجة هذا الاختلاط وتبادل السلع أن انتشرت المدنية المصرية في أرجاء بلاد النوبة وأصبحت المناطق الواقعة ما بين الشلال الأول والثالث جزءاً لا يتجزأ من الأراضي المصرية لها أنظمة إدارية لا تختلف عن الإدارة المصرية وفن يمشى مع الفن المصري في خطواته . وأرسلت مصر هناك أعز ابنائها للإشراف على مصالح البلاد المشتركة وتسجيل مقياس النيل كل عام على صخور عند الشلال الثالث . وقد بلغ هذا الاختلاط حداً بعيداً إذ تطلعت مصر في هذا العهد إلى بلاد السودان عند ما وقعت في أول غنة فاستها من جراء موجة خطيرة من أمواج الهجرات الآسيوية والسامية اقتحمت أقاليم الدلتا الشرقية ، ومثل هذه الهجرات الطاغية تكتسح مدنات إذا حلت بأرض تكامل أهلها وانقسموا على بعضهم بعض ، وفي هذا الوقت العصيب أرسل الملك بيب الثاني سنة ٢٣٠٠ قبل الميلاد كبير قواده لتهديم الأقاليم الجنوبية ، وليجمع جيشاً من المصريين ومن سكان قبائل النوبة والسودان لمحاربة العدو ،

فجارت الفيالق المصرية جنباً إلى جنب مع فيالق السودان وردت عدو مصر
والوادي على أعقابها حتى وصلت به إلى حدود جبال الكرمل .

فعميدة وحدة الوادي التي كان ينادى بها المصري القديم ويرتل ألحانها
في معابده وأعياده هي وليدة الطبيعة ، وللطبيعة سلطان لا يتخذل مهما عصفت
الرياح واقلبت الأوضاع ، وحب المصري القديم لوحدة الوادي هو وحى
سماوى تمثل في الطبيعة وسكن في قلوب المصريين في كل عهد وفي كل زمان .

تم طبع هذه المجلة في عهد حضرة صاحب الجلالة
«فاروق الأول» ملك مصر والسودان بمطبعة
جامعة فؤاد الأول في ٢٦ من ربيع الثاني
سنة ١٣٧١ هـ

محمد زكي خليل
سرر مطبعة جامعة فؤاد الأول

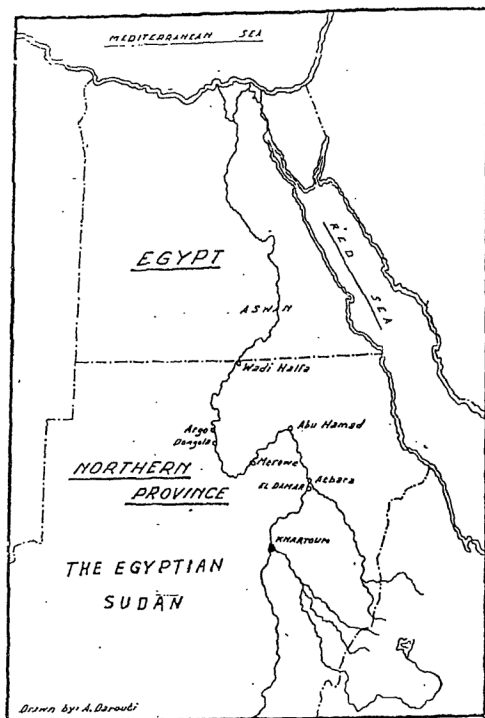


FIG. 3

Shows the Northern Province of the Egyptian Sudan.

In general the crop of a Salluka is divided into three equal shares :—

The first is for the owner of seeds.

The second is for the owner of land.

The third is for the labourer.

Each of the above three pays $\frac{1}{3}$ of the tax.

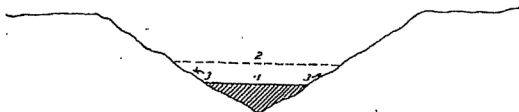


FIG. 1

Shows a cross-section of the Nile Valley near Dongola.

1. Normal Level of the Nile water
2. Level of the Flood water.
3. The Salluka.

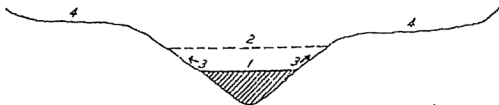


FIG. 2

Shows another cross-section of the Nile Valley near Dongola.

1. Normal Level of the Nile water.
2. Level of the Flood water.
3. The Salluka.
4. The Sakia,

B.—*The Date Trees:*

If date trees are planted on a Sakia in which there are several partners, it is the general custom to set aside a special part of the Sakia for date trees planting. This date tree plot is divided up amongst the partners according to their share in the Sakia and each one plants as he pleases in his own division or may allow outsiders, who have no share in the Sakia, to plant in it. But when an outsider who has no share in a Sakia plants a date tree on it, the owner of the land takes $\frac{1}{3}$ of it—this is called "Ardeya".

The person who waters the trees for the first three or four years after they have been planted, *i.e.* until they have been sufficiently robust to do without watering, takes $\frac{1}{3}$ of it—this is called "Haq el-Moyya".

The person who plants the tree, *i.e.* the owner of the shoot, takes the remaining $\frac{1}{3}$. This is known as "Haq el-Shatl".

In a Sakia where there is a very large number of date trees and new trees are planted promiscuously all over the Sakia, it is the usual custom to deduct $\frac{1}{3}$ of the crop from every tree planted as Ardeya. All this Ardeya is then collected together and divided up among the shareholders according to their share in the Sakia. An outsider is not allowed to plant on such a Sakia without the consent of all shareholders.

Date trees, which spring up on a Sakia of their accord, called in Dongolawi "Foski", are the property of all the partners according to their shares.

C.—*The Salluka:*

The Salluka is generally cultivated by the owner himself. If he cannot do so he hires it out to any cultivator and the general arrangement is as follows:—

The owner supplies half the seed, pays half the tax, and takes half the crop.

2. Frightening off the birds from the crop.

3. Clearing the "Gadwal" or the water conduit, of weeds or grass, in which work the Samad does his share with the Tarabla.

The Tarabla pay half the tax on the cultivated portion of the Sakia and in return of this, their labour and their oxen receive half the crop. The Samad pays the other half of the tax and pays as well the remainder of the tax, *i.e.* half the tax on the cultivated portion and all the tax on the uncultivated portion.

When any big work has to be undertaken such as making a new Gadwal or when a crop has to be put-down quickly, a crowd of neighbours is summoned in to help, this crowd is called a "Feza". The Feza does not receive any pay or wages but it is supplied with food and drink by the Samad and the Tarabla, each supplying half.

The arrangement as to the payment of land tax mentioned above does not always apply. When a Sakia is cultivated all the year round, or when the area cultivated is greater than the area taxed, the Tarabla share all the tax with the Samad, *i.e.* pay half the total payable annually in respect of the whole Sakia, cultivated or uncultivated.

If the wheel, the cows and the land belong to different people and the Samad has no share in the land, the following is the customary arrangement :—

The owner of the wheel takes 2 Kerats ($\frac{1}{12}$) of the crop.

The Auretti who turns the wheel all day takes 2 Kerats ($\frac{1}{12}$) of the crop.

The owner of the cows takes 6 Kerats ($\frac{1}{4}$) of the crop.

The labourers or Tarabla take 6 " ($\frac{1}{4}$) " "

The owners of the land take 6 " ($\frac{1}{4}$) " "

The Samad, who oversees work of the Sakia, sows seeds and looks after the Dolab from midnight to sunrise, gets 2 Kerats ($\frac{1}{12}$) of the crop.

Each one of the above supplies a share of the seeds and pays a share of the tax according to the share which he takes of the crop as mentioned above.

A Sakia in this sense is the cultivated land, not the water lifting-machine known to the Egyptian farmers.

Any land of less width is generally sloping as it forms a part of the river channel. At the time of flood it lies beneath the flood water, but when the Nile is low it is uncovered and is accordingly ready for cultivation. Such land is known to the Sudanese as Salluka and it can never be cultivated more than once per year.

The following is a description of the ways followed by the Sudanese, whether farm labourers or land owners, in working both the Sakia and the Salluka.

A.—*The Sakia :*

In every Sakia there are 3 or 4 "Tarabla" or farm labourers, and in very rare cases 2, according to the area to be cultivated but never more than 4, the general number employed is three. There is also a "Samad" or overseer who represents the landlord. Sometimes the Samad is the landlord himself.

Each "Terbal", or farm labourer, must supply an ox and the Samad must supply one ox for each Terbal, *e.g.* when there are three Tarabla, the Samad must supply three oxen. Each Terbal supplies his share of the seed (Teirah) as also does the Samad, *e.g.* when there are three Tarabla each supplies $\frac{1}{4}$ th. of the seeds and the Samad supplies $\frac{1}{4}$ of the seed.

Each Terbal also supplies his own "Toria" or spade. The Samad supplies the water-wheel, the "Auretti" or the boy who drives the oxen which work the "Dolab" or wheel and the "Wasing" or wooden implement for levelling the ground. The Samad is responsible for the working of the "Dolab", the making of the "Hods" or basins, and the sowing of the seeds. All the other work of the Sakia is performed by the Tarabla alone except the following:—

1. The clearing of the "Kodeik" or excavation in the River bank beneath the Dolab, from which the water is drawn. This work is generally performed at "Tetig", *i.e.* midday.

NATIVE METHODS OF WORKING A SAKIA IN THE NORTHERN PROVINCE OF THE EGYPTIAN SUDAN

BY
M. MITWALLY

The cultivated land of the Nile valley is divided in Egypt into plots of varying sizes, each of which is known to the land farmers as "Gheit" or field.

The Nile water, which is most essential for cultivation, is carried to the fields through canals, but it has to be raised to the level of the cultivated land by raising machines such as the "Sakia" or water-wheel. It is customary in Egypt that a Sakia raises enough water to irrigate an area of about 10 acres, and that it is owned by one person if the whole area, which it irrigates, is owned by him.

If, on the other hand, the land is owned by more than one man, it follows that the owners of the land own the Sakia collectively and each is entitled to use it for a period proportional to his share.

This applies to all parts of Egypt, but in the Sudan as a whole and the Northern Province in particular the case is wholly different. The cultivated land on both sides of the Nile is limited in area, its width being generally about 100 metres. Methods of irrigation in these localities are different from those applied in Egypt. They vary a great deal according to the width of the land and the inclination of its surface.

When a piece of land attains a width of about 50 to 100 metres it is considered big and is generally flat. Such area is known to the Sudanese as "Sakia" and is irrigated with lifting machines.

well as in Exodus-Numbers texts. Of the six major points there for the making (mantle, girdle, meat, cake, oil, honey) he has now five as against four out of four before. Matthew has now two out of six as against one out of four before. Decidedly Epiphanius' position has not benefited.

As for the truth about mantle and camel in the Ebionite version—it is not likely that we shall hesitate between the two. Considering that the Ebionite writer follows only too faithfully his texts we shall not care to set up the hypothesis of his accepting those texts when they offer him identifying meat, cake, oil, honey, girdle and when they offer him identifying sheep rejecting their offering in favour of disidentifying camel two-thirds sheep.

Camel and locusts (or whatever else $\alpha\kappa\tau\epsilon\varsigma$ may be tortured into meaning) disappear, then. We have a solution of their puzzling presence. They are corruptions of mantle and magical cake. How they came, we do not know. But they are both disidentifying, and thus are apparently purposive corruptions. Their effect is most obviously to reduce the stature of John the Baptist claimed for him by the original (our Ebionite ?) hagiographer. They may well be the tools with which rival sectarians sought to undermine the cult of the Baptist John. And the choice of appropriate sectarians is, in the circumstances, not unlimited.

As for the value of the puzzle's solution, no discussion of it can here be quite in order.

For the Ebionite this food is an affair of oil, honey, cake; for Kings, of oil, meal, cake; for Exodus-Numbers, of oil, meal, honey, cake. For Matthew it is an affair of locust and honey. The Ebionite, it is clear, came to honey by following Elijah's Kings oil and cakes on their desert-way to reappear in Exodus-Numbers along with added honey. How Matthew came to honey is a hagiographical mystery, unless he had it from the Ebionite writer or equivalent. For in the listed texts this honey has no existence apart from cakes. And Matthew has not cakes, but locusts. Are our Exodus-Numbers texts to be emended from ἐνκρίδες (= ἐνκρυφίς) to ἀκριδᾶς, and put in conflict with I Kings texts having ἐνκρυφίς in order that Matthew may have a now badly wanted bridge to his honey—and incidentally in their emended state oblige us to defend honey-locusts as a Mosiac plat du jour? We must prefer to conclude once more that Matthew is condensing editor of an Ebionite writer who gave a straightforward identification of John and Elijah without dis-identifying. The alternative course is to walk with Epiphanius and a fantastic series of such assumptions as, e.g., that the Ebionite writer craftily arranged to quote Matthew's sources more copiously and more accurately than Matthew, or that he had the good luck to find cakes ready to oust locusts and would no doubt have falsified Matthew's καμήλου by substituting μῆλου, had he not overlooked the texts mentioning Elijah's mantle, and so on. Epiphanius' position is untenable. Nor is it less so if we assume that Epiphanius has, in spite of all, given the Ebionite version of John's clothing as being verbatim Matthew's version. Matthew then still reproduces only where and as the Ebionite reproduces, while the Ebionite still reproduces where Matthew does not. Matthew's honey-mystery persists. In addition, he can no longer take advantage of Epiphanius' omitting the Ebionite's clothing-description to set up through the girdle-quotation a tenacious claim to use I Kings at first hand. On the other hand, the Ebionite writer who he is presented with the girdle-text, negatives that claim by a counter-claim, and at the same time becomes substantially represented in I Kings texts as

Is then Matthew the victim of a double copyist's error in respect of camel and locust? We make two slight emendations in Matthew, and he is established original hagiographer with correct text restored to him? By no means, indeed. Just as no-one will disbelieve that his story here, with correct desert, girdle, honey, and nearly correct camel and locust, springs from the listed texts, so everyone will doubt that Matthew's text was twice misspelt within a line's space so neatly that the accident left no visible trace of its occurrence.

The logical inference is, instead, that Matthew is not here an original hagiographer; that he edits and falsifies a story of John written by an unknown original hagiographer; and that his own story is the grandchild, not the child, of the parent texts from which sprang that unknown hagiographer's story.

But, perhaps, deduction from hagiographical practice is to be deprecated on principle, however slightly it enters into hagiographical argument?

If so, Epiphanius' despised Ebionite writer must at once assert his claim to be anyhow Matthew's predecessor, if not also the missing arch-hagiographer. Since, on the score of Epiphanius' *Φησι* and other more tangible evidence, it has been so far assumed that Epiphanius does not quote this Ebionite writer's version of John's clothing, the Ebionite has to rely on the testimony of his version of John's food only. But, as it happens, that little is enough. When Matthew and the Ebionite are compared, it is seen that both have contacts with the listed texts, and further have common features (compositional parallelism and use of the word *ἄγριον*) not given them by those texts. One of the two must follow and use the other. Matthew reproduces the texts only where and as the Ebionite reproduces (*μέλι, ἐν μέλιτι*). The Ebionite reproduces where Matthew does not reproduce (*βρώμα* = I Kings *βρώσεως* against Matthew's *τροφή, μίσις ἐλαίῳ* = I Kings *ἐλαίον* and Numbers *ἐλαίου* and *ἡ γεῦσις ὡς ἐνκρίς* = Exodus *τὸ γεῦμα ὡς ἐνκρίς* and Numbers *ὡσεὶ γεῦμα ἐνκρίς* and *ἐνκρίδας* = Exodus-Numbers *ἐνκρίδες, ἐνκρυφίας* = I Kings *ἐνκρυφίας* against Nil in Matthew).

chosen men John historically eats without miracle. And John is, for Matthew 18.10-18, Elijah returned to earth, by fusion of Isaiah and Malachi herald to the Divine Messenger of the New Covenant, Jesus, and by Jesus acknowledged as Elijah returned.

To this Elijah-John Matthew gives, quoting verbatim I Kings, Elijah's girdle for clothing and honey for food, thus making John half Elijah by clothing and half Moses by food—half, that is, the one other man who is given Elijah's miraculous desert-cake. And then Matthew denies John the cake and the mantle which were Elijah's, and turns him into a common camel's-hair-clad grasshopper-gatherer dubiously 'licensed by Leviticus 11.20-22.

What a fall for the magician-master-baker of oil-cake and striker of the waters. And what a moment to select for his glory's departure—precisely that of the climax of his predicted destiny when he has been brought to the desert-place of miracles and is to baptize the divine Messenger and hear the Lord God's voice.

Here, if anywhere, is chaos—self-contradiction, self-stultification, confusion of literary worlds, want of good taste—where the most brilliant of Christian hagiographers twice denies and at once thereafter affirms an Elijah-John, denying through camel's hair and locust, affirming through girdle and honey.

It is a chaos produced by two Greek syllables, however. Write into Matthew μήλου for καμήλου and ἐνκρίδες for ἀκρίδες, and John at once has his mantle and cake again. Chaos then becomes order, and Matthew writes faultlessly the story which must have been the story of any original hagiographer basing his account on the identifying desert-food-clothing texts of Kings and their companion desert-food texts of Exodus-Numbers.

An original hagiographer using O.T. texts to tell a Christian story does not misquote his texts in order to suit his story. If he did so, either he would be at once found out or he would not be recognized as quoting. In either case he would not gain his object in quoting. He has no temptation to alter scriptures; his temptation, if any, is to invent stories to fit scriptures.

I Kings 19.4-8: Elijah in the desert (τῇ ἐρήμῳ) prayed for death. He slept, and one touched him and said, Arise and eat. And he looked; and, behold, at his head a cake (ἐγκρυφίας ὀλορείτης) and a cruse of water. And he journeyed in the strength of that meat (βρώσεως) forty days and forty nights to mount Horeb.

(c) Exodus 16.13-35: And behold on the face of the desert a small round thing (LXX λεπτόν ὥσει κόριον λευκόν). And the house of Israel called the name thereof manna (μάν): and it was like coriander seed, white; and the taste of it was like honeycake (LXX τὸ γεῦμα αὐτοῦ ὡς ἐγκρίς ἐν μέλιτι)... And the children of Israel did eat the manna forty years, until they came to a land inhabited.

Numbers 11.7-8: And the manna was like coriander seed. They made of it cakes (ἐγκρυφίας). And the taste of it was as the taste of fresh oil (LXX καὶ ἡ ἡδονὴ αὐτοῦ ὥσει γεῦμα ἐγκρίς ἐν ἐλαίῳ).

Examining the relevant Old and New Testament texts one comes quickly to realise that the desert of Elijah's miraculous cake (ἐγκρυφίας), the desert of Moses' oil—and honeycake (ἐγκρυφίας, ἐγκρίς), the desert of Jesus' hungering and temptation, and the desert of John's locusts and wild honey are the one 'Judaean' desert. It is Matthew himself that does most to establish this interesting fact by his deliberate repetition of "these stones" (Matt. 3.9 and 4.3): thus telling us that Jesus' desert (Matt. 4.1) is John's, which, as he says, is the Judaean desert, which, as I Kings says, is the desert of Elijah's desert-cake, which is also the desert of Moses' manna—unless there are two deserts through which the chosen of the chosen breed eat miraculous cake on their way to Horeb.

In this desert, the place of "these stones" of which God could make Abraham's seed and a son of God could, if he would, make bread, a man hagiographically eats nothing or eats by miracle. But in this desert, says Matthew, alone of the four

(*Note* : The reader must be left to decide whether Epiphanius, in revising the words "And John had clothing . . . : loins", quotes the Ebionite gospel or merely quotes Matthew 3.4a in order to place the alleged falsification of Matthew 3.4b in its familiar Matthew-context for the convenience of a public not familiar with the Ebionite gospel. Epiphanius' text immediately preceding these words 'looks to be a free condensation of Matthew 3.5, 7. And the word φησὶ, not idle and yet not indispensable if the quoting of Ebionite gospel began before "And his meat", is indispensable if the quoting of Ebionite gospel begins only with "his meat". Further acceptance of the earlier quoting involves our holding that in this half of a verse and nowhere else Ebionite gospel will have had verbatim agreement with Matthew's text and simultaneously abandoned the Old Testament texts which (as will be shown) it followed everywhere else with great fidelity. Since (as will be shown) Matthew is a condensing editor here of Ebionite gospel or some lost document followed closely by Ebionite gospel, the balance of probability is heavily against Epiphanius' having here quoted Ebionite gospel and heavily in favour of his having quoted Matthew 3.4a. However, for the solution of the puzzle this matter is merely an unimportant annoyance.)

(b) I Kings 19.19 ; 2.8 : mantle (μῆλωτή).

II Kings 1.8 : A man with a shaggy coat and with a leathern girdle round his loins.

(*Note* : The mantle, or μῆλωτή, worn by Elijah and passed on to Elisha is accurately described as ἔνδυμα ἀπὸ τριχῶν μήλου.)

I Kings 17.12-16 : And the woman said, I have not a cake (ἐνκρυφας), only a handful of meal in the jar and a little oil (ἐλαίου). And Elijah said, Make me thereof a cake first..... And the jar of meal did not waste nor the cruse of oil was diminished.

Whatever turn the thing took, it should be remembered that Apion's geese and ducks would be onomatopoeic and more effective on tongue than on paper. And Josephus alleges buffoonery against Apion along with professional quackery.

II. JOHN THE BAPTIST'S DESERT-FOOD AND CLOTHING IN MATTHEW 3.1-4

It is convenient for the reader to have at once before him the following texts: (a) Matthew's story of John's desert, clothing, food and the Ebionite gospel's story of John's food in Epiphanius, (b) Kings' story of Elijah's desert, clothing, food, and (c) Exodus-Numbers' story of Moses' desert, food (mannna).

These four stories are interdependent. It is taken for granted that the texts of (a) were composed after those of (b) and (c), but not taken for granted that Kings was composed before Exodus-Numbers or Matthew before Ebionite gospel in respect of the texts listed.

(a) Matthew 3.1-4: John the Baptist preaching in the desert of Judaea had his clothing of camel's hair and a leathern girdle round his loins. And his food was locusts and wild honey. Ἰωάννης ὁ βαπτιστὴς κηρύσσων ἐν τῇ ἐρήμῳ τῆς Ἰουδαίας εἶχε τὸ ἔνδυμα αὐτοῦ ἀπὸ τριχῶν καμήλου καὶ ζώνην δερματίνην περὶ τὴν ὀσφὺν αὐτοῦ· ἡ δὲ τροφή αὐτοῦ ἦν ἀκρίδες καὶ μέλι ἄγριον.

Ebionite gospel in Epiphanius, *Heres.* XXX: (And John had clothing of camel's hair and a leathern girdle round his loins). And his meat it says wild honey whereof the taste was of mannna as oil-cake. That they may turn the word of truth to falsehood and for locusts put honey-cakes.

καὶ εἶχεν ὁ Ἰωάννης ἔνδυμα ἀπὸ τριχῶν καμήλου καὶ ζώνην δερματίνην περὶ τὴν ὀσφὺν αὐτοῦ. καὶ τὸ βρώμα φησὶ μέλι ἄγριον οὗ ἡ γεῦσις ἦν τοῦ μάννα ὡς ἐνκρις ἐν ἐλαίῳ. ἵνα δῇθεν μεταστρέψωσι τὸν τῆς ἀληθείας λόγον εἰς ψεῦδος καὶ ἀντὶ ἀκριδῶν ποιήσωσιν ἐνκριδας ἐν μέλιτι.

TWO LITERARY PUZZLES FROM PALESTINE

BY
D. L. DREW

I. JEWISH PROTEST IN C. APIONEM 2.49

Josephus says that Apion had ridiculed the names borne by Ptolemy VI Philometor's two Jewish field-m Marshals Onias and Dosithens (Greek: 'Ονίας or 'Ιωνίας, and Δοσίθεος). Where was the wit? From Greek name-forms nothing is to be had except the suggestion of Ass in 'Ονίας. However, it is anyhow likelier that the name-forms selected for ridicule would be Jewish. Onias thus reverts to Iochanas or Ionathas or Ionnas; while Dosithens reverts to Ionathas or Ionnas or Nathanael. Apion, then, had only to make a good choice, and he could present to his Græco-Roman public Doric Duck (natha-) and Latin Duck (anat-) coupled with Jehovah. Or he might string together various alternative forms to produce one Doric-Latin Superduck.

On the other hand, he may have decided to transcend mere market-place levels through a trilingual elaborosis commensurate with his own academic status. If he had Iochanas, he had Doric Goose (chan) as well as Doric and Latin Duck, with Latin Goose (anser) not far away. Using both Duck and Goose, then, he will have detected the Græco-Roman farmyard's natural pair present in the Jewish names, and paraded his field-marshal pair as (etc might say) Clack and Quack Higncockalorum; thus caricaturing well enough the Jewish weakness of excessive self-seriousness doubtless familiar to all neighbours of the Therapeutæ.

There are hardly any diggings near the site itself and it seems certain that the roughly broken quartz extracted from a large number of workings in the surrounding hills was brought here to be crushed into the finer powder from which the washing process separated out the gold. It is unlikely that the place ever degenerated into a mere road-station on the road from the Senna quarries to Qena. It may have been the permanent garrison headquarters of the military units doing guard duty in the Senna district.

There is other evidence that Roman activities in this part of the desert may have continued as late as the 4th century A.D. The ancient road to Qena from both the Senna district and the gold-workings in the Gidami hills passed the road-station in the middle reaches of Wadi Gidami. Last February I unearthed some large and well-preserved fragments of Roman amphorae there and I am grateful to M. Guéraud for reading the names found on several smaller sherds of the same period.

1. ΠΤΟΛΕΜΑΙΟΥ

2. ΑΛΚΙΜΟ [Υ]

3. Σερα [πίωνος ?]
αυει ()

He considers the period of the writing to be uncertain, but probably from 4th to 5th century A.D. In this W. Gidami road-station also was one of those little rectangular slabs of slate earlier described. It is the only one I have found with any writing scratched on the surface. M. Guéraud's reading is:—

ΚΟΜΗΤΑ

ΑΙΚΤΑ

την γυναίκα

ν μου

He adds: "The date is uncertain, but probably not late enough for it to be a reference to a *Comes*." Κόμης was also a Greek name.

Would it be too wild a guess to suppose that the abbreviated word in line 2 might have been *Voc*—, standing for *Vocentiorum*? Certainly the *ala Vocentiorum* was in Egypt at this time, and in AD 113 M. Papirius Celer, one of its decurions, dedicated a temple to Isis in the Mons Porphyrites settlement⁽¹⁾.

Fragment 4.—This was about 30 yards downstream from the place where fragments 2 and 3 were found. I think it was part of a different inscription. The chiselling is bolder, there is a slight difference of colour in the stone, and its surface has been untouched, whereas that of both 2 and 3 has faint cross-lines caused by some smoothing instrument.

It seems almost certain that the two words in line 2 stand for *Augusta praetoria* and that the reference is, therefore, to *Cohors I Augusta praetoria Lusitanorum civium*. This cohort's first record in Egypt is A.D. 111. From A.D. 121 to 156 it was stationed at Contempollinis (east bank, opposite El Fay), and it was still in Egypt towards the end of the 3rd century.

The letters of the first line seem to be abbreviations, the last one probably being a P or an F. The letters RACP, more often RACL P, and one or two similar combinations, occur repeatedly also in the quarries of Mons Claudianus. I have not been able to discover their meaning⁽²⁾.

This site that we have been calling a 'gold-crushing station' is an unusual one, not least in having so many Latin inscriptions and not a word of Greek. The type of stone, so close at hand, was an ideal one for the engraver, but it is so easily broken that most of the fragments are tantalisingly incomplete. It is still impossible to say whether the gold-crushing had wholly or largely ceased by the time of Antoninus, but the fact that many of the crushing stones are built into the remaining walls suggest that the period of greatest activity may by that time have passed.

(1) Lesquier: *L'Armée romaine*. Appendix 1, 16, and Prof. Seignef's article in the *Bulletin* 1931, p. 105.

(2) In the Mons Claudianus quarries RACP is usually written with the C and L close together, the latter sometimes as a small letter; CL therefore seems to mean Claudianus.

W. Semna slates, there was no quarry that cut at all deeply into the hillside, so that the larger, thicker slabs of stone used for the inscriptions may have come from another place not far away.

Fragment 2.—Unfortunately the year-number that was under the first horizontal stroke is missing. In the second line the tops of the letters that are still showing, to judge by the direction of their sloping, were part of the word AVGVSTI. The height of the A is rather surprising but it is paralleled by the height of the I in IMPERATOR at the beginning. One can probably, therefore, reconstruct as follows:— Anno ?? Imperatoris T. Aeli Hadriani Antonini Augusti Pii. The period is thus the same as that of the inscription found here last year.

Fragment 3.—This consists of two pieces, a smaller one fitting along a small but certain line of contact, on to the top of a larger one. They were found very near each other in the fallen sand-bedded stones at the base of the tower-like building that may have flanked the entrance to the enclosure, near that part of the trough or aqueduct that is still visible. Fragment 2 just described above came from the same spot and might easily have been the top of the same inscription.

In line 1. there is an empty space before the first letter. For line 2, with its abbreviation, Prof. Jones has suggested Proc(urator) me(tallorum) as a possible reconstruction. By the time of Trajan, a civil procurator is found side by side with a centurion at Mons Claudianus, the former being the administrator of the quarries and the latter the police guard in charge of the workmen. There may have been a similar arrangement here in the Antoninus period, although this site is not itself a quarrying area. The Semna quarries, less than 10 miles away, together with those at Barûd, perhaps came under the administration of the more important Mons Claudianus to which in Roman times they were joined by an easy road.

The word in the third line is obviously some case of *decurio* which suggests the presence of a *cohors equitata* or *auxilium*.

Fragments 2, 3, and 4:

In the Bulletin of Dec. 1950 I described the fragments of a Latin inscription found in the gold-crushing site in W. Semna⁽¹⁾. I revisited the place last February and found fragments of three more Latin inscriptions together with single letters of two others. They are all on the same green mudstone type of rock as the one found last year, but none of them have the fine cross-hatchings left by the chisel in the letter-grooves, and this characteristic of the two fragments found last year reinforces the belief that they were parts of one and the same inscription, especially as one of the new inscriptions is definitely of the same Antoninus period.

About 500 yards below the gold-crushing site the wadi swerves round in a hairpin bend and the whole of the narrow ridge or headland it thus encloses, consists of green and purple mudstones. The former had been quarried extensively on the surface by pre-historic man and many 'points' or knives of the Monsterial type were found along the top of the ridge. Much of the surface quarrying, however, was of a more recent date and this hill was obviously the source of the hundreds of little rectangular slate palettes or slabs that were to be found almost everywhere in the gold-crushing site. What their purpose was is not at all clear. Of the very large numbers examined none had any writing on them. A few had been chiselled into plates, and one or two had drawings scratched upon them. One would have thought they would have been ideal for writing purposes but quite a number had the little inequalities of their surface chiselled flat by a very narrow tool so that the levelled surface thus produced could not possibly be written on. Quantities of slate debris are found at other Roman stations in the Eastern desert, especially at the main Mons Porphyrites settlement. In the hill described above that was the source of all these

⁽¹⁾ In that article, page 1, paragraph 2, line 2, read Site 6 instead of Site 5.

2. Τὸ προσκόνημα (perhaps understood) and a name in the genitive preceding; and then: παρ] α Πρ [νι Θεῶ μενίστω recall-
ing line 12 in the Curator inscription.

3. A wilder guess would be to reconstruct 'Απα [μενων]. If this is a dedicatory inscription like the Curator stone, one would expect the names of an officer and unit of the Roman Army to follow that of the emperor. But the space available seems to be too small, and although the Cohors I Apamenorum had a long association with Egypt, the earliest known mention of it is nearly 100 years later than the reign of Tiberius.

The main station or castellum connected with the quarries is about 1 km. below, at the junction of the branch-wadi with W. Semna itself. In the debris filling the round tower or bastion at the N.E. corner of this castellum (Site I in the Sketch map of my article in the Bulletin of Dec. 1950), I found a small slate fragment, triangular in form, each edge being about 1½ inches long, with writing in black ink on both surfaces. I am much indebted to M. Guéraud, of the Institut Français d'Archéologie Orientale, for the following reading:—

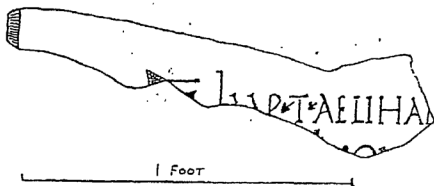
<i>Front</i>	<i>Back</i>
] .] . ρ . . .
] οὐτως [σ] τρογγυλ [
] . αι γαρ κα [] υλο [
] ιν περι του [
] . α Ισιδω [

Both M. Guéraud and my colleague Mr. David Crawford are of the opinion that the period of the writing is either the end of the second or the beginning of the third century A.D. Thus this fragment, insignificant in itself, is evidence that the work in the Semna quarries, which in view of the date of the Curator inscription may have started in the Ptolemaic period and which continued into the reign of Tiberius, may also have run on well into the second century and perhaps into the third.

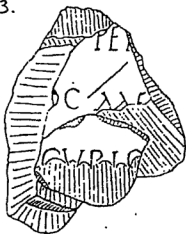
1.



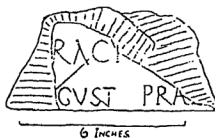
2.



3.



4.



Valley by Mr. G. W. Murray of the Desert Survey. It is at present in the Antiquities Department building in Luxor and will no doubt be eventually sent to the Græco-Roman museum in Alexandria.

Fragments 1-4:

Fragment 1.—This also is from the little branch-wadi where the village, temple, and the quarries were and is the typical metagabbro of the district. It was found in the wadi-flow only 2 or 3 yards from the Curator stone. Both the day and the month are the same as in the Curator inscription. Mr. Drescher has suggested that the first day of Pauni may have been specially connected with the worship of Pan. ΠΑΥΝΙ Α looks almost as if it may have headed the inscription by itself, but as for dating purposes the year regularly precedes the month, one should probably reconstruct in some such way as follows:—

Either [ἔτους ?] παῦνι Α | [Αὐτοκράτορος] Τιβερίου Καί |
[σαρος Νέου Σεβασ] τοῦ ἀγαθοῦ | [τύχη], etc.

or [Λ ? Τιβερίου] Παῦνι Α | [ὕπὲρ Αὐτοκράτορος]
Τιβερίου, etc.

Is this fragment part of a simple proscynema or of a longer inscription dedicating the second little 'temple' in the quarrymen's village? For there are two there, built just alongside each other, well-constructed and so similar in type that it is now difficult to say in which of the two the Curator inscription originally stood. Were the same day and month chosen because this stone too was set up to the god Pan? Two dedications to the same deity would not be very unusual. There are two small Isis temples in the same settlement in Mons Porphyrites.

The last letters ΑΠΑ admit of various possible reconstructions, such as:—

1. Τὸ προσκύνημ] α, followed by the genitive of a name beginning Πα.... Such names were extremely common (see Preisigke: *Namenbuch*).

(Inscr. gr. rom. 1236 and C.I.G. III 4716, d 2). The difficulty in this Curator inscription, draughted obviously by a man who was more or less illiterate, has always been to decide whether Publius Juventius Rufus or his freedman, Publius Juventius Agathopus, was the dedicator. The verb ἀνέθηκε has no grammatical subject and is followed in line 13 by a number of puzzling datives. The idea that ΚΑΙ ΑΥΤΩΙ (beginning line 13) means that the temple was dedicated to a god *and* to a man is obviously to be rejected. On this aspect of the inscription Prof. A. H. M. Jones writes as follows:— “I do not think it likely that Publius Juventius Rufus is the dedicator or author. ἔπει (= ἐπι) is strictly a mark of date, or at the most indicates the authority who controlled the area and under whose auspices, therefore, the work was done. The dedicator must, I think, be P. J. Agathopus: it is natural that a freedman should make honorific mention of his patron, unlikely that a patron should mention his freedman (unless merely as his agent).

“I feel that what Agathopus must have meant was, ‘Under the authority of (or in the time of) Rufus, Agathopus dedicated a temple to Pan on behalf of Rufus and himself Agathopus’ but his Greek syntax was unequal to the strain of expressing this. Having written ἔπει... Αὐτοῦ he felt that it was obvious that Rufus was being commemorated. Wanting to add that the dedication was for his own benefit too, he added Καὶ αὐτῷ (he should, of course, have written ὑπὲρ αὐτοῦ), and having mentioned himself in the dative he put his name and titles into the dative (except when he lapsed into the genitive), leaving ἀνέθηκε without a subject...

“The inscription is interesting as showing the very personal and family character of the nascent imperial civil service. Rufus employs a personal dependant as his official subordinate; after all, the emperor used his private agents (procurators), even slaves and freedmen, to collect taxes and even govern provinces.” The date on the inscription is quite clear, ἔτους Μ Κατοαρος, i.e. AD 11. The stone itself has since been brought into the Nile

My suggested reconstruction is as follows:—

ΤΟ· [προσ]	Τὸ προσκύνημα Μερσίου καὶ Σωτῆρος ἀμφο-
ΚΥΝ [ημ]	τέρων ἀρχιτεκτόνων οἱ καὶ ἐπιστήσαντες
Α Μ [ερσι].	τὸ ἔργον.

ΚΑΙ· [ὦω]	The W. Hammamat inscription mentioned
ΤΗ [ρός].	above (CIG III 4716, d2), in addition to
ΑΜ [φο]	the already familiar names of Publius
ΤΕΡ [ων].	Juventius Rufus and his freedman
ΑΡΧΙ [τε]	Agathopus, twice has the name of Mersis,
ΚΤΟΝ [ων].	each time proudly followed by the word
ΟΙ·ΚΑΙ· [επι]	ἀρχιτέκτων. The date of this inscription
CΤΗC [αν]	is the 5 th year of Tiberius, i.e. soon after
ΤΕC·ΤΟ·	that of the Curator inscription itself.
ΕΡΓΟΝ.	My colleague, Mr. James Drescher,

therefore at first suggested that Μερσεως or Μερσιος might be the missing name in line 3. But it seemed to be too long for the space available. There are scores of these proscynemata to Pan, the quarrymen's god, in W. Hammamat, and Preisigke in *Sammelbuch* 4388 has the following, which is Reinach's full reading of the incomplete CIG III, 4716, d 42:—

Τὸ προσκύνημα Σωτῆρος καὶ Μερσίου καὶ Λιέφμουις καὶ Πάχνουμις παρὰ τοῖς ἐνθάδε θεοῖς. Keeping the indeclinable form *Μερσι* and reversing his order with Soter (with whom he is obviously paired) one gets:— Τὸ προσκύνημα Μερσίου καὶ Σωτῆρος, which seems to be exactly what we are looking for. "The adoration of Mersis and Soter, both architects, the men who set up the work",

Lines 13-16:

Line 15 of the main inscription begins ΤΟΥ..., and not ΡΟΥ..., so that instead of reading (with line 14) ἀπελευθέρου, as both Green and Couyat-Barthoux read, one should no doubt reconstruct ἀπελευθέ [ρω αὐ] τοῦ, and this is exactly what Agathopus calls himself in the inscription in W. Hammamat.

μαργαρίτου. Cagnat, in his above-mentioned article, either did not know of the Red Sea pearl industry of antiquity or rejected the idea that it was referred to here on the ground that the inscription is a record of Roman mining and quarrying in Egypt. But if Mr. Murray's suggestion for βαζίου is correct, it becomes clear that lines 7 and 8 are an enumeration of the three different gems or precious stones known to have been worked by the Romans, followed in line 9 by the non-precious rocks of the quarries, grouped together in the single expression καὶ πάντων τῶν μετάλλων τῆς Αἰγύπτου. For μαργαρίτου to depend on the word ἀρχιμεταλλάρχης is perhaps slightly unusual, but there is no reason to doubt that the man in charge of the mining and quarrying also directed the pearl industry. We can, therefore, translate lines 6—10:—“and the chief overseer of the emerald mines, of the ‘topaz’ mines, of the pearl industry, and of all the quarries of Egypt”. Agathopus, the freedman, being a more local representative of the governor of the whole area, naturally makes the more limited claim of being the overseer of the stone quarries only.

One surprising thing about this inscription is that in a summary of the Roman desert activities it makes no mention of gold-mining, whereas the Semna stone quarries were surrounded by very extensive gold-workings that had been going on for a long time. Must we suppose that the absence of any such reference means that this activity was largely Ptolemaic and was neglected in the Roman period proper? An expert examination of the pottery brought back from the various sites of the district (gold-working and others) will no doubt throw a lot of light on the problem.

The lines to the right of the god:

Couyat-Barthoux's copy is correct. In addition, in line 6 the beginning of a third letter after AM is clearly circular in form. It is obviously a proscynema by two people, architects anxious to claim an equal share with the soldier Ptolemaios in the building of the temple, and in so doing imitating the solécism of his final phrase.

had one or more errors in their reading of the text and because an almost certain reconstruction of the lines to the right of the gou is now possible. Moreover, the correct explanation of lines 7 and 8 can be given and an attempt should be made to solve the grammatical difficulties of lines 13-16.

Lines 7 and 8:

τῆς ζμαράγδου (λιθοῦ).—The reference is to the well-known emerald mines in the Sikait and Zabara districts, south of Qossair.

βαζίου.—I am much indebted to Mr. G. W. Murray for the suggestion that this is in all probability the same as τοπαζίου and that the stone referred to is what the Ancients called topaz but is now known as peridot, a variety of chrysolite. [Dana in his Textbook of Mineralogy, p. 599, says that the chrysolithus of Pliny was probably our topaz and that his topaz was our chrysolite, and this is the accepted modern view.] St. John's Island, just off the coast from Berenice, was called Topaz Island by the Ancients, and it is well-known (from Pliny and other writers) that the gem was quarried there.

The form βάzion, except in this and a W. Hammamat inscription (CIG III, 4716, d 2), is apparently only known in the expression βάzion ἄκρον, a name which Ptolemy (Book IV, Ch. 5) gives to a headland 50' south of Berenice. Du Cange, however, in his *Glossarium Mediae et Infimae Graecitatis* has the word πάzion meaning 'topaz'. He quotes Hesychius:—πάzion, ὃ καὶ τοπάzion, λίθος πολύτιμος⁽¹⁾. π and β are not infrequently confused and it seems reasonably certain that βάzion is the same as πάzion. The initial syllable το- may have been dropped on the erroneous supposition that it was the definite article.

(¹) I am grateful to Mr. Drachler for this reference and for pointing out that there is a Coptic mention of BACION, obviously meaning 'topaz' in W. Till, *Koptische Heiligen- und Martyrerlegenden* (Erster teil) Roma, 1935, p. 192.

The surface is apparently just a straight fracture, not smoothed, and just below the wedge mark on the left side there is a slightly rougher area which the engraver avoided. The god is the ithyphallic Min, identified by the Greeks with Pan, and the subsequent rubbing out of the phallus by means of a stone has erased a few letters from lines 13 and 14.

This inscription was first found by Green in the winter of 1897-98 and he published his copy of the text in the *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology*, No. XXXI, year 1909. Some years later it was visited by Couyat-Barthoux, whose copy was published more fully by Cagnat in *Académie des Inscriptions C.R.* 1910, pp. 580-585. It appears also in *L'Année Epigraphique* 1910, No. 207, based on Green's text, and Lesquier made full use of it in his "*Armée romaine d'Égypte*". When seen by Green and Couyat-Barthoux the stone was still in a little one-roomed 'temple' or chapel by the quarrymen's village at the base of the quarries. Since 1910, however, it had disappeared and several attempts to locate it failed. Last February I found it lying face downwards in the wadi-floor nearly 100 yards below the temple. The story which the Arabs tell about it is as follows:— About 30 years ago a man in Qena offered a sum of money to anyone who brought the stone down into the Nile Valley. An Ababda accordingly arrived at the quarries with a camel harnessed to a cart, and he succeeded in getting the inscription out on to the terrace of the temple and in lowering it straight on to the cart that he had drawn up in the floor of the wadi just below. The stone, however, was very heavy (it must be 4 or 5 cwt.), and man and camel had not done 100 yards of that journey of over 100 kms. that the Roman waggons used to travel to Qena when the cart collapsed under the strain and the stone fell face downwards on to the wadi-floor where it has lain unrecognised ever since.

Although the inscription has been dealt with from the historical point of view by Cagnat and Lesquier, it seems worthwhile to republish it both because Green and Couyat-Barthoux



See Plate 1.

THE CURATOR INSCRIPTION AND OTHER RECENTLY FOUND FRAGMENTS FROM WADI SEMNA,

BY
L. A. TREGENZA

For the locality see the rough Sketch map in "A Latin inscription from Wadi Semna", published in the Bulletin of Dec. 1950. The Curator stone and the fragment No. 1 (in Greek) are from the quarry branch-wadi (Site 2 in the Sketch map), and the other fragments (all in Latin) are from the gold-crushing station in the main Wadi Semna (Site 6 in the Sketch map).

THE CURATOR INSCRIPTION

The stone is a roughly squared rectangular block just over 4 feet long, about 18 inches wide, and 1 foot thick, and is a typical specimen of the metagabbro quarried by the Romans at Semna (1).

The letters of the inscription are mostly about $1\frac{1}{2}$ cms. high, the smallest being not much more than 1 cm. and the tallest occasionally nearly 2 cms. The space between the lines is about 1 cm., in some places a little more and in others rather less.

(1) I am much indebted to Mr. G. Andrew, geologist to the Sudan Government, for his examination of specimens of the rock quarried both at Semna and Barūd. He has now sent to the British Museum (Natural History) specimens and slides of the Semna metagabbro and the Barūd diorite, together with some slides and specimens of the Mons Claudianus grano-diorite, with two slides of the same rock from Trajan's Forum in Rome.

1778-83 edition copied the early 18th century classification of five groups, i.e. Bedouins, Arabs, Copts, Turks and foreign Christians (Franks), the later edition classified them into four main strata; the Arabs (Bedouins, Magrebis, Peasants), the Copts, the Turks and the Mameluks, thereby including the Bedouins in the class of Arabs, adding the Mameluks as a separate class and considering the Franks as a foreign element.

The 1773 edition devotes a half-page to Egypt, almost, entirely confined to its geographical position, including a rather inaccurate statement on the frontier of the country bounded by Nubia on the East. In contrast the article of the next edition (1778-1782) is of twenty-five pages. It deals with the history of Egypt, ancient and mediaeval, followed by an account of the Pyramids, the Nile, the Nilometer and the inhabitants. Norden and Pococke have been acknowledged as sources of information. One might point out the inaccuracies and inadequacies in the part concerning the political and social conditions. 'The Constitution and Government of this country' the article runs, 'seem to be but little known to modern times. A viceroy is sent to Egypt, under the title of pasha or bashaw of Cairo, and is one of the greatest officers of the Ottoman Empire, but as the interior parts of Egypt are almost inaccessible to strangers, we know little of their government and laws' (1). The article obviously confuses the Beys with the heads of the Arab tribes. It does not refer to what was the most influential figure in the 18th century Egypt, the Sheikh El Balad, and it is certainly mistaken in stating that the Pasha had under him 'a large regular army'.

Referring to the Copts, the writer states that it would be 'hard to say what species of Christianity is professed by the Christian Copts... but they profess themselves to be of the Greek Church, and enemies of that of Rome' (2).

The writer of the article in 1797 edition drew from Savary, Volney and Bruce. Comparing this edition with the immediately previous one, the striking addition in the latter is the study of the natural and physical geography of the country and the detailed account of the Mameluk system and the revolt of Ali Bey, both obviously taken from Savary and Volney. Moreover, the classification of the population is different, for whereas the

(1) Egypt, Vol. I.

(2) Ibid.

In spite of the hard criticism of the reading public to Browne's attempt, there was a section of the public less unsympathetic to Arabian life and thought. Defending Browne in 1799, the editor of the *Critical Review* said 'We are not inclined, with Pope Gregory the Great, to burn the works of the ancient classic authors because they were pagans' (1).

In trying to estimate the influence of these travel books during our period on English contemporary knowledge of Egypt, and on English literature, one should bear in mind that this tentative study is by no means exhaustive. The subject itself demands a separate dissertation and here we need be only concerned first in pointing out that the influence was there and secondly to trace it in some contemporary English literary works. Two reservations are necessary. First, we should not disregard the fact that some works (like Parsons) were published in the early 19th century with the result that they were almost lost among the abundant early 19th century travel books. Secondly, that up to the turn of the century, the standard works on Egypt that enjoyed the great popularity were those of Pococke and Norden and still greater those of the French travellers particularly Volney and Savary. Therefore, however, insignificant the influence of our travellers might have even on the public of their time, it can be roughly specified between 1780 with Irwin's travels up to 1801 with Baldwin's political recollections. One of the best illustrations of the influence of the travel books on the general knowledge of the educated public is the article on Egypt in consecutive editions of the *Encyclopedia Britannica* throughout the 18th century. It showed first that the scope and technique in any one article is coloured by the scope and technique found in a certain travel book. Secondly that it incorporates the very same inaccuracies of one traveller or the other. Thirdly while academic assessment is not pronounced, a growing zeal and enthusiasm for Egyptian studies is apparent.

(1) Vol. 27, August 1799. p. 286 et seq.

society, or rather the Moslem Arab society. It would be pointless, perhaps, to criticize his study as being inadequate, since he himself declared that 'the subject is very far from having been exhausted' (1). As we cannot follow him here in every topic in his comparative study, it might suffice as an example to refer to his conception of education.

Browne defined his conception of education as the 'art of forming man (on the principles of nature... By the principles of nature are meant, the preservation of the body in all its functions, and the mind with all its faculties and powers in the most perfect manner possible...' (2). The best method is 'the indirect encouragement to puerile variety and arrogance—prolonging the period of childish ineptitude, and leaving to chance the instruction to be received in the great art of life...' (3). In trying to prove how this kind of education was more applied in the East than the West, he says 'The dress of children (in the East) is free from ligatures, their diet simple, and they are accustomed to variations of season and inured to fatigue. They are generally taught to serve in the family of their parents. They hence learn what to expect from those whom they may afterwards command. Among the middle class there are few who do not know how to cook their victuals and to work their own linen. These habits are of inestimable utility in the army and in travelling, and render them much less helpless than ourselves. Our children are certainly taught many useful things which they do not learn: but they also learn some usefulness to which we pay no attention. These are a part of the advantages of Oriental education. Among its serious inconveniences may be enumerated, an excessive credulity, the offspring of profound ignorance: and in places of commercial resort, a keenness bordering on dishonesty and falsehood' (4).

(1) *Op. cit.*, p. 535.

(2) *Op. cit.*, p. 513.

(3) *Ibid.*, p. 514.

(4) *Ibid.*

of elegance of narration or grandeur of description ...'. 'The mortal distrust in the several parts of the work, are obnoxious to the feelings and opinions of the generality of readers' (1). This brings us to the second factor of Browne's unpopularity; his defensive attitude of the Arab people. The comparison which Browne set between the manners and customs of the Orientals and those of the Europeans, out of which he showed inclination towards the first (2), was hardly acceptable to the contemporary reading public in England. Beloe accused Brown of being 'an avowed disciple of the school of Volney, and the other miscreant writers of that stamp' (3). As far as Browne's travels are concerned, Beloe's judgement is grossly unfair. Browne himself states very clearly in his preface that he deals with Egypt in different terms from Volney (4). The British critic considered it as 'exceedingly nonsensical' (5). The Eclectic Review accused Browne of being 'prejudiced against Christianity' and even of 'infidelity' (6).

Browne neither appears to be prejudiced against Christianity as his contemporaries thought, nor does his work suffer from 'an eccentric encomium of Eastern manners and customs at the expense of the civilization of Europe' as a biographer states (7). He was undoubtedly influenced by the French Revolution, in politics he was a Republican, in religion a Liberal. But the most influential philosophy of the French Revolution on Brown was the 'paradox of Rousseauism'; the belief in the superiority of the 'noble savage' to civilized man. The essence of this paradox is based on preference of 'nature' to the complexity, variety and artificiality of the social and economic patterns of the Western civilization. Browne armed with that 'Rousseauism', philosophized the Oriental

(1) Ibid.

(2) *Op. cit.* p. 513 *et seq.*

(3) *Op. cit.* II, p. 59.

(4) Brown, Preface, p. VI.

(5)

(6) Vol. III, Part. I, May 1807, p. 385.

(7) D.N.B. under W. G. Browne (African traveller).

place as popular literature. I have not been able to examine W. G. Brown's dissertation 'English Literature in the Near East with special reference to travel literature, 1775-1825'. But in his article on 'Byron and English interest in the Near East' (1), he defined the requirements of a popular travel book, in a study of contemporary periodicals, as 'accuracy and extension of knowledge' on one hand and 'liveliness in style' on the other. The overstress of 'liveliness in style' at the expense of knowledge caused the shrewd *Analytical Review* in 1790 to complain that 'every one thinks he can write' 'Reflective Tours', or 'Sentimental journeys' (2). How far did Browne succeed in fulfilling these two requirements? He was better known as an African discoverer. Indeed, his Ammonian Expedition in Siwa, although involving, according to Rennal, much more personal risk than Alexander's, was fruitless from an academic point of view. Browne was closely connected with Darfur, as he was the first European to describe the country. As far as Egypt is concerned, his account of the political, financial and social conditions, though in many cases misinforming, is by far the most detailed of all the British travellers in Egypt in the second half of the 18th century.

As for the second requirement, Browne seems to have failed abjectly. Whether it is because of his lack of descriptive power, or that his enthusiasm was unaccompanied by any literary liveliness, the fact remains that he is intolerably pedantic and affected. Concerning his form, on the evidence of contemporary British magazines, the first criticism was want of 'narrower compass' and 'arrangement'. The *Annual Register*, in a remarkable article, 1799 (3), accused Browne of not succeeding in giving 'mental entertainment' and not avoiding 'mental disgust'. 'Mental entertainment' maintained the *Register* 'is an object, we hesitate to say a subordinate one, at which books of travels aim; and we are not able, perhaps, to exhibit passages which claim the praise

(1) *Studies in egyptology*, Vol. XXXIV, January 1937, pp. 55-64.

(2) Vol. 8, 1790, pp. 154-155.

(3) p. 499 et seq.

residence in the country, traversed every part of it at leisure, conversed familiarly with every class of people, shared in their meals, partaken of their labours and amusements, in short, become as if were one of themselves, and being accustomed to speak, and act, and think as they do. He must, moreover, be formed by nature for minute and incircumstantial observation, deem nothing immaterial in his enquiries, and note even the smallest peculiarity with justness and precision' (1). The Review went on to state finally that 'such a man has not yet been found'. "The greatest part of the relations we have from these regions are either too romantic to be credited, or too incomplete to be satisfactory" (2). When one field of scientific investigation becomes ancillary to another different in nature and method, little profit is expected.

Browne alone, among the British travellers in Egypt in the second half of the 18th century, sustained the trend of reassessment or revaluation. As a traveller, he possessed 'exactness and veracity'. But one of the factors that added to the unpopularity of his book was the failure of his style and form to satisfy the taste of his age. We cannot here make any literary study of travel literature of the period, but it is essential to trace the general taste of the reading public in England for travel books, depending in this on contemporary comments of different magazines and reviews.

At the end of the 18th century and in the early 19th, travel and travel literature became extremely popular. The period witnessed the growth of British colonial expansion and responsibilities overseas, the improvements of means of transport and the growth of the newly-enriched middle class which began touring abroad. Naturally the travellers were impelled to publish accounts of the people, places and adventures which they experienced with the result that the period saw the publication of an almost uninterrupted stream of travel books which assumed an important

(1) Ibid.

(2) Ibid.

that they might be compared with the English version' (1). Bruce, moreover brought with him from Abyssinia and Egypt many manuscripts in Arabic, Coptic and Ethiopic, the most important of which were the Old and New Testaments in Ethiopic of which Beloe himself thought to be 'of the greatest importance to the elucidation of Scripture' (2). The Evangelical movement in England in the late 18th century showed itself in attempts by some scholars to use the information and knowledge in the books of travels for the elucidation of the Scriptures. In 1764, Thomas Harmer (1714-1788), an independent minister, published his 'Observations on Divers Passages of Scriptures... from Books of Voyages and Travls'. He explains his method in the preface by stating 'learned men have often employed themselves in noting down places of the Greek classics, which they thought explanatory of passages of Scripture..., but modern books of travels and voyages, which, if carefully perused, will afford us many observations, as curious, and as useful...!' (3). Such attempts, however, imply, as the shrewd *Analytical Review* pointed out (4), that the 'manners and customs of the Oriental nations are nearly the same, now as they were two thousand years ago...'. Secondly the question remains whether these travel books, at least which Harmer made use of, offered accurate and reliable information. In the same article of the *Analytical Review*, the editor referred to the qualification of such a traveller by saying that he 'must be, himself, not only a man of letters, but an excellent philologist, not only well overread in the general grammar of all the Oriental written dialects, but able also to make an analytical comparison of them with every oral variety that is in use between the Nile and the Euphrates. For that purpose, he must have made a long

(1) *Op. cit.* Vol. II, pp. 46-47.

(2) *Ibid.*

(3) *Op. cit.* p. III.

(4) Vol. 3, 1789, pp. 578-581.

associations in the Near East for the service of the Bible. The Bishop of Clogher thought of sending someone to Egypt to 'make enquiry' into the scripts of the 'Gebel el Mokatab' in Sina. The Church of England, on the other hand, had shown an interest in the Eastern churches. As early as 1675 Dr. Marshall translated the book of a famous Coptic scholar Abu Dakn under 'Historia Jacubitarum seu Coptorum, in Egypto, in which the author deals with the history of the Coptic Church. In 1693 the book was translated from Latin into English by Sir E. Sællier. Four years before the publication of Abu Dakn's book, Dr. Marshall was apparently engaged in preparing the 'four Evangelists in Coptic' (1), a work which does not appear to have been published. Around that time a certain F. Brothai was in Upper Egypt on missionary work 'among the Christian Copts of that country, which are in a great number there, and have many monasteries and ancient churches, but poor' (2). One of our travellers; Antes was a Moravian missionary and later the Religious Tract Society took it upon itself to publish episodes of his missionary life in Egypt (3).

But Bruce's travels were surely the most interesting in this respect. W. Beloe relates how Bruce 'on his first return from his...travels, had some questions proposed to him on the subject of the Bible in the language of Abyssinia, by a remarkable and highly distinguished member of our church, which he answered very satisfactorily', and how he 'voluntarily undertook to translate literally, a number of the Abyssinia Bibles, in order

(1) Calendar of State Papers, Domestic Series, January-November 1671. Dr. Thomas Hyde to Williamson, Nov. 23 p. 581.

(2) Philosophical transactions, Vol. 1. pp. 591-592, N. 71, p. 2151. Some observations lately made by certain Missionaries in Upper Egypt, in a letter written from Cairo, Jan. 6, 1670, by F. Brothai.

(3) John Antes, Confidence in God, London. 1799 and Anecdotes in the life of John Antes, London, 1799.

the Turkish rule. The English contemporary pictures are vivid illustration of that confusion, where things, Turkish, Arabic and Oriental in the general sense were presented to signify either Arabic life or places or persons. The common and striking feature was their failure to realize that the crescent was purely a Turkish symbol (1).

It is remarkable how these travellers were very Western in their outlook on Egyptian society. In fact, they emphasized in general ideas and conceptions current in the West about Arabs and the Arab World. Tracing their attitude towards a society different in patterns of thought and life, one might generalize and state that there were two different trends, one to assimilate in the background, Christian in values, and classical in taste, and another trend breaking vigorously with the popular outlook and pointing enthusiastically to a revaluation or reassessment of this Eastern society. G. W. Browne alone stands to represent the second trend, while the first is eminent in all the others.

One aspect of this assimilation was the numerous comparison of things Egyptian with others in the West. Antes stated that the differences between the Shia and Sunna were parallel to those between the Whigs and Tories in England (2). We have seen some travellers called the Beys the 'Republic'. The defect of such attempts is that they eventually become extremely misleading. Another aspect of this assimilation was a trend among these travellers to study the Egyptian society in biblical terms and subsequently illustrate the scripts. We have seen how some of them tried to justify what they termed 'degeneracy' of the Egyptians. At the end of the 18th century, there was in England an interest among the scholars to study the biblical

(1) See J. Gillray's Caricatures, Vol. 1. 1830. Nos. 679, 688, 689, 690, 691, 662, 697 and others. Also see Mavor (W), Collection of voyages and travels, Vol. XII, p. 122, Vol. XIII, p. 224, XIV, p. 201 and R. Ainslie, Views in Egypt, from the original drawings in the possession of Sir R. Ainslie, London, 1805.

(2) *Op. cit.* p. 6.

was in a better condition under Murad and Ibrahim than under the French, and under the latter better than under Mehemet Ali. From an economic point of view the crisis which Egypt witnessed since the French Expedition made the situation much worse than it was in the 18th century. Again culturally the Western and Turkish impact on Egypt was responsible for that confusion in thought which characterizes the first half of the 19th century. Although the second half of the 18th century saw Taj-ul-'Arus and the history of Al-Jabbari, it is almost definite that the first half of the 19th century brought forth no original work in literature or religious studies.

Reverting to our travellers' conception of the inhabitants, we find that besides the theme of 'degeneracy of the people', they looked upon the Egyptian, in manners and customs, as Arabs. A prominent feature of the social impressions of these travellers was that they never penetrated to what would be called the provinces and therefore did not include the 'fellah'. It was either among the Bedouins or in Cairo that these travellers were able to see the native inhabitants, the first living on the fringe of the Egyptian life, the second an Islamic centre of different Moslem countries. Naturally, then, Capper with a shallow view of Cairo would only see 'an heterogeneous mixture of all nations' and nothing like 'an original national character'. There was not a clear-cut distinction in the mind of these travellers between the Arabs, let alone the differences in their national characters—and the Turks. That the Near East was then culturally, religiously and, to a very great extent, politically, a unity seems to have contributed to that confusion. R. Chandler⁽¹⁾ wrote throughout his book about the Turks without being apparently aware of the fact that he was describing the Arabs of Aleppo. The twelve years of his life in Egypt, did not prevent Antes from using the words 'Turk' and 'Arab' or 'Turk' and 'Mameluk' interchangeably. He even used the term 'Turkey' to signify all the countries and nations under

(1) *Travels in Asia Minor and Greece* (1764). London, 1817.

which he lived as essentially Islamic. Pan-Arabism, much less its emphasis was not pronounced in him. The decline of the Turkish power in Egypt in the late 17th and throughout the 18th centuries had given rise to different factions mainly military (the Beys and Arab tribes), and to what are called the 'acquired rights', both factors contributing not only to the decentralization of the Government but also to its disintegration. The Government, then, in the eyes of Al-Jabarti, was an organization besides many others in the country. Its work, according to Al-Jabarti, seems to have been restricted to the protection of the 'acquired rights', the collection of taxes, and the recruitment of labour for public works. The three pillars of Al-Jabarti's society, therefore, were a strict adherence to Islamic ordinances and custom, the decentralization of government, and the maintenance of 'acquired rights'. The attempts made by the French or Mehemet Ali at the turn of the 18th and early 19th centuries to wreck one of these pillars, were indignantly resented by Al-Jabarti. On the other hand, he was able to appreciate certain values and standards of Western civilization. His language in describing French cultural achievements—after his visit to the French Academy—is characterised by laudatory figures of speech. He was struck by the trial of the assassin of Kleber, comparing it with the justice of the Turks and the Beys who had no respect for 'human souls' and yet claimed to be Moslems. He was impressed again by the life in England where 'no poverty exists', a picture conveyed to him by his friend, Elfi Bey, who visited London in 1802. But if Al-Jabarti had in general refused Western culture, it ought to be remembered that he experienced the revolutionary type of this culture which a contemporary English clergyman would have equally resented.

A greater resentment by Al-Jabarti is shown towards Mehemet Ali's vigorous action in the abolition of 'acquired rights', the dissolving of these factions and the centralization of the Government. Herein lies the fact that he thought the conditions in Egypt were going from bad to worse. The country, to him,

conveys an entirely different portrait of the man, who according to him 'was inclined to good, loved the learned and the upright... He hated the impious and never committed any act of such a nature as to throw doubt on his religious sentiments or his honour...' (1). It was not in the least his betrayal of Ali Bey that concerned Al-Jabarti but rather his slaughter of the Moslems of Jaffa during his conquest of Palestine. British travellers in Egypt have indeed failed to realize that an 18th century Egyptian was lagging far behind any conception of 'nationalism' and that he regarded himself as a Moslem and little else. That the 18th century patterns of thought and life were not altogether disagreeable to the inhabitants could be shown by their resentment towards their change at the turn of the 18th and early 19th centuries.

Apart from the attempts made by some Western scholars to reassess Islam, and the Romantic travellers or poets who found in the Arab world themes for their Romanticism, the West regarded Islam as having ceased to function as an institution and an ordinance and thought that the only hope for the Islamic Society was to accept Western institutions and standards. As far as Egypt was concerned, some of these travellers brought forward the suggestion that the country should be ruled by a 'Western nation' (2). In fact, if we allow for the temporary political prejudices caused by the struggle between England and Revolutionary France which made the reading public in England resent the French occupation and justify that resentment, we find that there was a certain enthusiasm and satisfaction among the English public for the change that took place in Egypt and resulted in opening the country to Western thought and culture. Herein lies the difference between this Western view in regarding Western impact on Egypt and the Egyptian point of view vividly presented by Al-Jabarti. This man regarded the community in

(1) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار ... الجزء (الأول) ص ٢٣٤

(2) Antes, *op. cit.* p. 34.

or where an ancient inheritance of greatness and glory, which has been so totally wasted and lost' (1). Such a view is essentially biblical. Rooke found the explanation of the alleged degeneracy in what he called 'the languid and effeminate spirit' of the inhabitants and their lack of 'courage to resist tyranny' (2). Antes refers to this as 'the bad management of its inhabitants of whom the poorer sort always be content today on a wretched existence, and even sometimes perish for want, in the midst of an earthly paradise' (3). No less biblical was J. White when he referred to this degeneracy by stating that 'God was pleased long since to declare his purpose, and among all the examples that history can show, there is not a more signal object than Egypt, this lying under the Divine interdiction, and left as a fearful witness of his prescience and power' (4). By such biblical views, they seem to satisfy themselves in justifying the existence of despotism of the ruling class in Egypt, which, to their mind, precluded the people's self-expression and appreciation of arts, knowledge and better economic conditions. Looking at the whole question with purely Western eyes, one observes that a remarkable feature in these travellers' writings was the waste of time and thinking over the 'independence' of Egypt of the Turkish and Mameluk tyranny, and the lack of the Egyptians of the requirements, moral and material to materialize such an 'independence'. When relating the story of the revolt of Ali Bey, Parsons states that the 'Inhabitants of Egypt wished to be independent of the Porte and therefore they adore the memory of Ali Bey.... who mounted the throne of Egypt..., had he not been treacherously betrayed... by Abu Dahab, his own general, nephew, and son-in-law, (whose) memory is deservedly held in such detestation, that when he is named, they spit on the ground and stamp on it' (5). Al-Jabarti, a contemporary Egyptian historian,

(1) *Egyptiaca*, London, 1801, p. 241.

(2) pp. 18-19.

(3) *Op. cit.* p. 82.

(4) *Op. cit.* p. 4.

(5) *Op. cit.* p. 301.

labours of modern travellers in this country". Not less emphatically the Eclectic Review asserts 'The military events which for a while distinguished that country (Egypt), gave occasion to so many descriptions and historians of it, that we are almost as well acquainted with the river Nile as with the Thames; and with the Delta, as with the countries within a day's journey of the metropolis... (1). Since we now know how inadequate this knowledge of the age was, such statements are surely evidence of the low standard of erudition of British contemporary studies concerning Egypt.

Our travellers, besides being unable to live among the people of Egypt, were denied correct sources of information. The Janissaries are obviously unreliable. 'The Greeks... inquisitive... were intimate with the people at large and with the government... rarely represent things as they are, but as feel them or would have them to be.....' (2). The 'Copts' a third source, 'were timid and reserved, they fear to discover even what they know' (3).

There were two main themes in the writings of these travellers, one was to regard the Egyptians as 'degenerate' people in trying to connect them with the ancient Egyptians, and the other was to look upon them as 'primitive' or in a stage of 'barbarity' when trying to connect them with the rest of the Arab domains, since the Arabs had no historical civilization in the contemporary popular eyes of the West. Referring to their 'degenerate state, J. Capper says '...In my opinion they are now.... the most disagreeable and contemptible nation on the earth, bearing no resemblance to the former Egyptians, than the present ruins do to their once insignificant buildings' (4). Professor J. White wrote at the turn of the century, 'where shall we find a degeneracy like that of the present race of Egyptians,

(1) 1803.

(2) Browne, *op. cit.* p. VIII.

(3) *Ibid.*

(4) *Op. cit.* p. 17.

obviously difficult for any British traveller in the circumstances to live intimately among the people and study them. Only under Mohamer Ali did the position of the Europeans become in general secure enough to enable a man like the British Arabist W. Lane to live among the people with 'tolerable ease' and to permit a growing foreign clientèle to found an 'Egyptian Society' in the Capital⁽¹⁾. This opening of Egypt in the early 19th century, together with the fact that since the Napoleonic Expedition the country had become a point of interest and 'curiosity' for the English public at least for some time, contributed to popularizing travels and travel-books on Egypt. That popularization helped considerably to bring Egypt nearer to the English mind much more than the 18th century ever dreamed of. But W. G. Brown's⁽²⁾ overstressing the influence of the popularization of these travels in the Near East in general on what he called the accuracy of the contemporary English knowledge about that part of the world, is somewhat open to question. He quoted as evidence an extract from the *Eclectic Review* (1812) in which the editor says about Egypt, Palestine and Greece, 'Of these countries' already so amply described by Shaw, Pococke, Maundell, and Chandler, our information is singularly minute and copious... so copious indeed, as in the opinion of many, to have contracted the duties of a writer of travels in the present day, to little more than the correction of the errors of his predecessors'⁽³⁾. Brown obviously disregards the fact that the age overestimated its knowledge of the Near East. The *Edinburgh Review*⁽⁴⁾ referring to Thomas Legh's voyage up the Nile in 1816, claims that 'If Mr. Legh has not contributed much to our knowledge about Egypt, it must be recollected... that there was comparatively little to add, after the multiplied

(1) B. M. *Journal of the Egyptian Society—Under 'Cairo'*.

(2) 'Byron and English interest in the Near East,' *Studies in Philology*, XXXIV, January, 1937, pp. 55-64.

(3) 1812, p. 1085.

(4) Vol. 27, 1818, p. 423.

travellers. Apart from Browne, Bruce and perhaps Baldwin, none of them evidenced that they possessed any adequate knowledge of the Arabic language. 'Sans la langue' writes a contemporary French traveller⁽¹⁾ in Egypt. 'On ne saurait apprécier le génie et le caractère d'une nation : la traduction des interprètes n'a jamais l'effet d'un entretien direct. Sans le temps l'on ne peut juger sainement ; car le premier aspect des objets nouveaux nous étonne, et jette le désordre dans notre esprit, il faut attendre que le premier tumulte soit calmé, et il faut revenir plus d'une fois à l'observation pour s'assurer de sa justesse'. Thirdly the isolation of the non-Moslem community in Egypt from the social and cultural life of the community left these travellers no other alternative but to join the narrow life of the Frank colony in the Towns or the Catholic convents on the fringe of the towns. Fourthly, these travellers were subject to the continuous oppression and avarice of the Beys. It is difficult to think of any British traveller between 1779-1784 who did not suffer in some way under the Beys. Antes relates how he was arrested and beaten⁽²⁾. Baldwin, Irwin and Rooke were arrested too. Such treatment was attributed to the desire of the Beys, particularly the lesser ones, to extract money from these travellers who were known to have come from the 'treasury lands'. It was also attributed to religious fanaticism. None of these travellers, however, seems to have realized that this treatment was closely connected with the commercial struggle between the Arab merchants and their formidable rivals in the first place and between these Frank merchants and the growing active Syrian colony late in the century. This fanaticism, however, took different shapes. Except in Rosetta, the Franks were obliged to dress in Turkish garb and only their consuls and high officials were allowed to ride on horseback. In the western part of 'Grand Cairo' they lived in certain quarters which were closed at night. It was

(1) Volney, *op. cit.* Tome I, p. IV.

(2) Confidence in God, London, 1799.

absolutely insignificant' (1). Such a transaction did not, in fact, appear to have taken place either with the tenant or with the 'Mutazim' and the holding of the land either by one or the other was almost hereditary.

Browne again was the only traveller of our period to deal with the Revenue. He pointed out that the sources of revenue were the legal tax or two 'patachas' per feddan estimated as a whole at 12,900 'purses', the additional taxes imposed by the Beys which he estimated at L.S. 1,250,000 the custom duties of which he could not give a definite estimation, the 'Jizia' (1,500 purses) and the customs levied on certain artisans and professions (2). In the first place, Browne left out of account an important item, which contributed to the Miri, the money paid by those holding official posts. Secondly his estimation of the sources of the Miri are grossly inaccurate if compared with those given by Estève (3). The Miri for the land, estimated by Browne as 215,000,000 'Midies', are about one hundred million more than the entire Miri according to Estève. Thirdly: Brown seems to have considered the Miri as revenue only and this is probably the reason for his misapprehension in supposing that all the taxes belonged to the 'Miri'.

(4) Sociological study of the inhabitants was the least contribution of these travellers and apart from Browne and Antes, there was, in fact, nothing like a studied observation of the manners and customs of the different classes of people. Most of these travellers suffered two obvious handicaps, inadequacy of time and their ignorance of the language. Irwin, Capper, Rooke, Mrs. Pay and Cleghorn deserve to be called wayfarers rather than

(1) Ibid.

(2) *Op. cit.* p. 35.

(3) *Mémoire sur les finances de l'Égypte, depuis sa conquête par le Sultan Selym et jusqu'à celle du général en chef Bonaparte, par M. le comte Estève, trésorier général de la Couronne, officier de la Légion d'Honneur, ex-directeur général des revenus de l'Égypte* p. 109. Description de l'Égypte, Paris. 1822. Tome 12, pp. 41-218.

The speculation of some of these travellers on the commerce of Egypt will be left to another essay, and here we shall refer only to their dealings with agriculture. In fact, the country-side was the field least explored by the British travellers and we find Browne the only person informed to any appreciable extent on the conditions of the peasantry. Estimating its potential productivity, Baldwin asserted that Egypt 'can send annually a thousand ships abroad with her superfluous productions' ⁽¹⁾. Browne estimated the cultivable land at 2,100,000 feddans ⁽²⁾, two-thirds of which were actually cultivated. Antes, in suggesting means to increase the cultivated land through improvement of irrigation, puts forward the building of 'mills or engines' worked by wind to bring water from the Nile ⁽³⁾. Another 'expensive, and not as soon accomplished' plan was 'fortifying the banks of the river (The Nile) throughout its whole length ... by confining it into a narrower channel by which a considerable piece of valuable ground might be obtained and not a quarter of the water would be required to overflow its banks' ⁽⁴⁾.

Dealing with the tenure of the land, Browne regarded the majority holding as belonging either to the government or to the religious bodies, and therefore 'the tenants or the cultivators' 'hold either of the Government, or the procurators of the mosques' ⁽⁵⁾. Browne thought that this was for the 'personal ease of the cultivator or the tenant' because '(once) their lands, becoming unoccupied, are never let but on terms ruinous to the tenant' ⁽⁶⁾. He went on to explain his point by saying 'For as there is a number of bidders and the managers of them are exorbitant in their demands, the tenant becomes accessory to his own misery, by engaging to pay the owner so large a portion of the product, that his projects are

⁽¹⁾ *Op. cit.* p. ii.

⁽²⁾ *Op. cit.* p. 32.

⁽³⁾ *Op. cit.* pp. 86-87.

⁽⁴⁾ *Ibid.*

⁽⁵⁾ *Op. cit.* p. 34.

⁽⁶⁾ *Ibid.*

own coffer...'(¹). 'I might easily, from my own experience' he says 'give some specimens of law-suits, which would prove, that not the laws themselves, but the execution of them, is chiefly in fault; and that it is in this respect that the differences appear more striking between their government and that which prevails in our own country'(²). Whatever might be the failure of some of these travellers to appreciate that difference, they all indignantly found fault with the Beys' abuse of power and the evils of despotism. Cleghorn, while in Egypt, noticed that Europeans in Africa possessed democratic views(³). Mme. Montagu who agreed with him, explained this as a reaction to Oriental despotism which they witnessed during their stay in Africa(⁴). Bruce, who was undoubtedly more fortunate in visiting Egypt in the time of Ali and Mehmet Beys, writes that... there is not on earth more brutal, unjust, tyrannical, oppressive, avaricious set of infernal miscreants, than are the members of the Government of Cairo'(⁵). '...The scene of oppression that exists here' writes H. Rooke 'is a disgrace to human nature, both in those who practise and those who suffer it...'(⁶). But it was certainly a gross misconception among the travellers to confuse the 18th century Beys with the Mameluk Dynasty which existed before the Turkish conquest and to consider the latter as a continuation of the former. Nothing is more significant in the writings of the late 18th century English authors about Egypt than their inadequate knowledge of the history of Egypt. The Encyclopedia Britannica throughout the 18th century called the Mameluk Dynasty the 'Third' but 'wicked' Caliphate. Even the better-informed Browne was extremely inaccurate in recording the events of Egypt for the ten years before his arrival(⁷).

(¹) *Op. cit.* p. 116.

(²) *Ibid* p. 134 footnote.

(³) Cleghorn Papers, p. 24.

(⁴) *Ibid*.

(⁵) Vol. 1, p. 26.

(⁶) *Op. cit.* p. 93.

(⁷) *Op. cit.* p. 130 et seq.

and that the Sheikh El Bahad enjoyed 'more or less the power of the Doge of Venice'. Apart from the fact that the word 'Bey' or 'Senjak' did not always signify the governing province or even any administrative work but often a title carrying financial and social privileges, the Beys unlike the Republic of Venice, did not represent an economic stratum in society but rather a military one. Again the travellers seem to ignore the fact that their 'Republic' was not exclusively Mameluks, the Porte having the right to appoint Beys out of twenty-four. The keynote of this misapprehension apparently lies in the fact that the travellers failed to realize that the standing of the Pashas, that of the Ottoman military leaders and the powers of the Beys which the travellers knew in their time, all this was the development of more than a century during which the Ottoman power was declining. Baldwin is a striking example of that misapprehension. He started with the conception that Sultan Selim, who founded the Mameluk organization aimed at a policy of "equilibrium" between the Beys and the Pasha. The Bey's part was to repress any ambitious designs of the Pasha and the latter was to promote a "spirit of dissension and revolt among the Beys". "Hence the perpetual commotions in the Government of Egypt, hence the division among the Beys, hence the alternate prevalence of parties; hence the continual fluctuation in the tide of power; hence the security and affection of the state"(1). Both Browne and Antes tend to differentiate between the theoretical form of the constitution and the abuses of its application. The Bey, for instance, "sits for judgement on case of equity" which offered 'every advantage of publicity' but 'the justice of the ruler is ever open to the omnipotent influence of gold'(2). Antes, on the other hand, referred to the 'money allowed by the Sultan for carrying the rubbish from Cairo to the Sea (Karakjee)' but the Beys find it more for their interest to put the money into their

(1) *Op. cit.* pp. 51-52.

(2) Browne, *op. cit.* p. 58.

the ruling class in Egypt through their lavishness. Cleghorn, after a few days' stay in Cairo, wrote that nothing could be done in this country without presents. There is no doubt that these travellers were aware of the domination of the Beys. Eton, who published his survey of the Ottoman Empire in 1798, described the three main features of the Porte's sovereignty in Egypt by saying '... the Pasha is in effect a prisoner during his government which is only nominal; the Porte draws little or no revenue from it... The Janizaries and Arab soldiers in the service of the Porte... are few in number mostly composed of artisans and persons unaccustomed to arms. The actual power resides in the Mameluks...' (1). But the fact that Egypt was virtually independent, being only nominally a Turkish province seems to have been difficult for these travellers to grasp. 'I hardly know how to explain... the form of government here', writes H. Rooke, 'it is of so strange and complicated a nature; on one hand the Pasha or Viceroy sent by the Grand Signor, to whom the country is tributary, claims the sovereignty; on the other the twenty-four Beys maintain their authority' (2). Bruce admits that he 'could never understand it, and therefore cannot explain it' (3). Even the better-informed Baldwin was 'puzzled to define its government: who has ever defined it? It is neither dependent nor independent' (4). In an attempt to assess that political form of government, some of them refer to the 'Beys' as the 'Republic'. Lusignan oversimplified when he divided the administration of Egypt into the 'Republic' and the 'Monarchy': the first represented by the Beys, the second by the Pasha (5). That misconception had led Capper (6) to think that the twenty-four Beys were rulers of provinces, and therefore concluded that Egypt was divided into twenty-four provinces,

(1) W. Eton, *A Survey of the Turkish Empire*, 1798, p. 293.

(2) *Op. cit.*, p. 34.

(3) *Op. cit.* Vol. I, p. 26.

(4) *Political Recollections*, p. 47.

(5) *Op. cit.*

(6) *Op. cit.*, 18-19.

practically nothing of significance on Egypt. Even the substance of his well-known work 'Political Recollections relative to Egypt' 1801, does not contain much more than his 'Speculation on the situation and resources of Egypt' presented to the British Government sixteen years earlier⁽¹⁾. His 'Political Recollections' was received with bitter disappointment by the British public. 'Not only from the title page' writes the editor of the *British Critic*, 'but from the local situations and character of the writer, the public might reasonably expect a great deal more than they will find... and we cannot help being of the opinion that a great number will partake of the disappointment which we confess to have experienced. So much has the curiosity of the world been directed to Egypt, that every eye, and every ear, anxiously expected to know what an Englishman who had resided almost thirty years upon the spot was able to tell them'⁽²⁾. The fact is that this book, which was written in the light of the 18th century British interest in Egypt, was published in the 19th century Egyptian Napoleonic upheaval. In the first place Baldwin offered very little 'new' to the public. In the second place he seems to have been determined to boost in strong terms the services he performed at the expense of information on the subjects he professed to discuss⁽³⁾.

We shall attempt here to give these travellers' conception of the political and social structure of the country in general terms, avoiding their views on the British political interests in Egypt which will be dealt with in a separate dissertation.

In general, British travellers were able to understand the nature of the Levantine political and administrative set-up, with its favouritism, its bribery and the nature of the Mameluk mentality in particular. By the end of the century, a French traveller had written that the English enjoyed the bona fides of

(1) See Ch. VIII.

(2) Vol. XVIII, p. 89.

(3) *Edinburgh Review*. Vol. I, p. 59.

John Antes (¹), American born, was a Moravian missionary, 'invited to serve the mission at Grand Cairo'. When he arrived at the beginning of 1770, the original pl. (²) was that Antes, with his German Brethren, would follow James Bruce to Abyssinia for missionary work there. But 'the information received from Mr. Bruce, upon his return in 1773, ... destroyed all our hopes of being of any service there ...' (³). Antes stayed in Egypt until the end of 1781, absorbed in an apparently unsuccessful mission among the Copts (⁴).

Of all the Englishmen in Egypt in the second half of the 18th century, G. Baldwin enjoyed the longest stay, as an agent of the East India Company (1775-1779) and the British Consul-General in Cairo (1786-1795). Both official positions must have afforded him a unique opportunity of coming into intimate contact with the ruling Beys. Thus he was, most probably, the best-informed Englishman about the contemporary political conditions of the country. Up to 1798, apart from the 'Narrative...to the plunder of the English merchants 1779' (⁵), Baldwin wrote

(¹) *Observation on the Manners and Customs of the Egyptians* ..., etc., London 1890.

(²) J. A., *Missionair der Brudergemeinde*, (Eine Selbstbiographie). Basel, 1869, p. 1 *et seq.*

(³) *Confidence in God*, illustrated in the life of J.A., a missionary in Egypt; extracted from a narrative written by himself. The first series tracts, etc. (Religious Tract Society), London, 1799, p. 2.

(⁴) "August 23. I set off on a visit to Belmesse, to renew our connexion and acquaintance with the few Copts in that place, ... there I stayed about six weeks, and spoke to many Copts of the love of Jesus Christ our Saviour: interesting them to devote themselves to him, by whose name they wish to be called, and to such approve themselves as believers in, and followers of his doctrines. They appeared to assent to everything that was said; but it was easily seen that, with most of them, though they had a custom of speaking in scripture phrases, or, out of compliment to me, expressed their approbation, their hearts remained untouched which made me daily call upon the Lord to hasten their conversion." Antes, *Confidence in God*, p. 6.

(⁵) 'Narrative of facts to the plunder of the English merchants by the Arabs and other subsequent outrages of the Government of Cairo in the course of the year 1779.'

Up to the turn of the century, the 'African Association' was able to send over two explorers to Egypt. The first was J. Ledyard⁽¹⁾ who died prematurely in Cairo in 1788, the second was the German explorer Fredrick Hornemann⁽²⁾, who witnessed the French Expedition to Egypt, and, assisted by Napoleon, made his investigation in Sennar in 1798-1800. Beside these two, Egypt saw W. G. Browne⁽³⁾, a private explorer who arrived at Alexandria in January 1792 with the intention of penetrating into Abyssinia. Accompanying the great Sudan caravan to Darfur, and encountering great hardships, he reached Darfur in July 1793. There he made his investigations. It was not before 1796 that he arrived back in Cairo.

Apart from the 'chance travellers', there were a few residents either in an official capacity like G. Baldwin or unofficial ones like Antes and Lusignan. S. Lusignan⁽⁴⁾, a Levantine merchant, contemporary of Bruce and Wortley Montagu, is specially noted for his account of the history of the revolt of Ali Bey, to which he added, as far as Egypt is concerned, a description of Cairo and an account of the Government of Egypt. The authenticity of his work was impugned by the French traveller, F. Volney⁽⁵⁾, who instanced with ridicule the Bey's father's visit to Egypt as an example of how Lusignan was misinformed. The latter seems, however, to have failed to pass an impartial judgement on the revolt. Moreover, he wrote his work ten years after the Bey's death and, depending entirely on his memory for places and names, laid himself open to inaccuracy.

⁽¹⁾ Proceedings of the African Association...etc., p. 26, *et seq.* Parks. *Memoirs of the Life of Ledyard*, p. 402. *et seq.*

⁽²⁾ Proceedings...etc., 1802. p. 2 *et seq.* Hornemann, F. *The Journal of Fredrick Hornemann's travels in 1797-8*. London, 1802.

⁽³⁾ *Travels in Africa, Egypt and Syria, from the years 1792 to 1798*, London, 1799.

⁽⁴⁾ *A History of the Revolt of Ali Bey against the Ottoman Porte...*, etc., London, 1783.

⁽⁵⁾ C. F. De Volney, *Voyages, en Syrie et en Egypte. pendant les années 1783, 1784 et 1785*, Paris, 1787.

mistaken in regarding himself as the first European who had reached these springs. Pedro Paez, the Jesuit, had undoubtedly reached them as early as 1615. Bruce's travels, however, together with those of Dr. Sparman, Patterson and Colonel Gordon in South Africa, aroused considerable curiosity coupled with a 'reproach' as to the ignorance of the 'present age' about Africa. 'Sensible of this stigma and desirous of rescuing the age from a charge of ignorance, which in other respects, belongs very little to its character' (1), a group of dilettanti headed by Lord Rawden (later Marquis of Hastings), founded on the 9th of June 1788 an 'Association for promoting the Discovery of the Interior of Africa' (2). The interior of Africa in 18th century terminology did not signify any equatorial region, but was restricted rather to the sources of the Senegal, Niger and Gambia rivers, the western central region of what is now known as French West Africa.

It might be argued, then, that North Africa would offer a more natural entrance to these regions than Egypt. Geographically that appears to be true, but the political unrest of the Islamic countries of North Africa caused by the imminent danger the Arab tribes there, which threatened throughout the century the social and economic life of the towns, made the journey a perilous undertaking.

In Egypt, explorers found it convenient to accompany the trade or pilgrim caravans between Cairo and Darfur and beyond. In Cairo they were likely to obtain information about these 'interiors' from Arab merchants, and assistance from the British Consul or Carlo Rosetti, the Venetian merchant and unofficial head of the Frank colony in Cairo. Furthermore, the districts of exploration were inhabited mostly by Moslems, and explorers found it useful to stop in Cairo for a certain period to acquire the language and study the manners and customs of the people.

(1) Proceedings of the Association for promoting the Discovery of the Interior Parts of Africa, London, 1790, p. 7.

(2) Ibid.

By their commercial penetration into the Mediterranean and round the Cape of Good Hope, the British in the 18th century became fairly acquainted with the Northern, Western and, to a less degree, Eastern, coasts of Africa. Apart from this, the interior parts of the Continent remained 'terra incognita'. One might safely assume that their acquaintance with Egypt, from a geographical point of view, surpassed their knowledge of any other part of the Continent. It is not, therefore, inexplicable, as the *Edinburgh Review* held (1), that an African traveller; G.W. Browne, should call his book 'Travels in Africa, Egypt and Syria'. Because of that knowledge of Egypt, and because of its intrinsic geographical position, Egypt became the natural gateway to British discoveries in Africa in the second half of the century. There were two lines pursued, one along the Nile, pointing South-West to the old land of the 'Queen of Sheba', the other South-East to the sources of the Gambia to link with their tentative explorations there from early in the 17th century.

Up to the days of R. Pococke, British travellers in Egypt had proceeded no further than the first cataract. Pococke's book, however, foreshadowed the interest of the English nobility in these explorations. For late in 1758, Lord Halifax, then president of the Board of Trade, discussed with James Bruce the question of the sources of the Nile and proposed that Bruce should interest himself in it. In this connection he secured for Bruce the consulship of Algiers as the proper post to learn Arabic and acquire information concerning the interior of Africa. In the summer of 1768, Bruce was at Alexandria ready to start his travels in Egypt, the Red Sea, Abyssinia, to return along the course of the Nile, an expedition which occupied him for nearly four years (1769-1773). It is not here that one should introduce a discussion on Bruce's discoveries. It should be noted, however, that Bruce was mistaken in thinking that he had reached the source of the true Nile. Again, he was less excusably

(1) Vol. II, p. 115.

him can be distinctly classified into two groups ; first the servants of the East India Company, the merchants and ordinary passengers who used this overland route, and secondly the African explorers who made Egypt their starting point for discoveries. Both kinds of undertaking, though carried by what might well be called 'chance travellers', nevertheless appear to have re-established the geographical significance of Egypt, not only in respect to Africa but also to the links of communication between the East and the West.

To the first group belong E. Irwin ⁽¹⁾, who was in Egypt 1777, H. Rooke (1777) ⁽²⁾, James Capper (1779) ⁽³⁾, Mrs. F. Fay (1778) ⁽⁴⁾, A. Parsons (1778) ⁽⁵⁾ and H. Cleghorn (1795) ⁽⁶⁾. The chief figures among these passengers who made a detailed description of that route and the Islamic 'echeles' in the Red Sea and were representatives of the British India approach to the Red Sea are Irwin, Rooke and Capper. The route usually taken by them was by sea between Alexandria and Rosetta, by the Nile between Rosetta and Cairo and in the company of trade caravan between Suez and Cairo. Irwin was the only one who was forced to land at Cosseir and travel through the Eastern Desert to Kena and thence by the Nile to Cairo. As such this group of travellers is characterized by being constantly in contact with the Bedouins and life in the Egyptian deserts and their accounts are significant in the study of the 18th century Egyptian caravan routes.

(1) A series of adventures in the course of a voyage up the Red Sea, on the coasts of Arabia and Egypt, and of a route through the Deserts of Thebais, hitherto unknown to European Travellers,...etc., London, 1781.

(2) Travels to the Coast of Arabia Felix, and from thence, by the Red Sea and Egypt, to Europe; containing a short account of an expedition undertaken against the Cape of Good Hope; London 1783.

(3) Observations on the passage to India through Egypt,...etc., London, 1783.

(4) Letters from India, London, 1795.

(5) Travels in Asia and Africa,...etc., London. 1803.

(6) Cleghorn Papers. London 1925.

BRITISH TRAVELLERS IMPRESSIONS OF EGYPT IN THE LATE 18th CENTURY

BY

M. ANIS (PH.D. B'HAM)

As far as British travellers in Egypt in the first half of the 18th century are concerned, one might assert on the whole that their main interest was antiquity and antiquarian researches carried out in a spirit of dilettantism⁽¹⁾. The latter part of the 18th century, however, gave rise to a very different type of British traveller to Egypt. It would be unwise to concur with some authorities on travel literature and relate British travels in Egypt during this period to different aspects of British travels in general. One searches in vain for any clear and definite connection between British travels in Egypt and British commercial expansion during the century. For while British trade with India increased five-fold and doubled with Africa, trade with Egypt, in fact the whole trade of the Levant Company, was diminishing throughout the century.

Two main factors that came into being with the arrival of James Bruce⁽²⁾ in Egypt in 1768 were in the main responsible for subsequent British travels; namely the opening of the overland route between England and India through Egypt and the tentative explorations into what was then known as the 'interior of Africa'. Bruce worked in both fields, but those who followed

(1) M. ANIS, *The first Egyptian Society in London* (Bulletin de l'Institut Français D'Archeologie Orientale. T.L.).

(2) *Travels to discover the Source of the Nile in the years 1768, 69, 70, 71, 72 and 73 containing a Journey through Egypt, the three Arabias and Ethiopia*, 5 Vol., Edinburgh 1790.

held responsible for the rent. He had only to return the seed-corn he received from the landlord. Compare the clause frequently found in leases, e.g. *Pap. Oxy.*, Cl, ll. 24-26, ἐάν δέ τις τοῖς ἑξῆς ἔτεσι ἄβροχος γένηται, παραδεχθήσεται τῷ μισθωμένῳ 'If in any of the years there should be a failure of water, an allowance shall be made to the lessee'.

EGYPTIAN LAWS OF TENURE AND THE OBLIGATIONS OF LANDLORD AND CULTIVATOR TOWARDS ONE ANOTHER

BY
GIRGIS MATTHA

The opening section of the *Demotic Legal Papyrus of Hermopolis West*, now at the Museum of the Egyptological Institute, Giza, is for the most part missing. It deals exclusively with the laws regulating the tenure of arable land and the obligations of landlord and cultivator towards one another. The remaining part, which is complete and in a good state of preservation, furnishes us with the concluding chapter on such obligations as are referred to above.

A landlord (says the papyrus which dates from the end of the third century B.C.) who, after having provided the cultivator with the seed-corn and had his land cultivated, holds back the land from the cultivator, is compelled to give the cultivator one-quarter of the harvest in compensation for his work.

If the seed-corn necessary for sowing the land belonged to the cultivator, the landlord shall give him a quarter of the produce of the land over and above the said seed-corn.

If, on the other hand, the cultivator, after having watered the land and been provided with the seed-corn, failed to sow the land, he is made to pay the landlord the rent plus the seed-corn he received from him, in accordance with the provisions of the lease drawn up between them.

But if it chanced to be low Nile and the land was not inundated, the year was not to count and the cultivator was not

8. *Theban Ostraca* D 32, p. 58, gives *c-f st a tm 'r-f mte-f 'y c. ' r-hr p rt* 'if he refuses to make it (sc. the oath) let him come before the steward'. The steward of the priests of the temple of Mōnt was the usual representative of the priests in business matters. In Wilcken, *Griech. Ostr.* No. 1150, referred to above at the beginning of this article, an oath of 134 B.C. before Chons of Thebes, we have the phrase εἰ δὲ μὴ ἔρχεσθαι ἐπὶ τὸν ἐπιστάτην, i.e. no doubt the ἐπιστάτης τοῦ ἱεροῦ. This officer is named in the Canopus decree (Koni-el-hisn. Greek, I, 62) and is equivalent to the demotic (l. 20) *p rm nt sn*, who is found making oaths (not receiving them as here) on behalf of the priests in Spiegelberg, *Pop. Elephantine* No. 5 (cf *Theb. Ostr.*, *ibid.*, n. 2); see also next note.

9. Louvre? (*Mélanges*, p. 174) gives *te-w p 'nh n-tr.t X p rt* 'the oath was given to X the steward'. The steward, before whom the oath was taken, was presumably the steward of the priests of the temple in which the oath was sworn; see last note.

All the oaths referred to above, except one, Louvre? (*Mélanges*, p. 203) of the 31st year of Augustus, date from the Ptolemaic period.

Chons occurs together with his epithet see *Mélanges* p. 191, Louvre 7982 (*Dict. Démotique*, p. 112), Louvre 7329 (*ibid.*, p. 144 G.), *Theban Ostraca* D. 88, p. 51.

(c) *Anmon Nachomneus*. Amūn the principal god of Thebes with the epithet *Na-hmn-w*, a writing of *ny Hmny.w* 'the one belonging to the eight gods of Heriopolis' (cf. G. Mattha, *op. cit.* p. 229) appears in two oaths sworn by him at Thebes, the first being *Theban Ostraca* D 104, p. 59, and the second *ibid* D 179, p. 60. The epithet Nachomneus attached to the name of the Theban Amūn occurs as a proper name in five ostraka published by me (*op. cit.*) Nos. 66/1 (= Berlin 9690; Claudius 7), 111/3 (= Vienna 327; early Roman), 129/5 (= Berlin 1112; Augustus 21), 261/2 (= Bodleian 37; possibly Auletes 21 = 55/54 B.C.) and 272/3 (= Berlin 9463; II-I cent. B.C.). The all come from Thebes.

(d) *Hathor* (of Pathyris = Gebelein). The only published oath by Hathōr of Gebelein is that edited by Spiegelberg in *Démotica* I, p. 44.

(e) *The god-kings* (i.e., presumably, the deified Ptolemies). The only oath known to me sworn by the god-kings is recorded on an unnumbered ostrakon in the Louvre published by Revillout in his *Mélanges*, p. 171/2. It belongs to the 53rd year (of Euergetes II) and was sworn by the *ntr.w Pr-o.w* 'the gods (the) Kings' in the temple of Mōnt at Thebes.

6. Instead of *mte-f wj ar-j* 'and he will have no claim on him', or 'he will be quit of him', an unnumbered ostrakon from the Louvre published by Revillout in his *Mélanges*, p. 203, gives *n* (sic) *tm rḥ B* (plaintiff) *ḥpr m-s-j n mt.t nb n p to B* (plaintiff) shall (Nα-) not be able to have a claim on him for anything whatsoever (*lit.* in the land)'. Notice the displacement of *n*.

7. Louvre ? (*Mélanges*, p. 203) gives (after *ε.ε. at a tm r-j* 'if he refuses to make it (sc. the oath) the words *mte-j tt ḥt-j* 'he (sc. the defendant) shall be-reconciled to him (sc. the plaintiff).

2. The deities by whom the oath was sworn are :

(a) *Mōnt* the god of Hermonthis and Western Thebes. The majority of oaths were sworn by *Mōnt*. His name is mentioned only in connexion with his temple, i.e. *pr-Mnt* 'the temple of *Mōnt*'; but in the oath his popular epithet *pk* 'the Bull' was used instead of his name. He was frequently described as *Mnt*, or *p k*, *nb Tn-dsr Mōnt*, or the Bull lord of the Holy Region (i.e. the necropolis west of Thebes). The name of this locality was otherwise read *Manun* by Revillout, (*Mélanges*, pp. 171, 176-6, 180-1, etc.), *Mtn* by Spiegelberg (*Demotica* 1, p. 12) and *M-dwby* Sethe (A.Z. 69, p. 120) but all three readings are palaeographically impossible. See Girgis Mattha, *Demotic Ostraka* 143 1, note.

For Oaths sworn by *Mōnt* cf. Louvre 9072 (*Mélanges*, p. 174), 9056 (*ibid.*, p. 175), 9090 (*ibid.*, p. 176), 7875 (*ibid.*, p. 180), 7863 (*ibid.*, p. 181), three Louvre ostraka without numbers (*ibid.*, p. 190), five other unnumbered Louvre ostraka (*ibid.*, pp. 193, 194 and 203), Louvre 8112 (*Dict. Démotique*, p. 113), Louvre 8116 (*ibid.*, p. 144 G) and *Theban Ostraca* D32, p. 58.

(b) *Chons* the child-god of Thebes: next in frequency to *Mōnt* in oaths comes *Chons*. His name is written either alone or with the epithet *nb 'h'* 'lord of time' attached to it. *Chons* as moon-god was naturally 'lord of time'. His demotic name together with the epithet are transcribed in the Græcised name Χεσβεαῖον, i.e. the temple of *Chons* lord of time (cf. *Theban Ostraca*, p. 58, n. 2). The same name and epithet occur also in the proper name Πετεχενσεβείς (*ibid.*), of which the demotic parallel *P-te-Hns-nb-'h'* occurs on three demotic ostraka copied by me from the collection of Egyptian inscriptions in the Bodleian Library, Oxford, Nos. 648, 692 and 760. The last-mentioned of these is a receipt for the tax on strangers of the 35th year of Augustus and was published by me as No. 185 of my *Demotic Ostraka*.

For examples where *Chons's* name occurs alone cf. 1., 9051 (*Mélanges*, p. 170), 7956 (*ibid.*, p. 182). For others

Compare Greek (Wilcken, *Chrest.* 110 A, ll. 18, 19) οὐθεν
 ψεύδοις ἐν τῷ (19) ὅρκῳ ἐστίν.

6. *e-f* (or *s-w*) 'r p 'nh nte-f (or *s-w*) wy ar-f (or *s-w*).

· If he (or she, they) make(s) the oath, he (or she, they)
 will be quit of him (or her, or them), *i.e.* will have no claim
 upon him (or her or them).

Compare Greek (Tait, *ibid.* 275, ll. 8, 9) ὁμνούντων αὐτῶν
 ἀπολ[υέσθαι] (!) αὐτούς.

7. *e-f* (or *s-w*) st a tm 'r-f

· If he (or she or they) refuse to make it (sc. the oath).

Compare Greek (Tait, *ibid.* 1.9.) ἐὰν δὲ μὴ (sic)
 ὁμνύωσι.

8. p nke nt e-f (or *s-w*) wnh-f mte-f (or *s-w*) ty-s

· then the thing, which he (or she or they) (sc. B the
 plaintiff or plaintiffs) declare(s), he (or she or they) (sc. A the
 defendant or defendants) shall give it.

9. te-w p 'nh n-tr.t (or a rt) X

· The oath was given to X (a temple official)

NOTES

1. nt e-r A u 'r-f = Coptic ετερε Α εσαα 'which A must
 (= Greek δεῖ) make' (not: *shall make* as is generally translated).
 The 3rd future here implies compulsion rather than a simple
 future. The localities named in the published ostraka are: *Dm*
 'Jēine, *i.e.* Memnonia' (cf. Louvre 9072 in *Mélanges*, p. 171,
 Louvre 9056, *ibid.* p. 175, Louvre 9090, *ibid.* p. 176, Louvre
 7875, *ibid.* p. 180, Louvre 7863, *ibid.* p. 181 and *Theban Ostraca*
 D 104, p. 59) and *Pr-h.t-hr* 'Pathyris, *i.e.* Gebelein' (cf.
Demotica I. p. 12). The deity in whose temple the oath was
 sworn is the same as that by whom it was sworn, for which latter
 see next note.

1. *h p 'nh nt e'r A a 'r -f' n p ro* of locality *x n pr* of deity *x n B n* date in year, month and day *dd* 'copy of the oath which A has to make at the gate of locality *x* in the temple of deity *x* to B in date (y.m.d.), saying:' Then follows the subject of the oath.

Compare Greek (Tait, *Bodl. I*, 274) ὁρκος ὃν δεῖ ὁμόσαι ἐπὶ τοῦ ἐν Κόπ(τω) Κρονείου τῇ καὶ τοῦ Θωῶθ τοῦ ἐλ Τιμόδημον Ἐρμίου Δωρίωνι.

For *n p ro* of locality *x n pr* of deity *x* 'at the gate of locality *x* in the temple of deity *x*' the following alternatives are common:

- (a) *n pr* of deity *x* 'in the temple of deity *x*'.
- (b) *n h'ih n* locality *x* 'in the dromos of locality *x*'.
- (c) *m - bh* deity *x* 'before deity *x*'.

2. '*nh* deity *x nt htp ty 'rm ntr nb nt htp 'rm -f* 'By deity *x* who resteth here and every god who resteth with him'.

Compare Greek (*ibid.*, ll. 7, 8) νῆ τὸν Κρόνον καὶ τοὺς συν (8) νόους θεούς..

For '*rm ntr nb* 'together with every god' there is the alternative '*rm n nt* 'together with those (who rest with him)'.

Κρόνος evidently represents an Egyptian god, probably Geb.

3. Subject of the oath: *py* (or *ty*, *ny*) disputed object *nt e - k* (or - *t*, - *tn*, - *f*, - *s*, - *w*) *mt 'rm - y* (or - *n*) a - *tb.t - f* (or - *s*, - *w*).

'This (or these) disputed object(s) for which thou (or you or he, she, they) disputest (or dispute, disputes, dispute) with me (or us).

4. Declaration concerning the object(s) of dispute.

5. *mn mt.t 'd n p 'nh*

'There is no falsehood in the oath'.

THE DEMOTIC OATH, ITS LEGAL FORMULAE AND THEIR GREEK COUNTERPARTS

BY
GIRGIS MATTHA

While oaths, recorded in Greek on ostraka, are very rare (the only examples known to me being *Gr. Ostr.* (1) II 1150, Wilcken: *Chrestomathie* (2), 110 A, and Tait: *Greek Ostraka in the Bodleian, etc.*, I, 273-75) in demotic, they are common. A large number of these were published by Revillout in his *Mélanges* (3), pp. 179-203. Chardon also gave four further examples in his *Dictionnaire Démotique*, pp. 112, 113, 144 F, and 144 G. Unfortunately, all of Revillout's and Chardon's copies of the texts are very faulty. Thompson also published four oaths reproduced by photography in *Theban Ostraca*, pp. 57-59, Pl. VI and XI. These together with one, sworn by Hathôr at Gebelîn, published by Spiegelberg in *Demotica* I (4), p. 44, are the only ones that can be trusted. There is, however, a large number of oaths recorded on the ostraka of the Bodleian and various other collections which I hope to discuss fully in a later work. Here I will only quote the commonest phrases of the formulae, A and B representing the names of the disputing parties:

(1) U. Wilcken: *Griechische Ostraka aus Ägypten und Nubien* (1899).

(2) U. Wilcken: *Chrestomathie der Papyriuskunde* (1912).

(3) Revillout: *Mélanges sur la métrologie et l'économie politique de l'ancienne Égypte* (1895).

(4) In *Sitzungsberichte d. Bayer. Ak. d. Wiss., Philos.-phil. Kl.* (1925), 6.

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

	PAGE
GIRGIS MATTHA	
The Demotic Oath, Its Legal Formulae and Their Greek Counterparts	1
GIRGIS MATTHA	
Egyptian Laws of Tenure and the Obligations of Landlord and Cultivator Towards one Another ...	7
M. ANIS	
British Travellers Impressions of Egypt in the Late 18th Century	8
L. A. TREGENZA	
The Curator Inscription and Other Recently Found Fragments from Wadi Semna	39
D. L. DREW	
Two Literary Puzzles from Palestine	51
M. MITWALLY	
Native Methods of Working a Sakia in the Northern Province of the Egyptian Sudan... ..	1

BULLETIN
OF
THE FACULTY OF ARTS



VOL. XIII—PART II

DECEMBER 1951

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Fouad I University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to Dr. Zaky M. Hassan Bey Editor of the Bulletin, and Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

CAIRO
FOUAD I UNIVERSITY PRESS,
1951



Universitäts- und
Landesbibliothek Bonn



0542796